

الشعر العربي بالمغرب في عهد الموحّدين
شعراؤه - موضوعاته ومعانيه

أطروحة دكتورا دولة

إشراف : د. جمعة شيخة

إعداد : علي إبراهيم كردي

تونس 1993

- الإهداء -

إلى التي قاسمتني هموم البحث
وتحملت مشاق الغربة، ووحشة الفراق
رفيقة العمر
زوجتي أم لؤي

علي

مقدمة

إنّ أدب الأُمّة، أيّ أُمّة من الأُمم، هو من أهمّ حواب عافها التّلى
سكّل هوتّها، و من هنا فإنّ دراسه أدبها واح محتمّ على أسائها الدّس سدروا
أنفسهم لخدمتها.

و أدب الأُمّة العربيّة واسع عتّى، فهو واسع من حب حفيه الرّميّة
ورفعه الحعرفيّة، عتّى من حب كره السّعراء الدّس نكاد يكون من المسحّل
حصرهم فى كتاب، و قدما قال اس فسه فى مقدّمه السّعرو السّعراء :
" و السّعراء المعروفون بالسّعرو فى فائلهم و عسائرهم فى الحاهلّة و الإسّلام
أكثر من أن يحط بهم محط، أو يف من وراء عددهم واف، و لو أنفد
عمره فى التّفسر عنهم، و اسفرع مجهوده فى الحب و السّوال".

و من ممّه كاب أهمّ خطوه خطوها الباحثون فى الأدب العربى هى
الحب عن سعر كلّ ساعر و جمعه من حهه، و نصف سعر كلّ حفه من الحب
على حده من حهه أخرى، و بذلك سنسر سل دراسه هذه الأسعار فيما بعد.
و رعم جهود المحدثين فإنّ ما نعباه هذا السّعرو من عراره و تنوع لم يح لهم
الإلمام به و طلبّ حواب مه معموره.

و من هذا المطلق كان احبارنا لدراسه السّعرو العربى بالمعرب فى
عهد الموحّدين إذ حدّدوا الإطار المكائى لبلدان المعرب المكوّنه من المعرب
الأقصى " المملكة المعربه " و المعرب الأوسط " الحرائر " و المعرب الأدنى " نوس"،
و الإطار الرّمائى لعهد الموحّدين فى هذه البلدان.
و قد كان فى سنّا أن ندخل السّعرو الأندلسى فى صمن هذه الدّراسه ليكون الدّراسه
عامّه لسعر المعرب الإسلامى، إلّا أنّنا وحدنا خلال اسفصائنا مصادر الحب و مراجه
أنّ السّعرو الموحّدى فى الأندلس قد قُبل نحا بعدما نعاوربه نلاه نحب أكاديمه
مسفصه .

- أولّها : لحكمه على الأوسى بعنوان : " الأدب الأندلسى فى عصر الموحّدين " (١)
و نالها : لمحمد محند السّعيد بعنوان : " السّعرو فى عهد المرابطين و الموحّدين بالأندلس " (٢)
و نالها : لفرورى سعد عيسى بعنوان : " السّعرو الأندلسى فى عصر الموحّدين " (٣)

-
- (١) طبع بالقاهره سه ١٩٧٦ م
(٢) طبع بعداد سه ١٩٨٠ م
(٣) طبع بالاسكندريه سه ١٩٧٩ م

و لذلك رأينا أن نصرف النظر عن دراسه السّعر الأندلسيّ في هذا العصر
لأنّها ستكون في كثير من حواشيها تكرارا لما ذكره هؤلاء الباحثون.

مع العلم أنّ الفصل من شعراء المغرب و شعراء الأندلس ليس سوى
فصل مهجّي قصصه الحب و ذلك لأنّ النّثه السّاسيّة و الثّقافتّه في كلا
الإقليمين كانت ممثّلة وحده محاسنه، ولأنّ الحركه الأدبيّه لم تكن تراعى الحدود
الجغرافيه الدقيقه إلّا أنّا عمدا إلى هذا الفصل نظرا إلى أنّ الحاح الأندلسيّ
قد نال نصيبا من الحب كما ذكرنا لم يحظ به الحاح المغربي، ولو صمّمناه إلى
هذا العمل لفسد مهج الحب إذ سعامل مادّيس نحاحان إلى مهجن سرائي
الأول حدّه الموضوع و كساره المادّه، و بقصى التّأني التعمّق فما درس دراسه
أولّيته .

و من الأسباب التي حدت بنا إلى احبار هذا الموضوع الرّعه في خدمه
التّراب العربيّ، على ما سطوى عليه هذه الخدمه من مزالق و صعوبات، و كأن
حدد موضوع الأطروحه بالسّعر العربي بالمغرب في عهد الموحّدين - و أنا العربيّ
المسرفيّ - إماما متى نوحده هذه الأمّه، و وحده نفاها على امتداد السّلاسل
العربيّه و امتداد الرّمان.

و منها أيضا رغبتنا في الكشف عن شعراء العربيّه في هذا الإطار سواء
أكانوا مكرّسين أم مغلّين، مشهورين أم معمرين، لأنّ ما وقعنا عليه من الدّراسات
و النّحوب كانت في محملها دراسات حرثّه، موحّه إمّا إلى سائر شعبه كدراسه
عبّاس الحراري عن أبي الرّبيع الموحّديّ، (١) و دراسه حسن السّهي عن أبي
العبّاس الحرّاوي. (٢)، أو إلى جانب معيّن في السّعر كدراسه حسن حلال عن
أبر العفده في الأدب في الدّوله الموحّديّه. (٣) إضافة إلى أنّها تناولت بالحب
شعراء المغرب الأقصى خاصّه، و لم تلبّغ إلى شعراء سائر المغرب، و هذا ما
دفعنا إلى الاهتمام بهم عامّه في هذا العصر و محاوله نظم ما انقطع من عقدهم
في سلك واحد، و التّعرف بهم و الدّلاله على أسعارهم في مطابقتها، على أن يكون
حقيقها و سرحها في مرحله فادمه إن شاء الله .

(١) الأمر السّاعر أبو الرّبيع سليمان الموحّديّ، عصره، حياته و شعره، الدّار البيضاء ١٩٧٤م

(٢) أبو العبّاس الحرّاوي ساعر الموحّدين، الرّباط : د.ب.

(٣) الدّوله الموحّديّه، أبر العفده في الأدب، مسورات الجامعه، الرّباط ١٩٨٥م

على أنه يجب التنويه بما قام به عبد الله كتّون من التعرف بأرر
الأعلام المعاريه على مدى العصور قديمه و حديثه، ومهم أدباء و شعراء من
عصر الموحّدين فى سلسله " ذكريات مشاهير رجال المغرب " و كتابه " التّسوّغ
المعريّ فى الأدب العربيّ " إذ قام بالترجمه للأعلام، و أورد ننفا من أخبارهم
و أسعارهم، على ما يؤخذ عليه فى هذين الكتابين من حماس زائد للأدباء
المعاريه، و غلب الرّوح التقديسه، و إغفال المصادر التى نقل عنها فى أغلب
الأحيان.

و ممّا ننوّه به أيضا ما قام به محمّد بن ناوب فى كتابه " الوافى
بالأدب العربىّ فى المغرب الأقصى " و هو كما ظهر من عنوانه محاوله لرصد
شعراء المغرب الأقصى، و محاوله استقصاء أسعارهم و إبداء بعض التعليقات
عليها، و يؤخذ عليه ما يؤخذ على عبد الله كتّون من إغفال ذكر المصادر التى
نقل عنها.

و كذلك كتاب " العلوم و الآداب و الفنون على عهد الموحّدين " لمحمّد
الموسى الذى رجم فيه تفاصيل لعدد من أدباء المغرب الأقصى.

و قد افضت طبعه الحب و ما اجمع لدينا من أخبار و أسعار أن
يكون فى قسمين :

القسم الأوّل : و خصّصناه للشّعراء و أسعارهم، و هذا القسم فى اعتقادنا أهمّ ما
فى هذه الأطروحه، و فيه حاولنا إماطة اللّثام عن الشّعراء، المعمورين منهم
و المشهورين، المفلّين و المكبرين، و كسفا فيه عن علمهم و أدبهم و اهتمامهم،
و حاولنا - جهدنا - أن نحصر أسعارهم ، و ندلّ على أماكن وجودها فى المصادر
المختلفة المخطوطة و المطبوعه، و نذكر موضوعات هذه الأسعار، و قد رحمنا لهم
نرحمه و افه - قدر الإمكان - و حمنا كلّ ترجمه فائمه ببلوغرافه مسفيصه
للمرحم لهم.

القسم الثّانى : و خصّصناه لموضوعات الشّعر و معاصيه، و خصائصه الفنيّه، فمما يدراسه
الشّعر بحسب كره بصوص كلّ موضوع و أهمّيه، و قد لاحظنا تفاوت كمّيه الشّعر
من موضوع إلى آخر، و رأينا حصص بعض الشّعراء بالنّظم فى موضوع محدّد
و الإنثار منه، فدفعنا ذلك - على كُره - إلى الإنثار من الاستشهاد بسعرهم أكبر
من غيرهم ، و لا سيما عندما تعرّ الصّوص فى الموضوع نفسه .

ولمّا كانت موضوعات السّعر متعدّده فقد قسمنا هذا الجزء من الأطروحة إلى فصول، غفدنا الفصل الأوّل لسعر المدح، والثّاني لسعر الحرب، والثّالث للشّعر الدّينيّ، والرّابع للغزل، والخامس للرّثاء، والسادس لموضوعات متفرّقه شملت الحمرة والوصف والهجاء والشّعر التّعليمي والاستعطاف والإخوانات والألعار، ثم أفردنا فصلاً خاصّاً للدراسه الغنيّه تناولنا فيه نفوهم السّعر وإبرار أهمّ خصائصه، ثم حمنا العمل خلاصه اسعرنا فيها أهمّ ما أوصلنا إليه البحث من نتائج.

وقد اعتمدنا لدراسه هذا السّعر نوعين من المصادر نذكر منها :
أوّلاً : الدّواوين السّعريّه : وهى قبله إاد لم نفع الأعلى ثلاثة دواوين للسّعراء المغاربه فى عهد الموحّدين الأوّل للسّاعر أبى الرّسع الموحّديّ، والآحران للشّاعر أبى ربد الفارارى، وهى دواوين لم نحل ما سنحقّ من العبايه فى طبعها.
وبطراً إلى ندره الدّواوين السّعريّه لسّعراء هذه الحفّه فعد رجعا-ثانياً- إلى مجموعته كبره من المصادر والمراجع المبوّعه من كتب التّراحم والطّفاط والتّاريخ والجغرافيه والرّحلات حنا عن سب من سحر أو حمر عن ساعمر، وذلك لانعدام كتاب قديم أو حديث جمع بين دقّبه إناح سّعراء عصر الموحّدين أو أحرارهم حمعا شاملاً، فحمنا ما سبّ من أشعار وأخبار فى هذه الكتب. وأهمّ هذه الكتب كتب ابن الأثار الدّى بعدّ من أعظم المؤرّخين المحقّقين فى القرن السّاع الهجرىّ، منها كتاب التّكملة لكتاب الصّله، والحلّه السّراء، وحقّه القام، فكان سرحم فيها للأعلام المغاربه والأندلسيّين وسورد محاراب من أسعارهم وأحرارهم. وأهمّ مرّته لكتب ابن الأثار هى كونهما لمؤلف من أدباء عصر الموحّدين. وشارك ابن الأثار فى هذه المرّته صقوان ابن إدرس فى كتابه "راد المسافر" و صاف إلى هذه المزيّه مرّته أخرى هى أنّه صر كتابه على سّعراء الدّولة الموحّديّه معاربه وأندلسيّين، و ساركهما فى هذا ابن سعبد فى كتابه "المعرب" وله كتاب آخر ضمّته نراحم لسّعراء المئّه السّاعه فى المسروق والمعرب هو كتاب "العصون البانعه فى محاسن سّعراء المئّه السّاعه".

ومن الكتب المهمّه كتاب "الدّبل والتّكملة" لاس عبد الملك، وهى كتاب لم يصل إلينا كاملاً، بل وصل بعض أحراره، وأمّدا هذا الكتاب بنراحم

عدد من الأعلام و أورد من أسعارهم الكبر المحار، و لا سما الحرء التام الذى أقدا منه أتما إفاده، و ستمر من كب اس الآثار باسفاصه فى التراحىم و الأسعار، عر آتة مما يؤحد عليه كره التصحف و الخلل و الاضطراب فى بعض أحرائه المحققه المطبوعه، و قد أسرا إلى بعض منها فى حواسى هذه الأطروحه .

و لا ممكنا أن نعمل أهمته بعض الكتب المأخره سبّا عن عصر الموحّدين ككتاب " الإحاطه فى أحبار عرابطه " لاس الحطب و هو كتاب عابّه فى الأهمته إاد رحىم فله تفصيل و اسعاب للأعلام الذى دخلوا مديسه عرابطه على العصور المحلفه، على أنّ ممّا سىء للكتاب طبعه الرديئه الملائى بالتصحيح و التحريف و التّفص.

كما لا ممكّن إفعال كتابى المقرئ " فح الطب " و " أرهار الرّصاص " و هما كتابان موسوعتان، اسفيا مهمما كسراً من لُباب هذا الحب.

و لاس القاصى كتابان مهمّان أما هما كتاب " درّه الحال فى أسماء الرّحال " و " حدوه الاقباس فى ذكر من حلّ من الأعلام مديسه فاس "، و هما كتابان حليلان عر آتة يؤحد عليهما الاضطراب فى التّوارىخ.

و من الكتب المأخره التى سوّه بها كتاب " الإعلام من حلّ مراكسس و أعماب من الأعلام " للعتّاس بن إبراهيم و قد عدت إلى عسره الأحرء الأولى مسه، و يظهر من اسمه أنّ مؤلّفه حصّصه للأعلام الأندلسى و المعاربه و المسارقه الذى دخلوا مراكس و أعماب، و مرّته هذا الكتاب آتة جمع ما ورد فى كتب التّراحم الأندلسّيه و المعربّيه التى سفه، و كان يذكّر مصادره، و سبّغ فى راحمه، إلّا أنّ ما يؤحد عليه الحلط أحيانا من الأعلام المرحم لهم كصعّه فى ررحمه اس القابله السّى.

فهذه المجموعه السّاعه هى أهمّ كتب التّراحم التى أقدا منها فى حبنا، و بعضها كتب مهمّه فى طبقات الرّحال ككتاب " الدّساح المذهب " لاس فرحون، و " سل الانهاج " لأحمد بابا السّكى، و " سحره التّور الرّكّيه " لمحمّد مخلوف و هى كتب كاب الإفاده منها مفصره على التّراجم، إاد حلب هذه المصادر أو كادت تحلّسو من السّعر.

و لس نكر ما لكتب التّارىخ و الجغرافيه من أهمّته فى إمداد هذا الحب بالمعلومات، و بعدّ كتاب " البان المغرب " - قسم الموحّدين - لاس عدارى، من أهمّ

كتب التّاريخ التي أفدأ منها، ولا سما في مجموعته الفصائد و المعطّعات التي احفظ بها من سعر أي العتاس الحرّاي، و التي لا حد ذكرها لها فما سواه من المصادر إلّا ما بدر و هي أناب لعل بمائه و ثلاث مئة ست.

أمّا عنه كتب التّاريخ " كالمعجب " لعبد الواحد المراكسي و " تاريخ المير الإمامه " لاس صاحب الصّلاه، و " روض العرطاس " لاس أي ررع، فإن إفادها منها كاد يحصر في المعلومات التّاريخيّة، و فلما أفدأ منها في محال الأدب.

و ممّه مجموعته من كتب التّاريخ المأخّره ككتاب " المؤسس " لاس أي دسار، و " الاسعفا " للتّاصري كاب عودا إليها للتّحقيق و التّحرّي و الصّسط.

و أهمّ كتب الجغرافيه التي عدا إليها كاب " الرّوض المعطار " للجيمريّ، أفدأ منه في صط أسماء الأماكن و تحديد مواقعها، و بعض الأسعار التي كان يوردها في كتابه.

و لا نسي ما لكتب الرّحلات من أهمّه في دراسها هذه، فقد رجعا إلى رحله العبدريّ، و رحله التّحاي. و رحله اس رُسّد التي نصّبت أسعارا لسعراء العصر الموحّديّ.

و قد دفعنا فله الدّواوين السّعريّه و ما قالها من كره المصادر العامّه إلى جمع أسعار سعراء هذه الحقّه من المصادر المحليه و الاعتماد عليها في الدّراسه، و لئس لم يدخل مجموع أسعارهم الذي جمعاه في صلب الأطروحه، فلقد وضعنا دليلا على مواضع سعر كلّ واحد منهم في أنباء رحميه، و ما منعنا من إدخاله في هذا العمل إلّا رعينا في ألاّ نفدّمه فطرا عبر محقّق ولا مسروح سكل يكون أقرب ما يمكن إلى الكمال، و هو ما لم يسّر لنا سب صق الوصف.

و قد اعرض سلبا عوائق عدّه منها أنّ عددا كبيرا من المصادر التي رجعا إليها لم يحقّق بحققا علميّّا، و لم يهرس فهرسه سهّل معها الحب و سال المطلوب، و لا حلّو بعض الكتب المحقّقه من أمور سعب الباحث نحو عدم صط السّعر و التّصحيفات و التّحريفات، و إفعال ذكر أوراا السّعر ممّا افصلى بهذا مضاعفا في تحقيق التّصوص التي اسسهدا بها صطا و صححا، و قد أسرا إلى بعضها في حواسي هذه الرّساله. و من هذه المعوقات صعوبه الحصول على بعض المصادر التي ما رال مخطوطه إلّا بالتي و اللّتيّا، ممّا جعل المرء يمتّي أن ساج له حرّبه التّعليل من البلدان العربيّه سهوله و سر.

و أحرا لا سعيًا إلا أن سوّحه بالسّكر أوفره و أحرله و أعّمّسه
لأساديا الذّكّور جمعه سحه الدّى رعى. هذا الحب و أخذ سدا من أوّل
الطريق إلى آحره، و سدّ من أرربا ساعات الوهن و الصّعف، فحراه اللّسه
عنا حير الحراء.

كما سكر الأسانده الأحلاء أعضاء لحه الصافسه الموقرس الدّس
بدلوا من الجهد و أفعوا من الوقت ما رحو أن يكون فيه نفوم لما اعسوّح
من مآد هذا الحب، و إراله ما اعسوره من عوب، و قدما فل . "رحم
اللّه امرأ أهدى إلى عوسى".

ولسا سسى ما لعسم اللّعه العربّيه ككّته الآداب مّتّوه من
فصل علسا فيما قدّمه و ما يرال بعدّم لسا و لسوايا من الطّليه من سهيلات
خدمه للعه هذه الأمّه الواحده، و لما حصّاه من عابه و رعايه طول مدّه
دراسيا بهذا البلد السّقى الدّى نحر اللّسان عن صاعه عبارات السّكر
لأهله الطّيس الدّس صدق فيهم قول ساعرا العربّي .

هَمْ حَلَطُوا بِالنُّفُوسِ وَ اُلْحَاوَا	إِلَى حَرَائِ اذْفَانِ وَ اَظْلَبِ
أَنَّا أَنْ نَمْلُوكَ وَ لَوْ أَنَّ أُمَّا	نُلَاقِي الدّى لَأَفُوءَ مِنَّا لَمَلَبِ

القسم الأول
تراجم الشعراء وأشعارهم

عددا التّرجمه للسّعراء و التّعريف بهم فسمّا أساسيّاً، ذلك لأنّهم كانوا في أغلبهم معمرين لم يألوا حظّهم من الدّرس و التّحقيق لسائر أخبارهم في المصنّعات المختلفة، فكان علينا أن نجمع هذه النّف من أخبارهم و أسعارهم، و نوّلف بها معه نقديم صورته حليّه - حسب المادّة الموقّرة - لهؤلاء المرحمين.

و إنّ مهجنا في هذا القسم من الأطروحة هو التّعريف بالأعلام الدّين وفعلاً لهم على سبيل قلّ أو كثر . و قد فصّرنا هذه التّراجم على السّعراء المعارف - دون الأندلسيّين - الدّين عاشوا في عهد الموحّدين أو أعقبوا سطوراً من حياتهم في ظلّه و اضطربهم الطّروف إلى السّقل، و كان للسّنة الموحّديّة أثر في أسعارهم.

و نفوم هذه التّرحمه على ذكر العلم و كسبه و اسمه و وسط تاريخ ولادته - ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً - و تاريخ وفاته و مكانها، و سألّه و نصبه من العلم، و تعداد بعض مساحته الدّين أحد عنهم نعبه التّعريف باهتماماته العلميّة، مع إحصاء لما وفعلاً عليه من سعرة، و تحديد موضوعاته، و الإحالة عليه في مطابّه. ثمّ ندبل التّرحمه حسب لمصادرها مرتّبه ترتيباً تاريخيّاً الأقدم فالأحدث.

أمّا السّعراء المكرون فقد عمدنا إلى نقديم أسعارهم في جداول نعبس على تحليلها و فهمها، و سفعناها بعض الأحكام على هذا السّعر.

و سكون ترتيب السّعراء حسب تاريخ وفاتهم، أمّا السّعراء الدّين لم نعبر لهم على ترجمه وافته، أو جهل تاريخ وفاتهم فسوف نجعلهم في قسم مسفلّ مرتّبين ترتيباً حائّثاً.

محمّد بن تومسرت *

ت : ٥٢٤ هـ / ١١٢٩ م

أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله بن تومرت الهَرْغِيّ ، الملقّب بالمهدي ، أصله من قبيلة هَرْغَة من المصامدة ، من قبائل جبال السّوس بالمغرب الأقصى ، ولد في " إيجلي إن وارغن " من قرى جبل السّوس بين عامي ٤٧٠ هـ - ٤٨٠ هـ / ١٠٧٧ م - ١٠٨٧ م . وشبّ على طلب العلم فرحل إلى المشرق مارّاً بالأندلس ، ونزل مصر فأخذ عن أبي بكر الطّروشّي (ت : ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م) ودخل بغداد وأخذ عن مشايخها علماً غزيراً . ثم حجّ وأقام بمكة زمناً ، وعُرف بالورع والشّدّة في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر فتعصّب عليه جماعة بمكة فخرج منها إلى مصر حيث طُرد منها ، فعاد إلى المغرب ونزل بطنابلس فالمهديّة ، وبجاية ، ومضى في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر مما أغضب أميرها عليه فخرج إلى ملالة " إحدى قرى بجايه ، وثمة كان لقاءه بعدد المؤمن بن عليّ فصحبه إلى المغرب .

حضر مجلس السلطان المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين (ت: ٥٣٧ هـ / ١١٤٣ م) فأنكر عليه ابن تومرت بدعاً ومنكرات ، ثم خرج ونزل بموضع حصين من جبال " تينمل " فأقبل عليه الناس وأيدوه فقوي أمره بهم وتلقّب بالمهدي . توفي سنة ٥٢٤ هـ / ١١٢٩ م قبل أن يدخل مراكش فاتحاً . كان ابن تومرت مصلحاً دينياً أولاً ، ثم رجل سياسة ثانياً ، وكان ذا حظّ من الفقه والأدب وقرض الشعر .

* ترجمته في :

البيذق ، أخبار المهدي بن تومرت - ابن الأثير ، الكامل ١٠ / ٥٦٩ - ابن عربي ، محاضرات المراكشي ، المعجب ١٧٨ - ١٩٤ - ابن القطّان ، نظم الجمان ٧٢ - ١٠٠
ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٥ / ٤٥ - ٥٥ - ابن سعيد ، رايات المبرزين ٢٤٠ - ابن أبي زرع ، روض القرطاس ١٧٢ - ١٨١ - الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٩ / ٥٣٩ - ٥٥٣ - ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ٢٦ / ٢٤٤ - الصّفي ، الوافي بالوفيات : ٣ / ٣٢٢ - ٣٢٨ - ابن عسّكر ، أدباء مالقه ١٢٢ - ابن خلدون ، العبر ٦ / ٢٢٥ - ٢٢٦ .
ابن القاضي ، جذوة الاقتباس ٢٠٥ - ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب : ٤ / ٧٠ - الحسن اليوسّي ، المحاضرات ١ / ١٧٨ و ٢٦٥ - الشّراج ، الحلل السّندسية : ٢ / ٩٨ - ١٠٨ - السّلاوي ، الاستقصا ٢ / ٧٨ - ٩٨ دائرة المعارف الإسلامية ١ / ١٠٦ - ١٠٩ - عبد الله كنون ، النبوغ المغربي : ٩٩ - ١٠٤ - محمّد المنوني ، العلوم والآداب ١٥٩ - عبد المحيد النجار ، المهدي بن تومرت - عبد العزيز بن عبد الله ، الموسوعة المغربية ١ / ٥٥ - .

شعره :

- نسبت المصادر إلى ابن تومرت بعض المقطوعات الشعرية منها :
- مقطوعة بائية من أربعة أبيات في التوعد وهي في سير أعلام النبلاء ١٩ / ٥٥٢ - والوافي ٣ / ٣٢٤
 - مقطوعة طائية من بيتين في الإطراء على عبد المؤمن وهي فسي محاضرات الأبرار ٢ / ٣٢٤ - وروض القرطاس ١٨٤ - والنحوم الزاهرة ٥ / ٢٦٣ .
 - مقطوعة عينية من ثلاثة أبيات في وداع أبي حامد الغزالي وهي في وفيات الأعيان ٥ / ٥٤ - ورايات المبرزين ٢٤٠ والحلل السندسية ٢ / ١٠٧ - والوافي بالوفيات ٣ / ٣٢٤ - والإعلام ٤ / ٧٢ - والاستقصا ٢ / ٩٥ - والنبوغ المغربي ٨٠٦
 - بيتان على اللام في الاعتبار في القرطاس ١٨٠
 - مقطوعة لامية من بيتين في أدباء مالقه ١٢٢
 - بيت على النون في الاعتبار في القرطاس ١٨٠

أبو جعفر بن عطية *

٥١٧ هـ - ٥٥٣ هـ / ١١٢٣ م - ١١٥٩ م

أبو جعفر ، أحمد بن جعفر بن محمد عطية القضاة .

ولد بمراكش سنة : ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م ، وتفقه بأبيه وأخذ العلم عن طائفة من الشيوخ .
وتقلد الكتابة في بلاط المرابطين ، فكتب عن أبي الحسن علي بن يوسف بن تاشفين
(ت ٥٣٧ هـ / ١١٤٣ م) وعن ابنه تاشفين (ت ٥٣٩ هـ / ١١٤٥ م) وعن إسحاق (ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م) .
لما انقطعت دولة المرابطين ، وظهرت على أنقاضها دولة الموحدين اختفى مدة ثم
دخل في سلك الجند ، وبقي مختفيا مدة ، إلى أن تنبه الموحدون إلى براعته في الكتابة
فاستكتبه عبد المؤمن بن علي وأسند إليه وزارته .

كثر حساده والواشون به - وكلّ ذي نعمة محسود - فاحتالوا له وأوغروا صدر عبد
المؤمن عليه ، مما أدى إلى القبض عليه وسجنه ، ثم قتله مع أخيه عطية سنة
٥٥٣ هـ / ١١٥٩ م ، بمراكش . (١)

كان أبو جعفر بن عطية كاتباً بليغاً ، وشاعراً مجيداً .
آثاره :

خلف ابن عطية مجموعة من الرسائل البليغة ، نشر بعضها في كتاب : "رسائل موحدية" .
شعره :

سلم لنا من شعره :

- حائية من بيتين في استعطاف عبد المؤمن ، وهي مثبتة في الإحاطة : ٢٦٨/١ - ونفح
الطيب : ١٨٥/٥ - ١٨٦ - والإعلام : ٦٧/٢ - والاستقصا : ١٣٤/٢ - والعلوم والآداب : ٢٢٠
وذكريات المشاهير : ٢٥/٥ .

- بيت على اللام في الغزل أجاز به الخليفة عبد المؤمن ، أورده المقري في نفح
الطيب : ١٨٦/٥ - ١٨٧ - والقرطاس : ٢٠٤ - والإعلام : ٦٨/٢ - والنبوغ : ٥٨٨ .

- بيت على النون في استعطاف عبد المؤمن : وهو في البيان المغرب : ٦٠ - والإحاطة :

١٦٨/١ - والنفح : ١٨٥/١ - كنش الشيخ المناعي ، مخطوط المكتبة الوطنية بباريس : ٢٣٩
وروض القرطاس : ١٩٧ - والإعلام : ٦٤/٢ - والاستقصا : ١٣٣/٢ - ومجلة المناهل : العدد :

٢٣٠/٣٨ - وذكريات المشاهير : ٢٢/٥ - والنبوغ المغربي : ٥٠٣ .

- قصيدة نونية من عشرة أبيات في الاستعطاف ، وهي مثبتة في البيان المغرب : ٦٠ -

والإحاطة : ٢٦٨/١ - والنفح : ١٨٥/٥ - وكنش المناعي : ٢٣٩ ب - ٢٤٠ آ - والإعلام : ٦٤/٢

وهي محققة في المناهل : ٢٨ / ٢٢٨ - والاستقصا : ١٣٣/٢ - ١٣٤ - والنبوغ المغربي :

٥٠٢ - وذكريات المشاهير : ٢٣/٥ - والعلوم والآداب : ٢٢٠ .

ترجمته وشعره في: البيذق، أخبار المهدي: ١٤٦ - المراكشي، المعجب : ١٩٨ - ١٩٩ / البيان المغرب -

قسم الموحدين : ٦٠ - القرطاس : ١٩٦ - ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار (سركين)

١٣٦/١٣ - ابن الخطيب ، الإحاطة : ٢٦٣/١ - ٢٧١ - كنش المناعي مخطوط المكتبة الوطنية :

تونس رقم (٨٢٥٤) : ٢٣٧ - ٢٤٠ - المقري ، نفح الطيب : ١٨٦/٥ - العباس بن إبراهيم

الإعلام : ٦١/٢ - ٦٨ - عبد الله كنون : ذكريات مشاهير المغرب عدد ٥ - النبوغ

المغربي : ١٦٧ - محمد المنوني ، العلوم والآداب : ١٦٥ - ٢٢٠ - ومجلة دعوة الحق سنة ١٩٧٥ م

العددان ٢ - ٣ مقالان لمحمد حمدان العلمي - مجلة المناهل عدد ٣٨ / ديسمبر ١٩٨٩

(١) انظر نكبة ابن عطية في ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين : ٥٧ - ٦٠ .

محمّد بن أحمد بن هشام اللّخميّ *

٤٧٨ هـ - ٥٥٧ هـ / ١٠٨٥ - ١١٦١ م

أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم بن خلف اللّخميّ .

ولد بسبّعة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م وبها تلقى تعلّمه الأوّل على مشايخها، ثمّ رحل إلى الأندلس ، فروى عن أبي بكر بن العربيّ (ت ٤٥٧ هـ / ١١٤٨ م) وأبي خليل . لم يكتف بالأخذ عن علماء المغرب ، فالتفت إلى شيوخ المشرق وتحصّل على إجازة من أبي الطاهر السلفيّ (ت ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م) .

تصدّر للتدريس بسبّعة طويلاً ، فانتفع به خلق كثيرون ، وروى عنه جمع غفير، منهم : أبو الحسن بن أحمد الخولاني ، وأبو عبد الله بن عبد الله بن سعيد الكِناني ، وابن العابد بن غاز السبّتي (ت ٥٩١ هـ / ١١٩٤ م) وأبو علي حسن بن محمد الجذاميّ ، وأبو عمر بن يوسف بن عبد الله الغافقي ... وغيرهم .

توفي بإشبيلية سنة ٥٥٧ هـ / ١١٦١ م (١)

كان ابن هشام اللّخميّ " نحويًا ، لغويًا ، أدبيًا ، تاريخيًا ، ذاكرًا أخبار الناس ... وله تصرف حسن في النظم " (٢)

آثاره :

صنف في كثير من العلوم مصنّفات مفيدة منها : المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان " و " شرح مقصورة ابن دريد " و " شرح أبيات الجمل " و " شرح قصيد الهاشمي في ترحيل النيرين " و " شرح قصيدة الحريري في الظاء " و " شرح الفصح لشعلب " إلى غير ذلك من المؤلفات .
شعره :

وصل إلينا من شعره قصيدة لامية تعليمية من سبعة أبيات عدّد فيها معاني لفظة " الخال " مقتديا بغيره من العلماء المشاركة وقد أوردها ابن عبد الملك في الذيل والتكملة ٦ / ٧١ - ٧٢ وأورد ابن دحية في المطرب : ١٨٣ أربعة أبيات منها وكذلك السيوطي في بغية الوعاة : ١ / ٤٩

* ترجمته وشعره في : ابن دحية، المطرب : ١٨٣- ابن الأبار ، التكملة رقم ١٠٥٣

الفيروز آبادي ، البلغة في تاريخ أئمة اللغة ٢٠٩ - ٢١٠- السيوطي ، بغية الوعاة ١ / ٤٨

٤٩- حاجي خليفة ، كشف الظنون : ٦٥ - ١٢٧ - ١٢٧٣ - ١٣٤٥ - ١٤٢٨ - ١٥٤٨ - ١٦٤١

١٨٠٨ - البغدادي : هدية العارفين ٩٧/٢ - ايضاح المكنون ١ / ٥٩٩ و ٢ / ٥٤٥ -

رضا كحالة ، معجم المؤلفين ٩ / ٢٦

(١) جعل كحالة وفاته سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م (٢) ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة ٦ / ٧١

عبد المؤمن بن علي*
٤٨٧ هـ - ٥٥٨ هـ / ١٠٩٤ م - ١١٦٢ م

أبو محمد ، عبد المؤمن بن علي بن علوي بن مروان بن ناصر بن علي بن عامر الزناتي الكومي .

X يعود نسبه إلى قيس عيلان .

ولد بتاجرا من أعمال تلمسان سنة : ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م ، ودرس فيها .
لقيه ابن تومرت في عودته إلى المغرب ، فاصطفاه ، وصحبه في حملته ضد المنكر ،
واستطاعا تقويض دولة المرابطين .

بويح بالخلافة بعد وفاة ابن تومرت سنة : ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م ، ثم بويح البيعة العامة
سنة : ٥٢٧ هـ / ١١٣٢ م بجامع تينمل .

دخل حاضرة المرابطين مراكش سنة : ٥٤١ هـ / ١١٤٧ م ، وقتل آخر ملوكهم إبراهيم بن
تاشفين بن علي . وخضع له المغربان ، الأقصى والأوسط وإفريقية " تونس " وطرابلس
المغرب والأندلس .

توفي عبد المؤمن بن علي سنة : ٥٥٨ هـ / ١١٦٢ م .
كان فقيها بارعا ، حافظا للسنة ، عالما متمكنا من علوم الدين ، كاتباً أديباً
شاعراً ، إماماً في النحو واللغة ، حافظاً للتاريخ .
شعره :

- سلف القول بأن مترجمي عبد المؤمن أجمعوا على أنه كان شاعراً أديباً ، وقد حفظت
لنا المصادر بعض شعره ، اطلعت منه على :
- مقطوعة بائنية من بيتين قالهما عندما كثر الشوار عليه مثبتة كـشذرات الذهب: ١٨٣/٤
 - وفي الإعلام : ٣٩٧/٨ .
 - قصيدة بائنية من اثني عشر بيتاً قالها عند فتح المهدية وهي في المن بالامامة
 - ١١٧ - ١١٨ - والبيان المغرب : ٦٤ - ٦٥ .
 - مقطوعة حائية من بيتين قالهما في القضاء على المرابطين في البيان المغرب : ٢٦ ،
 - الحلل الموشية : ١٥٧ - الإعلام : ٣٩٥/٨ .
 - قصيدة لامية من اثني عشر بيتاً في استنفار عرب إفريقية إلى الغزو ، مثبتة في
 - المعجب : ٢٢٥ - وسير أعلام النبلاء : ٣٧٢/٢ - ٤٧٣ - والنبوغ المغربي : ٦٧٧ - ٦٧٨ .
 - بيت على اللام في الغزل ، أجازه وزيره ابن عطية عليه وهو في القرطاس : ٢٠٤ -
 - والاستقصا : ١٣٤/٢ - والنبوغ المغربي : ٥٨٨ .
 - وأورد ياقوت في معجم الادباء : ٢٢٤/٥ في ترجمة أسامة بن منقذ بيتين على الدال
 - وقال : ((وهذا البيتان يرويان لعبد المؤمن بن علي)) وهما في الإعلام : ٣٩٣/٨ .

ترجمته وشعره في :

- ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة : ١١٧ - ١١٨ - ابن الأثير ، الكامل : ٢٤١/١١ ، عبد الواحد المراكشي ،
المعجب : ١٩٤ - ٢٣٥ - ابن عذاري ، البيان المغرب : ٦٤ - ٦٥ - ابن خلكان ، وفيات الأعيان :
٢٣٧/٣ - ٢٤١ - سير أعلام النبلاء : ٣٦٦/٢٠ - ٣٧٥ - ابن أبي زرع ، روض القرطاس : ١٨٣ - ٢٠٥ -
(العبر : ١٦٥/٤) - ابن فضل الله العمري ، مسالك الألبار : ٣٤٥/٢٦ - ابن خلدون ، العبر : ٣٠٥/٦ - مجهول
الحلل الموشية : ١٥٦ - ١٥٧ - ابن القاضي ، جذوة الاقتباس : ٤٤٦ - ابن العماد ، شذرات الذهب : ١٨٣/٤ - السلاوي ،
الاستقصا : ٩٩/٢ - ١٤٥ - العباس بن إبراهيم ، الإعلام بمن حل مراكش : ٣٩٨ - ٣٩١/٨ .

يحيى بن محمد السَّلَوِيّ *

٥١٠ هـ - ٥٦٣ هـ / ١١٦ م - ١١٦٧ م

أبو بكر ، يحيى بن بقي بن محمد بن عبد الرحمن السَّلَوِيّ ، يعرف
بالواعظ ولد بسلا ، ونشأ بها ، وأخذ القراءات والحديث والأدب عن
شيوخها .

انتقل إلى الأندلس ، وأقام في مرسية يعظ الناس ، وتوفي فيها
سنة : ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م وكانت جنازته مشهودة ، وصلى عليه أبو القاسم
ابن حَبِيش (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م)
كان فقيها ، زاهدا ، عارفاً بالتفسير ، ذا حظ صالح من الشعر .

شعره :

وقفت له على قصيدتين لاميتين تتوافقان وسيرته الزاهدة :
الأولى : في أحد عشر بيتا في الوحدانية والرجاء ، وهي مثبتة في بغية
الملتص ٤٩٨ - ٤٩٩ ، وزاد المسافر : ١٥٧ - ١٥٨ .
الثانية : في ستة عشر بيتا في التشوق إلى بيت الله الحرام ، والتألم من
تعذر الوصول إليه . وهي مثبتة في بغية الملتص ٤٩٩ ، وزاد

المسافر : ١٥٨ - ١٥٩

ترجمته في :

صفوان إدريس ، زاد المسافر : ١٥٧ - ١٥٩
الضَّبِّي ، بغية الملتص : ٤٩٨ - ٥٠٠
ابن الأبار : التكملة رقم ٢٧٨٢ الملحق
ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة : ٤١٣ / ٨
محمد المنوني ، العلوم والآداب : ١٦٧ - ١٦٨

عثمان السَّلَالِي *

٥٢١ هـ - ٥٦٤ هـ / ١١٢٧ م - ١١٦٨ م

أبو عمرو عثمان بن عبد الله القيسي القرشي ، المعروف بالسَّلَالِي (١) ولد سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م بمراكش ، واختلف إلى مجالس مشايخها فأخذ عن ابن جريرهم (ت ٥٥٩ هـ / ١١٦٣ م) . وأبي عبد الله محمد بن عيسى التَّادلي (ت : ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) ، ورحل إلى بجاية وأخذ عن مشايخها .

استوطن مدينة فاس وجلس للإقراء فيها فانتفع به كثيرون منهم الفقيه سليمان بن مهدي بن النعمان (ت ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م)

توفي بفاس سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م (ودفن خارج باب الفتوح (١))

كان المترحم له فقيها عالما زاهدا بارعا في العلوم الشرعية ، له حظ من

قرض الشعر .

آثاره :

له " البرهانية " في التصوف ، وقد طبعت مع شرحها للمديوني .

شعره :

بقي لنا من شعره قصيدة بائية من عشرة أبيات في الوعظ والزهد ، وهي مثبتة في التَّشَوُّف ١٨٠ وذكريات المشاهير ١١ / ٢١٠ . والوافي بالأدب العربي ٣١٥ .

بيتان على الفاء في الوعظ والحكمة ، وقد أثبتهما ابن القاضي في

جذوة الاقتباس ٤٥٨ ، والعباس بن إبراهيم في الإعلام ٩ / ٦ وذكريات المشاهير : ٢١ / ١١ - وهما في الوافي : ٣١٦ .

* ترجمته وشعره في :

ابن الزيات ، التَّشَوُّف : ١٧٨ وما بعد - ابن أبي زرع ، روض القرطاس : ٢٦٦

ابن القاضي ، جذوة الاقتباس : ٤٥٨ - الكتاني ، سلوة الأنفاس ٢ / ١٨٣ - عبد الله

كنون ، ذكريات المشاهير عدد (١١) - والنبوغ المغربي : ١٤٩ - محمد بن تاويست

الوافي بالأدب العربي : ١ / ٣١٥ - ٣١٧ .

(١) - في تاريخ وفاته خلاف ، فقد ذكر ابن القاضي أن وفاته سنة (٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م) وتابعه الكتاني في سلوة الأنفاس ، ورجع عبد الله كنون أن تكون سنة (٥٧٢ هـ / ١١٧٥ م) .

الشَّريف الإدريسيّ *

٤٩٤ هـ - ٥٦٩ هـ / ١١٠٠ م - ١١٧٣ م

محمّد بن محمّد بن عبد الله بن إدريس بن يحيى بن عليّ بن حمود بن ميمون بن أحمد بن عليّ بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ ابن أبي طالب . ولد بسبّعة سنة ٤٩٣ هـ / ١١٠٠ م (١) ودرس على علمائها ، ثمّ تنقّل بين مدن المغرب والأندلس وآسية الصغرى . وكان ولوعاً بالسّياحة مهتماً بعلم الجغرافيا والنبات . وعندما ذاع صيته استدعاه روجار الثاني ملك صقلية . وأكرم وفادته فألّف الإدريسيّ له كتاب " نزهة المشتاق في معرفة الآفاق " وفرغ من تأليفه سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٤ م . وكانت وفاته سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م .

كان الشَّريف الإدريسيّ - إلى جانب اهتماماته الجغرافيّة والنباتيّة - ذا حظّ من قول الشعر .

آثاره :

خلف الشَّريف الإدريسيّ بعض المؤلفات منها : " نزهة المشتاق في معرفة الآفاق " وهو مطبوع و " روضة الأنس ونزهة النفس " صنفه لغليوم الأول . وهو مخطوط توجد منه نسخة في تركيا . و " الأدوية المفردة " وهو كتاب طبّي . و " الجامع لصفات اشتمات النبات " وهو مخطوط .

شعره :

- ذكر الصّفدي أنّ " شعره جيّد " وقد وقفنا له على المقطوعات التالية :
- مقطوعة بائية في الفخر من ثلاثة أبيات ، وهي مثبتة في الوافي بالوفيات ١ / ١٦٤ ، والنبوغ المغربي ٦٧٧ ، وأدب الفقهاء ٦٩
 - مقطوعة حائية من بيتين في الفخر وهي في الوافي ١ / ١٦٤
 - مقطوعة رائية من خمسة أبيات في الحكمة ، وهي في الوافي ١ / ١٦٤ ، وأدب الفقهاء ٦٩ - ٧٠ - والعلوم والآداب : ١٦٧ - وتراجم إسلامية : ٣١٤
 - بيت مفرد على السّتين في الفخر ١ / ١٦٤ ، العلوم والآداب ١٦٧
 - مقطوعة يائية من بيتين في تعليل حبّه للسفر ، وهي في الوافي ١ / ١٦٤ ، العلوم والآداب ١٦٧

العلوم والآداب ١٦٧

- * ترجمته وشعره في الصّفدي ، الوافي بالوفيات ١ / ١٦٣ - ١٦٤ - حاجي خليفة ، كشف الظنون ١٩٤٧ - البغدادى ، هدية العارفين ٢ / ٩٤ - ٩٥ - المراكشي ، الإعلام ٤ / ١١٥ - ١١٦ - بروكلمان ١ / ٦٢٨ - والملحق ١ / ٨٧٦ - ٨٧٧ - بالنيّسا ، تاريخ الفكر الأندلسي : ٣١٢ - ٣١٦ - عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ١ / ١٥٥/ ١٥٥ - ١٥٦ - أدب الفقهاء ٦٨ - ٧٠ - محمد المنوني ، العلوم والآداب ١٦٧ - رضا كحالة ، معجم المؤلفين ١١ / ٢٣٦ - محمد عبد الله عنان ، تراجم إسلامية : ٣٠٥ - ٣١٤ - الزركلي ، الأعلام ٧ / ٢٤ - مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدرّيد ٩ / ٢٧٥ - مجلة المشرق ١١ / ٣٢٠ و ١٥ / ٤٠٠ - دائرة المعارف الإسلامية (اللّغة الفرنسيّة) ١٠٥٨/٣

محمد بن حبّوس الفاسي *

٥٠٠ هـ - ٥٧٠ هـ / ١١٠٦م - ١١٧٥م

أبو عبد الله، ومحمد بن حسين بن عبد الله بن حبّوس الفاسي، ولد بفاس سنة: ٥٠٠ هـ / ١١٠٦م، و تلقى تعلّمه الأوّل على شيوخها، ثم أكمل تعلّمه بالأخذ عن مجموعة من شيوخ العُدوة و الأندلس فقرأ القرآن على ابن عيشون المقرئ، و درس النحو على الرّماك، و قرأ الأدب علي أبي محمد بن عبد الغفور

أخذ عنه مجموعة من الطّلبة منهم: أبو محمد بن محمد التّادلي، و عبد العزيز ابن علي بن زيدان^(١)، تنقّل في مدن المغرب، فرحل إلى تلمسان و أقام بها مدّة ثم انتقل إلى مراكش و استوطنها .

دخل الأندلس و أمضى فيها زمنا، و عندما ظهر أمر عبد المؤمن بن علي حجه في حلّه و ترحاله، و فارق بعد انصرافه من فتح المهدية سنة ٥٥٤ هـ / ١١٥٩م فعاد إلى بلده فاس و استوطنها .

توفي سنة: ٥٧٠ هـ / ١١٧٥م ،

كان ابن حبّوس أديبا شاعرا مفلحا، فحلاّ، ذا معرفة يعلم الكلام و النحو و اللغة .
شعره :

ذكر مترجمو ابن حبّوس أنّ له ديواناً كبيراً من الشّعر^(٢)، غير أنّ عوادي الدّهر أتت عليه، فأصبح أشراً بعد عين، و قد جمعت ما تيسر لي من شعره من المصادر المختلفة، و رتبته في جداول تعين على تحليله و فهمه .

✽ ترجمته وشعره في : ابن صاحب الملاء، المنّ بالإمامة ١١٦ - صفوان بن إدريس، زاد المسافر ٤٣ - ٤٨ - ابن حماد أخبار ملوك بني عبيد: ١٠ - ابن دحية، المطرب: ١٩٩ - ٢٠١ - القفطي المحمّدون من الشّعرا: ٣٦٤ - ٣٦٥ - عبد الواحد المراكشي، المعجب: ٢١٣ - ٢١٤ - ابن القطان نظم الجمان : ١٣٤ - ١٣٦ - ابن الأثير، التّكملة: ٦٧٧ - ابن عبد الملك : الذّيل و التّكملة: ١٦٠/١ - ١٦٣ و ٢٩٣/٨ - ٢٩٨ - العفدي، الوافي بالوفيات : ١٦/٢ - ابن فرحون، الذّيباج المذهب: ٤٧ - ابن إبراهيم، الإعلام: ١١٠/٤ - ١١٤ - عبد الله كنّون ، ، النّبوغ المغربي : ١٦٧ - ٦٨١ - ٨٥٢ - ٨٥٣ - ٩٠٨ - محمد المنونسي العلوم والآداب : ١٦٨ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٨ - ٢٣٠ - ٢٣٢ - محمد بن تاويت ورفيقه ، الأكب المغربي : ١٦٩ محمد بن تاويت ، الوافي بالأدب العربي : ٩٣/١ - ١١٦ - عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي : ٤٢٢/٥ - ٤٢٥ - مجلة الثقافة المغربية عدد ٤ - ٥ مقالان لمحمد الفاسي عبدالعزيز بن عبد الله ، الموسوعة المغربية : ٧٠/١ . محلة دعوة الحق العدد ١٢/١٩٥٨ مقال

محمد بن تاويت، العدد ٦ لسنة ١٩٦١
مقال عباس المراري .

(١) ابن عبد الملك : الذّيل و التّكملة : ٢٩٣/٨ .

(٢) القفطي ، المحمّدون من الشّعرا: ٣٦٤ .

الرقم	عدد الأبيات	روي القافية	الفرض	المصدر
١	٤٩	اللام	احتفال الخليفة بالمصنف العثماني	الذيل و التكملة : ١٦١/١ - ١٦٤ - الديباج المذهب ٤٧ - الوافسي : ٩٤/١ - ٩٦
٢	٣٠	الدال	مهاجمة الفلاسفة	الذيل و التكملة : ٢٩٥/٨ - ٢٩٦ - الإعلام : ٤ / ١١٢ - العلوم و الآداب : ٢٢٩ - ٢٣٠ - الوافي : ١٠٧/١ - ١٠٨
٣	٢٦	اللام	المدح	زاد المسافر : ٤٤ - المعجب - ٢١٤ - نظم الجمال : ١٧٤ - ١٧٦ العلم و الآداب : ٢٢٣ - الأدب المغربي : ١٧٠ - تاريخ الأدب لفروخ : ٤٢٣/٥ - الوافي : ١٠٢/١ - ١٠٣
٤	٢٢	الراء	المدح	زاد المسافر : ٤٤ - الذيل و التكملة : ٢٩٤/٨ - ٢٩٢ - الإعلام : ٤ / ١١١ - ١١٢ - النبوغ : ٨٥٢ - ٨٢٣ - الوافي : ١٠٥/١
٥	١٧	الصاد	في معاملة الناس	زاد المسافر : ٤٦ - ٤٧ - النبوغ : ٩٠٨ - ٩٠٩ - العلوم والآداب : ٢٢٩ - تاريخ الأدب لفروخ : ٤٢٥/٥ - الوافي : ١١٢/١
٦	١٣	الدال	الاحتفال بالمصنف	الذيل و التكملة : ١٦٠/١ - ١٦٠ - ١٦١ - الوافي : ٩٦/١
٧	١٢	الراء	الوصايا	الذيل و التكملة : ٢٩٧/٨ - الإعلام : ٤ / ١١٣ - النبوغ : ٦٨١ و ٦٨٧ - الوافي : ١١١/١ - العلوم والآداب : ٢٢٨

الترقيم	عدد الأبيات	روي القافية	الفرض	المصمدر
٨	١٠	القافي	المدح	زاد المسافر : ٤٨ - المحمّدون : ٣٦٥ - النبوغ : ٨٥٣ العلوم و الآداب : ٢٣٢ - تاريخ الأدب لفروخ : ٥ / ٤٢٥ الوافي : ٦٠١ .
٩	٩	العين مخاطبة الشعر	المدح	زاد المسافر : ٤٦ - العلوم والآداب : ٢٢٢ - الآداب المغربي : ١١٠/١ .
١٠	٩	اللام	الزهد	الذيل : ٨ / ٢٩٨ - الإعلام : ٤ / ١١٤ - الوافي : ١١٠/١ .
١١	٨	اللام	المدح	زاد المسافر : ٤٥ - تاريخ الأدب لفروخ : ٥ / ٤٢٤ - الوافي : ١٠٠/١ .
١٢	٥	الراء	المدح	زاد المسافر : ٤٧ - الوافي : ١ / ٩٤ .
١٣	٤	الراء	الوداع	المطرب : ٢٠١
١٤	٤	النون	النسيب	الوافي : ١ / ١١٦
١٥	٣	الجيم	المدح	زاد المسافر : ٤٣ - ٤٤ - المن بالإمامة : ١١٦ - الوافي : ١ / ٩٣
١٦	٢	الراء	الهجاء	زاد المسافر : ٤٥ - ٤٦ - العلوم والآداب : ٢٣٢ - الوافي : ١٠١ .
١٧	٢	الراء	المدح	أخبار ملوك بني عبيد : ١٠ - الوافي : ١٠١/١

الجدول الثاني : شعر ابن حُبوس مرتباً حسب عدد الأبيات

عدد الأبيات	عدد النصوص	مجموع الأبيات
٤٩	١	٤٩
٣٠	١	٣٠
٢٦	١	٢٦
٢٢	١	٢٢
١٧	١	١٧
١٣	١	١٣
١٢	١	١٢
١٠	١	١٠
٩	٢	١٨
٨	١	٨
٥	١	٥
٤	٢	٨
٣	١	٣
٢	٢	٤
	١٧	٢٢٥

يتّضح من الجدول السابق أنّ لابن حُبوس ٢٢٥ بيتاً موزعة على (١٧) نصّاً منها (١١) قصيدة و (٦) مقطوعات ، وتتميّز قصائده. بالطول (٤) منها فوق (٢٠) بيتاً و (٤) فوق (١٠) أبيات ، بينما (٣) قصائد أبياتها بين (٨ و ٩) أبيات . وهذا يفترض أنّ شاعرنا طويل النفس ممتدّه .

موسى بن عيد المؤمن *

ت ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م

أبو عمران بن موسى بن عيد المؤمن بن علي الكومي ، ولد في قصر أبيه
و أخذ علومه عن خيرة المؤدبين و الشيوخ ، و عندما بلغ مرحلة الشباب
ولاه أبوه على تلمسان مكان أخيه عمر سنة (٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) ثم ولّاه
مراكش ، و بقي عليها إلى أن توفي بالطاعون الجارف الذي عصف بمراكش سنة
(٥٧١ هـ / ١١٧٥ م)

كان المترجم له أديبا ذا حظ من نظم الشعر ، وله اطلاع على الفقه

شعره :

وصل إلينا من شعره المقطوعات التالية :

- مقطوعة شائبة من ثلاثة أبيات في الرد على القاضي حجاج بن يوسف
وهي في البيان المغرب : ١٢٦ ، و روض القرطاس : ٢٠٣ - و الإعلام :
٢٨٨/٨ - ٢٨٩ .

- مقطوعة رائبة من أربعة أبيات كتبها إلى أخيه أبي زكرياء صاحب
بجاية ، وهي في البيان المغرب : ١٢٦ - ١٢٧ .
- بيتان هائيان في مظهر هطل يعد انحياس ، و هما في البيان المغرب :
١٢٦ .

* ترجمته و شعره في :

ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم المؤرخين : ١٢٦ - ١٢٧ - ابن
أبي زرع ، روض القرطاس : ٢٠٣ - العباس بن إبراهيم ، الإعلام :
٢٨٨/٨ - ٢٨٩ - عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر : ٢٢٢ .

حجاج بن يوسف

ت : ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م

أصله من بجاية ، وكان قاضي الجماعة بمراكش وخطيبها ، وعرف
بالنزاهة والعدل ، ونال دنيلاً عريضه عند يوسف بن عبد المؤمن ، وكان
متبحراً في الفقه وأصوله ، عارفاً بعلوم الحديث ، وله معرفة بالأدب ،
وجرت بينه وبين أبي عمران بن عبد المؤمن مخاطبات شعرية لطيفة .

دخل الأندلس مراراً وروى عن علمائها ، وروى عنه مجموعة
منهم أبو عبد الله بن المجاهد . وتوفي مكفوف البصر في الطاعون
بمراكش سنة ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م وصلى عليه السلطان وحضر دفنه .

شعره :

له بيتان تائيان في التشوق للسيد أبي عمران وهما في البيان
المغرب ١٢٦ - روض القرطاس ٢٠٣ - والإعلام ٢٨٨/٨

✻ ترجمته وشعره في : عبد الواحد المراكشي ، المعجب ٢٤٦ - ٢٤٧ -
ابن الأثير، التكملة رقم ٧٤٥ - ابن أبي زرع، الذخيرة السنّية : ١٣٢ ،
وروض القرطاس ٢٠٣ - العباس بن إبراهيم ، الإعلام ١٦/ ٣ و ٢٨٨/٨

(١) جاء اسمه في المعجب حجاج بن إبراهيم التّجيبّي من أهل مدينة أغمات
من أعمال مدينة مراكش .

الحسن بن عبد المؤمن *

ت ٥٧٤ هـ / ١١٧٨ م

- أبو علي ، الحسن بن عبد المؤمن بن عليّ الكُومِيّ .
- ولد في قصر أبيه بمراكش ، وتتلّمذ على خيرة شيوخها ، والطّارئين عليها .
- ولما شبّ ولّاه أخوه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن على قرطبة سنة ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م .
- غزا أحواز طلبيرة في أوائل سنة ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م وحصل على كثير من الغنائم والسبي .

• توفي بإشبيلية سنة : ٥٧٤ هـ / ١١٧٨ م .

- كان أميراً مُطلّعا على العلوم والفقه ، ونظم بعض الشعر .

شعره :

- سلمت لـخا من شعره مقطوعة بائية من ثلاثة أبيات في الاعتذار من أخيه يوسف بن عبد المؤمن ، وقد أوردها ابن أبي زرع في القرطاس : ٢٦٧ .

* ترجمته وشعره في :

ابن أبي زرع ، روض القرطاس : ٢٦٧

عادل نويّهض ، معجم أعلام الجزائر : ٢٢٠

- محمد عبد الله عنان / عصر المرابطين والموحدين : ٩٣/٢ - ٩٦ .

محمّد بن الفاصي عباس *

ب ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م

أبو عبد الله، محمّد بن عباس بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى
ابن عباس البجصي، ولد بسنة وتدرّج في أخذ علومه عن جلة من الشيوخ، فأخذ
عن أبيه الفاصي عباس بن موسى (ب ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م)، ثم انتقل إلى الأندلس
فأخذ عن ابن بسكوال (ب ٥٧٨ هـ / ١١٨٣ م) وأبي بكر بن العريّ (ب ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م)
وعبرهم.

ولي القضاء في عرما مدينته من مدن الأندلس، كدابه وعرناطه فحسب
سريه وعرف بالعدل والبراهه، ثم عاد إلى بلده سبه، فاسفر بها حتى
وفاته سبه (٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م) (١).

كان ابن عباس فعيها، أدبا، ذا حظ من نظم الشعر.

آثاره :

له كتاب "العرف ومداهب الحكام" و "حرف في أخبار أبيه" وهو مطبوع.

سعره :

وصل إلينا من سعره النصوص التالية .

- مقطوعه همرية من ثلثه أبيات في العرل وهي في راد المسافر ١٣٨ .
- قصده ثابته من عشره أبيات في العرل وهي مسيه في راد المسافر ١٣٧-١٣٨ .
- بيان حائتان في التسليه في أعلام ماله ١٧٩، وعلهما ابن شريفه في الذل
و التكملة ٢٢٩/٨ .
- مقطوعه دالبه من ثلثه أبيات في العرل وهي بحفه العروس (مخطوط) ورقه ١٠٩ ب
مها ب في السحر والسعر (مخطوط) ورقه ١٩٠ .
- مقطوعه فافته من ثلثه أبيات في العرل وهي في راد المسافر ١٣٨ .
- ب مفرد على النور في العرل في أعلام ماله ١٧٩ .

* ترجمه و سعره في : صفوان بن إدريس، راد المسافر ١٣٧-١٣٨ - ابن دحه، المطرب.

٨٧-٩٠ - ابن الآثار، التكملة رقم ١٠٥٦ - ابن حلكان، وفات الأعيان : ٨٥/٣
ابن عبد الملك، الدل و التكملة : ٣٤٤/٨-٣٤٥ - ابن الربر، صله الصله، قسم
العرباء : ٥٠٣ - النحاشي، حفه العروس مخطوط المكنه الوطيه بنوس رقم ١٨٣٨٢
ورقه ١٠٩ - ابن عسكرو أعلام ماله مخطوط الحرايه العامة بالرباط : ١٧٩-١٨٠
ابن الحطيب، الإحاطه : ٢٢٩/٢ - السحر و السعر، مخطوط المكنه الوطيه بنوس رقم
٢٢٩٨ ورقة ١٩٠ - ابن فرحون، الدساح المدهب : ٢٨٩ - ابن فنفذ : الوفاب :
٢٨٨ - محمّد مخلوف، شجرة النور الركبّه : ١٥٣ - محمد الموصى : العلوم
و الآداب : ١٦٩-١٧٠ .

(١) جعل ابن فرحون تاريخ وفاته سبه : (٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م).

محمد بن عبد الكريم الفندلاوي *

ت ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م

محمد بن عليّ عبد الكريم الفندلاويّ ، المعروف بابن الكتّاني ، ولد بمدينة فاس وأخذ عن شيوخها ، حتّى أضحى علّما مقصودا يومّه طلبية العلم من الأصقاع المختلفة ، وكان يميل إلى الزهد والعبادة ، ووعظ ببلده فاس ، وتوفي فيها سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م . (١)

كان ابن الكتّاني فقيها عالما ، زاهدا ذا حظ من الأدب وقرض الشعر

آثاره :

له كتاب جمع فيه أسماء الزهاد والصالحين في مدينة فاس وأحوازها سماه " المستفاد في مناقب الصالحين والعباد من أهالي فاس وما والاها من البلاد " .

شعره :

اشتهر له بيتان لاميّان في الشوق ، أوردهما ابن أبي زرع في روض القرطاس

٢٧٠ - ٢٧١ وابن القاضي في جذوة الاقتباس ٢٢٠ .

الأول

* ترجمته وشعره في :

ابن الزيّات ، التشوّف ٣٣٥ - ٣٣٨ - ابن الأبار ، التكملة رقم ١٠٦٢ - ابن

أبي زرع ، روض القرطاس : ٢٧٠ - ٢٧١ - ابن القاضي ، جذوة الاقتباس ٢٢٠ - الكتّاني

ملّا ١٢
لما نسخت خرج شعره كما فعلت مع الآخر
زفتش

سلوة الأنفاس ١٧٣/٣ - محمد مخلوف : شجرة النور الزكية ١٦٤

(١) اختلف في تاريخ وفاته ، فقد حددها ابن الأبار بسنة ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م ، بينما

حددها ابن القاضي وابن أبي زرع بسنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م . وقد ذكر ابن القاضي

أن أمير الوقت أبادبوس شهد جنازته ، وهو وهم منه لأن أمير الوقت سنة

٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م هو محمد الناصر ، أما أبو دبوس فهو آخر خلفاء الموحديين

وتوفي سنة ٦٦٧ هـ / ١٢٦٨ .

عيسى بن عمران

٥١٢ هـ - ٥٧٨ هـ / ١١١٨ م - ١١٨٢ م

أبو موسى ، عيسى بن عمران بن دافال الزناتى المكاسى .

ولد بنلمسان سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨م ونشأ فيها طالبا للعلم ، ثم تنقل في مدن المغرب والأندلس وأخذ عن مجموعة من المشايخ أمثال الفقيه النحوي أبي جعفر محمد بن حكم بن باق (ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٤ م) وأبي بكر محمد بن مسعود الحنسي (ت ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م) وأبي القاسم أحمد بن محمد النميمي (ت ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م) وعمرهم . وروى عنه كنبرون أمثال أبي الخطاب بن دحية (ت ٦٣٣ هـ / ١٢٣٤ م) وأبي على الحسن بن حجاج وغيرهما .

ولي قضاء إشبيلية مدة ، ثم قضاء الخلافة حتى وفاته بمراكش سنة ٥٧٨ هـ / ١١١٨ م وكان ابن عمران خطيبا مصعفا ، وبلغا لسنا ، وساعرا مفلعا .
شعره :

توفر لدينا من شعر ابن عمران الفوائد التالية :

- قصيدة بائية من أربعين بيتا في الوصايا والحكم ، وهي مثبته في الذيل والتكملة ٢٥٤/٨ - ٢٥٦ والإعلام ٤٠١/٩ - ٤٠٢ .
 - مقطوعة دالية من خمسة أبيات في الوعد والاعسار وهي في نوح الطيب ٥٩٨/٣ - والإعلام ٥٠٤/٩ .
 - قصده دالسه في اسصراح بنى سلم للجهاد، وهي في الناس المعرب قسم الموحدس ٦٢
- * ترجمته وشعره في :

- ابن دحية ، المطرب : ٤٣ - ٤٥ - عبد الواحد المراكسي ، المعجب : ٢٤٥ - ٢٤٦ -
- ابن الأثير ، التكملة رقم ٧١٩٣١ ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة ٢٤٥/٨ - ٢٤٦
- ابن الزبير ، صلة الصلة : ٥٣ - وبذيل السفر الثامن من الذيل والتكملة ٥٤٧ -
- ابن أبي زرع ، روض القرطاس ٢٦٨ - ابن العاض ، حدوة الافتباس : ٥٠٣ ، المقري
- نوح الطيب : ٥٩٨/٣ - العباس بن إبراهيم - الإعلام بمن حلّ مراكش ٣٩٩/٩ -
- ٤٠٤ - محمد الموني ، العلوم والآداب : ١٧٠ - عبد العزيز بن عبد الله ، الموسوعة المغربية ٩٩/١ و ٦٨/٢ .

أبو علي عمر بن جامع*

ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م

هو ابن أخي أبي العلي إدريس بن أبي جامع وزير يوسف بن عبد المؤمن ، من أسرة بني جامع التي خدمت الموحدين من أيتام المهدي (ت ٥٢٤ هـ / ١١٢٩ م) إلى أيام العادل الموحدي (ت ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م) .

نشأ بمراكش ، ثم انتقل إلى إفريقية فمكث فيها مدة طويلة و ^{رسل} ^{طريقه} حن إلى أولاده فاستدعائهم من مراكش ، و قال في ذلك شعراً ، ثم جعلت غزاة إلى سليم من قبائل العرب فاشترك فيها و قتل سنة (٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) .

شعره :

أورد له ابن الأثير في الحلة السيرة ٢٧٥/٢ مقطوعة قافية من ستة أبيات في التشوق لأولاده .

* انظر ابن الأثير : الحلة السيرة ٢٧٥ / ٢ .

محمّد بن أحمد بن الصّقر *

٥٢٧ هـ - ٥٩٠ هـ / ١١٣٢ م - ١١٩٣ م

أبو عبد الله ، محمّد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمّد بن عبد الرحمن
ابن محمّد بن الصّقر الأنصاري الخزرجي .

ولد بمزّاكش ٥٢٧ هـ / ١١٣٢ م ، وأخذ عن مشايخها ومشايخ الأندلس
منهم والده أبو العباس ، وأبو عبد الله النّمرى ، وأبو بكر يحيى بن الخلسوف ،
وأبو جعفر بن عليّ بن الباش (ت : ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م) وسمع الحديث عن أبي
بكر بن الحسين بن بشر وغيره .
تعيّش دهرا طويلا بالوراقة ، وكتب بخطّه كثيرا من الأسفار بإتقان .
تولّى القضاء بمزّاكش فحسنت سيرته إلى أن توفي فيها سنة : (٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م)
كان ابن الصّقر فقيها محدثا ، عارفا بالقراءات ، ذا حظّ من الشعر .
شعره :

سلم إلينا من شعره مقطوعة ميمية من خمسة أبيات في الزهد ، وهي
مثبتة في الذيل والتكملة ٨ / ٢٦٣ والإعلام لابن إبراهيم ٤ / ١٥٠

* ترجمته في :

ابن الأثير ، التكملة : رقم ٨٧٤

ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة : ٨ / ٢٦٢ - ٢٦٣

ابن إبراهيم ، الإعلام ، ٤ / ١٤٩ - ١٥٠

محمّد بن العابد بن الغازي *

٥٠٨ هـ - ٥٩١ هـ / ١١١٤ م - ١١٩٤ م

أبو عبد الله ، محمّد بن الحسن بن العابد بن عطية بن غاز بن خلوف
جابر بن عبد الله الصّحابي الجليل .

ولد بسبّعة سنة : ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م ، وتتلّمذ على جلة من الشيوخ منهم
أبو الفضل عياض (ت ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م) واختصّ بصحبته ونهل من علمه .

ارتحل إلى فاس ، فالأندلس وأخذ عن مجموعة من مشايخها منهم جده
لأمه أبو الربيع سليمان بن سبع الخطيب ، وأبو علي حسن بن سهل الخشنّي ، وأبو
جعفر محمّد بن حكم السّرقسّطيّ ، نزيل فاس ، وأبو عبد الله محمّد بن أحمد بن
هشام اللّخميّ (٦١٤ هـ / ١٢١٧ م)

أخذ عنه كثيرون منهم أبو العبّاس العزّفي ، وأبو بكر بن مُحرز (ت ٦٥٥ هـ /
١٢٥٧ م) وغيرهما . عني بعقد الشروط ، وولي القضاء في بلده سبّعة وغيرها .
وحسنت سيرته .

توفي سنة : ٥٩١ هـ / ١١٩٤ م .

شعره :

ذكر ابن عبد الملك : أنّ لابن الغازي " منظومات علمية تدل على رسوخ
قدمه في الأدب ، وحضور ذكره في الفقه ، واقتداره على النظم " (١) .

* ترجمته في :

ابن الأبار ، التكملة : ٦٧٩ - ٦٨٠

ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة : ٢٨٧ / ٨ - ٢٨٩

ابن الزبير ، صلة الصلة ، قسم الغرباء بآخر السفر الثامن من الذيل

والتكملة : ٥٠٣

العبّاس بن إبراهيم المراكشي ، الإعلام : ٢٤٣ / ٤ - ٢٤٦

محمد مخلوف ، شجرة النور الزكية : ١٦٣

(١) ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة : ٢٨٨ / ٨

وقد أورد له ابن عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة مجموعة من النصوص التي تدلّ على رسوخ قدمه في الفقه ، وهي مقطوعات فقهية وهي :

قصيدة بائية من أحد عشر بيتا في درجات الذين يلون عقد النكاح ، الذيل : ٢٨٨/٨ .

مقطوعة فائية من أربعة أبيات فيمن يحلف على مال يأخذه غيره ، الذيل : ٢٨١/٨ .

مقطوعة لامية من أربعة أبيات في ذكر الاختلاف فيما فسد لصداقه ، الذيل : ٢٨٨/٨ .

مقطوعة نونية من ستة أبيات فيما لاتجب عليه اليمين بمجرد الدعوى ، الذيل : ٢٨٩/٨ .

مقطوعة يائية من ثلاثة أبيات في معرفة المدعي من المدعى عليه ، الذيل : ٢٨٨/٨ .

يعقوب المنصور *

٥٥٥ هـ - ٥٩٥ هـ / ١١٦٠ م - ١١٩٨ م

أبو يوسف ، يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن عليّ الملقّب بالمنصور ، ولد بقصر حدّه عبد المؤمن بمراكش سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م وأخذ علومه عن خيرة الشيوخ، وبويع له بالخلافة سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م وجه عنايته إلى الإصلاح فبلغت الدولة الموحّدية في عصره أزهى مراحلها، وجاز إلى الأندلس للجهاد غير مرّة وحقق انتصارات باهرة على الإسبان ، كان أهمّها في معركة الأرك سنة ٥٩١ هـ / ١١٩٤ م كان صليبا في دينه ، أمر برفض فروع الفقه والعودة إلى الكتاب والسنة ، وتوفي سنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م ودفن بتيّنمل .

كان مُطلعاً على العلوم المختلفة ، وعارفاً بالأدب ، وذا حظ من قرض الشعر .

شعره :

نسبت المصادر له قصيدة ميمية من عشرة أبيات في استنفار قبائل العرب للجهاد ، وهي مثبتة في نفح الطيب ٣ / ١٠٢ - ١٠٣ - وكنش أدبي رقم ١٨٤٥٨ ورقة ٤٨ / ب - والنّبوغ المغربي ٦٧٨ - ٦٧٩ .

* ترجمته وشعره في :

عبد الواحد المراكشي ، المعجب ٢٦١ - ٣٠٦ - ابن عذارى ، البيان المغرب - قسم الموحّدين - ١٧٠ - ٢٣٥ - ابن أبي زرع ، روض القرطاس ٢١٦ - ٢٣١ - الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢١ / ٣١١ - ٣١٩ - ابن الخطيب ، أعمال الأعلام : ٢٦٩ - ابن خلدون ، العبر ٦ / ٣٢٥ - ٣٣٦ - الزركشي ، أخبار الدولتين ١٥ - ١٦ - ابن أبي دينار ، المؤنس : ١١٩ - ١٢٢ - ابن القاضي ، حذوة الاقتباس ٥٥٥ - ٥٥٦ - المقرّي ، نفح الطيب ١ / ٤٤٣ - ٤٤٥ و ٣ / ١٠٢ - ١٠٣ و ٤ / ٣٨٠ - ٣٨٣ - كنش أدبي مجهول الصاحب رقمه في المكتبة الوطنية بتونس ١٨٤٥٨ ورقة ٤٨ - ب - السلاوي الاستقصا ٢ / ١٥٨ - ٢١٤ .

عبد الله بن محمد التادلي*

٥١١ هـ - ٥٩٦ هـ / ١١١٧ م - ١٢٠٠ م

• أبو محمد عبد الله بن محمد بن عيسى التادلي . ولد سنة ٥١١ هـ / ١١١٧ م بفاس .
ونشأ فيها طالباً للعلم ، ثم تنقل في مدن العُدوة والأندلس وأخذ العلم عن جلة
من شيوخها أمثال أبي محمد بن عتاب (ت ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م) وأبي بحر الأسدي
(ت ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م) وهو آخر من روى عنهما بمغرب العُدوة ، كما أخذ عن أبي بكر بن
العربي (ت ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م) وابن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م) .

ولاه أبو يعقوب الموحدي قضاء فاس سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م ، ثم قضاء بسطة وغيرها
وكان من القضاة العدول .

اسنوطن مراکش ، وأقرأ فيها فانتفع به كثيرون منهم : أبو الحسن الغافقي
(ت ٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م) وأبو الحسن بن الفطنان (ت ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م) وأبو الربيع بن سالم
(ت ٦٣٤ هـ / ١٢٣٧ م) .

توفي بمكناسة - مغرباً عن وطنه - بعد أن اختلَّ عقله سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م ، وكان
أديباً فقيهاً ، شاعراً مجيداً ، ذا حظ حسن .
شعره :

قال التنبكتي عنه : " وكان أديباً شاعراً مفلحاً " ، غير أننا لم نقف من شعره
سوى على :

- بيتين كافيين يخاطب فيهما ابن مضاء ، في نيل الابتهاج ٢١٤ - والإعلام ٢٠١/٨
- وبيتين حائيين في التسلية ، في أعلام مالقة ١٧٩ ونقلهما في الذيل والتكملة :
٢٢٩/٨ .

* ترجمته وشعره في :

ابن الأبار ، التكملة لكتاب الصلة رقم ١٤٩١ - ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة :
٢٢٩/٨ - العسقلاني ، لسان الميزان : ٣/٣٤٣ -

ابن القاضي ، جذوة الاقتباس : ٤٢١ - ٤٢٢ - ودرة الحجال : ٤٩/٣ وفيه غلط في تاريخ الوفاة
التنبكتي : نيل الابتهاج : ٢١٤ - وجاء اسمه فيه : عبد الله بن عيسى بن محمد التادلي .
العباس بن إبراهيم ، الإعلام بمن حلّ مراکش : ٢٠١/٨ - ٢٠٢ - محمد مخلوف : شجرة النور
الزكية : ١٦٤ .

• محمد المنوني ، العلوم والآداب : ١٧١ - الزركلي ، الاعلام : ١٤٢/٤ .
• عبد العزيز عبد الله ، الموسوعة المغربية : ٧٢/١ .

أبو العباس السبتي *

٥٢٤ هـ - ٦٠١ هـ / ١١٢٩م - ١٢٠٤م

أبو العباس، أحمد بن جعفر الخزرجي السبتي، ولد بعينة سنة ١١٢٩/٥٢٤م في بداية دولة الموحدين، و تلقى تعلّمه الأول في بلده ثم تنقل في مدن المغرب مختلفاً إلى مجالس شيوخها، ناهلاً من علومهم، أخذ عن جلة من الشيوخ أمثال أبي عبد الله بن الفخار (ت ٥٩٠هـ / ١١٩٣م) صاحب القاضى عياض (ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩م)، ثم ارتحل إلى مراكش سنة ٥٤٠هـ / ١١٤٥م) و تصدر للإقراء والوعظ فيها حتى وفاته سنة ٦٠١ هـ / ١٢٠٥ م .

كان أبو العباس السبتي فقيها عالماً زاهداً من كبار الأولياء بالمغرب، عطر العيت والسمعة مما جعل كثيراً من العلماء يثنون عليه، وقد ذيل أبو يعقوب التادلي (٦٢٧هـ / ١٢٢٩م) كتابه "التشوف" برسالة جمع فيها مناقب هذا الشيخ (١)، كما ألف فيه مصنفات كثيرة (٢). كان صاحب الترجمة ذا حظ من نظم الشعر، وإذا أنشد أحد شعراً في الغزل يمجسسه، قال: دعني من هذا، وأخذ في مدح الله تعالى .

شعرة :

يبدو أنه على عادة العرب نظم شيئاً من الشعر لم يخلص له كل الإخلاص وأخبره تدل على أنه كان يعارض بعض النصوص ليقرب معناها إلى ما يريده من زهد و وعظ، وقد سلم لنا من شعره المقطوعات التالية :

- مقصورة من بيتين أوردها التادلي في رسالته، ورقة: ١٩٩، و الإعلام للمراكشي: ٢٤٦/١، و أعلام المغرب العربي ٥٧/٢ .
- دالية من أربعة أبيات أوردها التادلي في رسالته، ورقة : ١٩٣ أ ، والإعلام لابن إبراهيم : ٢٤٧/١ ، و أعلام المغرب العربي ٥٧/٢ .
- لامية من أربعة أبيات أوردها قنفذ في أنس الحقيير: ٧-٨ ، وابن إبراهيم في الإعلام: ٢٤٦/١ ، و أعلام المغرب العربي : ٥٦/٢ .
- نونية من ثلاثة أبيات أوردها التادلي في رسالته ، ورقة: ١٩٣ أ ، وابن إبراهيم في الإعلام: ٢٤٦/١ - و أعلام المغرب العربي / ٥٧/٢ .

* ترجمته وشعره في: أبو يعقوب التادلي، رسالة في فضائل أحمد بن جعفر الخزرجي، مخطوط المكتبة الوطنية بتونس رقم ١٨٥٥٣ ورقة ١٩٤ وما بعد - ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير: ٧-٨ وكتاب الوفيات: ٣٠٢- وذكره ابن الخطيب في نفاضة الجراب: ٣٠٥- وريحانة الكتاب: ١٠١/٢- النبتكي، نبيل الابتهاج: ٦٩-٧٧- المقرئ: نفح الطيب: ٩٩/٣- ١٠٠- ٢٦٦/٧- حاجي خليفة، كشف الطنون: ٩٤٨ ، كفاية المحتاج (مخطوط) ورقة ٣- العباس بن إبراهيم، الإعلام: ٢٤٥/١ وما بعد- محمد مخلوف، شجرة النور الزكية: ١٨٤- ١٨٥- ابن الموقت: تعطير الأنفاس في التعريف بالشيخ أبي العباس - عبد الوهاب ابن منصور ، أعلام المغرب العربي : ٥٥/٢ - ٥٨ - عبد العزيز بن عبد الله ، الموسوعة المغربية: ٤٢/٣ و خلط فيها بين ترجمة أبي العباس الخزرجي السبتي و أبي العباس العزفي عبد الله التليدي المطرب في مشاهير أولياء المغرب: ٧٨- ٨٥ - عبد الله كنون النبوغ المغربي: ١٥٠ الزركلي، الأعلام: ١٠٧/٨ .

- (١) لم ترد في المطبوع من كتاب التشوف و منها نسخة مخطوطة في المكتبة الوطنية بتونس رقمها ١٨٥٥٣
- (٢) انظرها في الموسوعة المغربية : ٤٢/٣ .

ابن الياسمين *

ت ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م

أبو محمّد، عبد الله بن محمّد بن حجّاج، المعروف بابن الياسمين - وهي أمّه - من أهالي مدينة فاس وأطه من بني حجّاج أهل قلعة فندلاوة، أخذ علم الحساب عن أبي عبد الله بن قاسم .

انتقل إلى مراكش والتحق بخدمة المنصور الموحّدي، فحظي عنده وجالسه وكان يرافقه في أسفاره، وبعد وفاة المنصور بقي في خدمة ابنه محمّد الناصر . تنقّل بين مدن المغرب والأندلس، وأقرأ في إشبيلية فانتفع الناس بعلمه . وتوفي ذبيحاً بمراكش سنة ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م .

كان ابن الياسمين عالماً رياضياً، مشاركاً في الفقه والأدب، وله حظّ من نظم الشعر وفامت بينه وبين شعراء عصره منافرات هجائية، وله موشحات يُغنى بها .

آثاره :

لابن الياسمين أرجوزة في الجبر قرئت عليه بإشبيلية سنة ٢٨٧ هـ / ١١٩١ م وكتاب في الرياضيات اسمه «تلقيح الأفكار في العمل برسوم العبار» وتوجد نسخة مخطوطة منه في الخزانة العامة بالرباط . شعره :

سلم لنا من شعر ابن الياسمين النصوص التالية :

مقطوعة بائئة من خمسة أبيات في تفضيل السودان، وهي مثبتة في العصور اليانعة ٤٥

مقطوعة كافية من أربعة أبيات في مدح الناصر الموحّدي، وهي في العصور اليانعة ٤٧

بيتان لاميان في هجاء الجرّاوي وهما في الغصون اليانعة ٤٦ والنّبوغ المغربي ٩١٠ - وذكريات المشاهير : ١٧/٣١

بيت على الميم في غلام، وهو في الغصون اليانعة ٤٦ مقطوعة ميمية من أربعة أبيات في مدح المنصور، وهي في الغصون اليانعة ٤٧ قصيدة ميمية من عشرة أبيات في هجاء أبي الحجّاج بن نموي، وهي في العصور اليانعة ٤٩ - ٥٠ والنّبوغ المغربي ٩١١

مقطوعة نونية ذات ثلاثة أبيات في غلام، وهي في الغصون اليانعة ٤٦ مقطوعة نونية من أربعة أبيات في وصف روضة، وهي في الغصون اليانعة ٤٨ ثمانية أبيات من أرجوزته في الجبر، وهي في ذكريات المشاهير ١٧/٣١

ترجمته وشرحه في:

* ابن الأثير النكلمة رقم ١٤٩٢ - ابن سعيد، الغصون اليانعة ٤٢ - ٥٠

ونسبه فيه إلى إشبيلية خطأ - العباس بن إبراهيم : الإعلام ٢٠٤/٨ - ٢٠٥ - عبد الله كنون، ذكريات مشاهير المغرب عدد ٣١ - النّبوغ المغربي : ١٥٧ - ٩١ - ٩١١ - وأدب الفقهاء : ٦٧ - ٦٨ - بروكلمان : ٨٥٨/١ - عبدالعزيز بن عبد الله الموسوعة المغربية ١٤٧/٢ - مجلة البحث العلمي، العدد الأول، سنة ١٩٦٤ مقال عبد الله كنون .

محمد بن عبد الله التلمساني*

ت ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م

أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله بن مروان التلمساني .
ولد بوهران إذ كان والده واليا عليها . ونشأ بتلمسان مجدداً في طلب العلم .

كان له ميل إلى علم الظاهر ، وأكثر من مطالعة كتب ابن حزم .
عندما انحرف المنصور الموحد عن كتب الفروع ومال إلى مذهب أهل الحديث ، تقدّم
أبو عبد الله عنده وحظي لديه ، فولاه قضاء قضاته سنة : ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م .

توفي سنة : ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م .

كان أبو عبد الله فعيها حافظا ، شاعرا ، عالماً بالأدب .
بيّن أنّ فُسماً كبيراً من شعر المنرحم^{له} قد آتت عليه غوائل الدهر ، وآية ذلك
نص ابن سعيد على أنّ له أمداحاً كثيرة في المنصور الموحد^(١) ، ولكننا لم نقف
عليها .

أما ما استطعت الوقوف عليه من شعره فهو :

- جزء من قصيدة لاميّة في مدح المنصور الموحد يقع في سبعة أبيات موجودة في الغصون اليانعة : ٣٠ - ٣١ .
- بيت مفرد على الميم في وصف الخبز ، وهو في الغصون اليانعة : ٣٤ .
- مقطوعة ميميّة من بيتين في دعوة وجهها له أحد الأصدقاء ، وهي في الغصون اليانعة : ٣٤ .
- مقطوعة نونيّة من ثلاثة أبيات في جواب أبي جعفر بن مضاء ، وهي في الغصون اليانعة : ٣١ .

* ترجمته في :

- ابن سعيد ، الغصون اليانعة : ٢٩ - ٣٥ .
- عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر : ٧٨ - ٧٩ .

(١) - ابن سعيد ، الغصون اليانعة : ٣٠ .

أبو حفص بن عمر *

٥٣٠ هـ - ٦٠٣ هـ / ١١٣٦ م - ١٢٠٦ م

أبو حفص ، عمر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر السلمي ،
ولد بأغمات سنة : ٥٣٠ هـ / ١١٣٦ م . وتعلّم على مشايخها ، وتفقه بأبيه القاضي
عبد الله ، وروى عن حده لأمه أبي محمد عبد الله سبط أبي عمر بن عبد البر (ت
٤٦٣/١٠٧١) وعن أبي مروان بن مسرة وأبي محمد بن عبيد الله وغيرهم (١)
روى عنه كثيرون ، منهم ابن أخيه أحمد بن عمر السلمي ، وأبو
جعفر بن فرقد ، وأبو الحسن الدبّاح وأبو الربيع بن سالم (ت ٦٣٤ هـ / ٣١٢٣٦) وغيرهم (٢)
سكن مدينة فاس ، وولي قضاء تلمسان وفاس وإشبيلية وغيرها ،
كان مشكور السيرة معروفاً بالنزاهة والعدل ، لا يلبس إلا الباض ، وكانت
رائحة الطيب تشم من ثيابه عن بعد .
توفي وهو قاض على إشبيلية سنة : ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م (٣)
كان أبو حفص بن عمر أديبا ، شاعرا ، فقيها .

* ترجمته وشعره في :

الترغيني،

صفوان بن إدريس ، زاد المسافر : ١٠١ شرح المقامات : ٢١/١ و ٤٢ و ١٢٢
و ٢٦٣/٢ - ابن دحية : المطرب من أشعار أهل المغرب : ١٠٣ - ابن الأثير التكملة
رقم ١٨٣١ - ابن سعيد ٤ الفصون اليانعة : ٩١ - ٩٧ ورايات المبرزين : ١٣٠ - ١٣١
ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة : ٨ / ٢٢٢ - ٢٣٢ ، ابن الزبير ، صلة الصلة : ٧٢ ،
وقسم الغرباء المطبوع بآخر السفر الثامن من الذيل والتكملة : ٥٤٩ رحلة العبدري :
٣٣ و ١٧٨ - الشريف الغرناطي ، رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة ١٠٠/١ - ١٠١
ابن القاضي ، حذوة الاقتباس : ٤٩٦ - ٤٩٨ - المقرئ ، أزهار الرياض : ٣٥٩/٢ - ٣٦١
و ٣٢٤/٣ و ٣٧٤ - نفح الطيب : ٢٩١/١ و ٢٠٩/٣ - العباس بن إبراهيم المزراكشي ،
الإعلام : ٢٧٥/٩ - ٢٧٧ - عبد الله كتون : النبوغ المغربي : ١٦٨ - ١٦٩ - ٧١٨ - ٧٢١
٨٠٦ - ٨٠٧ وذكريات المشاهير عدد (٢٠) العلوم والآداب ١٧٢ - ٢١٢ - محمد بن
تاووت ورفيقه ، الأدب المغربي : ١٨٨ - ١٩٢ و ٤٩٧ - ومحمد بن تاووت ، الوافي
بالأدب العربي في المغرب الأقصى : ١ / ١٦٨ وما بعد - مجلة رسالة المغرب العدد (١)
سنة ١٩٤٢ ص : ١٤ مقال محمد الفاسي .

(١) ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة : ٢٢٢/٨ - والمقرئ ، أزهار الرياض : ٣٦١/٢

(٢) نفسه : ٢٢٢/٨

(٣) في تاريخ وفاته خلاف ، فقد حاء في أزهار الرياض : ٣٦١/٢ أن وفاته كانت سنة

٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م وقال ابن الزبير في صلة الصلة : ٧٢ ، أنه مات سنة : ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م

شعره :

أجمع مترحمو أبي حفص بن عمر على أنه كان شاعرا رقيقا مطبوعا (١)
وفي غزله عذوبة .

وما توفر لي من شعره يدلّ على مفدرة شعريّة بارعة ، وإن كنت
أميل إلى أنّ قسما كبيرا من شعره مازال مفقودا ، فقد ذكرت المصادر
أنّه نظم في كبره قصائد كَفَّرَ فيها عن قصائده التي قالها في الغزل ،
غير أنّ ما وصل إلينا من هذه المكفّرات قليل جدا . مما يدلّ على ضياع
قسم - قد يكون كبيرا - من شعره وبعض ما تميل إليه أنّ كثيرا من
المصادر التي أوردت أشعاره كانت تقتطع من القصائد أبياتا محددة للاستشهاد
بها دون غيرها (٢)

وقد قمت بترتيب ما وقفت عليه من شعره فيجداول تعين على
فهمه .

(١) ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة : ٨ / ٢٢٣ - وابن الزبير : صلة الصلة

(٢) انظر ، ابن سعيد ، الغصون اليانعة : ٩٦ - ٩٧

تابع الحدود الأول : تخريج أشعار أبي حفص بن عمر من مصادرهـ

الرقم	عدد الاساب	روى القافية	الغرض	المصـدر
١٠	٦	النون	الاعتذار عن هديّة	طلة الصلّة : ٧٢ - وفي العرباء بآخر الذيل والتكملة : ٥٤٩ - الذيل والتكملة : ٢٢٤/٨ - شرح المقصورة ١٠٠/١ ١٠١ . ذكريات ٢٧ - ١٨ .
١١	٦	النون	المدح	زاد المسافرين : ١٤٣ - ١٤٤ - ذكريات : ٣٠ - العليوم والآذب : ٣٢١ - الوافي بالأدب : ١٧٣/١ .
١٢	٥	الباء	الزهد	ذكريات المشاهير : ٢٧ - الوافي بالأدب العربي : ١٨٠/١
١٣	٥	الراء	الوعظ	جذوة الاقتباس : ٢٩٨ - أزهار الرياض : ٣٧٣/٢ - ٣٧٤ - الإعلام : ٢٧٧/٩ - النبوغ العربي : ٨٠٦ - ٨٠٧ - ذكريات المشاهير ٢٧ - الوافي بالأدب العربي : ١٩٧٩/١ .
* ١٤	٥	الميم	العزل	شرح المقامات ٢٦٣/٢ - العصون اليانعة : ٩٣ - رايات المبشرين : ١٣٠ - الذيل والتكملة : ٢٢٣/٨ - أزهار الرياض ٢٦٦/٢ - نفع الطيب : ٢٠٩/٣ - النبوغ - ٧١٨ - ٧١٩ ذكريات : ٢١ - الأدب العربي : ١٩١ - الوافي بسالادب العربي : ١٧٥/١ .
١٥	٥	الميم	العزل	شرح المقامات : ٢٦٢/٢ - النبوغ : ٧٢١ - ذكريات : ٢٤ - الوافي بالأدب العربي : ١٧٦/١ .
١٦	٤	الفاء	الودّ على المعتزلة	رحلة العبدري : ٣٣ - أرهار الرياض : ٣٢٤/٣ - الوافي بالأدب : ١٨١/١ .
١٧	٤	الميم	الترفع	شرح المقامات : ٤٢/١ - العصون اليانعة : ٩٥ - الذيل والتكملة : ٢٢٤/٨ - أزهار الرياض : ٣٦٥/٢ - ذكريات : ٣٣ .
١٨	٣	الراء	الزهد	أزهار الرياض : ٣٦٦/٢ - النبوغ المغربي : ٨٠٦ - ذكريات ٢٥ - ٢٦ - الوافي بالأدب العربي : ١٧٩/١ .
١٩	٢	الراء	المدح	أزهار الرياض : ٣٦٥/٢ - ٣٦٦ - الأدب المغربي : ١٨٩ - الوافي بالأدب العربي : ١٧٢/١ .

* ذكر العلامة عبد الله كتون في ذكريات المشاهير عدد ٣٠ صفحة ٢١ ، بأنه وقف في

معاهد التنميص للعباسي على بيتين رّجّح أن يكونا من هذه القصيدة .

تابع الجدول الأول : تخريج أشعار أبي حفص بن عمر من مصادرهما

الرفم	عدد الابيات	روي الفافية	الفرص	المصدر
٢٠	٦	الفاء	الغزل	جذوة الاقتباس : ٤٩٨ - الإعلام : ٢٧٦/٩ - الوافي
				بالأدب العربي : ١٧٨/١ .
٢١	٢	النون	الغزل	الفصون اليناعة : ٩٣
٢٢	١٠	الراء	إجازة	الفصون اليناعة : ٩٥ - رايات المبرزين : ١٣١ - الذيل
				والتكملة : ٢٢٣/٨ - جذوة الاقتباس : ٤٩٧ - نفح الطيب :
				١٦٢/٤ - الإعلام : ٢٧٦/٩ - ذكريات المشاهير : ٨ - ٩ .
٢٣	١	الدال	النسب	الفصون اليناعة : ٩٤ - ذكريات المشاهير : ٣٣ .

الجدول الثاني : شعر أبي حفص بن عمر بحسب عدد الأبيات

عدد الأبيات	عدد النصوص	مجموع الأبيات
٣٩	١	٣٩
١٢	٢	٢٤
١٠	١	١٠
٩	٢	١٨
٧	٢	١٤
٦	٣	١٨
٥	٤	٢٠
٤	٢	٨
٣	١	٣
٢	٣	٦
١٥	١	١٥
١	١	١
	٢٣	١٦٢٥

يبدو لنا من الجدول السابق أنّ ما جمعناه للشاعر أبي حفص بن عمر هو ١٦٢٥ بيتاً ، موزعة على ٢٣ نصاً ، منها ٨ قصائد (١) ، أي قراءة الثلاث ، ١٥ مقطوعة ، مما يدلّ على غلبة المقطوعات على القصائد عنده ، ممّا يفترض أنّ أبا حفص بن عمر شاعر مقطوعات ، قصير النفس الشعريّ ، وهذا الحكم رهنّ بما وصل إلينا من شعره ، غير أنّنا لا يمكن لنا أن نطمئن إلى هذا الحكم لأنّ كثيراً من المقطوعات هي في الأصل أجزاء من قصائد قد تكون طويلة ، فالحكم السابق ليس قطعياً .

(١) عددنا القصيدة. ما كان عدد أبياتها فوق (٧) أبيات .

الجدول الثالث : قوافي أبي حفص بن عمر

عدد المقطوعات	روى القافية
٧	الـرَّاء
٦	الميم
٣	النَّون
٢	الباء
٢	الفاء
١	الدَّال
١	الشَّين
١	العين
٢٣	٨ قواف

يبين لنا الجدول السابق أنَّ أبا حفص بن عمر قد استخدم ثمانية من حروف الهجاء رويًا ، أي قرابة ثلث حروف الهجاء ، وهذا عدد قليل نسبيًا ، وهو يستعمل الحروف التي درج الشعراء العرب على استعمالها بكثرة في أشعارهم وهي ما اصطلح على تسميتها بالقوافي الدُّلُّل ، فقد استعمل حرف الرَّاء في سبعة نصوص ، يليه حرف الميم في ستة ، فالنون في ثلاثة ، ثم الباء والفاء في نصين واستخدم الدَّال والشَّين والعين مرَّة واحدة .

ونلاحظ خلو قوافيه من روى اللَّام ، وهو من أكثر الحروف شيوعًا ، وكذلك نلاحظ استعماله حرف الشَّين وهو من الحروف التي يقل مجيئها رويًا عند الشعراء وقوافيه في الإجمال قوافٍ مطلقة ، ولم يستخدم القوافي المقيَّدة إلا في مقطوعة واحدة .

الحدول الرابع : جدول البحور التي استعملها أبو حفص بن عمر

البحر	عدد النصوص
الوافر	٥
الكامل	٥
المتقارب	٤
البسيط	٢
السرّيع	٢
الطويل	١
المديد	١
المتدارك	١
المنسرح	١
موشح	١
٩ بحور + موشح	٢٣

يبدو لنا من الجدول السابق أنّ أبا حفص بن عمر قد استعمل تسعة بحور من البحور الخليليّة ، أي أكثر من نصف عدد البحور ، إضافة إلى غصن موشح لا يخضع للبحور الخليليّة .

ويأتى كل من البحر الكامل والوافر في المرتبة الأولى من حيث الاستعمال إذ استعمل كلا منهما (٥) مرات . يليها المتقارب (٤) مرات ، فالبسيط والسرّيع (٢) لكل بحر ، فالطويل والمديد والمتدارك والمنسرح مرّة واحدة .

ومن الملاحظ على بحور أبي حفص بن عمر انحسار البحر الطويل ، وتراجع وهو البحر الذي كان أكثر شيوعاً ودوراناً على السنة الشعراء حتى نهاية العصر العبّاسي (١) ، إذ لا يستعمله إلا مرّة واحدة ، بينما نحده يهتم بالبحر الكامل والوافر والمتقارب ، وقد يعزى هذا إلى ميله إلى البحور البسيطة أكثر من البحور المركبة .

(١) انظر إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر : ١٩٤-١٩٧ .

سُلَيْمَانُ الْمُوحِّدِيُّ *

٥٥٢ هـ - ٦٠٤ هـ / ١١٥٧ - ١٢٠٧ م

أبو الرِّبيع ، سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن بن علي .
ولد - على الأغلب - في بحاية حوالي سنة : ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م آبام
كان والده والياً عليها ، وتلقى نعلّمه على جلة من شيوخها .
عيّن والياً على بحاية من قبل المنصور الموحّدي ، ولما كان يغادرها
إلى مراكش هاجمها الميורقون واستولوا عليها سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م وطاردوا
سليمان ورجاله ، فاستنطاع النّحاة ولحاً إلى الحزائر فتلّمسان .
كان ضباع بحاية منه سبباً في حفوة بعقوب المنصور له .
ولى على نلّمسّان ، ثم على بلنسية ، وسجلماسة في آواخر حياته .
صحب النّاصر الموحّدي في غزاته لإفريقية سنة : ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م ،
وفيها استخلص النّاصر بجاة من ابن غانبة المبورقي وقتله سنة ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م
نوفي أبو الرِّبيع سنة : ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م
كان المترحم له أديبا ، شاعرا مُفلقاً ، ذا قدر كبير من القصاحة ، وقال
ابن سعيد : " وحبثما كانت ولايته اجتمع إليه أهل الأدب واشتهر مكانه " (١) .
وقال نَقْلًا عن معجم الشّقندي : " هو من مفاخر بني عبد المؤمن " (٢) .

* ترجمته في :

المراكشي ، المعجب : ٢٧٠ و ٣٠٠

ابن سعيد ، الفصون اليناعة : ١٣١ - ١٣٤ ، ورايات المبرزين : ٣٤١

المفّرّي : نفح الطيب : ١٠٥ / ٣ - ١٠٩

عبد الله كنّون : ذكريات مشاهير المغرب عدد (١٠) ، والنووغ المغربي : ١٦٨

محمد المنوني : العلوم و الآداب : ١٦١

عبّاس الحراري : الأمير الشاعر أبو الرِّبيع سليمان الموحّدي

محمد بن تاويت : الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى : ١٨٤ - ٢٥١

محمد بن ناويت وآخرون ، ديوان أبي الرِّبيع ، المقدمة .

(١) ابن سعيد ، الفصون اليناعة : ١٣١

(٢) نفسه : ١٣٢

آثاره :

- تذكر المصادر أنّ لأبي الرّبيع مختصراً للأغاني^(١) وهو مخطوط .
- كما خلف لنا ديواناً من الشعر طبع في المغرب .

شعره :

يُعَدّ ديوان أبي الرّبيع - فيما نعلم - أحد ديوانين من دواوين الشعر المغربية في عهد الموحّدين ، وقد طبع هذا الديوان في الرّباط بتحقيق مجموعة من الأساتذة ويقع في (١٩٣) صفحة بما فيها المقدّمة والفهارس .
ومما يؤخذ على الديوان عدم ضبط الشعر ، وعدم حدوى الفهارس ، إذ صنع المحقّقون ثلاثة فهارس^(٢) ، الأوّل للقوائد بحسب ورودها في الدّسّوان ، والثّاني للقوائد مرّبة ترتباً هجائياً دون مراعاة ترتيب الحروف النّى نلى الحرف الأوّل ، أما الفهرس الثّالث فقد أفردوه للقوافى حسب التّرتيب الهجائى ، وكان هذا التّرتيب عشوائياً لايخضع لما نعارف عليها السّاحثون ، إضافة إلى كونه لايراعى ترتيب البحور ولايشير إليها ، مما جعل إعادة طبع الديوان طبعة علمية ضرورياً ، مع الإشارة إلى فضل هؤلاء الأساتذة في إبراز الدّبّوان ووضعهم بين أبدي الباحثين .
والديوان مقسّم إلى سبعة أبواب هي على التّرتيب كما وردت في الديوان :
المديح ، الرّثاء ، النّسيب ، الألغاز ، التّشبيه ، العتاب ، الرّهد .
غير أنّ هذا التقسيم ليس دقيقاً إذ عثرنا في بعض الأبواب على قصائد ومقطوعات لاتنمى إلى الباب الذي وضعت فيه^(٣) ، وقد قمت أثناء تحليلى للدّبّوان بإعادة ترتيب القصائد وإلحاقها بالقسم الذى تنمى إليه .
١- هيكل القصائد :

فيما يلي ترتيب للقصائد والمقطوعات فى ديوان أبي الرّبيع ، وقد وضعت في الحقل الأوّل للقصائد والمقطوعات حسب عدد الأبيات مرتبة ترتيباً تنازلياً ، وفي الثّاني عدد النصوص وفي الثّالث مجموع الأبيات :

(١) ابن سعيد ، الغصون اليانعة : ١٣١

(٢) تقع الفهارس بين الصفحات : ١٦١ و ١٩٤ من الديوان المطبوع .

(٣) انظر مثلاً باب النّسيب الصفحة ٦٧ - ٧١ - ٨٦ - ١٠٢ - ١٠٦

٢ - أغراض شعر أبي الرّبيع :

سنبين في الجدول التّالي الأغراض التي طرقها أبو الرّبيع في شعره واضعين في الحقل الأول الغرض المطروق ، وفي الثّاني عدد النّصوص ، وفي الثّالث مجموع الأبيات :

الغرض أو المحور	عدد النّصوص	مجموع الأبيات
١- الغزل	٧٠	٦٠٤
٢- الممدح	٢٣	٢٦٧
آ - يعقوب المنصور	٨	١٣٩
ب - محمد الناصر	١٢	١١١
ج - أبو زيد	٠٢	٠٧
د - بعض الإخوان	٠١	١٠
٣- الألفاظ	٥٦	٢٣٩
٤- الرثاء	١٣	١٢٤
٥- الزهد	١٨	١٠٣
٦- الخمريّات	١٤	٩٥
٧- العتاب والاعتذار	١٤	٩١
٨- التشبيه	٢٤	٧٩
٩- وصف الطّبيعة	٠٣	١٤
١٠- الإخوانيّات	٠٢	١٩
١١- وداع انته	٠١	٠٦
١٢- الاعتبار	٠١	٠٣
١٢ غرضاً	٢٤٩	١٦٤٤

الملاحظ على أغراض أبي الرّبيع ظهور غرضين درج الشعراء العرب على الإكثار منهما وهما الغزل والممدح . وظهر في شعره فنّ حديد لم يكن معروفا بكثرة عند قدماء العرب وهو فنّ الإلغاز ، إذ يأتي في التّرتيب الثّالث من حيث عدد الأبيات . أما بقيّة الأغراض التي تناولها الشّاعر فهي لا تخرج عما طرقه الشعراء العرب منذ القديم ، فيأتي الرثاء فالزّهد فالخمريات ، وهذا يعني أنّ الحالات التي كان يرجع فيها الشّاعر إلى نفسه متأملاً فيما قدّم أكثر من ساعات لهوه ، بدليل زيادة عدد نصوص الزّهد على نصوص الخمريات .

أبو العباس الحسّاس الجراوي *

ت : ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م

أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي (١) ولد بتادلا (٢) في العقد الثالث من

القرن السادس ، زمن سقوط الدولة المرابطية وظهور الدولة الموحدية بالمغرب .

درس في بلده ومراكش وفاس ، وأكمل تعلّمه في الأندلس فأخذ عن مجموعة من

الشيوخ منهم : أبو الفضل بن الأعم (ت ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م) وأبو العباس بن سبّ (ت ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م) .

انتفع به كثيرون ورووا عنه حماسته (صفوة الأدب) ، منهم : أبو الحسن

سهل بن مالك (ت ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م) وأبو الربيع سليمان بن سالم الكلاعيّ الشهيد

* ترجمته وشعره في : صفوان بن إدريس ، راد المسافر . ٤٩٠ - ٥١ - اس الأتار ،

التكملة : ١٢٨ / ١ - أبو الحسن الرعسي ، برامح سيوحه ٢٠٤ - اس سعيدة :

العصون السابعة ٩٨ وما بعد - ابن عذاري ، البيان المغرب (قسم الموحدين) :

٧٠ - ٧٢ - ٧٣ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٣١ - ١٥٢ - ١٨٠ - ١٨٢ - ١٨٣ -

١٩٦ - ١٩٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢٢٢ - ٢٢٤ - ٢٢٩ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٤٠ - ٢٤١ -

٢٤٢ - ٢٥٠ - ابن خلكان ، وفیات الأعيان : ١٣٦ / ٧ - ١٣٧ - ابن عبد الملك ، الذيل

والتكملة : ٨ / ٢٢٣ - البيهقي (مخطوط) ، الحماسة البيهقيّة : ١٣٨ - ١٤٤

التحاني ، رحلة التحاني : ١٣٧ / ١٣٨ - الصّدي ، الوافي بالوفيات : ٧ / ٦٦١ - الروص

المعطّار : ١٢٧ و ١٦٣ - المقرّي ، أزهار الرياض : ٢ / ٣٦٤ - ٣٦٥ -

نفح الطيب : ٢ / ٥٠٢ و ٣ / ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢٣٨ - ٢٣٨ - ٢٣٨ - ٢٣٨ - السّراج : الحل السندسية

١ / ٣٦٣ - ٣٦٤ - العباس بن إبراهيم ، الإعلام : ٢ / ١١٤ - عبد الله كنّون ، النّو

المعريّ : ١٦٩ - ٥٨٨ - ٥٩٩ - ٦٨٠ - ٨٥٤ - ٨٥٨ - ٩٠٩ - ٩١٠ - ذكربات المساهبر

عدد (٦) - محمد الفاسي ، ساعر الخلافة الموحّدية - محمد المونى ، العلوم والآداب

والفنون : ١٧٣ - ١٧٥ - ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - محمد بن تاوبت وربقه ، الأدب

المغربي : ١٩٣ - ١٩٨ - ٤٤٥ - ٤٤٩ - محمد بن تاوبت ، الوافي بالأدب العربيّ : ١١٣ / ١

- ٢٢٦ - عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربيّ ٥ / ٥٨٩ - عبد العزيز بن عبد الله

الموسوعة المعريّة : ٣ / ١٠٦ - حسّ الشّيبه ، أبو العباس الجراوي شاعر الموحّدين .

محمد رضوان الدّابة ، مقدّمة الحماسة المغريّة - مجلّة دعوة الحقّ العدد الأوّل سنة ١٩٥٨ ،

الرّابع سنة ١٩٦٥ - مقالات محمد بن تاوبت والعدد السابع سنة ١٩٧٠ مقال لمحمد بن

عبد العزيز الدّباغ - مجلة رسالة المغرب الأعداد ٥ - ٧ - ٨ سنة ١٩٤٣ مقالات لمحمد الفاسي

كثّالته ، معجم المؤلّف ١ / ١٧٣ ، و الترکلي ، الإعلام ١ / ١٥٠ ، وذكره بروكلمان في الملحق التّنى ص ٩١٦

(١) نسبه إلى جّراوه إحدى قبائل زبّانة من بني غفجوم ، وتكتب بالجيم (جراوه) ،

وبالكاف المنعومة كالفارسة (جّراوة) ، وبالقاف (قراوة) ووردت النسبة إلى

قبلته عند ابن عبد الملك : الفوارثي ، وعند ابن سعيد الكورائي ، انظر

مناقشة الأستاذ كنّون لهذه النسبة في الذكربات : ٦ / ٨

(٢) تادلا : إحدى مدن المغرب الأقصى وهي بين مراكش وفاس .

(ت ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م) وأبو عبد الله محمد بن عبد الجبار الرعيني (١) (ت ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م) . وخدم الجرّاوي بشعره الخلفاء الموحّدين الأربعة الأوائل (٢) ، ومدحهم بأغلب شعره الذي وصل إلينا .

توفّي بإشبيلية عام معركة العقاب سنة (٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م) ، كان الجرّاوي عالماً بالأدب ، حافظاً لأشعار القدماء والمحدثين ، بليغ اللسان ، شاعراً مفلحاً ، من أشهر شعراء زمانه ، وكان كثير التكبر ، معتدّاً بنفسه ، شديد الحسد للشعراء . لا يفرّ لأحد بالتقدّم عليه .

آثاره :

ألف الجرّاوي للخليفة الموحّدي كتاباً سماه " صفوة الأدب ونخبة كلام العرب " (٣) ، وهو ما يعرف بـ " الحماسة المغربية " اقتدى فيه بأبي تمام ، فرتبّه على الأبواب التالية : المدح ، الفخر ، المراثي ، النسب ، الأوصاف ، الأمثال والحكم ، الملح ، ذمّ النقائص ، الزهد والمواعظ . وعندما اطلع عليه الخليفة أعجب به ، وطلب من المولّف اختصاره - لطوله - ففعل ، وأصبح العنوان : (مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب " (٤) . وقد حمع المولّف في كتابه أشعار الحاهليّين والإسلاميّين حتّى المتنبيّ وأبي العلاء ومعاصريهما . كما ضمّنه أشعاراً للمغاربة والأندلسيّين ، ولم يقم المصنّف لنفسه أشعاراً في أثناء الأبواب ، وإن كان قد أورد ثلاثة أبيات مفردة في المقدّمة .

كما ذكر مترجمو الجرّاوي أنّ له ديواناً من الشعر اطلعوا عليه (٥)

-
- (١) ابن الأثير ، التكملة : ١ / ١٢٨ - ١٢٩ .
 - (٢) عبد المؤمن ويوسف ويعقوب المنصور ، ومحمد الناصر .
 - (٣) هكذا ورد اسمه عند ابن الأثير في التكملة ١ / ١٢٨ - وذكره ابن خلكان باسم " صفوة الأدب وديوان العرب " .
 - (٤) حققه الدكتور محمد رضوان الداية وطبع بدمشق سنة ١٩٩١ م في مجلدين .
 - (٥) ابن الأثير ، التكملة لكتاب الصلة : ١ / ١٢٨ - وذكر السّراج المتوفى سنة ١١٤٩ هـ / ١٧٣٦ م في الحلل السّندسيّة ١ / ٣٦٣ ، عندما أورد أبياتاً دالّة للجرّاوي " إنها مشبّهة في ديوان الجرّاوي " ، وهذا دليل على أنّ ديوان الجرّاوي كان تحت يدي الوزير السّراج عند تأليفه كتابه .

شعره :

يُعَدّ الحَرَاوِي فِي الشَّعْرَاءِ الْكِبَارِ الَّذِينَ عَاشُوا فِي بِلَاطِ الْمُوحِّدِينَ ، وَقَدْ صَرَفَ جُلَّ شَعْرِهِ فِي مَدْحِ خُلَفَائِهِمْ ، حَتَّى قِيلَ عَنْهُ " شَاعِرُ بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ " وَ " شَاعِرُ الْخُلَافَةِ " .

وَلِلْحَرَاوِيِّ دِيْوَانُ شَعْرٍ كَبِيرٍ ، أَتَى عَلَيْهِ الزَّمَانُ ، وَلَمْ يَبْقَ بَيْنَ أَيْدِينَا إِلَّا النُّقُولُ الْيَسِيرَةُ الَّتِي أَثْبَتَتْهَا كُتُبُ التَّارِيخِ وَالتَّرَاجِمِ ، قَمَتِ بِجَمْعِ مَا تَيْسَّرَ مِنْهَا ، فَاجْتَمَعَ لِي اثْنَانِ وَخَمْسُونَ وَصَفَ مِئَةَ بَيْتٍ ، أَغْلِبَهُ فِي شَعْرِ الْمَدْحِ ، حَفِظَ لَنَا ابْنُ عَذَارَى بِمُفْرَدِهِ فِي كِتَابِهِ " الْبَيَانُ الْمَغْرِبُ " ثَمَانِيَةَ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثَ مِئَةِ بَيْتٍ .

وَقَدْ سَبَقَ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ الْمَغَارِبَةِ إِلَى مُحَاوَلَةِ جَمْعِ شَعْرِ الْحَرَاوِيِّ وَكَانَتْ أُولَى الْمَحَاوَلَاتِ لِلْأَسْتَاذِ مُحَمَّدٍ الْفَاسِّيِّ فِي كِتَابِهِ " شَاعِرُ الْخُلَافَةِ الْمُوحِّدِيَّةِ " فَجَمَعَ لَهُ سَبْعَةَ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعَ مِئَةِ بَيْتٍ ، ثُمَّ حَافَا الْأَسْتَاذُ مُحَمَّدُ بْنُ تَاوَيْتَ فَجَمَعَ لَهُ فِي كِتَابِهِ " الْوَافِي بِالْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى " سَبْعَةَ وَصَفَ مِئَةَ بَيْتٍ . ثُمَّ كَانَتْ آخِرَ الْمَحَاوَلَاتِ لِلْأَسْتَاذِ الْبَاحِثِ حَسَنِ الشَّيْبِيِّ حُسْنِي الَّذِي قَدَّمَ أَطْرُوحَتَهُ لِنَيْلِ دَبْلُومِ الدِّرَاسَاتِ الْعِلْمِيَّةِ بِعَنْوَانِ " أَبُو الْعَبَّاسِ الْحَرَاوِيُّ شَاعِرُ الْمُوحِّدِينَ " وَاشْتَمَلَتْ الْأَطْرُوحَةُ عَلَى جَمْعِ الشَّعْرِ وَدِرَاسَتِهِ ، وَقَدْ اسْتَطَاعَ الْبَاحِثُ أَنْ يَجْمَعَ لِلشَّاعِرِ أَرْبَعَةَ وَعِشْرِينَ وَصَفَ مِئَةَ بَيْتٍ .

أَمَّا أَشْعَارُ الْحَرَاوِيِّ الَّتِي وَصَلَتْ إِلَيْنَا فَهِيَ أَشْعَارُ مُخْتَارَةٍ ، إِذْ كَانَ مُصَنَّفُو الْكُتُبِ يَتَخَيَّرُونَ مِنَ الْقَصِيدَةِ بَعْضَ أَبْيَاتِهَا لِلْإِسْتِشْهَادِ بِهَا ، مِمَّا جَعَلَ الْقَصِيدَةَ الْوَاحِدَةَ تَتَوَزَّعُ عَلَى غَيْرِ مَصْدَرٍ . لِذَا قَمَتِ بِضَمِّ الْأَبْيَاتِ الَّتِي ثَبَتَ لَهَا - دُونَ شَكٍّ - أَنَّهَا مِنْ قَصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ إِلَى بَعْضِهَا ، وَعَدَدْتُهَا قَصِيدَةً وَاحِدَةً . وَقَدْ قَمَتِ بِتَرْتِيبِ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ شَعْرِهِ وَتَحْلِيلِهِ ضَمْنَ حُدُودِ وَتَبْقَى الْأَحْكَامُ مَرْهُونَةً بِمَا تَوْفَّرَ لَنَا مِنْ هَذَا الشَّعْرِ .

أَمَّا الْجَدُولُ الْأَوَّلُ فَفِيهِ شَعْرُ الْحَرَاوِيِّ مُخَرَّجًا مِنْ مَصَادِرِهِ :

الرقم	عدد الأبيات	روى القافة	العرض	المصم	در
١	٦٢	قوافٍ عدة	رثاء الحسين	شاعر الخلافة الموحّدية : ٣٦-٤١ - الوافي ١٦٠/١ - ١٦٣ ، أبو العباس الجراوي شاعر الموحّدين : ٦٢ - ٦٥	
٢	٣٥	الرّاء المدح	البيان المغرب : ٢٢٢ - الحماسة البياسية : ١٤٣ - ١٤٤ - ملحق شاعر الخلافة : ٧ - ٨ - الوافي : ١٤١/١ - ١٤٢ - تاريخ الأدب لفروخ : ٥٩٠/٥ - ٥٩١ ، أبو العباس الجراوي : ٤٨ - ٥١ - العلوم والآداب : ٢٣٣ .		
٣	٣١	اللام المدح	ملحق شاعر الخلافة : ٨ - ٩ - الوافي : ١٤٢/١ - ١٤٣ - أبو العباس الجراوي : ٥٨ - ٦٠		
٤	٣١	النون المدح	زاد المسافرين : ٥٠ - البيان المغرب : ٢٤٠ - الغصون اليانعة : ١٠٣ - ذكريات المشاهير : ٢٤/٦ - شاعر الخلافة : ٣٤ - الملحق : ٣ - ٤ الوافي : ١٤٨/١ - ١٤٩ - أبو العباس الجراوي : ٧٥ - ٧٦ - العلوم والآداب : ٢٣٤ .		
٥	٣٠	الرّاء الاستنفار	الغصون اليانعة : ١٠٣ - الحماسة البياسية : ١٤٠ - ١٤٢ شاعر الخلافة : ١٥٠ - الملحق : ٢٠ - ذكريات : ٣١/٦ - الوافي : ١١٧/١ - أبو العباس الجراوي : ٥٣ - ٥٥ .		
٦	٢٩	اللام المدح	البيان المغرب : ٧٢ - ٧٣ - الأدب المغربي : ٤٤٥ - ٤٤٩ - الوافي : ١١٩/١ - ١٢١ - أبو العباس الجراوي : ٥٦ - ٥٧ .		
٧	٢٨	الرّاء المدح	البيان المغرب : ٧٠ - ٧٢ - الأدب المغربي : ١٩٤ - ١٩٥ - الوافي : ١٢١/١ - ١٢٢ . أبو العباس الجراوي : ٦٥ - ٦٧ .		
٨	٢٨	الميم المدح	البيان المغرب : ٢٤٠ - ٢٤١ - الملحق : ٩ - الأدب المغربي : ١٩٦ - ١٩٧ الوافي : ١٥٠/١ - ١٥١ - أبو العباس الجراوي : ٦٨ - ٦٩ .		
٩	٢٧	الدال المدح	البيان المغرب : ١٩٣ - الغصون اليانعة : ١٠٢ - ١٠٣ - رحلة التّجاني : ١٣٧ - ٣٨ - الرّوض المعطار : ٢٠١ - ٢٠٢ - الحلل السّندسية : ٣٦٣/١ - ٣٦٤ -		

الرقم	عدد الأبيات	روي الفاقبة	الغرض	المصدر
				شاعر الخلافة: ١٣-١٤ - ذكريات: ٣٠-٣١ - الوافي: ١٣٦/١ - ١٣٧ - أبو العباس الجراوي: ٣٧-٣٨ و ٤٤ .
١٠	٢٢	الدال	المدح	الحماسة الببّاسية: ١٣٨ - الملحق: ٢ - ٣ - الوافي: ١ / ١٣١ - أبو العباس الجراوي: ٣٩ - ٤٠
١١	٢٢	الدال	المدح	الحماسة الببّاسية: ١٤٣ - الملحق: ٦ - الوافي: ١ / ١٤٥ - أبو العباس الجراوي: ٤٠ - ٤١ .
١٢	٢١	الباء	المدح	البيان المغرب: ١٨٠ - شاعر الخلافة: ١١ - الوافي: ١ / ١٣٤ - أبو العباس الجراوي: ٢٩ - ٣٠ .
١٣	٢١	النون	المدح	البيان المغرب: ١٠٧ - ١٠٨ - الملحق: ١ - الوافي: ١ / ١٢٤ - ١٢٥ - أبو العباس الجراوي: ٧٣ - ٧٤ .
١٤	٢٠	الباء	المدح	البيان المغرب: ١٩٦ - ١٩٧ - شاعر الخلافة: ١٢ - ١٣ الوافي: ١ / ١٣٧ - ١٣٨ - أبو العباس الجراوي: ٣٢ .
١٥	١٦	الباء	المدح	البيان المغرب: ١٨٢ - ١٨٣ - شاعر الخلافة: ٢٢ - الوافي: ١ / ١٣٥ - ١٣٦ - أبو العباس الجراوي: ٣٠
١٦	١٥	الهاء	المدح	البيان المغرب: ١١٩ - ١٢٠ - الوافي: ١ / ١٢٦ - أبو العباس الجراوي: ٨٢ .
١٧	١٣	الهمزة	المدح	البيان المغرب: ١٢٠ - ١٢١ - الوافي: ١ / ١٢٦ - أبو العباس الجراوي: ٢٨ .
١٨	١٣	التاء	المدح	البيان المغرب: ٧٢ - الوافي: ١ / ١١٨ - ١١٩ - أبو العباس الجراوي: ٣٣ - ٣٤ .
١٩	١٣	الميم	المدح	الملحق: ٢ - الوافي: ١ / ١٣٢ - أبو العباس الجراوي: ٧٠ - ٧١ .

الحدول الأول (٣) شعر الحراوي مغرّجاً من مصادره

الرقم	عدد الأبيات	روية الفاقية	الفرض	المصدر
٢٠	١٢	الراء	المدح	البيان المغرب : ٢٥٠ - شاعر الخلافة : ١٢٨ - ذكريات : ٣٢ - الوافي : ١٥١/١ - ١٥٢ - أبو العباس الجراوي : ٥١ - ٥٢
٢١	١١	الحاء	المدح	البيان المغرب : ٢٣٦ - ٢٣٧ - الوافي : ١٤٦/١ - ١٤٧ - أبو العباس الجراوي : ٣٦
٢٢	١١	الفاء	المدح	البيان المغرب : ١٥٢ - النبوغ : ٨٥٤ - ٨٥٥ - الوافي : ١٢٩/١ - أبو العباس الجراوي : ٨١
٢٣	١١	الميم	المدح	البيان المغرب : ١٥٢ - ١٥٣ - النبوغ : ٨٥٥ - ٨٥٦ - الأدب المغربي : ٤٤٥ - تاريخ الأدب لفروخ : ٥٩١/٥ - ٥٩٢ - الوافي : ١٣٠/١ - أبو العباس الجراوي : ٦٦
٢٤	١٠	التاء	المدح	البيان المغرب : ٢٢٤ - شاعر الخلافة : ٢٠ - النبوغ : ٦٨١ - الوافي : ١٤٤/١ - أبو العباس الجراوي : ٣٤ - ٣٥
٢٥	١٠	الراء	المدح	البيان المغرب : ٢٠٨ - ٢٠٩ - شاعر الخلافة : ١٥٠ - النبوغ : ٨٥٦ - الوافي : ١٣٨/١ - أبو العباس الجراوي : ٤٧ - ٤٨
٢٦	١٠	العين	المدح	البيان المغرب : ٢٠٩ - شاعر الخلافة : ١٦ - الوافي : ١٣٨/١ - ١٣٩ - أبو العباس الجراوي : ٧٩
٢٧	١٠	الفاء	المدح	البيان المغرب : ٢٣٧ - الوافي : ١٤٧/١ - أبو العباس الجراوي : ٨٠
٢٨	١٠	الميم	المدح	البيان المغرب : ٢١٢ - ٢١٣ - شاعر الخلافة : ١٨ - النبوغ : ٨٥٦ - ٨٥٩ - الوافي : ١٤٠/١ - أبو العباس الجراوي : ٦٧

الجدول الأول (٥) شعر الجراوي مخرّجاً من مصادره

الرقم	عدد الأبيات	روي القافية	الفرض	المصنوع
٣٦	٢	الباء	المدح	البيان المغرب : ١٣١ - الوافي : ١٢٩/١ - أبو العباس الجراوي : ٢٨ .
٣٧	٢	الباء	الهجاء	وفيات الأعيان : ١٣٧/٧ - ذكريات : ٢٣ - النبوغ : ٩٠٩ الوافي : ١٥٥/١ - تاريخ الأدب لفروخ : ٥٩٢/٥ - شاعر الخلافة : ٣٢ - أبو العباس الجراوي : ٣٣
٣٨	٢	الحاء	المدح	البيان المغرب : ٢٢٩ - الأدب المغربي : ١٩٦ - الوافي : ١٣٩/١ - أبو العباس الجراوي : ٣٥ .
٣٩	٢	الدال	الدعابة	زاد المسافر : ٥٠ - الغصون اليانعة : ٩٩ - ذكريات : ٢٤ - شاعر الخلافة : ٣٤ - العلوم و الآداب : ٢٢٣ الوافي : ١٥٩/١ - أبو العباس الجراوي : ٤٣ .
٤٠	٢	الراء	الغزل	نفح الطيب : ٨٨/٤ - الإعلام : ٣٦٤/٧ - ذكريات : ٢٢ النبوغ : ٥٩٩ - شاعر الخلافة : ٣٤ - الوافي : ١٥٤/١ تاريخ الأدب لفروخ : ٥٩٢/٥ - أبو العباس الجراوي : ٥٦
٤١	٢	الفاء	الهجاء	زاد المسافر : ٥٠ - الاستقصاء : ١٥٨/٢ - الإعلام : ١١٧/٢ ذكريات : ٢٠ - شاعر الخلافة : ١٠ و ٢٢ - العلوم والآداب : ٢٢١ - الوافي : ١٣٣/١ - أبو العباس الجراوي : ٨١ .
٤٢	٢	اللام	المدح	وفيات الأعيان : ١٣٧/٧ - ذكريات : ٢٠ - شاعر الخلافة : ١٠ و ٢٢ - الوافي : ١٣٣/١ - أبو العباس الجراوي : ٦١
٤٣	٢	اللام	الهجاء	الغصون اليانعة : ٤٦ - ذكريات : ٢٨ - النبوغ : ٩١٠ شاعر الخلافة : ٣٣ - الوافي : ١٥٥/١ - أبو العباس الجراوي : ٦٠ .
٤٤	٢	اللام	المدح	الغصون اليانعة : ١٠٣ - ذكريات : ٣١ - ٣٢ - الوافي : ١٥٣ - أبو العباس الجراوي : ٦٠ .
٤٥	٢	اللام	المدح	البيان المغرب : ٢٥٠ - شاعر الخلافة : ٢٨ - الوافي : ١٥٢/١ - أبو العباس الجراوي : ٦٠ .

الرقم	عدد الأبيات	روي القافية	الفرض	المصم	در
٤٦	٢	الميم	الهجاء	الغصون اليانعة : ١٠١ - ذكريات : ٣٠ - شاعر الخلافة : ٣٠ - الوافي : ١٥٦/١ - أبو العباس الجراوي : ٧٢ .	
٤٧	٢	الميم	الهجاء	الغصون اليانعة : ١٠١ - ذكريات : ٣٠ - شاعر الخلافة : ٤٤ - الوافي : ١٥٦/١ - أبو العباس الجراوي : ٧٢ .	
٤٨	٢	النون	المدح	البيان المغرب : ٢٥٠ - الوافي : ١٥٢/١ - أبو العباس الجراوي : ٧٦ .	
٤٩	٢	النون	المدح	البيان المغرب : ٢٥٠ - شاعر الخلافة : ٢٨ - الوافي : ١٥٢/١ - أبو العباس الجراوي : ٧٧ .	
٥٠	٢	النون	الهجاء	زاد المسافرين : ٤٩ - ذكريات : ٢٣ - شاعر الخلافة : ٣٤ - الأدب المغربي : ٤٤٩ - أبو العباس الجراوي : ٧٨ .	
٥١	١	الهمزة	المدح	الحماسة المغربية : ٣٦ - ذكريات : ١٦ - شاعر الخلافة : ٢٧ - أبو العباس الجراوي : ٢٨ .	
٥٢	١	التاء	المدح	الغصون اليانعة : ١٠٣ - الوافي : ١٥٣/١ - أبو العباس الجراوي : ٣٥ .	
٥٣	١	الذال	الفخر	الغصون اليانعة : ٩٤ .	
٥٤	١	الراء	المدح	الغصون اليانعة : ١٠٠ .	
٥٥	١	اللام	المدح	الحماسة المغربية : ٣٧ - ذكريات : ١٦ - شاعر الخلافة : ٢٧ - أبو العباس الجراوي : ٦١ .	
٥٦	١	الميم	المدح	الحماسة المغربية : ٣٦ - ذكريات : ١٦ - شاعر الخلافة : ٢٧ .	

الجدول الثاني: أشعار الحرّاي حسب عدد الأبيات

عدد الأبيات	عدد النصوص	مجموع الأبيات
٦٢	١	٦٢
٣٥	١	٣٥
٣١	٢	٦٢
٣٠	١	٣٠
٢٩	١	٢٩
٢٨	٢	٥٦
٢٧	١	٢٧
٢٢	٢	٤٤
٢١	٢	٤٢
٢٠	١	٢٠
١٦	١	١٦
١٥	١	١٥
١٣	٣	٣٩
١٢	١	١٢
١١	٣	٣٣
١٠	٥	٥٠
٩	١	٩
٨	١	٨
٧	١	٧
٦	٢	١٢
٥	١	٥
٣	١	٣
٢	١٥	٣٠
١	٦	٦
	٥٦	٦٥٢

يُبيّن الحدول أنّ للجرّاوي ٦٥٢ بيتا موزّعة على ٥٦ قصيدة ومقطوعة . منها ٣١ قصيدة - باعتبار أنّ القصيدة تتكوّن من ٧ أبيات فأكثر - و ٢٥ مقطوعة مما بدّل على غلبة القصائد على المقطوعات ، وهذا يدلّنا على أنّ الجرّاوي شاعر طويل النّفس .

ويعضد كلامنا ويقوّيه أن كثيرا من قصائده ومقطوعاته التي بين أيدينا هي أجزاء من قصائد طويلة بدليل نصّ كثير من المؤلّفين على هذا كقولهم : " وقال من قصيدة طويلة " (١) وماشابه ذلك .

(١) انظر ابن سعيد ، الغصون البانعة : ١٠٠ و ١٠٢ - وابن عذاري ،

البيان المغرب (قسم الموحدين) ١٠٧ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٣١ .

الجدول الثالث : جدول البحور التي نظم عليها الجَراوي

البحر	عدد النصوص	أرقامها في الجدول الأول
الكامل	٢٠	٣ - ٦ - ٧ - ٨ - ١١ - ١٣ - ١٤ ٣٠ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٥ - ٣٨ - ٣٨ ٤٢ - ٤٥ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ .
البسيط	١٤	٩ - ١٥ - ١٨ - ١٩ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٩ - ٣٩ - ٤٣ - ٤٤ - ٥٤ ٥٥ - ٥٦ .
الطويل	١٠	١ - ٢ - ٤ - ٥ - ١٢ - ٢١ - ٣١ ٣٦ - ٣٧ - ٤٧
الوافر	٤	١٦ - ٢٢ - ٤٠ - ٤٨ .
الخفيف	٣	٢٠ - ٤١ - ٥٣
المتقارب	٢	٢٨ - ٤٦
الخبب	٢	١٠ - ٢٣
الرمل	١	٣٤
٨ بحور	٥٦	

يتّضح من الجدول السابق أنّ أبا العباس الجَرّاوي استعمل في المجموع من شعره (٨) بحور ، وهو عدد قليل نسبيا .

وبنظرة متأنية على هذه البحور نجد أنه يفضل استعمال البحر الكامل الذي استعمله في (٢٠) قصيدة ومقطوعة ، يليه البحر البسيط في (١٤) ، بينما نجد البحر الطويل قد تراخى عنده إلى المرتبة الثالثة ، وهو الذي اعتدنا أن يكون أكثر دورانا عند الشعراء العرب حتّى نهاية العصر العباسي ، ولكنّه مع ذلك يبقى ضمن البحور التي أكثر الشعراء من استعمالها .

ويأتي ركوبه لبقية البحور موافقا لما تعارف عليه الشعراء العرب تقريبا مع ملاحظة استعماله لبحر كان مهملاً بعض الشيء ، وهو بحر الخبب الذي استعمله مرتين .

الجدول الرابع : قوافي أشعار الجراوي حسب الترتيب التنازلي لعدد النصوص

عدد الأبيات	أرقامها في الجدول الأول	عدد النصوص	روي القافية
٨٢	٨ - ١٩ - ٢٣ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٢ ٤٦ - ٤٧ - ٥٦	٩	الميم
١٢٣	٢ - ٥ - ٧ - ٢٥ - ٣٤ - ٤٠ - ٥٤	٨	الراء
٧٥	٤ - ١٣ - ٣٠ - ٣٣ - ٣٥ - ٤٨ - ٥٠ - ٤٩	٨	النون
٦٩	٣ - ٦ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٥٥	٧	اللام
٨٠	٩ - ١٠ - ١١ - ٣١ - ٣٩ - ٥٣	٦	الدال
٦١	١٢ - ١٤ - ١٥ - ٣٦ - ٣٧	٥	الباء
٢٤	١٨ - ٢٤ - ٥٢	٣	التاء
١٤	١٧ - ٥١	٢	الهمزة
١٣	٢١ - ٣٨	٢	الحاء
١٢	٢٧ - ٤١	٢	الفاء
١٠	٢٦	١	العين
١١	٢٢	١	القاف
١٥	١٦	١	الهاء
٥٨٩		٥٥ *	١٣ قافية

* لم نصنف قصيدة الجراوي في رثاء الحسين بن علي بن أبي طالب في الجدول السابق ، لأنّه لم يلتزم فيها قافية واحدة .

يظهر الحدود السابق أنّ أبا العباس الجراوي استعمل نصف حروف الهجاء رويّاً في أشعاره ، وهو عدد مرتفع نسبياً ، وهذا دليل على أنّه شاعر متمكّن ذو مقدرة شعريّة ، ممّا يؤيّد ما شهد له به مترجموه (١) .

فمن حيث عدد النصوص نلاحظ كثرة استعماله الميم (٩) قصائد ومقطوعات ، يليها الرّاء والنون (٨) قصائد ومقطوعات لكل رويّ ، فاللام (٧) ، فالذال (٦) ثم الباء (٥)

أما من حيث عدد الأبيات ، فيأتي حرف الرّاء أولاً (١٢٣) بيتاً ، ثم حرف الميم (٨٢) بيتاً ، فالذال (٨٠) بيتاً ، فالنون (٧٥) بيتاً ، فاللام (٦٩) بيتاً ، فالباء (٦١) بيتاً ، فالتاء (٢٤) بيتاً ...

وفي كلتا الحالتين نجد الشّاعر يستعمل الحروف التي يفضل الشّعراء استعمالها ، أو ما اصطلح على تسميته بالقوافي الذّلك ، فهو تقليديّ من هذه النّاحية .

والقوافي عنده مطلقة غالباً ، إذ لاند عندّه إلا مقطوعة (٢) وقصيدة (٣) لجأ فيها إلى القوافي المقيّدة .

(١) انظر : ابن سعيد ، الغصون اليانعة : ١٠٢

(٢) في هجاء ابن الياسمين ، وهي في الغصون اليانعة : ٤٤

(٣) وهي في تهنئة المنصور بانتصاره في معركة الأرك ، وهي في البيان المغرب :

يبين لنا الحدود السابق أنّ المدح يحتلّ المكانة الأولى عند أبي العباس الجراوي من حيث عدد القصائد والأبيات (٤١) قصيدة ومقطوعة ، و (٥٢٢) بيتا ، حتى إنّنا نستطيع أن نطلق على مجموع شعره أنّه شعر مدحّي بشيء من التجوّز .

ويأتي مدح يعقوب المنصور في المقام الأول (١٣) قصيدة أبياتها (٢٢٢) ، يليه يوسف بن عبد المؤمن (١٠) قصائد ، أبياتها (١١٨) بيتا . ثمّ محمّد الناصر (٩) قصائد ، أبياتها (١٠٥) أبيات . فعبد المؤمن بن علي (٣) قصائد ، أبياتها (٧٠) بيتا .

ويأتي الهجاء ثانيا من حيث المقطوعات ، (١٠) مقطوعات ، وإن كان هذا لا يدلّ على نزعة شديدة للهجاء . لأنّ مجموع الأبيات (٢٧) بيتا فقط وهذا يعني أنّه كان يغضب فيقول البيت والبيتين في الهجاء . أو أنّ هناك قسماً كبيراً من هجائه فُقد ولم يصل إلينا ، وقف عليه القدماء فحكموا عليه أنّه هجاء (١) . وهذا محتمل إذ يمكن أن يكون القدماء سكتوا عن رواية هجائه فلم ينتشر ومن ثمّ لم يصل إلينا .

(١) انظر مقاله الحميري في الرّوض المعطار : ١٢٧

محمّد بن أحمد اللّخميّ *

٥٥٨ هـ - ٦١٤ هـ / ١١٦٣ م - ١٢١٧ م

أبو عبد الله بن الحجاج ، محمّد بن أحمد بن محمّد اللّخميّ ،

ولد بتلمسان سنة (٥٥٨ هـ / ١١٦٣ م) وأخذ العلم عن بعض مشايخها .

انتقل إلى فاس طلبا للعلم فأخذ عن أبي الحجاج بن عبد الصمد بن نموي

(٦١٤ هـ - ١٢١٧ م) وأبي القاسم بن يوسف بن الحسن بن زانين ، وروى عنه

ابنه أبو محمّد وأبو زكرياء بن محمّد بن طفيل ، اختص بصحبة الأديب الشاعر أبي

زيد الفازانيّ ت (٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م) .

كان أكرمّه ، ومال إلى طريقة الوعظ والتذكير بجامع القصر في يوم الجمعة .

واستدعاه المنصور الموحدي فسكن مراكش ، ونال دنيا عريضة عند ابنه الناصر ،

ثم المستنصر :

توفي ابن الحجاج بمراكش سنة : ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م

كان المترجّم له أديباً ، فقيهاً ، واعظاً زاهداً ، ذا حظّ صالح من قرض الشعر .

آثاره :

ألف أبو عبد الله ابن الحجاج كتاباً سماه " حجة الحافظين ، ومحجّة

الواعظين " وهو مفقود ، اختصره تلميذه أبو زكريا بن محمد بن طفيل وسمّى

مختصره : " أنوار مجالس الأذكار وأبكار عرائس الأفكار " .

شعره :

وقفت له على مقطوعة من خمسة أبيات في الزهد ، وهي مثبتة في التّشوّف :

٤٦٣ ، والذيل والتكملة : ٢٦٧/ ٨ ، والذخيرة السّنية ٥١ - وتعريف الخلف ٣٦١/٢

والإعلام ١٧٤ / ٤

* ترجمته في ابن الزيّات ، التّشوّف : ٤٦٢ - ٤٦٣ - ابن عبد الملك ، الذّيل

والتكملة ٢٦٦ / ٨ - ٦٦٨ ، ابن أبي زرع ، الذخيرة السّنية : ٥١ -

الحفناوي ، تعريف الخلف : ٣٦١ / ٢ وفيه

ابن اللّحام . ابن إبراهيم ، الإعلام : ١٧٣ - ١٧٥ - كخالة ، معجم

المؤلّفين : ١٥ / ٩ - الزركلي ، الأعلام ٢٣٠ / ٥ - عبد العزيز بن عبد الله ،

الموسوعة المغربيّة ٧١ / ١ و ٩٨ / ٢ .

أبو الحجاج بن نموي *

٥٥٤ هـ - ٦١٤ هـ / ١١٥٩ - ١٢١٧ م

أبو الحجاج يوسف بن عبد الصّمد بن يوسف بن عليّ بن عبد الرحمن ابن محمّد بن نمويّ ، ولد بمدينة فاس سنة ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م وأخذ عن مجموعة من الشّيوخ في مدن العُدوة والأندلس منهم : أبو جعفر بن مضاء (ت ٥٩٢ هـ / ١١٩٥ م) . وابن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ / ١١٨٣ م) و محمّد بن عبد الكريم الفنّداويّ (ت ٥٧٣ هـ / ١١٨١ م) وعثمان السّلاجي (ت ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م) .

قعد للإقراء بمسجد زقاق الرّواح من مدينة فاس وأخذ عنه كثيرون منهم أبو الحسن الحرّاليّ (ت ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م) ودخل الأندلس وأقرأ فيها ثمّ عاد إلى بلده سنة ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م فأقرأ في شرقيّ جامع القرويين إلى أن توفي سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م .

كان ابن نمويّ فقيهاً عالماً بالحديث والسّير مع حفظ الشّعر والتّاريخ ، وله نظم .

شعره :

نقل ابن سعيد في الغصون اليانعة ٤٩ مقطوعة مبمية من خمسة أبيات في هاء ابن الياسمين ، ونقلها عنه ابن القاضي في جذوة الاقتباس . ٥٥٠

* ترجمته وشعره في :

ابن الأثير، التّكملة: رقم ٢٠٩٩ ، ابن سعيد ، الغصون اليانعة : ٤٩ - ابن القاضي ، جذوة الاقتباس ٥٥٠ - التّنبكتي ، نيل الابتهاج ٦٢٦ - عبد العزيز ابن عبد الله ، الموسوعة المغربيّة ١ / ١٣٧ .

عثمان بن منْعَفاد

ت ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م .

أبو سعيد ، عثمان بن منْعَفاد الوَرْيُوتِيّ
من بادية سِجْلَمَاسة ، بها ولد وتعلّم على شيوخها
تتلمذ على أبي عبد الله الهَوَّاري بتونس ، وصحب أبازيد بن هبة المزيانيّ .
نوفي في بادية سِجْلَمَاسة سنة : ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م
كان شيخاً صالحاً يواصل صوم خمسة عشر يوماً ، حتّى أنحلتها العبادة .
له حُطّ صالح من فرض الشعر .

شعره :

له قصيدة هائية من عشرة أبيات في الزهد ، أثبتتها التادلي في كتابـة
التَّشَوِّف ٤٦٤ - ٤٦٥ ، وأورد صاحب الذّخيرة السّنية : ٥٢ حمسة أبيات منها ، وهي في
الوافي ٣١٧/١ .

* ترجمته في : التادلي ، التشوف ٤٦٤ - ٤٦٥ - ابن أبي زرع ، الذّخيرة السّنية
٥٢ ، محمد بن تاويت ، الوافي في الأدب المغربي ٣١٦/١ - ٣١٧ .

إبراهيم الزُّويلسي *

٥٤٠ هـ - ٦١٦ هـ / ١١٤٥ - ١٢١٩ م

أبو إسحاق ، إبراهيم بن علي بن محمد بن عبد الله بن أغلب الخولاسي .
أصله من زويلة^(١) ، و مولده فيها سنة ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ ، و تنقل في مدن
المغرب و الأندلس و أخذ عن مجموعة من الشيوخ أمثال أبي مروان بن قزمان ،
و أبي الحسن بن هذيل (ت ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م) و كان من أصحاب عبد الواحد
المراكشي صاحب المعجب (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٥٠ م) .
جالس الأمير أبا زكريا يحيى بن يوسف بن عبد المؤمن ، و توفي سنة
(٦١٦ هـ / ١٢١٩ م) . بمراكش
و كان الزُّويلسي كاتباً ، مؤرخاً أديباً ذا حظ من قرص الشعر .

شعره :

أورد المراكشي في المعجب : ٢٧٥ أبياتاً ثلاثة على البناء من فصيدة
يمدح فيها الخليفة يعقوب المصور ، و يذكر فيها رمي ففصة بالمجانيق ، وفد
أورد منها السَّراج بيتين في الحلل السُّنْدسيّة : ٣٧٢/١ .

* ترجمته و شعره في :

المراكشي ، المعجب : ٢٧٤ - ٢٧٥ - اس الآثار الكملة (طبعه الحرائر) ٢٠٢ - ٢٠٣

الرّعيني ، برنامج شيوخه : ١٠٨ -

العقدي ، الوافي بالوفيات : ٧٠/٦

السَّراج : الحلل السُّنْدسيّة ٣٧٢/١

محمد مخلوف ، شجرة النور الزكية : ١٧٥/١

(١) زويلة : ذات متصله بالمهدّته ذات ماں حسه ، و سوارع ، و أسوارها
عاليه حصه مسّه بالحر و بها فادق و حمامات حمّه . أطر
الحمري ، الروص المعطار : ١٩٦

علي بن محمد الحزرجي الفاسي *

ت ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م

أبو الحسن ، علي بن محمد بن إبراهيم بن موسى الأيحصاري الخزرجي ، المعروف بابن الحضار. ولد بمدينة فاس وتتلّمذ على مشايخها ثم تنقل بين مدن الأندلس والمغرب ورحل إلى مصر ، وحجّ وجاور بمكة ، وسكن المدينة ودرس فيها .

روى عن مجموعة من الشيوخ منهم : أبو عبد الله بن حميد ، وابن الفخّار (ت ٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م) وأبو زيد السّهيلي (ت ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م) وأبو القاسم بن حُبَيْش (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) ، كما روى عنه جماعة من الشيوخ بمراكش منهم أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الخروف ، وبسبته أبو عبد الله ابن المُنَاصِف (ت ٦٢٠ هـ / ١١٢٣ م) وبالمدينة أبو محمد عبد العظيم بن عبد القويّ المُنْذَري (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) ، وتوفي سنة : ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م ^(١) ودفن بالبقيع .

كان أبو الحسن بن الحضار ، محدثاً فقيهاً ، راوية ، ذا حظّ من علوم اللسان وقرض الشعر .
آثاره :

ألف ابن الحضار مجموعة من المصنّفات أهمّها :

- ١- نفريب المدارك في وصل المقطوع من حديث مالك
- ٢- نفريب المرام في تهذيب أدلّة الأحكام ، في أصول الفقه .
- ٣- تلقين الوليد وخاتمة السعيد في العقيدة .
- ٤- مصنف في علم الكلام .
- ٥- مقالة في إعجاز القرآن .
- ٦- النّاسخ والمنسوخ ، وهو ثلاثة كتب ، الأكبر والأوسط والأصغر . (٢)

شعره :

وصلت إلينا من شعره قصيدة تعليميّة رائيّة في المدني والمكي من سور القرآن عدد أبياتها ثلاثة وعشرون بيتاً ، أثبتتها ابن عبد الملك في الذيل والتكملة : ٢١١/٨ ، والسيوطي في الإتيقان ١١/١ - ١٢ - والعبّاس بن إبراهيم في الإعلام : ١٥٧/٩ - ١٥٨

* ترجمته وشعره في ، ابن الأبار التكملة رقم ١٩١٨ - ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة ٢٠٩/٨ - ٢١٢ - ابن الزبير ، صلة الصلة ١١٩ - ١٢٠ - السيوطي ، الإتيقان في علوم القرآن ١١/١ - ١٢ - ابن القاضي، جذوة الاقتباس ٤٧٠ - البغدادي، هدية العارفين ٧٠٥/١ - العبّاس ابن إبراهيم ، الإعلام / ١٥٦/٩ - ١٥٨ - رضا كحّالة ، معجم المؤلفين ٢٢٨/٧ - الزركلي ، الأعلام ٣٣٠/٤ .

(١) حدد ابن الأبار سنة وفاته ب ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م وتابعه في ذلك ابن القاضي .

(٢) انظر بقية مؤلفاته في معجم المؤلفين ٢٢٨/٧ والذيل والتكملة ٢١٠/٨ .

محمّد بن المُنَاصِف *
٥٦٣ هـ - ٦٢٠ هـ / ١١٦٦ م - ١٢٢٣ م

أبو عبد الله ، محمّد بن عيسى بن محمّد بن أصيغ بن محمّد بن أصيغ بن عيسى بن —
أصيغ الأزديّ المعروف بابن المُنَاصِف ، و لد بالمهدية سنة (٥٦٣هـ/١١٦٦م) و نشأ بتونس
و تلقى علومه على يدمجموعة من المشايخ ، منهم : أبوه ، و أبو الخطاب بن دحية (ت ٦٣٣هـ
/ ١٢٣٤م) ٦

و أبو الحجاج المخزومي و غيرهم ، ثم انتقل إلى تلمسان فأخذ عن أبي عبد الله التّجيبّي
(ت ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م) .

نعتّر للإقراء فأفاد كثيرون من علمه و انتفعوا به ، منهم أبو بكر بن محرز (٦٥٥هـ
/ ١٢٥٧م) و أبو بكر بن سيّد الناس (ت ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠م) و أبو الحسن بن القطان (ت ٦٢٨هـ
/ ١٢٣١م) و أبو الربيع بن سالم (ت ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦م) و غيرهم .

كان ذا ميل إلى القول بمذهب الشّافعيّ ، مع شدة عنايته بـ " بلقيس " القاضي أبي محمد
عبد الوهاب (ت ٤٣٠ هـ / ١٠٣٩م) . استقضى في بعض مدن الأندلس كمرسية و بلنسية فحسنت
سيرته و عرف بالعدالة و النزاهة ، و استقر أخيراً بمراكش خطيباً بجامع بني عبد
المؤمن حتّى وافته الأجل سنة (٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م) .
كان ابن المُنَاصِف فاضلاً فقيهاً ، حافظاً للغات ، شاعراً مجيداً .

أشاره :

ألقاب المُنَاصِف في ضروب مختلفة من العلم مصنّفات مفيدة منها :

- ١- الإنجاديّ الجهاد ، ألفه لأبي عبد الله بن أبي حفص بن عبد المؤمن أيام ولايته
على بلنسية ، و هو مخطوط قيد الطبع في المغرب
- ٢- تنبيه الحكّام ، في سيرة القضاة و قبول الشّهادات و تنفيذ الأحكام و هو مطبوع
- ٣- الدّرة السّنية في المعالم السّنية ، و هي أرجوزة في أربعة معالم : الأول في علم الكلام
و الثاني في أصول الفقه ، و الثالث في عروعه ، والرابع في السّيرة النّبويّة وهو مخطوط (١)

* ترجمته وشعره في : ابن الأثير ، التّكملة : ٦١١/٢ - ٦١٢ و ٣٢٥ - ٣٢٦ - الرّعيني ، برنامج شيوخه :
١٢٩ - ١٢٨ - ابن سعيد ، المغرب : ١٠٥/١ - ١٠٦ - ابن عبد الملك ، الذّيل و التّكملة : ٣٤٥/٨ - ٣٥٠
ابن قاضي شهبة ، طبقات النّحويين و اللّغويين : ٢٣٥ - التّنيكتي ، نيل الابتهاج : ٧٣٩ -
المقري ، نفح الطّيب : ٣٠٥/٤ - حاجي خليفة كشف الظّنون : ٧٤ - البعدادي ، هدية العارفين
١٠٩/٢ - العباس بن إبراهيم ، الإعلام : ١٨١/٤ - ١٨٦ - محمد مخلوف شجرة النور الزكية : ١٧٧ ،
رضا كحالة ، معجم المؤلّفين : ١٠٧/١١ - ١٠٨ - عبد العزيز بن عبد الله ، الموسوعة المغربيّة
٤٢/١ و ١٢٢/٢ - محمد محفوظ ، معجم المؤلّفين التّونسيين : ٣٨٩/٤ - ٣٩٠ - الزّركلي ،
الأعلام : ٣٢٢/٦ - ٣٢٣ .

(١) منها نسخة في المكتبة الوطنيّة بتونس رقمها : ٢٣٤ ، وهي أرجوزة عدد أبياتها ١٦٠٠ بيت
استقصى فيها أحداث السّيرة النّبويّة يادق تفاصيلها .

- ٤ - المذهب في نظم الصفات من الحلي و الشّيات وهو مطبوع (١)
٥ - المعقبة لكتاب المذهب مفقود .

شعره :

- وصل إلينا من شعره ، إضافة إلى أرجوزتي السيرة النبوية
و المذهب ، ما يلي :
- مقطوعة بائية من خمسة أبيات في الغزل أوردها ابن سعيد في
المغرب : ١٠٦/١
- مقطوعة لامية من ثلاثة أبيات في الحث على حفظ أرجوزة السيرة
السنية " وهي في الذيل و التكملة : ٣٤٨/٨ .
- مقطوعة ميمية من بيتين في حث النفس على عدم الظهور بين الناس
وهما في المغرب : ١٠٦/١ ، و نفح الطيب : ٣٠٥/٤ - والإعلام : ١٨٤/٤ .
- بيت مفرد على الميم مجتزأ من قصيدة في مدح الناصر الموحدي ،
أورده ابن سعيد في المغرب : ١٠٥/١ .

(١) أرجوزة تقع في ألف بيت ، طبع في التقويم الجزائري : سنة ١٩٣٠م

محمّد بن يَخْلَفَتْنُ الفَازَازي

ت ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م

أبو عبد الله محمد بن يَخْلَفَتْنُ بن أحمد بن تَنْفَلِيتِ الفَازَازي ، ولد بجبل فازاز قبلي مكناسة ، و أخذ عن مجموعة من الشيوخ منهم : أبو عبد الله التّجيّبي (ت ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م) و أبو القاسم السُّهيلي (ت ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م) و قاضي تَلَمَّسان عبد الرحمن بن أبي حنون ، كما روى عنه جماعة منهم ابن مُسَدّي المَهَلّبي (ت ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م) . استقضى يقرطبة و مرسية ، و كتب لأمرأء عصره من بني عبد المؤمن ، و نال عندهم دنيا عريضة ، و كانت وفاته سنة (٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م) و كان كاتبا بليغا و شاعرا مجيها . .

شعره :

وقفت له على النصوص الشعرية التالية :

- قصيدة رائية من ثلاثة وعشرين بيتا في تهنئة بفتح و هي في البيان المعرب ،
٢٥٥ - ٢٥٦ .
- بيت مفرد على السّين في مدح الناصر الموحدي ، و هو في البيان المغرب ، ٢٥٠ ،
- قصيدة لامية من أربعة عشر بيتا في الاعتذار ، وهي في الذيل والتكملة : ٣٦٢/٨ - ٣٦٣ .
- مقطوعة ميمية من أربعة أبيات في التحسر على حال الأندلس ، وهي في نفح الطيب : ٧٦/٤

ترجته في : المزّاكشي ، المعجب : ٣١٢ - ابن الأثير ، التكملة رقم ٢١٣٥ - ابن عذاري البيان المعرب : ٢٥٥ - ٢٥٥ - ابن عيد الملك ، الذيل والتكملة : ٣٦٢/٨ - ٣٦٤ - ابن الزبير ملّة العلة ، قسم الغريباء : ٥٠٧ - الصفدي ، الوافي بالوفيات ٢١٣/٥ المقرّي ، نفح الطيب : ٦٧/٤ - ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب : ٩٦/٥ ونسبة إلى تَلَمَّسان - عبد العزيز بن عبد الله ، الموسوعة المغربية : ١٤٩/٢ - الزركلي ، الأعلام : ١٤٣/٧ .

عبد الرحمن بن عبد الواحد *

ت ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م

أبو زيد ، عبد الرحمن بن عبد الواحد بن عمر بن يحيى بن محمد بن والد بن عمر بن الخطاب . (١)

ولد بمراكش أواخر القرن السادس الهجري وأخذ عن مشايخها .

تولى إفريقية بعد وفاة أبيه الأمير أبي محمد عبد الواحد في غرة المحرم سنة : ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م .

عزل بعد توليته بثلاثة أشهر من قبل الخليفة الموحد يوسف بن محمد الناصر فرجع إلى المغرب مع إخوته .

ولي غير مدينة من مدن الأندلس . ثم استقر بأخرة بمراكش حيث كانت وفاته سنة : ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م .

شعره :

أورد له ابن الأثير في الحلة السيرة النصوص التالية :

مقطوعة حائية من بيتين في حمام ، ٢ / ٢٨١ .

قصيدة سينية من عشرة أبيات في شكاية أصابت أباه ، الحلة السيرة : ٢٨٠/٢ - ٢٨١

مقطوعة ميمية من ستة أبيات في الفخر ، الحلة السيرة : ٢٨١/٢ .

* ترجمته في :

ابن الأثير ، الحلة السيرة : ٢٨٠/٢ - ٢٨١ .

ابن الشّماع ، الأدلة البيّنة النّورانيّة : ٥٣ .

ابن أبي دينار ، المؤنس : ١٣١ .

(١) - انظر نسبه كاملاً في ابن الشّماع ، الأدلة البيّنة النّورانيّة : ٤٨ .

عمر بن محمد القيسي *

٥٨١ هـ - ٦٢٦ هـ / ١١٨٥ - ١٢٢٨ م

أبو عليّ عمر بن محمد بن أحمد القيسي ، الملقّب بابن الفاسي .
ولد بمراكش سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م ، وتدرّج في أخذ العلم عن مشايخها ، فأخذ
عن كلّ من أبي اسحاق الزّويلي (ت ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م) وأبي الحسن بن القطّان
(ت ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م) وأبي عبد الله بن المُنَاصِف (ت ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م) وغيرهم .
تولّى الكتابة عن أبي محمد عبد العزيز بن يوسف بن عبد المؤمن ،

وصحبه إلى الأندلس في سنة : ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م

أجمع معاصروه على نبيله وسمو أخلاقه

توفي بمراكش سنة : ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م ، وهو ابن خمس وأربعين سنة .

كان أبو علي بن الفاسي فقيها عالما ، أديبا بارعا الكتابة ، ذا حظّ من قرض
الشعر .

آثاره :

صنّف عمر بن محمد القيسي " أغنية الحفاظ في الجمع بين الإصلاح والألفاظ " (١)

وكتّابا " فيها نظم في التّهجد وقيام الليل ، جمعه باقتراح عبد العزيز بن
يوسف بن عبد المؤمن .

شعره :

وصل إلينا من شعره قصيدة دالية في الزهد من ثمانية عشر بيتاً ،

وهي مثبتة في الذيل والتكملة ٢٣٦/ ٨ - ٢٣٧ والإعلام للمراكشي : ٢٨١/ ٩ - ٢٨٢

* ترجمته في : ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة : ٢٣٥/ ٨ - ٢٣٧

العبّاس بن إبراهيم المراكشي ، الإعلام : ٢٨١ / ٩ - ٢٨٢

(١) يريد إصلاح المنطق لابن السكيت ، والألفاظ الكتابيّة للهمداني .

إبراهيم بن المنصف *

٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م

أبو إسحاق ، إبراهيم بن عيسى بن محمد بن أبي عيسى الأزدي
ولد بالمهدية ، و نشأ بـ يتونس و تلقى تعلّمه الأول فيها ، ثم انتقل إلى الأندلس
و أخذ العربية عن أبي ذرّ معمر بن محمد بن مسعود الخشني (ت ٦٠٤ هـ / ١٢٠٨ م) وروى
عنه .

تولّى القضاء بدانية ثم انتصر عنها في الفتنة المنيعثة سنة (٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م)
فانتقل إلى مراكش و تصدّى للإقراء فيها ، و انتفع به كثيرون .
تولى قضاء سجلماسة حتى وفاته سنة (٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م) .
كان أبو إسحاق : فقيها ، قاضيا ذا حظّ حسن من الأدب و نظم الشعر .
أهم آثاره :

له تأليف في مسائل الخلاف بين النحويين .
شعره :

وقفت له على المقطوعات التالية:

- مقطوعة همزية في وصف المجينات و هي مثبتة في المغرب ١٠٧/١
- مقطوعة بائية من أربعة أبيات في ترتيب حروف كتاب العين للخليل بن أحمد ،
و هي مثبتة في تحفة القادّم : ١٨٩ ، و المقتضب : ١٨٤ .
- مقطوعة عينية من ثلاثة أبيات في الغزل و هي مثبتة في المغرب : ١٠٧/١ .
- مقطوعة لامية من أربعة أبيات في الغزل ، و هي مثبتة في الوافي بالوفيات ٧٦/٦
و تحفة القادّم : ١٨٩ - ١٩٠ - و الحل السندسيّة : ٦٩١/١ .

-
- * ترجمته و شعره في : ابن الأثير ، تحفة القادّم : ١٨٩ - ١٩٠ - التكملة لكتاب الصلة :
١٧٨ - ابن سعيد المغرب : ١٠٦/١ - ١٠٧ - اليلفيقي ، المقتضب من تحفة القادّم :
١٨٤ - المهدي ، الوافي بالوفيات : ٧٦/٦ - الفيروز أبادي ، اليلغة في تاريخ
أئمّة اللّغة : ٦ - ٧ - السيوطي ، بغيّة الوعاة : ١٧٢/١ - و الزركلي ، الأعلام :
٥٦/١ - عيد العزيز بن عيد الله ، الموسوعة المغربية : ١٥/١ .

أبو زيد الفارازي *

ب : ٦٣٧ هـ / ١٢٢٩ م

أبو زيد عبد الرحمن بن خُلْفَس بن أحمد بن تَقْلِب بن سليمان الفَارَازِي (١) أصله من حبل فارار قرب مكاسبه، وإليه نسبته. سَأَمَرَأكس وفيها سَلَقِي علومه الأولى، ونُفِل في مدن العُدوة والأندلس، و نزل بِلِمسان.

أحد عن مجموعته من المساح مهم، أبوه أبو سعيد، وأبو الحسن حابر بن عبد الله بن الفجار، وأحمد بن يزيد بن يعقوب (ب ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م) وأبو زيد السَّهْلِي (ب ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م) وغيرهم. وأقام منه خلق كثير منهم أبو بكر بن سَدَّ النَّاس (ب ٦٥٩ هـ / ١٢٦٦ م) وأبو القاسم عبد الكريم بن عمران (ب ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م) وأبو الحسن الرَّعْسِي (ب ٦٦٦ هـ / ١٢٦٧ م) وغيرهم (٢).

كتب لأمرأء وفيه على كره منه، واحصَّ بالسَّدِّ (٣) أبا إسحاق بن المصور وإلى قرطبه. وأحبه أبا العلاء (ب ٦٣ هـ / ١٢٣٢ م) و نافع عنه شعره عند خلافه مع يحيى المعصم (ب ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م) على السَّطِطه.

توفي سنة : ٦٣٧ هـ / ١٢٢٩ م (٤) مَرَأكس ودفن بحبسه السَّوَح.

و كان أبو زيد الفارازي أدبا حافظا زاهدا، ذا حظٍّ من أصول الفقه و الروايه، كما كان سديدا على أهل البدع، مبالغا في التحذير منهم، وله شعر حسن حلّه من السَّعَر الدَّني الذي سوافق مع سلوكه و نديته.

* برحمته و شعره في : ديوانيه الوسائل المصنَّعة والعصائد العسرات - اس الأتار، التكملة ٢/٥٨٥-٥٨٦.

حجته القادم : ١٩١ - الرَّعْسِي، براح سوجه : ١١-١٥ و ١٣٨ - اس عداري، السَّان المعرب (قسم الموحَّدس) : ٢٨-٢٨١ - اس عبد الملك، الدَّبل و التَّكمله : ٥٥٠/١ و ٥٤٨ و ٦/٢٩-٢٩١ - ٨/٣٦٣-٣٦٨ - اس الرَّسَر، صله الصَّله (قسم العراء) : ٥٤٢ - رحله اس رُسَد ٢/٢٥٤-٢٥٥ - مجهول، مفاخر الربر : ٦٧-٦٨ - أبو القاسم البلوي، العطاء الحريل، (مخطوط) : ٨ - السَّلعِي، المعصم من حجته القادم : ١٨٥ - اس لبون التَّحْسِي لمح السَّحر، (مخطوط) ١٨ و ٦٨ - اس الحطيب، الإحاطه : ٣/٥١٧ - ٥٢٢ - و مخطوطه المكبسه الوطنيّه بوس روم (٨١٣٦) الحراء النَّال ورفه (٩٢-٩٤ آ) و روصه التَّعريف ١/٢٣٦ و السَّحر و السَّعَر (مخطوط) ١٤-١٨٣ - السَّوْطِي، بعه الوعاء : ٢/٩١ - التَّسْكِي، سل الانهاج : ٢٣٩-٢٤٠ - المقرئ، كَنَّاَس المقرئ مخطوط المكبسه الوطنيّه بوس روم (١٨٣٢٧) ورفه روم ٣٨-٣٩ - بَح الطَّيب : ٢/١١٩ و ٤/١٢٢ و ٧/٥٠٧ - ٥١٢ - أرهار الرِّاص : ٤/٣١-٣٢ - العباس اس ابراهيم، الإعلام : ٨/٩٣-٩٨ و مجهول، محاراب من السَّعَر المعري و الأندلسي ١٤٥ - بروكلمان، تاريخ الأدب العربي (النسخه المرحمه) ٥/١٣١-١٣٢ - عمر قروچ، تاريخ الأدب العربي : ٥/٦٥٥-٥٥٧ - رضا كحاله، معجم المؤلفين : ٥/١٩١ - الرَّرَكَلِي، الأعلام : ٣/٣٤٢ - عبد العرر بن عبد الله، الموسوعه المعربته : ٢/١٤٩.

(١) - في صله الصَّله : ٥٢ : عبد الرحمن بن محمَّد بن خُلْفَس.

(٢) - اطهرهم في اس الحطيب : الإحاطه ٣/٥١٨.

(٣) - كان لقب " سَدَّ " بطلق على أمرأء الموحَّدس.

(٤) - حدَّد اس الرَّسَر وفاته بحوالي سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م.

آثاره :

حُلف أبو ريد الغارارى آثارا أدبته، أغلبها فى السّعر الدّنى بموضوعاته المحلّقه و يمكن أن يحصر مؤلفاته البافه فيما يلى :

- ديوان الوسائل المفقّله فى مدح النبى صلى الله عليه و سلّم ، و هى الفصائد العسرىّته و هو مطبوع.
- ديوان الفصائد العسرىّات فى الرّهّد، و هو مطبوع.
- فصائد السّوق و العرام، ذكرها بروكلمان. (١)
- مجموعته الحطب الّتى كتبها لاس الحّام الواعظ. (٢)
- المعسّرات الحنّيه و المعسّرات الرّهديه، و قد ذكرها الرّعنى، و طنّ أن المعسّرات الحنّيه هى فصائد السّوق و العرام، أمّا المعسّرات الرّهديه فقد ذكرت باسم الفصائد العسرىّات.
- الطّور الّتى رتّبها على يوسف بن محمد المكلاى القاسى، و ذكرها الرّعنى. (٣)
- مادّه الحقيق و حادّه الطّريق، و قد ذكره الرّعنى أباء سرده لما قرأه عن الغارارى (٤)
- خطابه عن الأمراء و الولاه و رسائله الإحوائيه.

شعره :

بعدّ الغارارى فى السّعراء المشهورين من شعراء عصر الموحّدين ، و يعود شهرته إلى احتصاصه بنظم السّعر الدّنى، إذ غلب على شعره ، و يمثّل هذا اتّحافا خاصّا لدى السّاعر، و سقوط نصف شعره بعنه يسر فهمه و تحليله :

- ١- ديوان الوسائل المفقّله : و هو ديوان فى المدح التّوى بنظمه صاحبه يعرّطه سه ١٢٠٧/٥٦٠٤م و طبع بالقاهره مرسى فى أوائل هذا القرن، كما أعمد طبعه فى تونس بمكبه الممار مع حمسه للسّيح أبى بكر محمد بن المهيب سه ١٩٥٨/٥١٣٧٨م ، و نظم السّاعر فصائد، على ريب حروف المعجم فجاء الدّنوان محبوسا على سبع و عشرين قصيده- بإضافه فافه اللام ألف - و كان عدد أبيات كلّ قصيده عشرين بيتا، و مجموع عدد أبيات الدّنوان ثمانون و خمس مئه بيت، ألهم السّاعر نفسه أن يبدأ أبيات فصائده بحرف الرّوى نفسه فعلى على شعره البكّلف و فسد روعه. و بنى السّاعر فصائد ديوانه على البحر الطّويل لأنّ موسيقى الإطار فى هذا البحر ممّكّته من استيعاف العناصر المعبوه بطرا إلى عدد مقاطعه.

و قد جاء التّحميس ليعطى الفصائد نوعا من الحركّته و الحرّرت ناسان ساعريّه.

- ٢- ديوان الفصائد العسرىّات، و هو ديوان فى الرّهّد، يلع أبيات كلّ قصيده عسره أبيات، مرّته على حروف المعجم الأدلسى، و قد السّاعر نفسه بالعبود الّتى رأياها فى ديوانه السّاسق و قد سرحب عباراتها المحارّته و فسّر معانيها اللّعوتّه العامصه من قبل السّيح محمّد الرّهريّ العمراوى، و طبع هذا الدّنوان فى القاهره فى أوائل هذا القرن.

- ٣- شعره المجموع : و فيما يلى حداول يتّسّحرج هذا السّعر من مطّاه و حلّله :

(١) تاريخ الأدب العربى (النسخه المرحمه) ١٣٢/٥

(٢) ابن عبد الملك، الدّبل و التّكملة . ٢٦٢/٨

(٣) الرّعنى، برامح الرّعنى . ١٠٢

الجدول الأول . تخريج أشعار أبي زيد الغازلي من مصادرها

الرقم	عدد الآيات	روي العاقبة	العرض	المصدر
١	٨٢	التّون	المَدح	الدّيل و التّكملة : ٣٦٨ / ٨ - ٣٦٩ .
٢	٢٢	الباء	المَدح	السان المعرب : ٢٨٠-٢٨١ - الدّيل و التّكملة :
٣	١٩	الدّال	سكر الله على عب	٢٩١-٢٩٠ / ٦ رحله ابن رَسَد : ٢٥٤-٢٥٥ - الإحاطة : ٥٢-٥١٩ / ٣ روضة التّعريف ١ / ١٦٣ - السّحر و السّعر . ١٨٣ . فتح الطّيب ١٢٢ / ٤ - الإعلام : ٨٥ / ٨ .
٤	١٨	اللام	إحوائه	الدّيل و التّكملة : ٣٦٣-٣٦٤ / ٨
٥	١٤	الباء	مهاجمه الغلاسه	ربامح الرّعى : ١٠٤-١٥ - الإحاطة : ٥٢٠ / ٣ ٥٢١ - الإعلام . ٨٦ / ٨
٦	١٣	الفاء	الرّهْد	الدّيل و التّكملة : ٥٤٨ / ١ - الإعلام : ٨٦ / ٨
٧	١٣	التّون	المدح النّوى	أرهار الرّصاص : ٣١-٣٢ / ٤
٨	١٢	الباء	الرّهْد	ربامح الرّعى : ١٠٤-١٠٦ - الإحاطة . ٥٢١ / ٣ ٥٢٢ - الإعلام : ٨٦-٨٧ / ٨
٩	١٢	الحاء	التّسب	الإحاطة : (مخطوط) ٩٤ / ٣ - آ - الإعلام : ٨٧ / ٨
١٠	١٠	الميم	الحصّ على على الححّ	حفة القادِم : ١٩١ - المقصّد من حفة القادِم : ١٨٥-١٨٦ .
١١	٩	الهمزة	المدح النّوى	فتح الطّيب : ٥٩ / ٧ - ٥١
١٢	٩	الرّاء	، ،	فتح الطّيب . ٥٨ / ٧ - سارج الأدب لغروّح : ٦٥٦-٦٥٧ / ٥
١٣	٩	الرّاء	، ،	فتح الطّيب : ٥١٠-٥١١ / ٧
١٤	٩	التّون	، ،	فتح الطّيب . ٥١٢ / ٧
١٥	٨	الهمزة	، ،	فتح الطّيب : ٥٠٩ / ٧
١٦	٨	الرّاء	السبب	ربامح الرّعى : ١٣٨
١٧	٨	الرّاء	المدح النّوى	فتح الطّيب : ٥١١-٥١٢ / ٧
١٨	٨	التّون	، ،	فتح الطّيب : ٥٨ / ٥

سابع الجدول الأول : حريح أسعار أى رسد الفارارى من مصادرها :

الرقم	عدد الآيات	روى القائمة	العرض	المصدر
١٩	٧	الباء	التسوق إلى المدينه	الدل و التكملة : ٥٦/١
٢٠	٧	السن	الميدح التسوى	فتح الطب . ٥١١/٧
٢١	٧	العس	، ،	فتح الطب : ٥٩/٧
٢٢	٧	الكاف	، ،	فتح الطب . ٥١٠/٧
٢٣	٧	اللام	، ،	فتح الطب: ٥٠٧-٥٠٨ سارج الأدب لفرّوح . ٦٥٦/٥
٢٤	٦	اللام	، ،	فتح الطب : ٥١١/٧
٢٥	٥	السن	فى مدعى الفراءة دون نظر	الإحاطه : ٥٢٢/٣ - الإعلام : ٨٧/٨
٢٦	٥	النون	إحوائه	مخارات من السّعر المعرى و الأندلسى : ١٤٥ .
٢٧	٤	النون	إحوائه	كّاس المقرى، مخطوط، ورقه : ٣٨-٣٩
٢٨	٤	النون	الحكمه	العطاء الحرل (مخطوط) ورقه : ٣٦
٢٩	٣	الراء	إحوائه	الدل و التكملة ٥٥/١
٣٠	٣	السن	السّعاءه	لمح السّحر (مخطوط) ورقه ١٨ .
٣١	٣	الكاف	إحوائه	ربامح الرّعى : ٦٣- الدل و التكملة : ١٠٥/٤
٣٢	٣	النون	احوائه	لمح السّحر (مخطوط) ورقه ٦٨
٣٣	٢	النون	فى علم الحديث	سعه الوعاء . ٩١/٢ - الإعلام ٨٦/٨
٣٤	٢	العاف	التسب	سعه الغادم ١٩٢ - المقصص من سعه الغادم : ١٨٦
				السّحر و السّعر . ١٤٠ .
٣٥	١	الحم	الحكمه	الدل و التكملة ٣٧/١ .

الحدول السّاقى : أسعار أى ريد الفارارى مرّته حسب عدد الأنااب:

عدد الأنااب	عدد التّصوص	مجموع الأنااب
٨٢	١	٨٢
٢٢	١	٢٢
١٩	١	١٩
١٨	١	١٨
١٤	١	١٤
١٣	٢	٢٦
١٢	٢	٢٤
١٠	١	١٠
٩	٤	٣٦
٨	٤	٣٢
٧	٥	٣٥
٦	١	٦
٥	٢	١
٤	٢	٨
٣	٤	١٢
٢	١	٢
١	٢	٢
	٣٥	٣٥٨

سّس الحدول السّاقى أنّ سعر أى ريد الفارارى المجموع لبع (٣٥٨) سبّا، و هذه الأنااب مورّعه على (٣٥) قصده و مقطوعه، منها (٢٣) قصده (١) و (١٢) مقطوعه و إذا أضفنا إلى ذلك مجموع أنااب ديوانه الوسائل المصفّله و العصائد العسرتاب و هي (٨٧) سبّا مورّعه على (٥٨) قصده، و هذا أنّ مجموع سعره لبع (١٢٢٨) سبّا، مورّعه على (٩٣) قصده و مقطوعه، منها (٨١) قصده و (١٢) مقطوعه. و هذا بدّل على عليه العصائد على المقطوعات عليه مطلقه، و فى هذا أبند لما ذكره مرجموه من طول نفسه و ساعرينه.

قوافي أشعار الغازاري مرتبة حسب عدد النصوص

عدد الأبواب	أر فام هـ	عدد النصوص	روى القافيه
١٣٠	١-٧-١٤-١٨-٢٦-٢٧-٢٨-٣٢ ٣٣	٩	النون
٣٧	١٢-١٣-١٦-١٧-٢٩	٥	الراء
٥٥	٢-٥-٨-١٩	٤	الباء
٣١	٤-٢٣-٢٤	٣	اللام
١٥	٢٠-٢٥-٣٠	٣	السين
١٧	١١-١٥	٢	الهمزة
١	٢٢-٣١	٢	الكاف
١٠	١٠	١	الميم
١٢	٩	١	الحاء
١٩	٣	١	الدال
٧	٢١	١	العين
١٣	٦	١	الفاء
١	٣٤	١	القاف
٢	٣٥	١	الحسم
٣٣٦			١٤

اسعمل الساعر في دوائيه الوسائل المفتلة و الفضائد العسرتات جمع حروف الهجاء روتاً، و لا يحى التصنع في هدى الدوائس، في لرومه اسداء كل سب من أساب القصده بحرف الروى.

أما في سعره المجموع فقد اسعمل (١٤) حرفاً من حروف الهجاء روتاً في أسعاره، أى، نصف عددها، و هو عدد لا أس به. و الملاحظ على حروف الروى التى اسعملها أنها من الحروف التى اعاد السعراء الإكثار منها روتاً في أسعارهم، و لاحظ انعادها عن القوافي البقر و الحوس التى نفل استعمالها عادة عند السعراء، فهو من هذه الناحية بقلدي برسم خطأ من سعه من السعراء. و لى حرف النون أولاً من حب عدد النصوص (٩) مرات فالراء (٥)، فالباء (٤) فاللام و السين (٣) ثم الهمزة و الكاف (٢)، فالميم و الحاء و الدال و العين و الفاء و القاف مرة واحدة لكل حرف، و فوائده مطلقه في الإجمال و لا يلحاً إلى القوافي المقده إلا فيما سدر.

أشعار أبي زيد الغارازي حسب أقراضها

العـرـص	عدد التـمـوص	عدد الأبيات
السعر الدنسي	$81 = 23 + 58$	$1062 = 192 + 870$
الأحوال	٦	٣٦
التسبب	٣	٢١
المدح	٢	١٠٤
الوصف	١	٥

ظهر لنا الجدول السابق كسره الفصائد ذات الموضوع الدنسي، فقد بلغ (٨١) قصيده (الدوايان و المجموع)، بلغ عدد أبياتها (١٠٦٢) بيتا، وأبى المدح التوى و الزهد فى مقدمته مومزعاب هذا السعر، و أبى بقته الأعراس فى سعره على اسحاء، فمّه (٦) بصوص فى الإحوالات، و (٣) فى التسبب، و (٢) فى المدح، و واحده فى الوصف، و لا يكسى حكما على سعره صفه القطعه، و إنما هو مرهون بما يوقر لدا منه .

موسى بن عيسى بن المنّاصف *

ت : ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م

أبو عمران ، موسى بن عيسى بن محمد بن أصبع الأزدي ، ولد بالمهدية ،
ونشأ بتونس مع أخيه أبي عبد الله (ت ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م) وأخذ عنه وعن
حلقته من مشايخها ، ولا تذكر المصادر شيئاً عن شبابه .
ولي دار الإشراف بمراكش في عهد الناصر الموحدي إلى أن توفي بمراكش
سنة : ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م ودفن خارج باب فاس .
كان أبو عمران ، أديباً ، كاتباً مجيداً ، شاعراً مكثراً مفلحاً .

آثاره :

ألف أبو عمران بن المنّاصف مجموعة من الأرايح منها :
أرجوزة سمّاها : " ملحقة الأدب في ما اسمك يا أخا العرب " .
وأرجوزة في " قصّة مقتل الحسين " باقتراح من أبي اسحاق إبراهيم بن زكرياء
الدّرعي .
وأرجوزة في " قرعة الفال "

شعره :

جعل ابن سعيد أبا عمران بن المنّاصف أشعر بني المنّاصف وأشهرهم
شعراً (١) وذكر ابن عبد الملك أنّه " وقف على بعض شعره في سفر
ضخم يحتوى على أزيد من خمسة عشر ألف بيت " (٢)

* ترجمته في :

ابن سعيد ، المعرب : ١ / ١٠٧ - ١٠٨

ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة : ٨ / ٣٨٢ - ٣٨٦

ابن إبراهيم ، الإعلام : ٧ / ٢٩٦ - ٢٩٩

بيد أننا لم نقف من هذا الكمّ الكبير إلا على النصوص التالية :

قصيدة بائئة من ثمانية أبيات في بعض ألوان الخيل ، وهي الذيل والتكملة : ٣٨٣/٨

- والإعلام ٢٩٧/ ٧

قصيدة بائئة من سبعة أبيات في جغرافيا وهي في الذيل والتكملة ٣٨٤/٨ ، والإعلام

٢٩٨/ ٧

قصيدة رائئة من اثني عشر بيتاً فيما يُسمّى من الفرس بأسماء الطير وهي في الذيل

والتكملة ٣٨٣ / ٨ - ٣٨٤ والإعلام ٢٩٧/ ٧

بيت مفرد على الرّاء في الغزل ، المغرب ١ / ١٠٨

قصيدة سينية من اثني عشر بيتاً في المحبّات في الذيل والتكملة ٣٨٥ / ٨ ، الإعلام

٢٩٨ - ٢٩٩

بيت مفرد على القاف في الغزل : المغرب ١ / ١٠٨

مقطوعة لامية من أربعة أبيات في تغيير الرسوم في الذيل والتكملة ٣٨٤ / ٨ ،

والإعلام ٢٩٨/ ٧

مقطوعة ميمية في الإلغاز من ثلاثة أبيات وهي في الذيل والتكملة ٣٨٤ / ٨ والإعلام

٢٩٨ / ٧

مقطوعة ميمية من أربعة أبيات في غلام حرّار ، المغرب ١ / ١٠٧

مقطوعة نونية من خمسة أبيات في مطب من آس وصله من محبوبه المغرب ١ / ١٠٧ -

١٠٨

إضافة إلى سبعة أبيات من أروزرة في مقتل الحسين وهي في الذيل والتكملة ٣٨٣

والإعلام ٢٩٦ / ٧ .

أبو الحسن بن القطّـان *

ت : ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م

أبو الحسن عليّ بن محمّد بن عبد الملك بن يحيى بن إبراهيم بن خلصة بن
سمّاحة الحميريّ الكُتاميّ .

ولد بفاس وأخذ علومه الأولى عن مشايخها ، ثم تنقّل في طلب العلم في
مدن المغرب والأندلس فحصل علماً غزيراً عن جلّة من الشيوخ منهم : أبو عبد الله
ابن الفخّار (ت ٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م) وأبو الحسن بن النّقرات (ت بعد ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م)
وأبو ذرّ الخُشنيّ (ت ٦٠٤ هـ / ١٢٠٨ م) وأبو عبد الله التّجيّبيّ (ت ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م)
وغيرهم . ثم سكن مراكش وحدث فيها فأفاد منه كثيرون منهم : أبو بكر بن
محرز (ت ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م) وأبو الحجاج بن لاهية (ت ٦٤٣ و / ١٢٥١ م) وأبو
القاسم عبد الكريم بن عمران (ت ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م) وغيرهم كثير .
تولّى القضاء في غير ما مدينة من مدن المغرب والأندلس ، ونال دنيّاً
عريضة عند بني عبد المؤمن ، ثم مالبت أن اضطربت أحواله إثر الفتنة التي
أصابته البيت الموحد سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م (١) فخرج من مراكش .
توفي وهو يتولّى قضاء سلطاسة سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م . وكان إلى
جانب تبخّره في علوم الحديث - ذا حظّ من الأدب ونظم مقطّعات الشعر .

* ترجمته وشعره في : ابن الأبار ، التكملة رقم ١٩٢٠ - ابن عبد الملك ، الذيل
والتكملة ١٦٥/٨ - ١٩٥ - ابن الرّبير ، صلة الصّلة : ١٣١ - العُدريّ ، الرّحلة : ١٨٩ -
الذهبيّ ، تذكرة الحفاظ ١٤٠٧/٤ - سير أعلام النبلاء ٣٠٦/ ٢٢ - ابن القاضي ، حذوة
الاقتباس : ٤٧٠ - ٤٧١ - التّنبكتي ، نيل الابتهاج ٣١٧ - المقرّي ، نفح الطّيب ١٨٠/٣
حاجي خليفة ، كشف الظّنون : ٢٦٢ - ابن العماد ، شذرات الذهب ١٢٨ / ٥ - البغدادى ،
إيضاح المكنون : ١ / ٥٢ و ٢ / ٦٥٧ - العباس بن إبراهيم ، الإعلام ٧٥ / ٩ - محمّد
مخلوف ، شجرة التّور الزّكية : ١٧٩ - ابن سودة : دليل مؤرّخ المغرب ١٨٤ و ٣٢٤ - ٣٢٥
رضا كحّالة ، معجم المؤلّفين ٧ / ٢١٣ - الزّركلي ، الأعلام : ٤ / ٣٣١ - عبد العزيز بن
عبد الله ، الموسوعة المغربيّة ٢ / ٩٢

(١) هي الفتنة التي حدثت بعد موت خامس خلفاء الموحّدين أبي يعقوب يوسف بن محمّد
الناصر بالمستنصر سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م ، إذ قام نفر من أبنائه أبي يعقوب يوسف على
عمهم أبي محمّد عبد الواحد الذي بويع بعد المستنصر ، يتزعمهم أبو محمّد عبد الله
ابن المنصور وكان والياً على مرسية وانضمّ إليه إخوته ونادى بنفسه وتلقّبوا
بالعادل . وكان السّاعي في هذه الفتنة أبو زيد عبد الرحمن بن موسى بن يوجّان
ابن يحيى الهنتاني منافس بني جامع الذين اتخذوا الوزارة وراثة كما قال ،
وكان بنو يوجّان منافسين لبني حفص ، والبيتان أبناء عم ، فهما جميعاً من
هنتانة ، وتلك الفتنة هي التي قصمت ظهر دولة بني عبد المؤمن وأذنت بزوالها .
انظر ابن الأبار ، الحلة السّيرة : ٢ / ٢٩٣ .

آثاره :

ألف بن الفطّان عددا كبيرا من المؤلفات ، وجُلّها في الحديث وعلومه
ومن أهمّها : "النّزع في القياس" و "نقع الغلل ونفع العلل" و "بيان
الوهم والإيهام الواقعيين على كتاب الأحكام" وهو قيد الطبع في المغرب
و " كتاب في الرّد على أبي محمّد بن حزم في كتاب الحليّ " و " أحكام
الجنان وغيرها " وفهرسة شيوخه " وغيرها (١)

شعره :

وصل إلينا من شعر ابن الفطّان المقطوعات التالية :

لاميّة من أربعة أبيات في وصف نهر ، وهي في الذيل والتكملة ٨ / ١٧٠ والإعلام ٩ / ٨٢
ميميّة من أربعة أبيات في المصحف العثماني وهي في الذيل والتكملة ٨ / ١٧٠ والإعلام ٩ / ٨٢
هائيّة من بيتين في عشار بغلته ، وهي في الذيل والتكملة ٨ / ١٧٠ والإعلام ٩ / ٨٣

محمد بن حمّاد الصّنهاجيّ *

ت ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م

أبو عبد الله (١)، محمد بن عليّ بن أبي بكر بن عيسى بن حمّاد بن حمّاد الصّنهاجيّ القُلُعيّ .

ولد بجمزة من حوز قلعة بني حمّاد ، ونشأ فيها وقرأ على مشايخها علومه الأولى .
رحل في طلب العلم ، فدخل قلعة بني حمّاد ، وبجاية فأخذ فيها عن أبي محمد عبد الحقّ ،
وابن الخراط . وتلمذ بالجزائر على محمد بن علي بن مخلوف الجزائريّ وغيره .
دخل الأندلس فسمع بمرسية من أبي جعفر بن محمد بن عيّاش ، وأبي الحسن بن شكر
وغيرهما ، وبإشبيلية من أبي الحسين بن زرقون (ت ٥٨٦هـ / ١١٩٠م) .

تصدّر للإقراء فأخذ عنه كثيرون منهم: أبو بكر محمد بن غلبون ، وأبو الحسين بن عبد
الله بن عبد الرحمن السّلماسيّ ، وأبو العباس بن فرتون ، وأبو محمد عبد الرحمن
ابن برطلية (٦٦١ هـ / ١٢٦٢م) وغيرهم .

ولي قضاء الجزيرة الخضراء ، ثم قضاء سلا سنة : ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م .
استوطن - بأخرة - مراكش وأقرأ فيها حتى توفي بها سنة : ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠م ، وقد
نيّف على الثّمانين .

كان ابن حمّاد مؤرخاً ، أديباً بارعاً ، قاضياً ، شاعراً ، مشاركاً في علوم الفقهاء
واللغة والحديث .

✽ ترجمته فسي :

ابن الأبار ، التّكملة : ٦٢٧ ، وتحفة القادم : ١٩٣ - ١٩٤ - ابن عبد الملك ، الذّيّل
والتّكملة : ٣٢٣/٨ - ٣٢٥ - البلفيقي ، المقتضب من تحفة القادم : ١٨٧ - الغبريني : عنوان
الدّراية : ١٩٢ - ابن الزّبير ، صلة الصّلة قسم الغرباء : ٥٠٩ - مفاخر البربر : ٥١ - ٦٥
التّجاني ، رحلة التّجاني : ١١٦ - ١١٧ - الصّفي ، الوافي بالوفيات : ١٥٧/٤ - ابن قنفذ ،
الوفيات : ٣١١ - السّراج ، الحل السّنديّة : ٣٥٤ - ٣٥٥ - ابن إبراهيم ، الإعلام : ١٨٧/٤ - ١٨٩
ابن سودة ، دليل مؤرخ المغرب : ١٧٦ - البُستاني ، دائرة المعارف : ٤٧٣/١ - الزّركلي ،
الإعلام : ٢٨٠/٦ - عبد العزيز بن عبد الله : ٨٩/١ - نويهض : معجم أعلام الجزائر :
١٩٧ - محمد الطّمّار : تاريخ الأدب الجزائري : ٧٥ - ٧٧ .

(١) في التّكملة لابن الأبار : ٦٢٧ : أبو عبيد الله .

(٢) وفاته عند ابن عبد الملك وابن إبراهيم سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣٢م ، وعند ابن الأبار في تحفة
القادم : ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩م ، وعند ابن الزّبير في صلة الصّلة : في عشر الأربعين وست مئة .

آثاره :

خلف ابن حمّاد مصنفات كثيرة متنوّعة منها :

- ١- أخبار ملوك بني عبّيد وسيرتهم ، وهو مطبوع .
 - ٢- الإعلام بفوائد الأحكام لعبد الحقّ الإشبيليّ .
 - ٣- برنامج شيوخه .
 - ٤- تلخيص تاريخ الطّبري .
 - ٥- الديباجة في أخبار صنهاجة .
 - ٦- شرح الأربعين حديثاً .
 - ٧- شرح قصيدة عمر بن أبي ربيعة .
 - ٨- شرح مقصورة ابن دريد .
 - ٩- بحالة المودع ، وعلالة المشيخ ، وهو ديوان شعره ونظمه وهو مفقود .
- شعره :

ذكر ابن الأثير أنّ لابن حمّاد ديوان شعر ، غير أنّنا لم نقف عليه ، ويبيّن أنّ الشاعر كان غزير النّظم . وما وصل إلينا من شعره ينمّ على شاعرية جيدة ، وقد وقفت له على النّصوص التّالية :

قصيدة دالية من أحد عشر بيتاً في شكر صديق على إجازة بعثها إليه ، وهي في الذّيل والتّكملة : ٣٢٥/٨ والإعلام : ١٨٨/٤ - ١٨٩ - وتاريخ الأدب الجزائريّ : ٧٥ .

مقطوعة رائية من ستّة أبيات في تفضيل قلعة بني حمّاد على الخورنق والسّدر ، وهي في رحلة التّجانيّ : ١١٧ والحلّ السّندسيّة : ٣٥٤/١ - ٣٥٥ - وتاريخ الأدب الجزائريّ : ٧٧ .

مقطوعة قافية من ستّة أبيات في التّهنئة باسترحاع إفريقية من بني غانية ، وهي في تحفة القادم : ١٩٣ - ١٩٤ - والوافي بالوفيات : ١٥٨/٤ - ونقلها ابن شريفة في الحاشية رقم ٢ في الذيل والتكملة : ١٧٣/٨ .

مقطوعة كافية من ثلاثة أبيات في الفراق ، وهي في تحفة القادم : ١٩٣ . والوافي بالوفيات : ١٥٧/٤ - ١٥٨ .

مقطوعة لامية من ثلاثة أبيات في وصف المنار وهي في رحلة التّجانيّ : ١١٦ والحلّ السّندسيّة : ٣٥٤/١ .

قصيدة لامية من سبعة أبيات في وصف طبيعة قلعة بني حمّاد ، وهي في رحلة التّجانيّ : والحلّ السّندسيّة : ٣٥٤/١ - وتاريخ الأدب الجزائريّ : ٧٦ .

إدريس المأمون *

٥٨١ هـ - ٦٢٩ هـ / ١١٨٥م - ١٢٣١م

أبو العلاء ، إدريس بن يعقوب بن يوسف عبد المؤمن بن عليّ ، الملقّب بالمأمون ، ولد بمراكش سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م ، وتلقّى تعلّمه على خيرة الشيوخ .
كان واليا على إشبيلية زمن أخيه العادل ، وبعد خنق أخيه المذكور ببيع له بالخلافة في إشبيلية سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م .

تخوّف منه الموحدون لما عرف عنه من بطش وفتك ، فعدّلوا عن بيعته إلى ابن عمّه يحيى بن الناصر ، فاستعان بالفرنج للاستيلاء على الحكم ، ودخل مراكش سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧م وطلب شيوخ الموحدين الذين نكثوا بيعته فقتلهم وعلّق رؤوسهم على أسوار المدينة وأشجارها .

أزال اسم المهدي من السكّة ، وتبرّأ منه ولعنه في خطبته ، وقد كثرت الثورات والفتن في أيامه ، ولم يستقرّ له حكم ، وكانت وفاته سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م ^(١) وهو قافل من حصار سبتة .

كان المترجم له أديباً شاعراً ، مطلعاً على علوم الفقه والحديث .

شعره :

أجمع مترجمو المأمون على أنّه كان ذا حظّ من نظم الشعر والأدب ، بيد أنّه لم

يصل إلينا من شعره سوى :

بيتين همزيّين قالهما عندما قتل جنده ابن أخته ، وهما في الوافي بالوفيات ٣٢٣/٨
بيتين بائيّين قالهما عندما بلغه قول الناس عنه " هذا حجاج المغرب " وهما في الوافي بالوفيات ٣٢٣/٨ .

مقطوعة رائيّة من خمسة أبيات قالها في الذين نقضوا بيعته و قتلهم عن آخرهم ، وهي منبّة في جلّ المصادر التي ترجمت له مثل البيان المغرب ٢٨٥ و الذيل و التكملة ١٩٤/٨ - وروس القرطاس ٢٥٢ والإحاطة ٤١٦/١ و الحلل الموشية ١١٦ والاستقصا ٢٣٩ والإعلام ١٠/٣ .
في نسخة الرواد ٢٧٥ .

* ترجمته وشعره في : ابن عذاري ، البيان المغرب (قسم الموحدين) ٢٨٥ - ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة ١٩٤/٨ - ابن أبي زرع ، روض القرطاس ٢٤٩ - ٢٥٤ - الصفدي ، الوافي بالوفيات ٣٢٠/٨ - ٣٢٣ - ابن الخطيب ، الإحاطة ٤١٦/١ - ابن خلدون ، العبر ٣٤٠/٦ - مجهول ، الحلل الموشية ١٦٣ - ١٦٦ - الناصري ، الاستقصا ٢٣٦/٢ - ٢٤١ ، العباس بن إبراهيم ، الإعلام ٥/٣ وما بعد .

(١) حدد الصفدي وفاته في الوافي بالوفيات سنة ٦٣٠ هـ / ١٦٣٢ م

أبو العباس التّخمي *

ب ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م

أبو العباس، أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد التّخمي،
عُرف باسم أبي عُرفه، ولد سنة ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م وعلم على مسابحها، وُنقل في
مدن الأندلس والعُدوة طلباً للعلم. فأخذ عن حلقه من السّوح أمال أبي
عبد الله التّحيمي (ب ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م)، وأبي القاسم بن خُتس (ت ٥٨٤ هـ /
١١٨٨ م) وأبي القاسم السّهلي (ب ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م) وأبي القاسم بن
سكّوال (ب ٥٧٨ هـ / ١١٨٣ م) وعبرهم. كما أثاره جماعه من أهل المشرق (١)
صدر للتّدرّس في بلده سنة حتى وفاته سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م.

كان أبو العباس التّخمي فقيها محدثاً له اطلاع على علوم العربيّة،
وله حظ من السّعر.

سعره :

أورد له الرّعي في برامجه : ٤٧ ، معطوعه فافه من لانه أسباب
في مدح رجال الحديث.

* برحمه في الرّعي، برامح شوجه ٤٢ - ٤٧ - التّسكي، كفايه المحياح
مخطوط المكيه الوطنيّه بوس رقم ١٤٨٩٧ ورقه ٥ / ب.

(١) انظر برامح الرّعي ٤٣ ، وكفايه المحياح ورقه ٥ / ب .

ابن دحية الكلبي *

٥٥٤٤ - ٦٣٣ هـ / ١١٤٩ م - ١٢٣٥ م

أبو الخطاب، عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن الجُمَيل بن دحية الكلبي . ولد بسبته حوالي سنة (١١٤٩/٥٥٤٤ م) وأخذ العلم عن شيوخها ، ثم دخل الأندلس ولقي جلّة من علمائها وأخذ عنهم ، أمثال : أبي القاسم بن شكوال (ت ١١٨٣/٥٥٧٨ م) وأبي القاسم بن حُبَيْش (ت ١١٨٨/٥٥٨٤ م) . وأبي الرّبيع الكُلاعي (ت ١١٣٦/٥٦٣٤ م) وغيرهم . ولي القضاء في بعض مدن الأندلس ثم رحل إلى إفريقية ، واستوطن بجاية حيث تصدّر للإقراء فيها ، ثم انتقل إلى مصر والشّام والعراق فلقي عدداً من الشّيوخ وسمع منهم .

استقر بأخرة في مصر وتولى مشيخة المدرسة الكاملية ، ثم عزل عنها ، وتوفي بمصر سنة ٦٣٣/١٢٣٥ م^(١) ودفن بسفح المُقَطَّم .
كان أبو الخطاب فقيهاً ، محدّثاً ، نحوياً ، عالماً باللغة والأدب والتّاريخ ، وله شعر ، إلا أنّ إكثاره من الوفيعة في العلماء غَضّ من منزلته ، وجعله غرضاً لهجاء الشّاعر ابن عُنين (ت ٦٣٠/١٢٣٢ م) .
آثاره :

خلف ابن دحية مجموعة كبيرة من المؤلّفات المتنوّعة^(٢) ، ومن أشهرها : " المطرب من أشعار أهل المغرب " ، وهو مطبوع ، و " النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس " مطبوع ، و " الآيات البينات " مخطوط توجد منه نسخة بالحزائر رقمها ١٦٧٩ - و " نهاية السؤل في خصائص الرّسول " مخطوط منه نسخة بدار الكتب المصرية رقمها ٦١٢ حديث ، و " التنوير في مولد السّراج المنير " مخطوط منه نسخان في المكتبة الوطنية بباريس أرقامهما ١٤١٦ - ٣١١٤ . وغيرها .

* انظر ترجمته وشعره في :

ابن الأبار، التكملة رقم: ١٨٣٢ - ابن خَلِّكان ، وفيات الأعيان : ٤٤٨/٣ - ٤٥٠ - ابن عبد الملك، الذّيل والتكملة : ٢١٩/٨ - ٢٢٠ - العريني، عنوان الدّرابة : ٢٢٨ - ٢٣٨ - الذّهبي، ميزان الاعتدال : ١٨٦/٣ - سير أعلام النبلاء : ٣٨٩/٢٢ - ٣٩٥ - ذكره الحفّاظ : ١٤٠/٤ - ١٤٢ - ابن كثير، البداية والنهاية : ١٥٥/١٣ - ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان : ٢٩٢/٤ - ابن تغري بردي، النّجوم الزّاهرة : ٢٩٥/٦ - ٢٩٦ - السّيوطي، حسن المحاضرة : ٣٥٥/١ - المَقْرِي، نفع الطّبيب : ٦٦/٢ و ٩٩ - ابن العماد الحنيلي، شذرات الذّهب : ١٦٠/٥ - عبد العزيز بن عبد الله، الموسوعة المغربيّة : ٦٣/١ - عبد الله كنّون، النّبوغ المغربيّ : ١٥٣ - ١٥٤ - الزّركلي، الأعلام : ٤٤/٥ - المطرب : مقدمته - النبراس ، مقدمته أيضا .

(١) - وهم ابن خَلِّكان فحعلها سنة ٥٤٦/١١٥١ م .

(٢) - انظرها مفصّلة في مقدمة كتاب المطرب .

شعره :

كان أبو الخطّاب بن دحيّة ذا حظّ صالح من قرض الشعر ، وقد وقفت له على النصوص التالية :

قصيدة تائيّة من تسعة أبيات في التّشوّق للمدينة المنوّرة وهي في الذّل والنّكلمة
٢٢٠ / ٨

قصيدة داليّة من أحد عشر بيتاً في إهداء كتاب المطرب للسلطان الأيوبيّ ، وهي
في المطرب ٢٤٢ - ٢٤٣ •
مقطوعة رائيّة من أربعة أبيات في الوعظ ، وهي في الذّل و التّكلمة : ٢٢٠ / ٨ •••••

بيتين على السّنب في حرج الرّواة وتعديلها ، نسبهما ابن عبد الملك له في
الذّل والتّكلمة ٢١٩ / ٨ • في حين نسبهما بعض المؤلّفين إلى غيره ، انظر
أزهار الرّياض ٢/ ٥٤٣ ، ولسان الميزان ٢ / ٤٤٧ ، ونفح الطّيب ٣ / ٦٦

قصيدة عينيّة من ستّة وأربعين بيتاً في مدح السلطان الكامل بن أبوب ، وهي
مثبتة في عنوان الدّراية ٢٣٤ - ٢٣٨ ، ونفح الطّيب ٢ / ١٠١ - ١٠٣
قصيدة ميميّة من خمسة وأربعين بيتاً في مدح السلطان المذكور أيضاً ، وهي
في عنوان الدّراية ٢٣١ - ٢٣٤ ، نفح الطّيب ٢ / ١٠٠ - ١٠١ ومقدّمة كتاب
المطرب •

بيتين من قصيدة ميميّة في وفيات الأعيان ٣ / ٢١٢ و ٣ / ٤٥٠ وهما
من قصيدة ختم بها كتاب التّنوير في مولد السّراج المُنير •

على بن محمد الحرّالي *

ت ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م

أبو الحسن، عليّ بن محمد بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحرّالي (١) المراكسي، ولد بمراكش و تلقى علومه على يد حلقه من مشايخها أمثال ابن خروف (ت ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م) و ابن الحجاج بن نمويّ (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) و غيرهم، و كتب للمصور الموحدي و حطى عنده، ثم اتّخذ الرّهد طريقا فانصرف عن سهرج الدّنيا، و ساج في الأرض فنوحه الى المسرو و حطّ رحاله بحماة في وسط سوريا، و فعد للإفراء فيها فأفاد منه كبشرون إلى أن توفيّ سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م (٢)، و كان عالما بالتفسير و الفقه، و له حطّ من الأدب و نظم السّعر الصّوفيّ.

آثاره :

خلف الحرّالي مجموعة من المؤلّفات أهمّها : " مفتاح الباب المفعّل على فهم القرآن المنزل " في التفسير، و " بالمعقولات الأوّل " في المصطفى، و " الوافي " فـ في الفرائض، و غيرها (٣). قال الغبري عنّه : (٤) " و له السّعر الفائق غزلا و تصوفاً ". و قد وقف له على الأسعار التّالفة في التّصوف :

- مقطوعة همزبّه من خمسة أبيات أوردها ابن الطّوّاح في سكّ المقال، ورقة ٦٢
- مقطوعة ميمّة من ثلاثه أبيات منبّة في سكّ المقال، ورقة ٦٣ .
- قصيدة ميمّة من عشره أبيات أوردها العبريني في عنوان الدّراية : ١٥٦-١٥٧ .
- مقطوعة نونيّة من ستة أبيات مثبتة في عنوان الدّراية ١٥٦ - و فوانين حكم الإشراف ٥٦ .
- قصيدة نونيّة من ثمانية أبيات مثبتة في سكّ المقال ورقة ٦٢-٦٣

*

ترجمته و شعره في : اس الآثار، النكلمة رقم ١٩٢١ -

- الغبرني، عنوان الدّراية : ١٤٥-١٥٧ الدهى، سر أعلام النبلاء : ٢٣/٤٧ -
- و العمر : ١٥٧/٥ و ميزان الاعتدال : ١١٤/٣ - اس فضل الله العمري، مسالك الأنصار (مجموعه سزكن) : ٨/٢٢٨-٢٢٧ اس الطّوّاح، سكّ المقال و فك العقال، مخطوط الخراة العامة بالرباط، ورقة : ٥٦-٦٦ - اس ححر العسقلاني، لسان المبراس : ٤/٢٠٤ - ابن نعري بردي، النجوم الرّاهرة : ٦/٣١٧ - الداودي طبقات المفسّرين : ١/٣٨٦-٣٨٧ - النّسكني، نيل الانتهاج : ٣١٨-٣٢٠ - محمّد أبو المواهب، فوانين حكم الإشراف ٥٦-٥٧ - المقرئ، نفح الطّيب : ٢/١٨٧-١٩٠ .
- ابن العماد، شذرات الذهب : ١٨٩/٥ - العباس بن إبراهيم، الإعلام : ٩/١٠١-١١١ .
- الزركلي، الإعلام : ٤/٢٥٦ - رضا كحّالة، معجم المؤلّفين : ٧/١٣ .

- (١) - وردت في ميزان الاعتدال و لسان الميزان و شذرات الذهب : (الحرّالي) بالنون.
- (٢) - حدد ابن الطّوّاح وفاته سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م .
- (٣) - انظر مؤلفاته في عنوان الدّراية : ١٤٦-١٤٧ .
- (٤) - عنوان الدّراية : ١٤٨ .

ميمون بن خبازة *

٥٧٠ هـ - ٦٣٧ هـ / ١١٧٥ م - ١٢٣٩ م

أبو عمرو (١) ميمون بن علي بن عبد الخالق الصنهاجي ، ثم الخطابي المعروف بابن خبازة (٢) .

مولده بفاس سنة : ٥٧٠ هـ / ١١٧٥ م ، ونشأته فيها ، وثمة أخذ علومه الأولى عن ثلثة من مشايخها ، انتقل إلى الأندلس فأخذ مجموعة من الشيوخ منهم عبد العزيز بن علي بن ريدان (١٢٢٦هـ/١٢٢٦م) وأبو محمد عبد الله بن الحسن بن القُرطبي (ت ٦١١ هـ / ١٢١٤ م) وأبو الحجاج بن الشيخ . وروى عنه أبو عبد الله بن أحمد الرندي ، وابن عبد المنعم اللواني ، وأبو القاسم بن عمران (ت ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م) وغيرهم (٣) .

كانت له مشاركة في كثير من العلوم كالفقه والحديث ، كما أنه تنسك وتصفو وقتاً .
 صحب المأمون الموحدي في رحلته من إشبيلية إلى مراكش للاستيلاء على السلطة سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م . وكان ابن خبازة محتسباً للطعام فيها . اختص بأبي العلاء إدريس ابن المنصور (المأمون) ومدحه بقصائد كثيرة ، " فكان يأتي في ذلك بما لم يسمع مثله ، ولا يطمع في لحاقه ، سرعة أرجال ، وحسن افتنان " (٤) ، تولى بأخره حبة السوق في مراكش وتوفي سنة : ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م .
 كان ابن خبازة فقيها محدثاً ، شاعراً مقتدراً ، متفنناً .

* ترجمته وشعره في :

اس الأبار ، تحفة القادم : ٢٤٥ - ابن سعيد : رباب المبرزين : ٧٢ - ٧٣
 ابن عبد الملك الذيل والتكملة : ٣٨٨ / ٨ - ٤٠٤ ابن رُشيد ، الرحلة / محطسوط
 الاسكوريال ٦١ / ٦ ب مفاخر الربيع ٦٥ - ٦٧ - ابن القاضي : حذوة الافتباس :
 ٣٤٨ - ٣٥٧ - المقرئ : أزهار الرياض ٢ / ٣٧٨ - ٣٩٢ - العباس بن إبراهيم :
 الإعلام : ٣١٣ / ٧ - ٣٣١ - عبد الله كنون : ذكريات المشاهير : عدد : ٧ والنَّبوغ المغربي :
 ١٠٧ - ٨٥٨ - ٨٦٨ - ٩٢٩ - ٩٣٣ - محمد المنوني : العلوم والآداب : ١٧٦ - ١٧٧ - ٢١٠
 ٢١١ - ٢١٧ - ٢٢٠ - ٢٢٦ - ٢٣٤ - عمر فروخ تاريخ الأدب العربي : ٥ / ٧١٤ - ٧١٥ -
 محمد بن تاويت ورفيقه ، الأدب المغربي : ١٩٩ - ٢٠٦ - والوافي : ١ / ٣٢٢ محلة
 رسالة المغرب سنة ١٩٤٧ العدد (٤) ، عبد العزيز بن عبد الله الموسوعة المغربية

٨٥ / ١

- (١) في تحفة القادم : ٢٤٥ ، أبو سعيد بن خبازة ، وذكر ابن رُشيد في رحلته : الجزء ٦ الورقة ٦١ ب أن لابن خبازة كنيتهما : أبو عمرو وأبو سعيد
 (٢) نسبة إلى خاله الشاعر المشهور بابن خبازة ، الذي كان ملازماً له . (رحلة ابن رُشيد ٦١ / ب)
 (٣) ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة : ٣٨٨ / ٨ - ٣٨٩ (٤) ابن رُشيد ، الرحلة : ٦١ / ب

الجدول الأول : تخريج أشعار ابن خبّازة من مصادرها .

الرقم	عدد الأبيات	روية القافية	الفرص	المصدر
	١٥٠	الياء	المديح النبوى	الذيل والتكملة : ٣٩٥/٨ - ٤٠٠ - جذوة الاقتباس : ٣٤٨-٣٥٤ أزهار الرياض : ٣٨٤/٢ - الإعلام : ٣٢٠/٧ - النبوغ المغربي : ٨٥٨ - ٨٦٨ - ذكريات : ١٨-٢٦ - الأدب المغربي : ٢٠١ - الوافي بالأدب العربي : ٣٢٥/١ - ٣٢٧ - العلوم والآداب : ٢١٢ - تاريخ الأدب لفروخ : ٧١٤/٥ - ٧١٥ .
	٧٤	اللام	مدح المأمون	الذيل والتكملة : ٣٨٩/٨ - الإعلام : ٣١٤/٧ - ٣١٧ .
	٧٠	الراء	الرشاء	الذيل والتكملة : ٣٩٢/٨ - ٣٩٤ - رحلة ابن رُشيد /مخطوط/ ٦١/٦ - جذوة الاقتباس : ٣٥٤ - ٣٥٦ - أزهار الرياض : ٣٨٠/٢ - ٣٨٢ - الإعلام : ٣١٧/٧ - ٣٢٠ - النبوغ : ٩٢٩ - ٩٣٣ - ذكريات : ٢٦ - ٣٠ - العلوم والآداب : ٢١٧ - ٢٢٠ - الوافي ٣٢٣/١ - ٣٢٤ .
	١٤	اللام	النسيب	جذوة الاقتباس : ٣٥٧ - أزهار الرياض : ٣٨٣/٢ - الإعلام : ٣٣١/٧ - ذكريات : ٣١/٧ - ٣٢ - العلوم والآداب : ٢٢٦-٢٢٧ الوافي : ٣٢٣/١ - ٣٢٤ .
	٧	الباء	الهجاء	تحفة القمام : ٢٤٥ .
	٣	الباء	سقوط القبة الحمراء	رايات المبرزين : ٧٣ - رحلة ابن رُشيد : ٦١/٦ - أزهار الرياض : ٣٨٣/٢ - ذكريات : ٣٠/٧ - العلوم والآداب : ٢٣٤ - الأدب المغربي : ٢٠٠ - الوافي : ٣٢٣/١ .
	٢	اللام	هجاء المهدي	جذوة الاقتباس : ٣٤٨ - أزهار الرياض : ٣٧٩/٢ - الإعلام : ٣٣١/٧ النبوغ : ٩١٢ - ذكريات : ٣٠/٧ - العلوم والآداب : ٢٣٤ - الأدب المغربي ١٩٩ - الوافي : ٣٢٣/١ .
	١	الراء	في ملك قصر عمره وحسنت أفعاله	رايات المبرزين : ٧٣ - ذكريات المشاهير : ٣١/٧

شعره :

كان ابن خبّازة شاعراً " مطوعاً من أكر أعاييب الدهر في سرعة البديهة ، ناظماً أو ناثراً ، مع الإجادة التي لا يجارى فيها ، والتفنن في أساليب الكلام معربه وهزله ... " (١)

وذكر مترحموه أنه كان شاعرا مكثرا ، فقد بلغت مدائحه في أبي العلاء إدريس بن المنصور ثلاثه مجلدات ضخمة (٢) ، وحاء في رحلة ابن رُشيد قوله : " إن شعره ونثره كانا مجموعين " (٣) ، غير أننا لم ننف عليهما . وقد جمعت ما استطعت من شعره ورتبته وفق الجدول التالي :

عدد الأبيات	عدد النصوص	محموع الأبيات	البحر	القافية	القصص
١٥٠	١	١٥٠	الطويل	الياء	المديح النبوي
٧٤	١	٧٤	البسيط	اللام	الممدح
٧٠	١	٧٠	البسيط	الراء	الرثاء
١٤	١	١٤	الكامل	الكامل	النسب
٧	١	٧	الطويل	الاء	الهجاء
٣	١	٣	المسبط	الاء	سقوط الفقة
					الحمراء
٢	١	٢	الكامل	اللام	الهجاء
١	١	١	البسيط	الراء	في ملك فصر عمره وحسنت أفعاله
٣٢١	٨	٣٢١	٣ بحور	٤ قواف	

(١) ابن رُشيد : الرحلة ، مخطوط ٦ / ٦١ س .

(٢) ابن عبد الملك : الذيل والتكملة : ٨ / ٣٨٩ .

(٣) ابن رُشيد : الرحلة : ٦ / ٦١ س .

ملاحظات حول شعر ابن خبّازة

١- من حيث الطّول :

بوضح الجدول السابق أنّ عدد النّصوص التي وقفنا عليها بلغ (٨) نصوص ، مجموع أبيانها (٣٢١) بيتا . منها ٥ قصائد و ٣ مقطوعات وإذا أعمنا النّظر في أبيات قصائده وجدنا أنّ الشّاعر شاعر مطولات ، فقصيدته النّبويّة بلغت ١٥٠ بيتا ، بينما بلغت قصيدته المدحبة ٧٤ بيتا ، وقصيدة الرّثاء ٧٠ بيتا مما يدلّ على طول نفسه الشعريّ ، وهذا ما ذكره مترجموه (١) .

٢- من حيث البحور :

استعمل ابن خبّازة ثلاثة بحور هي البسط ($\frac{4}{8}$) أي نصف عدد النّصوص يليه الطّويل والكامل ($\frac{2}{8}$) أي ربع عدد النّصوص لكل بحر ، وهذه البحور اصطلاح على تسميتها البحور الرّصينة ، وهو بهذا لابفارق ما اشتهر عن الشعراء العرب إلّا في تقدّم البسيط على الطّويل .

٣- من حيث القوافي :

الملاحظ أنّ ابن خبّازة استخدم (٤) حروف رويّاً ، ثلاثة منها من الحروف الكثيرة الشّبوع هي الرّاء (٢) والباء (٢) واللام (٢) ، أما الحرف الرّابع وهو الباء فهو من الحروف المنوسطة الشّيع ، وقد استخدمه الشّاعر في أطول قصائده وهي القصيدة النّبويّة ، ولعلّ إطلاق الألف ساعده على امتداد نفسه كل هذا الامتداد ، وهذه القوافي من القوافي الدّئل ، وهي قواف مطلقّة .

٤ - من حيث الأغراض :

يتّضح من الجدول السابق أنّ ابن خبّازة قد طرق فيما حصلناه من شعره أهم أغراض الشعر العربيّ من مدح ، ورثاء ، وهجاء ، ونسيب ، ووصف ويأتي المدح في المرتبة الأولى من حيث عدد الأبيات : ٢٢٤ بيتا ، فالرّثاء ٧٠ بيتا ، فالشّاعر من الشعراء التقليديّين من حيث استعماله للبحور والقوافي والأغراض .

(١) اسرُشيد : الرّحلة (مخطوط) ٦ / ٦١ ب وابن عبد الملك ، الذّيل والتّكملة :

محمّد بن عبد الله بن دادوش *

٥٦٩ هـ - ٦٣٩ هـ / ١١٧٣م - ١٢٤١م

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الوهاب بن يوسف ابن محمد بن دادوش اليفرنى .

ولد بفاس سنة : ٥٦٩ هـ / ١١٧٣م وتلمذ على شيوخها .

أخذ عن القاضي الأدب أبي محمد التادلى (٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م) والكاتب أبي العباس بن السّعود القرطبي ، وروى عن أبي العباس الجراوي الشاعر (ت ٦٠٩ هـ / ١٢١٢م) .
روى عنه مجموعة من الشيوخ منهم أبو الحسن الرّعيني (ت ٦٦٦ هـ / ١٢٦٧م) ، وأبو عبد الله بن المواق (ت ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤م) .

امتحن بأسر العدو الرّومي في البحر ، ثم افتدي وأطلق سراحه .

استقضى في غير ما مدينة فشكرت سيرته واتّسم بالعدالة والنّزاهة .

توفي بسبّعة سنة : ٦٣٩ هـ / ١٢٤١م .

كان ابن دادوش فقيهاً حافظاً ، ذاكراً للأدب والتّواريخ ، حسن المحاضرة له حظّ من قرض الشعر .

شعره :

توفر لدينا من شعره المقطوعات التالية :

مقصورة من ثلاثة أبيات في وصف دولاب ، وهي في برنامج الرّعيني : ٢٠٥ والذّبـــــــــــــــــل

والتكلمة : ٣١٠/٨ .

ميمية من أربعة أبيات في ابن قاسم حين ورد على المنصور الموحّدي وصادف ذلك وفاته .

وهي مثبتة في البيان المغرب لابن عذاري : ٢٢٩ .

هائية من بيتين في استنجاز وعد من أبي الحسن الرّعيني وهي في برنامج الرّعيني :

٢٠٥ والذّيل والتكلمة لابن عبد الملك : ٣١٠/٨ .

* ترجمته في :

أبي الحسن الرّعيني ، برنامج شيوخ الرّعيني : ٢٠٣ - ٢٠٥ .

ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحّدين : ٢٢٩ .

ابن عبد الملك ، الذّيل والتكلمة : ٣٠٩/٨ - ٣١٠ .

ابن الرّبير ، صلة الصّلة ، قسم الغرباء : ٥٠٩ .

يونس بن يوسف الجُذامي *

ت ٦٤١ هـ / ١٢٤٣ م

أبو سهل ، وأبو الوليد بن طربية ، يونس بن يوسف بن يوسف بن سليمان
ابن محمّد بن محمود بن أيوب الجُذامي . من أهل قصر عبد الكريم .
سمع من نخبة من المشايخ في المغرب والأندلس منهم : أبو القاسم الملاحي ،
وأبو بكر بن الجدّ (٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م) وأبو عبد الله بن الفخّار (٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م) .
دخل الأندلس وأقرأ فيها ، وسكن تونس وقتاً واستقضى بطرابلس زمناً ، ثم انتقل
إلى مصر حوالي سنة : ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م وحظي فيها .
خلف أبا الخطاب بن دحية الكلبي بعد وفاته بالمدرسة الكامليّة
بالقاهرة ، إلى أن توفي سنة ٦٤١ هـ / ١٢٤٣ م ودفن فيها .

شعره :

قال ابن عبد الملك : " وقفت من نظمته على مسمّطات قصائد حسان بن ثابت
رضي الله عنه في تأبين رسول الله صلى الله عليه وسلم - الثابتة آخر ما هذبه
ابن هشام من السيرة التي جمعها ابن إسحاق " (١) .
وقد وقفت له على تسميط إحدى القصائد الحسانية المشار إليها التي
مطلعها :
(من السيط)

أَلَيْتُ مَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ مُجْتَهِدًا مِنِّْي أَلِيَّةٌ بَرٌّ غَيْرِ إِفْنَادِ

وهي في ثلاثين بيتاً أثبتها ابن عبد الملك في الذيل والتكملة :

٨ / ٤٧٥ - ٤٧٦ .

* ترجمته في :

- ابن الأثير ، التكملة ، ترجمة رقم ٢١٠٤ .
- ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة ٨ / ٤٧٣ - ٤٧٦ .
- ابن الزبير ، طة الطة : ٢٧٤ .

(١) الذيل والتكملة : ٨ / ٤٧٤ .

عبد الكريم بن عمران *

ت ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م

أبو القاسم ، عبد الكريم بن عمران القَصْرِيّ

- ولد بالقصر الكبير^(١) ونشأ بها آخذاً العلم عن مشايخها .
 - لاتذكر المصادر أسماء مشايخه ، ولاتوضح شيئاً عن شبابه .
 - كان من أخص أصحاب أبي الحسن الشَّارِي (ت ٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م)
 - تولى القضاء في غبرما مدينة ، منها القصر الكبير ، لده .
 - توفي بمراكش سنة : ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م وهو يتولى قضاءها .
 - كان ابن عمران أديبا ، فقيها ، قاضيا ، ذا حظ من الشعر .
- شعره :

وقفت له على النصوص التالية :

- مقطوعة رائية من ثلاثة أبيات في المناجاة وهي في نفح الطيب : ٦٤٢/٢ .
- مقطوعة فائية من خمسة أبيات في مخاطبة ابن العابد الفاسي ، وهي مثبتة في الذيل والتكملة : ٣٣٣/٨ - والإعلام : ٢٤٣/٨ .
- قصيدة نونية من عشرة أبيات في تهنئة أبي الحسن الشَّارِي على إنشاءه مكتبة ، ووقفها على طلبة العلم ، وهي في الذيل والتكملة : ١٩٧/٨ - ١٩٨ .
- وقد نسب الدكتور محمد بن شريفه خطأ مقطوعة فائية من أربعة أبيات أوردها ابن عبد الملك في الذيل والتكملة : ٣٨٥/٨ ، إلى عبد الكريم بن عمران ، وهي لأبي الربيع بن غالب (نرجمته في الذيل والتكملة : ٥٧/٤) . انظر فهرسة الشعر : ٦٤٣/٨ .

* ترجمته في :

- ١- ابن الأثير ، التكملة ، ترجمة رقم ٢١٨٤ ، الملحق .
- ٢- الرَّعِينِي ، برنامج شيوخ الرَّعِينِي : ٧٦ .
- ٣- ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة : ١٩٧/٨ و ٣٣٣ .
- ٤- المقرئ ، نفح الطيب : ٦٤٢/٢ .
- ٥- المنوني ، العلوم والآداب : ١٧٨ .
- ٦- عبد العزيز عبد الله ، الموسوعة المغربية : ٦٨/٢ .

(١) - مدينة على ساحل المغرب ، قرب سبتة ، ياقوت : ٣٦٠/٤ .

عبد الواحد المراكشي *

٥٨١ هـ - ٦٤٧ هـ / ١١٨٥ م - ١٢٥٠ م

أبو محمد ، عبد الواحد بن علي التميمي ، محبي الدين ، ولد بمراكش

سنة : ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م .

انتقل إلى فاس وهو ابن سبعة أعوام وأخذ العلم عن مشايخها .

أخذ في مراكش عن أبي بكر بن زهر (ت ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م) .

رحل إلى الأندلس سنة : ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م ولزم أبا جعفر الحميري الذي كان

آخر من انتهى إليه علم الآداب بالأندلس .

حظي بمكانة اجتماعية مرموقة ، إذ كان حلياً للأمرأ : أبي

إسحاق بن يعقوب المنصور والي إشبيلية لأخيه الناصر ، ويحيى بن يوسف بن

عبد المؤمن أخي الخليفة يعقوب المنصور .

بدأ رحلة طويلة إلى المشرق في سنة ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م فزار تونس

ومصر ، والحجاز ، إلى أن وحدناه سنة : ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ ، ببغداد في خدمة

أحد وزراء الخليفة العباسي الناصر لدين الله ، وله ألف كتابه " المعجب "

توفي سنة : ٦٤٧ هـ / ١٢٥٠ م

كان عبد الواحد المراكشي : أدبياً ، مؤرخاً ، ذا حظ من الشعر

آثاره :

له كتاب " المعجب في تلخيص أخبار المغرب " الذي ألفه لوزير من

خاصة الخليفة الناصر العباسي ، وهو مطبوع .

شعره :

نُعت كتاب المعجب المصدر الوحيد - لحد الآن - لشعر عبد الواحد

المراكشي وفيه : مقطوعة بائية من ببتين في الغزل بالمذكر أوردها في

المعجب ٣٠٣ وقصيدة ميمية من ثمانية أبيات في مدح إبراهيم بن يعقوب ،

وذكر ولايته لإشبيلية . وهي مثبتة في المعجب : ٣٠٨ - ٣٠٩

* انظر ترجمته في ، حاجي خليفة ، كشف الطنون ، ١٧٣٣ - البغداد ، هدية العارفين

٦٣٥/١ - العباس بن إبراهيم ، الإعلام ٥٠٩/٨ - ٥١٠ - المعجب ، مقدمته ٣٠٣ - ٣٠٨

٣٠٩ - بروكلمان ٣٩٢/١ ^{نقح} لذكريات مشاهير رجال المغرب عدد ٢٨ - محمد المنوني

العلوم والآداب : ١٧٥ - بالنشيا : ٢٤٨ - ٢٤٩ - الزركلي ، الأعلام : ١٧٦/٤ -

رضا كخالة ، معجم المؤلفين : ٢١٠/٦ .

يوسف بن موسى الهَوَّاري *

ت ٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م

أبو الحجاج بن لاهية ^(١)، يوسف بن موسى بن إبراهيم الهَوَّاري . ولد بالمهدية ، وأخذ علومه الابتدائية فيها ، ثم رحل إلى مراكش واستوطنها . أخذ عن حصة من العلماء ، وروى عن أبي الحسن بن القطان : (ت ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م) وأبي عبد الله بن الصِّفار ، وأبي الفاسم عبد الرحمن بن إسماعيل بن الحداد وغيرهم . تصدر للإقراء في مراكش فانتفع بعلمه كثيرون . توفي بمراكش سنة : ٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م . وكان أبو الحجاج ذا اطلاع على اللغة والأدب والنحو ، وله حظ من التثر وقرض الشعر .

آثاره :

ألف أبو الحجاج رسالة أدرج فيها شواهد كتاب سبويه على طريقة أبي الحسن بن حريق في أبيات الحمل ^(٢) .

شعره :

وصل إلينا من شعر المترحم له بعض المقطوعات الشعرية ذات الغرض التعليمي وهي :

مقطوعة بائية من خمسة أبيات في ترتيب حروف كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي مثبتة في الذيل والتكملة : ٨ / ٤٣٨ ، وفيها بياض في الأصل مقطوعة نونية من ثلاثة أبيات في ترتيب حروف كتاب تاج اللغة وصحاح العربية للحوهري ، مثبتة في الذيل والتكملة : ٨ / ٤٣٨

مقطوعة نونية من خمسة أبيات في البكاء على الحسين مثبتة في الذيل والتكملة

٨ / ٤٦٩

* ترجمته وشعره في :

ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل والتكملة : ٨ / ٤٣٧ - ٤٣٩ - ٤٦٩

(١) أمة احتلبها الناصر الموحدي ^{من الصهري} حين فتحها سنة ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م .

(٢) اسم رسالة ابن حريق : الرسالة الفريدة والأملوحة المفبدة .

محمّد بن عبدون للكُناسيّ *

ت ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠ م

محمّد بن عبدون بن قاسم الخُزرجيّ المُكناسيّ ، ولد بمكناسة ونشأ بها طالبا للعلم ، وعاش عهد الاضطراب في مكناسة إذ بايع أهلها بني حفص في تونس ، وانسلخوا من الدّولة الموحّدية بعد أن تعرضت لهجمات بني مرين وعجز الموحّدون عن حمايتها .
تردّد ابن عبدون على فاس للأخذ عن شيوخها ، والارتواء ٦٩٩ هـ / ١٣٠٠ م) صداقات .
وربطت بينه وبين علمائها أمثال مالك بن المرحّل (ت ٦٩٩ هـ / ١٣٠٠ م) صداقات .
تقلد ابن عبدون الكتابة السّلطانيّة ، ثم كتب لبعض أمراء الموحّدبن ، وتوفي في بلده مكناسة سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠ م (١) .

كان ابن عبدون شاعرا كاتبا مجيدا ، عارفا بالقرايات .
شعره :

قال عنه ابن القاسي: "كان شاعرا مجيدا وهو شاعر أهل العُدوة" (٢) ، ولكنّا لم نعثر له إلّا على القصائد والمقطوعات التالية :

- مقطوعة همزيّة من بيتين في نفضل مكناسة على فاس ، وهي نفاضة الجراب: ٣٧٢ ونفح الطّيب ٢١٢/٦: والروض الهتون : ٧٠ ، وذكريات المشاهير: ١١ ، والعلوم والآداب : ٢٣٥ .
- مقطوعة بائيّة من ثلاثة أبيات في وصف نهر وردته عصابة طير ، وهي في جذوة الاقتباس : ٢٨٥ - ٢٨٦ - وذكريات مشاهير المغرب : ١٢ - والنّبوغ المغربي : ٧٦٣ - والعلوم والآداب : ٢٢٤ - والوافي : ٣٣١/١ .
- قصيدة تائيّة إخوانية من ثمانية أبيات في الرّدّ على صديق ، أوردها ابن رُشيد في رحلته : ٤٣/٥ ، وهي في ذكريات المشاهير : ١٣ - ١٤ ، والوافي : ٣٣٣/١ .
- بيت مفرد على القاف في الشّريا الكبرى بحامع القرويين وهي مثبتة في النّبوغ المغربي : ٦١٠ - وذكريات المشاهير : ٨ - والوافي : ٣٣٠/١ .
- مقطوعة كافيّة من بيتين في نهر مذفت فبه مصابيح ، وهي في جذوة الاقتباس : ٢٨٥ - وذكريات المشاهير : ١٣ - والعلوم والآداب : ٢٢٤ - والوافي : ٣٣١/١ .
- مقطوعة كافيّة من خمسة أبيات في استصراخ المأمون الموحّدي عندما حاصرت بعض القبائل مدينة مكناسة وهي في البيان المغرب : ٢٩٧ - والوافي : ٣٣٤/١ .
- مقطوعة لامبيّة من ثلاثة أبيات في وصف مصاح ، وهي في جذوة الاقتباس : ٢٨٥ ، وذكريات المشاهير : ١٣ - والعلوم والآداب : ٢٢٤ - والوافي : ٣٣١/١ .
- قصيدة لامبيّة في الغزل من ثلاثة عشر بيتا وهي في جذوة الاقتباس : ٢٨٥ - والنّبوغ المغربي : ٧٢٤ - وذكريات المشاهير : ١١ - ١٢ - والوافي : ٣٣٠/١ .
- مقطوعة ميميّة من بيتين في النّسيب وهي في جذوة الاقتباس : ٢٨٥ ، وذكريات المشاهير : ١٣ - والوافي : ٣٣١ .

* ترجمته وشعره في : ابن عذارى ، البيان المغرب : ٢٩٧ - ٣٧٧ - ابن أبي زرع ، الذّخيرة السّنيّة : ٩٦ - ابن الخطيب ، نفاضة الجراب : ٣٧٢ - ابن القاضي ، جذوة الاقتباس : ٢٨٤ - ٢٨٦ - ابن زيدان ، اتحاف أعلام الناس : ٥٧١/٣ - ٥٧٩ - ابن غازي ، الروض الهتون ، عبد الله كنون ، ذكريات المشاهير عدد : ١٦ - النّبوغ المغربي : ١٧٠ - ١٧١ - ٦١٠ - ٧٢٤ - ٧٦٣ - محمد المنوني ، العلوم والآداب : ١٧٨ - ١٧٩ - ٢٢٤ - محمد بن تاويت ، الوافي بالأدب العربي : ٣٢٨/١ - ٣٣٥ - مجلة رسالة المغرب عدد ٣٦ سنة ١٩٥٢ مقال محمد الفاسي .

(١) - حدد ابن القاضي وفاته سنة ٦٥٨ هـ / ١١٥٩ م

(٢) - جذوة الاقتباس : ٢٨٤ .

ابن المُحَلِّي *

٥٨٣هـ - ٦٦١هـ / ١١٨٧م - ١٢٦٢م

أبو عبد الله ، محمد بن حسن بن عمر الفهرّي ، المعروف بابن المُحَلِّي ، ولد بسبّنة سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م ، ونشأ على طلب العلم فاختلّف إلى مجالس العلماء بالعُـدوة والأندلس فنهل من علوم الكثيرين منهم أمثال أبي الحسن بن خُـروف النّـحوي (ت ٦١٠هـ/١٢١٣م) ، وأبي علي الشّـلوبين (ت ٦٤٥هـ/١٢٤٧م) وأبي الصّـبر الفهـري (ت ٦٠٩هـ/١٢١٢م) وغيرهم ، وكتب في شبابه لعبد الرحمن بن يعقوب بن عمر بن عبد المؤمن عند ولايته مدينة فاس ، وصحبه إلى مراكش .

نصّدّر لتفسير الكتاب العزيز ببلده سبّنة فانتفع به كثيرون ، واستقضى سبّنة سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م ، فاشتهر بالعدل وحسنت سيرته . توفي سنة ٦٦١هـ/١٢٦٢م .

كان أبوه قوّالا بغني في المحافل والأسواق ، وكان يعرف بالمُحَلِّي ، وكان المترجم له زاهدا متصوّفا ، له حظّ من الأدب والشّعر .

شعره :

سلم لنا من شعره ثلاث قصائد في التّصوّف :

- بائيّة من أربعة عشر بيتا ، وهي مثبتة في الذّيل والتّكملة: ٢٩٠/٨ ، والإعلام: ٢٤١/٤ .
- حائيّة من خمسة عشر بيتا ، وهي مثبتة في الذّيل والتّكملة: ٢٩١/٨ ، ورد بيت منها في المنزع البديع: ٣٨٧ ، وهي في الإعلام: ٢٤١/٤ - ٢٤٢ ، والنّبوغ المغربي: ٧٢١ - ٧٢٢ - والعلوم والآداب: ٢٢٧ .
- نونيّة من واحد وعشرين بيتا ، وهي مثبتة في الذّيل والتّكملة: ٢٩٢/٨ ، والإعلام: ٢٤٢ - ٢٤٣ ، والنّبوغ المغربي: ٧٢٢ - ٧٢٣ .

* ترجمته وشعره في :

ابن عبد الملك ، الذّيل والتّكملة: ٢٨٩/٨ - ٢٩٣ - السّحلماسي ، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع: ٣٨٧ - ابن الزّبير ، صلة الصّلة - قسم الغرباء: ٥٢٠ - الوادي آشي ، برنامج الوادي آشي: ٦٤ - السيوطي ، بغية الوعاة: ١٩٧/١ - العباس بن إبراهيم ، الإعلام: ٢٤٠/٤ - ٢٤٣ - عبد الله كنون ، النّبوغ المغربي: ٧٢١ - ٧٢٣ - محمد المنونبي ، العلوم والآداب: ١٧٩ - ٢٢٧ .

محمّد الرّعيني *

٥٦٧ هـ - ٦٦٢ هـ / ١١٧١ م - ١٢٦٣ م

أبو عبد الله ، محمد بن عبد الحبار الرّعيني السّوسي ، ولد بسوسة سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م وتلقّى تعلّمه الأوّل فيها ، وأخذ عن جلة من الشُّيوخ أمثال القاضي أبي يحيى زكرياء ، ابن الحداد المهدوي تلميذ الإمام المازري (ت ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م) ، فأضحى علماً مقصوداً يتوافد إليه طلبة العلم من الأصقاع المختلفة ، فأفاد منه كثيرون منهم أبو زكرياء الأوّل الحفصي (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م)^(١) ، ومحمد بن علي بن يحيى اللّخمي النّحوي التّونسي (ت ٧٢١ هـ / ١٣٢٢ م) وغيرهم . ثم انتقل إلى تونس فاستوطنها وتمدّر للإقراء فيها حتّى وفاته سنة ٦٦٢ / ١٢٦٣ م . وكان المترحم له عالماً كبيراً ، مقرئاً محدّثاً ، فقيهاً ، له حظّ من الأدب وفرض الشعر . كما كان حسن الواسطة قاضياً لحاحات النّاس ، مقبول القول عند الملوك . وكانوا يطلقون عليه ملحق الآباء بالأبناء لطول عمره .

شعره :

وصل إلينا من شعره :

- مقطوعة بائيّة من ثلاثة أبيات في مخاطبة أحد الرّؤساء وقد قدّم له فرساً أشهب ليركبه ، وهي مثبتة في رحلة التّحاني: ٥٣ - والحلل السّندسيّة: ٣٠٣/١ ، وعنوان الأريب: ٦١/٢
- بيت على اللّام مجزأ من قصيدة مدح فيها أبا محمد عبد الله حدّ الحفصيين ، وهو في رحلة التّحاني: ٥٢ - والحلل السّندسيّة: ٣٠٣/١ - وعنوان الأريب: ٦١/١ .
- معطوعة سويّة من ثلاثة أبيات في مجلس شراب ، وهي في كنش مخطوط في المكتبة الوطنية بتونس مجهول الصّاحب رقمه (١٨٤٥٨) ورقة: ٤٨/١ - ورحلة التّحاني: ٥٢ - والحلل السّندسيّة: ٣٠٢/١ .

* ترجمته وشعره في :

- كنش أدبي مخطوط في المكتبة الوطنيّة بنونس رقمه (١٨٤٥٨)^{ورقم ٤٨} - التّحاني ، رحلة النّجاني ٥٢-٥٣ - برنامج الوادي آشي: ٢٢٢ - السّيوطي ، بغية الوعاة: ١٥٣/١ - السّراج ، الحلال السّندسيّة: ٣٠٣-٣٠٢/١ - محمد مخلوف ، شجرة النّور الزّكية: ١٩٠ - محمد محفوظ ، معجم المؤلّفين التّونسيين : ٨٩/٣ - ٩٠ .

(١) - انظر ابن السّماع ، الأدلّة البيّنة النورانية : ٥٤ .

ابن العابد الفاسي *

ت ٦٦٢ هـ / ١٢٦٣ م

أبو عبد الله (١)، محمد بن عليّ بن العابد الفاسيّ .

ولد بفاس ، وتلمذ على مجموعة من شيوخها منهم ، أبو العباس أحمد بن قاسم البقال الأصوليّ ، وأبو عبد الله بن الببوت المقرئ ، وعن الزاهد أبي الحسن عليّ بن

مُحرّالي المراكشي ت (٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م) وغيرهم .

كتب لأبي الحسن بن محمد بن أبي عشرة الفاسيّ ، قاضي الجماعة بمراكش .

دخل الأندلس في حدود سنة : ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م وكتب للأمير أبي عبد الله محمد بن

محمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر ، ثم آخر لمعاقرته الخمر .

توفي سنة : ٦٦٢ هـ / ١٢٦٣ م . (٢)

كان أديبا ، كاتباً محسناً ، شاعراً مطبوعاً ، عالماً باللغة والأدب والتاريخ .

آثاره :

اختصر تفسير الزمخشري ، وأزال فيه عن صاحبه الاعتزال .

* ترجمته :

ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة : ٣٧٨/١ و ٣٣٣/٨ - ٣٣٧ .

ابن الخطيب ، الإحاطة : ٢٨٧/٢ ، واللمحة البدرية : ٥٣ .

السبوطي ، بغية الوعاة : ١٨١/١ - ١٨٢ .

ابن القاضي ، حذوة الاقتباس : ٢٣١ .

التنبيكتي ، نيل الابتهاج : ٤٢٨ .

ابن إبراهيم الإعلام : ٢٤٣/٤ - ٢٤٦ .

عبد العزيز بن عبد الله ، الموسوعة المغربية : ٣٤/٢ .

(١) جعل ابن الخطيب - في اللّمة البدرية : ٥٣ - كنيته أبا القاسم ، ومن المرجّح

أنّ الرّجل كان يحمل كُنيّتين ، وهذا أمر مألوف في ذلك الوقت .

(٢) حاء عند ابن الخطيب ، وابن القاضي ، والتنبيكتي أنّ وفاته سنة : ٧٦٢ هـ /

وهذا وهم ، إذ آخروا وفاته قرناً كاملاً .

شعره :

وصل إلينا من شعره النصوص التالية :

- بيتان حيميّان في الطّيف ، وهما في الإحاطة : ٢٨٨/٢ . وحذوة الاقتباس : ٢٣١
- بيتان رائبّان في أخوين وسيم وأحدب وهما في الذّيل والتّكملة : ٣٣٥/٨ والإعلام :
٢٤٥/٤ .

- قصيدة رائيّة من ثمانية أبيات في وسيم له خال بشاربه ، الذّيل والتّكملة :
٣٣٦/٨ والإعلام : ٢٤٥/٤ .

- قصيدة رائيّة من خمسة عشر بيتا في وصف حمام وهما في الذّيل والتّكملة :
٣٣٦/٨ - ٣٣٧ والإعلام : ٢٤٦/٤ .

بيت مفرد على الفاء من قصيدة نظمها عندما اتّهم بمعاقرته الخمر وهو في اللّحمة
البدريّة : ٥٣ .

- بيتان فائبان في شارب رعب وهما في الذّيل والتّكملة : ٣٣٦/٨ - والإعلام : ٢٤٥/٤ .
مقطوعة نونيّة من أربعة أبيات في الرّد على عبد الكريم بن عمران وهما في
الذّيل والتّكملة : ٣٣٤/٨ - والإعلام : ٢٤٤/٤ .

قصيدة نونيّة ذات خمسة عشر بيتا كتب بها إلى صديق له وهي مثبتة في الذّيل
والتّكملة : ٣٧٨/١ .

إبراهيم بن أبي بكر التلمساني *

٦٠٩ هـ - ٦٩٠ هـ / ١٢١٢ م - ١٢٩١ م

- أبو إسحاق ، إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري .
- ولد بتلمسان سنة : ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م ، ونلقى تعلّمه الأول فيها .
- رحل به أبوه إلى الأندلس فنتلمذ فيها على مجموعة من العلماء منهم أبو بكر ابن مُحَرَّر الزُّهري (ت ٦٤٥ هـ / ١٢٤٧ م) . ثم انتقل إلى عُدوة المغرب فنزل بسببته ولقي فيها ابن عصفور (ت ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ م) وأبا المطرّف بن عميرة (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) وغيرهم . ثم تصدّر للإقراء بسببته فانتفع به كثيرون وأخذوا عنه منهم : أبو عبد الله محمد بن عبد الملك (ت ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م) .
- توفي بسببته سنة : ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م (١) .
- كان أبو إسحاق التلمساني فقيها عالما ، أديبا ذا حظّ من الشعر .
- آثاره :

خلف أبو إسحاق مجموعة من الآثار منها :

- أرحوزة في الفرائض، تعرف بالتلمسانية عدد أبياتها (٨٢٨) بيتا ، منها نسخة في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق رقمها / ٤٦٧٨ / .
- منظومات في السّير وأمداح النبي صلى الله عليه وسلم .
- المعشّرات على أوزان العرب .
- قصيدة في المولد الكريم ، ومقالة في علم العروض الدوبيتي . (٢)
- شعره :

يتضح للباحث من خلال أسماء مصنفاته أنه كان شاعرا نظاماً ، بيد أنه لم يصل إلينا من شعره إلا النصوص التالية :

- مقطوعة سينية من ثلاثة أبيات بدو أنها من مقدّمة قصيدة مدحبة ، وهي في الإحاطة : ٣٢٨/١ ، وتاريخ الأدب الجزائري : ٨٤ .
- مقطوعة فائية من أربعة أبيات في الحكمة مشتمة في الإحاطة : ٣٢٨/١ - وفح الطيب ١٢٠/٥ - وتاريخ الأدب الجزائري : ٨٤ - وتعريف الخلفي ١٤/١
- قصيدة زائية من ثلاثة عشر بيتا في إحازة ، وهي في رحلة ابن رشيد (مخطوط) ٤٩/٦ ب .

- * ترجمته وشعره في رحلة ابن رشيد، مخطوط الاسكوريال ٤٩/٦ ب - ابن الخطيب : الإحاطة ٣٢٦/١ - ٣٢٩ - ابن فرحون ، الديباج المذهب : ٩٠ - ٩١ - ابن مريم ، البستان : ٥٥ - ابن القاضي درة الحجال ١٧٧/١ - المقرّي ، نفح الطيب : ١٢٠/٥ - ٢٤٤ - السّراج ، الحلل السّندسية : ٨٠٢/١ - الحفناوي ، تعريف الخلف : ١٣/١ - ١٥ - محمد مخلوف : شجرة النور الزكية : ٢٠٢ - رضا كحّالة ، معجم المؤلفين : ١٦/١ - عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر : ٦٣ - ٦٤ - الزركلي ، الأعلام : ٣٣ - ٣٤ - محمد الطّمّار ، تاريخ الأدب الجزائري : ٨٤ .

(١) - حل ابن القاضي في درة الحال : ١٧٧/١ وفاته سنة ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م ببسطة . وتابعه في ذلك محمد

مخلوف في شجرة النور الزكية : ٢٠٢ . وجعل الزركلي وفاته سنة ٦٩٩ هـ - ١٣٠٠ م ، وحا في هامش مخطوط أرحوزة التلمسانية أن وفاته سنة : ٦٦٦ هـ .

(٢) - ابن الخطيب ، الإحاطة : ٣٢٧/١ .

شعراء مجهولو الوفاء

إبراهيم بن حامع *

أبو إسحاق إبراهيم بن إدريس بن إسحاق بن حامع ، من أسرة بني حامع التي خدمت الموحّدين طول مدّة حكمهم ، وهو من بني وراره وأدب ، ولقي سببه في آخر وراره أحيه أبي الحسن علي بن أبي العلي ، و أول الفقه المنيعنة سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م . ومن ذلك العام صرف من الولاية و توفي بعد ذلك

سعره :

أورد له ابن الأثير في الحثّ السّير ٢/٩/٢ - ٢٩٤ معطوئه إخوانيّة دالبّة من أربعة آيات .

* ابن الأثير الحثّ السّير ٢ : ٢٩٢/٢ - ٢٩٤

بعض السّاده من أئمة المؤمنين

أورد المقرئ في فصح الطب ٣ / ١١٠ سنين في العزل على الدّال
المكسورة ، وبسببهما إلى بعض السّاده من بني عبد المؤمن ، ولم أفس
عليهما في مكان آخر .

ابن سلس المرّاكشي *

لم أفعاله على رحمه .
ما عرفه عنه أنّه شاعر من أهل مرّاكس . اربط ذكره بهجائه
لابي العتاس الجراوي .
شعره :

ذكر له صفوان بن إدريس سبب على الدّال في هجاء أبي العتاس
الجراوي وهما في زاد المسافر : ١٠٤ - ١٠٥ - والنّوغ المعري : ٩١٠
* انظر صفوان بن إدريس ، زاد المسافر : ١٠٤ - ١٠٥ - عبد الله كنون ، النّوع
المعري : ٩١٠

أبو الحسن الأعمّاشي

أشبه له ابن عبد الملك المرّاكشي في الدّال والكلمه : ٨ / ١٩٩
معيده دالّة من واحد وأربعين سبب في مدح أبي الحسن السّاري (٦٤٩ هـ /
١٢٥١ م) .

- معيده إحوال عينة من سبعة أيّيات و هي متبنة بالدّال والكلمه ٨ / ٤٤٣

أبو عليّ الأشرى *

ت بعد ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م

أبو عليّ ، حسن بن عبد الله بن حسن الأشرى .
ولد بنلمسان ونشأ بها ، وسلمد على يد شيوخها ، ثم اسفل إلى الأندلس
فل سنة ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م فأخذ عن حلقه من سيوخها أمثال أبي الحجاج بن كسعون
(ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م) .

نحوّل إلى العدو وكتب لعدو المؤمن بن عليّ .
توفي بعد سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م .

كان أدبا ، كاتباً ناعماً ، شاعراً مقلعاً ، عارفاً بالفرائض واللغة والأدب .
أهم آثاره :

ذكر ابن الأثير أنّ له مجموعاً في عرب الموطأ ، ومختصراً في التاريخ اسمه
نظم الأثيري (١) :
سعره :

- وصف له على معطوعة دالّة من أربعة أبيات قالها في صفة طير سيق إلى
الحليفة عبد المؤمن نكلم بكلام علّمه ، واتّفق ذلك مع دخول شيل أسد وحلوسه
حاجب الحليفة ، وهي مثنى في :

البيان المعرب : ٤٧ - الحلل الموشة : ١٥٠ - العرطاس : ١٨٦ - حدوده الأساس : ٤٤٧ -
الإعلام بمن حلّ مراکش : ٣٩٣/٨ - الاسعفا : ١٠٢ والسوغ المعرب : ٦٠٧ - واريح
الأدب الحرائري : ٧١ .

- قصده طائفة من سعة أبيات قالها في عروه السطاط سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م وهي
منه في راد المسافر : ١٠٢ - واريح الأدب الحرائري : ٧١ - ٧٢ .

* ترجمته وسعره

صفوان بن إدريس ، زاد المسافر : ١٠١ - ١٠٢ وورد اسمه فيه : أبو عليّ عمر الأشرى
ابن الأثير ، التكملة برحمة رقم : ٦٦ في الحلل الموشة لمجهول : ١٥٠ - ابن أبي
زرع ، روض العرطاس : ١٨٦ - ابن الفاضي ، حدوده الأساس : ٤٤٧ - العباس بن إبراهيم ،
الإعلام بمن حلّ مراکش : ٣٨ - ٣٩ - عادل بويهس ، معجم أعلام الحرائر : ١٦ -
عبد العزيز بن عبد الله ، الموسوعة المغربية : ٤١/١ - رضا كحّالة : ٢٣٨/٣ - محمّد
الطمار - تاريخ الأدب الحرائري : ٧١ - ٧٢ ، عبدالله كنون ، السوغ المعرب : ٦٧

(١) - انظر ابن الأثير - التكملة ، برحمة رقم : ٦٦ .

حسن بن الفُكُون *

سنة ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م

أبو علي ، حسن بن علي بن عمر العسطيني ، المعروف باسم الفُكُون .
 من أهالي فُسْطَاطَة ، وبها ولد وشأ ، وعلم على شيوخها .
 كان من حملة السَّعْرَاء الذي مدحوا النَّاصِر الموحَّدي يوم وصوله إلى فُسْطَاطَة
 سنة : ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م .

رحل إلى مَرَّاكش ، ومدح خليفه بن عبد المؤمن ، ودخل مدينته فاس في رحلته
 المظومة .

لم ألف على تاريج وفائده .
 كان فعيها أدبا ، كانا ، شاعرا غزير النظم .

آثاره :

له ديوان شعر ، ذكر الحفناوي أنه كان موحودا بأيدي الناس^(١) ، عر أننا
 لم نفع له على ذكر عبد المحدثين .
 ورحلة منظومه في سفره من فُسْطَاطَة إلى مَرَّاكش ، ضمَّنها ذكر المدن التي مر بها .

* برحمته في :

- العربي : عنوان الدراسة ٢٨٠ - ٢٨٦ .
- العبدري ، رحله العبدري : ٤٨ - ٥٠ .
- اس الفاضل : درة الحال : ٢٣٦/١ وفيه : اس الكور وهو وهم من المحقق .
- وحذوة الافساس : ١٨٤ - ١٨٦ .
- المقري ، فتح الطبيب : ٤٨٣/٢ .
- انواراجم ، الاعلام : ١٣٨/٣ - ١٤٣ .
- الحفناوي ، تعريف الخلف : ١٣٠/٢ - ١٣٧ .
- رضا كحالة ، معجم المؤلفين ٢٦٩/٣ . محمد الطَّمَّار ، تاريخ الأدب الجزائري : ٧٧ - ٧٩ .
- عادل بويهس ، معجم أعلام الجزائر : ٢٥٣ - ٢٥٤ - عبد العزيز بن عبد الله ، الموسوعة
 العربية : ٨٤/٢ .

(١) - الحفناوي ، تعريف الخلف : ١٣٥/٢ .

شعره :

سلف^{تولنا} أن ابن الفكون كان غزير الشعر ، وأن له ديوان شعر كان موجودا في أدبي الناس . غير أن هذا الديوان لم يصل إلينا .

إن المسعى من شعر ابن الفكون يدل على معدره سعرته فذة نوبتد مذكوره مرحموه . وهذا المتفق الذي وفقت عليه :

- قصيدة دالّة من سبعة أسافى وصف مدنه الناصرية وفصلها على مدن العراق والسّام ، وهي في عنوان الدّراية : ٢٨٠ - ٢٨١ - تعرف الخلف : ١٣٥/٢ - الإعلام : ١٤١/٣ ، تاريخ الأدب الحزائري ٧٧ .

- قصيدة فاقته من ستة عشر بيتا في مدح بعض سادات^{بني} عبد المؤمن ووصف قصر الربيع بحايه ، وهي مشته في عنوان الدّراية : ٢٨١ - ٢٨٢ - الإعلام : ١٤٢/٣ - تعريف الخلف : ١٣٦/٢ - تاريخ الأدب الحزائري : ٧٨ .

- قصيدة ممتة من سبعة أسافى وصف الطّبعة منبه في عنوان الدّراية ٢٨٢ - ٢٨٣ - الإعلام : ١٤٢/٣ - ١٤٣ - تعريف الخلف : ١٣٧/٢ - تاريخ الأدب الحزائري : ٧٩ .

- رحلته المظومة البائته ، وهي مؤلفه من ثلاثة وثلاثين بيتا ، وقد عدّد فيها المدن التي قطعها في رحلته من فسنظيه إلى مراكس ، وهي مشته في : عنوان الدّراية : ٢٨٣ - ٢٨٦ - رحلة العدري : ٤٨ - ٥٠ - أرهار الزياص : ٣٠٤/٤ - ٣٠٧ - فتح الطّب : ٤٨٣/٢ - حذوة الامباس : ١٨٤ - ١٨٥ - درّه الحال : ٣٣٦/١ - ٣٣٨ - تعريف الخلف : ١٣١/٢ - ١٣٢ - الإعلام : ١٣٨/٣ -

١٤٠ .

شاعر من أهل الحرائر *

لم أفلح على نرحمه . وكل ما عرفه عنه آت من أهل الحرائر . وفد على الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن وهو - " تمل " مقام على قبر ابن بومر وأشد قصده دالته في مدح المهدي والإساده بمافيه .

" وعيل : إن صاحب هذه القصيدة لم حضر ذلك المشهد ولم يندها نفسه ، وإنما أرسل بها فأنشدت على قبر الإمام ، وكان عمله إياها وعبد المؤمن حيّ (١) .

احبار عند الواحد المراكشي منها سنة وعشرين سنة أنبها في المعجب

١٨٩ - ١٩١

* انظر الخبر والقصيدة في المراكشي ، المعجب : ١٨٩ - ١٩١

شاعر من أهل سلا *

لم أفلح على نرحمه .

ذكره ابن الأثير عرصا في الحلة السراة ٢ / ٢٣٩ في نرحمه عبد الله ابن حار الحاسي ، وأورد له بن علي الرأ في تأنيب عبد السلام الكومي .

* ابن الأثير ، الحلة السراة ٢ / ٢٣٩

شاعر من أهل فاس *

لم أفلح على نرحمه .

ذكره صفوان بن إدريس الحسني في كتابه " زاد المسافر " ١٠٤-١٠٥ وأورد له بنين دالبين في هجاء شخص اسمه بريد .

* صفوان بن إدريس ، زاد المسافر : ١٠٤ - ١٠٥

(١) المراكشي ، المعجب : ١٩١

اس سفر السَّيِّ

لا يعرف له اسما ولا تاريخ ولاده ولا وفاه، كان في مصر سنة ١١٧٧هـ / ١١٧٧م
وبدّل أسعاره التي وصلت إلينا أنّه كان ساعرا ممكّنا
سعره .

أورد العماد الأصغهاى في الحريدة / قسم المغرب / العوائد التّالية

- قصده فاقته من سعه أبا في مدح عبد المؤمن بن عليّ، و هي في الحريدة ٣٤٥/١
- قصده عنته من أحد عشر سبّا في التّسوّق، و هي في الحريدة ٣٤٦/١-٣٤٧
- قصده عنته من عشره أبا في مولود ولد عند موت أخيه، و هي في الحريدة ٣٤٧/١-٣٤٨

* انظر العماد الأصغهاى، حريدة العصر، قسم شعراء المغرب . ٣٤٥/١-٣٤٨.
عبد العزيز بن عبد الله، الموسوعة المغربية ٢/ ٢٠٠ و جاء اسمه فيها اس سفرون
السّنى.

السّح السّنى *

ساعر من أهالي سبّه، وقد على إسنله، و كتب إلى صاحب الدّنوان بلاءه
أبا مائبة طلب فيها أن يسكنه سبّا، و هي في العوحدات المكنّه ٥٥١/٤ .
و العلوم و الآداب.

* انظر اس عربى، العوحدات المكنّه باب الوصايا ٥٥١/٤
محمد الموسى، العلوم و الآداب ١٨٤

عائسه بنت عمارة *

هي عائسه بنت أبي الطّاهر عماره بن يحيى بن عماره السّريف الحسّنى، سبّا
في بنت علم و أدب بمدسه حاه و عاصرت السّاعر اس العكون (ب بعد ٥٦٠ هـ / ١١٦٠ م)
و كاسه .

تاريخ ولادها و وفاتها مجهولان
سعرها

ركب عائسه بعض المعطوعات السّعره و هي :

- بيان عنتان في احباب التّودع و هما في عنوان الدّرايه ٧٩ ، و سهراب
التّوستات ١٩١
- معطوعه عنته من بلاءه أبا في المداعه و هي في عنوان الدّرايه ٨٠
و سهراب التّوستات ١٩١ .
- بيان نوسّان في التّسوّق، و هما في عنوان الدّرايه ٧٩ و سهراب التّوستات ١٩٠

* ترجمها و سعرها في : العربى، عنوان الدّرايه ٧٩-٨٠ حسن حسنى عبد الوهاب
سهراب التّوستات ١٩٠-١٩١ .

عبد الله بن عبد الرحمن الفرّاني

أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن علي الفرّاني ، ولد بمالقة بالأندلس ، وانتقل أبوه به صغيراً إلى صفاقس . فنشأ فيها منكباً على طلب العلم والمعرفة . وبرع في الأدب والعلوم العربيّة ، وكان هجاءً من مشاهير إفریقیة، وله رحلة أبعد فيها النّحلة غرباً وشرقاً . لم أقف على تاريخ وفاته (١) .

شعره :

وصل إلينا من شعره مقطوعتان ثنائيتا الأبيات في هجاء السّعيد الموحّدي سلطان المغرب :

- الأولى صاديّة مثبتة في رحلة التّجاني ٨٤ والحلّ السّندسيّة ١ / ٣٢٦ - وعنوان الأريب ١ / ٦٢

- الثانية قافيّة مثبتة في رحلة التّحاني ٨٤ ، والحلّ السّندسيّة ١ / ٣٢٦ وعنوان الأريب ١ / ٦٢

أما البيتان الدّالّبان اللّذان أوردهما ابن الأثير في تحفة القادِم ٢٤٤ والصّفدي في الوافي بالوفيات ١٧ / ٢٤٨ فهما لشاعر آخر له الاسم نفسه ، وقد وهم الدكتور إحسان عباس فجعل الشّخصن واحداً .

* ترجمته وشعره في :

- التّجاني ، رحلة التّحاني ٨٣ - ٨٤ - السّراح الحلّ السّندسيّة : ١ / ٣٢٦

- محمد النّيفر ، عنوان الأريب : ١ / ٦١ - ٦٢

(١) حاء في رحلة التّحاني ٨٤ ونقل عنه السّراح في الحلّ السّندسيّة ١ / ٣٢٦ :

" فإن مولد الفرّاني الذي ذكرناه سنة ٦٠٩ هـ ، ولعلها سنة وفاته "

بينما حزم الشيخ محمد النّيفر بأنّ تاريخ وفاة الفرّاني سنة ٦٠٩ هـ ،

وهذا غير معقول لأنّ السّعيد الموحّدي الذي هجاه الشّاعر تولى بين

سنتي ٦٤٠ - ٦٤٥ هـ = ١٢٤٢ م - ١٢٤٧ م فالمرحّح أنّ سنة

٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م هي سنة ولادة الشّاعر ، وليست سنة وفاته ، فكان

عمره عندما تولى السّعيد الخلافة واحداً وثلاثين عاماً .

عبدالله الموحّد صاحب فاس

من أربعة أبيات

له مقطوعة بائيتة في الفخر أوردها المقرئ في التفح. ٣ / ١١٠ ،

وعبدالله كنون في النبوغ المغربي : ٦٧٩

عبد الواحد بن أبي زيد *

أبو محمّد ، عبد الواحد بن أبي زيد بن أبي حفص بن عبد المؤمن

ابن علي .

لم أقف على تاريخ ولادته ووفاته

- (١) كان والده أبو زيد عاملاً على إفريقية لعنه يوسف بن عبد المؤمن
ويبدو أنه كان له مشاركة في العلوم ، فقد ذكر ابن عبد الملك المراكشي
أنه روى عن محمّد بن أبي بكر بن رشيد البغدادي (ت ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م)
سمراكشي (٢) .

شعره :

له قصيدة نونية من أربعين بيتاً في مدح الفقيه محمد بن أبي

بكر بن رشيد البغدادي ، وهي في : ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة :

٢٧٨ / ٨ - ٢٨٠ - العباس بن إبراهيم ، الإعلام : ٤ / ٢٥١ - ٢٥٢

* انظر ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل والتكملة ٢٧٨ / ٨ - ٢٨٠

العباس بن إبراهيم المراكشي ، الإعلام : ٤ / ٢٥١ - ٢٥٢ و ٨ / ٥١٩

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ١٦٤

(٢) ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة ٨ / ٢٧٤

علي بن محمد الكُتاميّ *

أبو الحسن ، علي بن محمد بن عليّ الكُتاميّ المعروف بأبي الحسن
ابن العُشبي ، وبابن القابِلَة ،

ولد بمرّاكش ، وتلقّى فيها تعلّمه الأوّل ، ثم تنقّل في مدن المغرب
والأندلس وأخذ عن العلماء فيها ، واختصّ بصُحبة أبي الحسن سهل بن مالك
(ت ٦٣٩ هـ / ١٢٤١ م)

حرت بننه وبين أدباء عصره مخاطبات ومراسلات ندلّ على ساع طويل
في الأدب ، وقد أورد ابن عبد الملك في الذيل والتكملة بعض مخاطباته
لأبي المطرّف بن عمّرة (ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م) .
لم أقف على تاريخ وفاته . وتدلّ أشعاره وأخباره على أنّه كان
كاتبا بليغا ، شاعراً محيذاً .

شعره :

وصل إلينا من شعر أبي الحسن النصوص التالية :

- قصيدة ناعبة إخوانيّة من اثني عشر بيتا يخاطب فيها أبا المطرّف بن
عمّيره وهي مثبتة في الذيل والتكملة : ٨ / ٢٠٧ ، والإعلام : ١٥١/٩ - ١٥٢
- مقطوعة حائيّة من أربعة أبيات في الغزل مثبتة في الذيل والتكملة
٨ / ٢٠٢ والإعلام ٩ / ١٤٧
- قصيدة قافيّة من عشرين بيتا في التّصوّف مثبتة في الذيل والتكملة
٨ / ٢٠٢ - ٢٠٣ ، والإعلام ٩ / ١٤٧ - ١٤٨
- قصيدة نونيّة من من سبعة أبيات في رثاء الحسين رضي الله عنه ، مثبتة
في الذيل والتكملة ٨ / ٤٦٨ - ٤٦٩
- أرحوزة إخوانية من أربعة عشر بيتا مثبتة في كل من الذيل والتكملة
٨ / ٢٠٨ - والإعلام ٩ / ١٥٨ - ١٥٩

* ترجمته وشعره في :

ابن عبد الملك المرّاكشي ، الذيل والتكملة : ٨ / ٢٠١ - ٢٠٩ - ٤٦٨ - ٤٦٩
العبّاس بن إبراهيم ، الإعلام ٩ / ١٤٧ - ١٥٤ - عبد العزيز بن عبد الله ،
الموسوعة المغربيّة ٢ / ٨٥

علیّ س مروان الرّباطی*

علیّ س مروان الرّباطی، ذكره المقرئ فی فتح الطّب :

لم أفضله علی رحمه فما عدت إليه من مصادر، وناعب الأساد
محمد الموی فی جعله من شعراء هذا العهد (١)

ما عرفه عنه أنّه مرض سن یلمسان وفاس، وقال أبا
فی الرّهد أوصی أن یکب علی قبره .

سعره :

له ثلاث مقطوعات ثلاثه الأبيات وهي :

- نائيه فی الرهد (٢)، و أوصی أن یکب علی قبره، وهي مسه فی
التّفح : ٣٠٣/٢

- فاقته سقوع فيها صته كنيه عن إعارها، وهي مسه فی التّفح : ٣٠١/٢

- فاقته بأسف فيها لحاله ولده بعد أن اضطرّ لفسده وهي فی التّفح. ٣٠١/٢

* رحمه فی :

المقرئ، فتح الطّب : ٢ / ٣٠١ - ٣٠٣

محمد الموی ، العلوم و الآداب و القیون علی عهد الموحّدين ١٨٠ .

(١) الموی ، العلوم و الآداب : ١٨٠

(٢) وهم الموی و جعلها (نوتّه)، اطر المصدر نفسه : ١٨٠

علي بن يقظان السَّسْبُتِيّ

كان حيّاً ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م

طبيب ، أديب ، شاعر ، من أهالي سبته .

لم أقف له على ترجمة ، وكان ولوعاً بالرحلات ، ورد مصر سنة : ٥٤٤ هـ

/ ١١٤٩ م ومضى منها إلى اليمن ، وزار العراق .

شعره :

أورد له الأصفهاني في الخريدة / قسم المغرب/النصوص المدحية التالية :

بائيّة من ستّة أبيات في مدح الدّاعي بن محمّد بن سبأ في مدينة عدن ، وهي

في الخريدة : ١ / ٣٤٤ - ٣٤٥

داليّة من خمسة أبيات في مدح أحمد بن راشد ، صاحب بلاد الشّحر (١) ، وهي

في الخريدة : ١ / ٣٤٥ .

داليّة من سبعة أبيات في مدح الوزير جمال الدّين الأصفهاني بالموصل وهي

في الخريدة : ١ / ٣٤٤ وأخبار العلماء : ١٦٠ ، ومنها ثلاثة أبيات فسي

النّبوغ المغربي : ٧١٧

* ترجمته في :

العماد الأصفهاني ، الخريدة ، قسم المغرب ١ / ٣٤٣ - ٣٤٥

ابن القفطي إخبار العلماء بأخبار الحكماء : ١٦٠

عبدالله كنّون ، النّبوغ المغربي : ٧١٧

محمد المنوني ، العلوم والآداب : ١٦٥

(١) الشّحر : صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ، انظر ياقوت ، معجم

البلدان : ٣ / ٣٢٧

عُمارة الشَّـرِيف *
كان حيًّا سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م

- أبو طاهر ، عُمارة بن يحيى بن عمار ، الشَّـرِيف الحُسَينِي .
- من أهالي بجاية ، وبها تلقى علومه على يد شيوخها ، ولي القضاء في بعض نواحي بجاية ، ومدح ابن غانية عند استيلائه على بجاية ، فاعتقله الموحِّدون بعد استعادتها منه ، ثم أفرجوا عنه .
- لم أقف على تاريخ وفاته .
- كان المترجماً لفقهاء ، قاضياً ، شاعراً ناظماً ، متقدِّماً في علم العربيَّة والأدب .
- اشتهر بقصائده وموشحاته البديعة التي يضرب بها المثل .

آثاره :

- له تأليف منظوم " في علم الفرائض " وهو مفقود .
- و " ديوان شعر " لم يصل إلينا .

شعره :

- أورد له الغبريني في عنوان الدَّرايية : ٧٨ قصيدة رائيَّة من ثمانية أبيات مدح فيها أبا زيد ابن أبي حفص بن عبد المؤمن ، واستعطفه فيها لإطلاق سراحه من السَّجن وهي مشتهة أيضاً في شهبيرات التَّونسيات ١١٩ .

* انظر :

- الغبريني ، عنوان الدرايية : ٧٦ - ٧٨ .
- حسن حسني عبدالوهاب : شهبيرات التونسيات ١١٩
- عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ١٦٩/٧
- عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر : ٢٤١ .

محمّد التّيفاشي *

أبو عبد الله محمّد بن أبي العباس عمر التّيفاشي ، وسسته إلى تيفاش
وهي قرية قديمة من قرى قفصة بتونس.

لأنعرف له ترجمة، ويبدو أنّه كان شاعرا ، مدح عبد المؤمن بن عليّ ، ولم
تقل لنا المصادر إلّا مطلع قصيدته اللّامية:

(من البسيط)

مَا هَزَّ عَطْفِيهِ نَيْنَ الْبَيْعِ وَالْأَسَلِ

مِثْلُ الْخَلِيفَةِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ

وقد أورد هذا البيت كثير من المولّفين منهم العماد الأصفهاني في خريدة
القصر، قسم المغرب ١٢١/١ - وابن الأثير في الكامل في التاريخ ٢٣٣/١١ - والذهبي
في سير أعلام النبلاء ٣٧٠/٢٠ - وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ٢٦٣/٥
والزركشي في تاريخ الدولتين ١٢ - وابن أبي دينار في المونس ١١٧ - والسّراج
في الحلل السّندسبة ١٠٩/١

محمّد بن محمّد البربري *

من شعراء هذا العصر، أورد له القلقشندي في صبح الأعشى ١٦٢/٥
بتين مميّتين في مدح الموحّدين، ووصف دار الضيافة بمراكش ، وهما في العلوم والآداب ١٧٥ .

* انظر. القلقشندي في صبح الأعشى ١٦٢/٥

محمد المنوني، العلوم والآداب ١٧٥

أبو محمّد المراكشي *

من شعراء^١ هذا العصر، أورد له ابن عبد الملك في الذيل والتكملة ٤٤٤/٨
بتين على العين في المدح.

يوسف بن يحيى المهري *

ت بعد ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م

يوسف بن يحيى بن الحاج علي بن عبد الواحد بن غالب المهري ، ولد بسلا ،
وتعلّم على شيوخها • تنقل بين قصر عبد الكريم ، ومالقة وسجلماة ، وأغمسات
وعيرها ، وحصل عن شيوخها علماً غزيراً ، واشتغل بنسخ الكتب مُدّة ، ثم كتب
عن كبار عصره ، وحظي عندهم ، وتوفي بعد سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م .

شعره :

بقي لدينا من شعره بيت على العين في ختم في الذيل والتكملة ٤١/٨
- قصيدة عينية من خمسين بيتاً في معارضة وهي في الذيل والتكملة

• ٤٤٩ - ٤٤٧/٨

* ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة ٤٣٩/٨ - ٤٥٢ .

القسم الثّاني

الشّعر، موضوعاته ومعانيه

بعد أن قما في القسم الأول من الأطروحة بالتعريف بالسَّعْراء
المعارفة، و حدّدا أسعارهم وأغراضها، نساؤل في هذا القسم دراســــه
موضوعات السَّعر و معاصه .

إنّ التّاطر في المدوّنه السَّعريّه التي جمعهاها لطف طهره برور
سلاته موضوعات سعريّه سكل واضح، وهذه الموضوعات هي سعر المــــدح،
و سعر الحرب، و السَّعر الدّينيّ، و لا سالع إذا فلنا أنّ كمّته هذا السَّعر
حاوّر بلى الماده السَّعريّه المجموعه، وهذا عائد في - رأيا - إلى
مجموعه من الطّروف التي عاشتها الدّولة الموحّده، فقد سخّ الخلفاء
الموحّدون السَّعراء المذاحن و أشاؤهم ممّا سخّ السَّعراء على الإكبار من
المدح و الإساده بالانصارات التي كاب حررها الحوس الموحّده على
الجهاب المحلفه . كما كان لطبعه الدّوله الموحّده التي قامت على أساس
دسيّ بعنمد أصلى التّسريع، الكتاب و السّنة أنر في برور السَّعر الدّينيّ شتّى
أغراضه .

و حب أن سرر إلى أنّ برور هذه الموضوعات لا يعنى إفعال بقتّه
موضوعات السَّعر، فقد نظم السَّعراء الموحّدون في بقتّه موضوعات السَّعر
العربيّ التّقليدّيه فقالوا في الغرل و الرّناء و الحمرة و الوصف و الهجاء
و الاسعطاف، كما نظم بعضهم في أعراض مسحده كالسَّعر التّعليميّ
و الإحواييّات و الألعار .

و قد قما نناول هذه الموضوعات حسب كثره التّصوص السَّعريّه
المسوّقه فعقدنا الفصل الأوّل للمدح، و الثّاني لسعر الحرب و قمنه
الونائفه، و الثّالث للسَّعر الدّينيّ بأغراضه المحلفه، في حس عفد
الفصل الرّابع لسعر العرل، و الحامس للرّناء، و السّادس للموضوعات الأخرى
التي قلّت - إلى حدّ ما - بصوصها السَّعريّه كالخمرة و الوصف و الهجاء،
و السَّعر التّعليميّ، و الاسعطاف، و الإحواييّات و الألعار .

الفصل الأول

الممدح

أ - أسباب ازدهار المدح :

يلاحظ قارئ الشعر الموحدى كثرة قصائد المدح فيه كثرة مفرطة ،
فهي تكاد تغطي على غيرها من الأغراض ، ولانبالغ إذا قلنا بأن قرابة نصف
ما جمعناه من الشعر ينصرف إلى المدح ، وعلّة ذلك - فيما نرى - هي رغبة
شعراء هذا العصر في المدح للتكسب ، وانصرافهم إلى بلاط الموحديين -
" الذين لم يزالوا - منذ ملكوا - ممدوحين ، تصفي إلى المديح مسامعهم
وتهتزّ به أنديتهم ومجالسهم " (١) ، فاعدقوا الأموال على هؤلاء الشعراء ،
مما جعل كثيراً منهم يسرف في المدح إسرافاً غريباً ، فبرزت قصيدة المدح
في أشعارهم بروزاً شديداً حتى أوشكت أن تحل منه ديوانا في المدح قبل
كل شيء ، أو جعلت منه ذلك حقاً .

ولسنا نجد غرابة في هذا الأمر فقد رأينا قصيدة المدح في
عصر الموحديين تتّجه إلى اعتبار طبقة الخلفاء والأمراء وتتملّقهم ، وهي
بذلك تقوم بخدمة هذه الطبقة والانقطاع إليها مقابل بعض الهدايا أو الهبات .
ومما أسهم في بروز قصيدة المدح هذا البروز الألف للظفر في هذا
العصر تلك الانتصارات الباهرة التي حققتها الحيوّش الموحدية في حروبها . سواء
في الأندلس أو في بلاد المغرب على الإسبان ، وعلى المناوئين للدولة
والشّائرين عليها . فهذه الانتصارات كانت محالاً خصبا أمام الشعراء للشّناء
على هؤلاء الخلفاء والأمراء والتّنويه بخصالهم وبطولاتهم .

وثمة أمر ثالث أسهم في بروز غرض المدح وهو ما كان يتمتع به
الخلفاء الموحدون من ثقافة عالية ولاسيما في ^{ميدان} اللغة العربيّة وعلومها ، فابن
تومرت - مؤسس الدولة - كان عالماً ، أديباً ، شاعراً . وكذلك خليفته
عبد المؤمن بن عليّ كانت له آراء نقدية تنم عن معرفة بالشعر
والأدب ، نقف على بعضها في المصادر المختلفة التي صورت لنا مجلسه بجبل
الفتح لدى عبوره إلى الأندلس أوّل مرّة ، إذ اجتمع لديه - ثمة - وفود
من أعيان الأندلس للتّهنئة والمبايعة . وأنشده كثير من الشعراء ، وكان
يبدي بعض الملاحظات النقدية على قصائدهم تدلّ على حذق بصناعة الشّعر

(١) ابن فضل الله العمري ، مخطوط مسالك الأبصار جزء ٧ ورقة ١٩٩

وعلم به (١)

ولم يكن تابعوه أقلّ منه اهتماما بالشعر والشعراء . فعندما انتصر يعقوب المنصور في موقعة الأرك سنة (٥٩١هـ / ١١٩٤ م) اجتمع في حضرته عدد كبير من الشعراء " فلم يمكن لكثرتهم أن ينشد كلّ إنسان قصيدته ، بل كان يختصّ منها بالإنشاد البيتين أو الثلاثة المختارة وانتهت رقاع القصائد وغيرها إلى أن حالت بينه وبين من كان أمامه لكثرتها " (٢) .

فهذه الأسباب مجتمعة أدّت إلى ازدهار موضوع المدح في عصر الموحّدين ، وكنزها فصائده .

(١) انظر عبد الواحد المراكشي ، المعجب : ٢١٦ - ٢١٧ - ابن سعيد ،

رايات المبرزين : ٦٩ - ٧٠

(٢) المقري ، نفح الطيب : ١٧٢/٤

ب - منهج قصيدة المدح الموحديّة :

درج الشعراء العرب منذ القديم على أن يجعلوا قصائدهم المديحة مركبة الأغراض ، أي تشتمل على مجموعة من الأغراض كالمقدمة ، والرّحلة ، والغرض الأساسي ، فقد كان هؤلاء الشعراء يقدمون لقصائدهم بمقدمة كالوقوف على الأطلال ، أو النسيب . أو وصف الخمرة أو الليل . ثم ينتقلون إلى وصف مشاهد الصحراء والحديث عن رحلتهم إلى الممدوح ، ثم ينتقلون إلى المدح . وبهذا تأصل منهج القصيدة المديحة ، وارتضى الشعراء فيما بعد هذه السّنة ولم يخرجوا عنها إلّا في مواضع قليلة (١) .

فما كان موقف الشعراء المغاربة من هذا المنهج ؟ وهل اقتدوا به أو خالفوه ؟

لابدّ قبل الحديث عن منهج القصيدة أن نتساءل أولاً ، هل القصائد المديحة التي وصلت إلينا كاملة ؟ أم أنّ قسماً أو أقساماً منها انتهت إلينا ؟ وهل كان المصنّفون يتصرّفون فيما يوردونه من شعر ؟

إنّ الإشارات التي يذكرها مؤلفو بعض الكتب التي أمّدتنا بالشعر الموحدي بالمغرب تدلّنا على أنّ ثمة نقصاً في القصائد التي يدوّنونها ، وكثيراً ما نجد بعض المصنّفين يذكرون قبل الشعر عبارات مثل : وقال من قصيدة ، أو : وقال من قصيدة طويلة (٢)

أضف إلى ذلك وقوفنا على أبيات مختلفة من قصيدة واحدة في مصدرين أو أكثر دون إشارة من المؤلفين إلى ذلك ، مما يدلّنا على أنّ عدداً قد يكون كثيراً أو قليلاً من القصائد التي انتهت إلينا قد انتزع منها قسم أو أقسام على سبيل الاختيار . وقد تكون الأبيات المنتزعة من مطلع القصيدة أو وسطها أو خاتمتها .

(١) انظر التقسيم الثلاثي لابن قتيبة في الشعر والشعراء : ١ / ٧٤ - ٧٥

(٢) انظر ، مثلاً ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين ١٠٧ -

وثمة مسألة أخرى يحب التنبيه إليها وهي مسألة ضياع قسم كبير من الشعر الموحدى ، شأنه شأن كثير من التراث العربي الذي لم يصل إلينا ، مما يجعل أحكامنا تقوم أساساً على ما توفر بين أيدينا من مادة شعرية .

وإذا ألقينا نظرة متفحصة على المتوفر لدينا من شعر المدح يلفت نظرنا ظاهرة فنية هي انصراف الشعراء المغاربة في هذا العهد - على الأغلب - عن المقدمات بضروبها المختلفة ، والتخفف من حديث الرحلة باستمرار ، فلا يفتتح الشاعر الموحدى قصائده - على الأغلب - بمقدمة في الغزل أو الأطلال أو غيرها ، ولا يرحل في هذه المدائح معتسفا الفلوات ، وضارباً آباط الإبل ليصل إلى الممدوح ، ولا ينطلق خلف حيوان الصحراء يصور لنا مشاهد الصيد المختلفة . ولكنه يشرع - في الغالب - في المدح مباشرة . والوثوب إلى الغرض أمر معروف منذ أيام المتنبي الذي سخر من الشعراء الذين يقدمون النسب وجوباً فقال: (١)

(من الطويل)

إِذَا كَانَ مَدْحٌ فَالنَّسَبُ الْمُقَدَّمُ أَكُلُّ فَصِيحٍ قَالَ شِعْرًا مُتَيَّمٌ ؟

والعلة في ذلك - فيما نرى - أن القصيدة المدحية كانت تلقى على أسماع الخليفة مباشرة في مواقف حماسية بعد انتصار أو عودة من فتح ، أو تهنئة بمناسبة من المناسبات . فالموقف حينئذ لا يتسع لحديث عن مقدمات ورحلة ، بل يتطلب الدخول مباشرة في المدح .

ولئن عاب ابن رشيق على الشعراء هجومهم على الغرض مباشرة ، وسمى قصائدهم بالقصائد البتراء (٢) ، فإن ابن الأثير يرى بأن الشاعر " إذا نظم قصيدة في مدح صرف لا يختص بحادثة من الحوادث، فهو مخير بين أن يفتتحها بغزل أولا " (٣) أما إذا كانت القصيدة منظومة في فتح أو غيره ، فإنه ينبغي ألا تبدأ بالغزل لأن هذا يدل " على ضعف قريحة الشاعر ،

(١) ديوانه : ٢٩٠ .

(٢) ابن رشيق ، العمدة : ١ / ٣٣١ .

(٣) ابن الأثير ، المثل السائر ٢٠ / ٢٣٦ .

وقصوره عن الغاية ، أو على جهله بوضع الكلام في مواضعه لأنّ الأسماع تكون متطلّعة إلى ما يقال في تلك الحوادث " (١)

أمّا مطلع القصيدة فقد أولاه النّقاد القدامى اهتماما كبيرا (٢) ، " إذ كانوا يعدّونه أحسن شيء في صناعة الشعر ، فأرادوه أن يكون متمشياً مع موضوع القصيدة ... فأوجبوا على الشّاعر أن يحترز في أشعاره ومفتتح أقواله بما يُتطَيّر منه ، أو بُستجفى . من الكلام والمخاطبات ، كذكر البكاء ، ووصف إقفار الديار .. ونعّي الشباب ، وذمّ الزّمان ... " (٣) .

فإلى أيّ حدّ وفّق الشّعراء الموحّدون في مطالع قصائدهم ؟ للإجابة عن هذا السّؤال يحسن بنا أن نستشهد على ما ذكرناه - من عزوف الشّعراء الموحّدين عن المقدمات ، وحديث الرّحيل - بمطالع بعض القصائد المدحيّة لأبرز هؤلاء الشّعراء . فهذا أبو العباس الحرّاي - شاعر الخلافة الموحديّة - الذي وقف جُلّ قصائده على مدح الخلفاء الموحّدين الأربعة الأوائل (٤) يفتتح بعض قصائده المدحيسيّة بالأبيات

(١) ابن الأثير : المثل السائر : ٢ / ٢٣٦

(٢) حدد النّقاد شروطاً للمطلع ، إذا جاء موافقاً لإحداها كان جيّداً . وإلاّ

فهو رديء وهذه الشّروط هي :

- أن يكون المطلع فخماً له روعة ، وعليه أبهة .
- أن يكون بعيداً عن التّعقيد لأنّه أوّل العي .
- أن يكون نادراً انفرد الشّاعر باختراعه .
- أن يكون خالياً من المآخذ النّحوية ، وأن تراعى فيه جودة اللفظ والمعنى معا .

(٣) يوسف حسين بكار ، بناء القصيدة في النّقد العربيّ القديم : ٢٠٥

(٤) هم : عبد المؤمن بن عليّ ، ويوسف بن عبد المؤمن ، ويعقوب المنصور ،

ومحمد الناصر .

التَّالِيَّة : (١)

أَعْلَيْتَ دِينَ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ بِالْمَشْرِفِيَّةِ وَالْقَنَا الْخَطَّارِ (٢)

وقوله (٣) :

لِمَنِ الْخِيُولُ كَأَنَّهُنَّ سِيُولُ غَصَّتْ بِهِنَّ سَبَاسِبٌ وَهَجُولُ (٤)

ويفتتح أبو الربيع سليمان الموحدي بعض قصائده المدحية

بقوله (٥) :

هَبَّتْ بِنَصْرِكُمْ الرِّيحُ الْأَرْبَعُ وَجَرَتْ بِسَعْدِكُمْ النُّجُومُ الطَّلَعُ

وقوله (٦)

عَزَمَاتُ جِدِّكَ لِلْهُدَى مَا أَبْرَكَا وَغُرُوبُ حَدِّكَ فِي الْعِدَا مَا أَفْتَكَا (٧)

وهذا أبو حفص بن عمر السلمي يفتتح بعض قصائده المدحية

بقوله (٨) :

أَطَاعَتُكَ الذَّوَابِلُ وَالشِّفَارُ وَلَبَّى أَمْرُكَ الْفَلَكَ الْمُدَارُ (٩)

وقوله (١٠) :

(من البسيط)

-
- ١- ابن عذاري ، البيان المغرب : ٧٢
 - ٢- المَشْرِفِيَّة : سيوف منسوبة إلى المشارف ، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الرِّيف ، والقَنَا الخطَّار : الرِّيح المِهْتَزَّة .
 - ٣- ابن عذاري ، البيان المغرب : ٧٠ وانظر مطالع قصائده المدحية فـي الصفحات : ١٠٧ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٣١
 - ٤- السَّبَسَبُ : القفر والمفازة ، الهَجُولُ ج هَجَلٌ : المطمئن من الأرض .
 - ٥- ديوان أبي الربيع : ٢٠
 - ٦- نفسه : ٢٨ وانظر مطالع قصائده المدحية في الصفحات ٣٢ - ٣٥ - ٣٧
 - ٧- الجِدُّ : العزم على قضاء الأمر ، والاجتهاد في العمل . الْغُرْبُ وَالْغُرَابُ والغُرُوب : الحِدَّة ، الحَدُّ : البأس .
 - ٨- ابن سعيد ، الفصون الياض : ٩٦ .
 - ٩- أراد بالذَّوَابِلِ والشِّفَارِ : الرِّيح والسيوف .
 - ١٠- الْمُقَرِّي ، أزهار الرِّياض : ٣٦٢ / ٢ .

اللَّهُ حُسْبُكَ وَالسَّيْبُ الْحَوَامِيمُ تَغْرُو بِهَا سَبْعَةٌ وَهِيَ الْأَقَالِيمُ (١)

أما محمد بن حُبوس الفاسي فيفتح بعض قصائده المدحية بقوله: (٢)
(من الطويل)

أَلَا أَيُّهَذَا الْبَحْرُ حَاوْرُكَ الْبَحْرُ وَخَيْمٌ فِي أَرْجَائِكَ النَّفْعُ وَالضَّرُّ

وهذه المطالع في مجملها من المطالع اللائقة بقصيدة المدح ، لما تتصف به من وضوح ، وتناسب بين الصدر والعجز ، وترايط المعنى بينهما ، وإيحاء بجو القصائد . كما أنها تمتاز بالبراعة والرشاقة . وتثير في نفس السامع التشويق ، وتدعوه إلى الإصغاء ، والاستماع إلى ما بعدها (٣)

ويلفت النظر في هذه المطالع أنها جاءت مصرعة ، ومعلوم أن النقاد العرب القدماء كانوا يفضلون أن يصرّع الشاعر مطلع قصيدته ، ويرون فيه نوعاً من المقدرة الفنية ، حتى يدلّ آخر الصدر على آخر العجز ، تنبيهاً على القافية الملزمة (٤)

فلئن كان الشعراء الموحّدون قد تخلّوا عن المقدمات التقليدية في قصائدهم المدحية فإنهم لم يُغفلوا تصريح مطلع قصائدهم عموماً ، وهم بذلك يعلنون ولاءهم الفني للتراث ، وسنوضح ذلك بهذه الإحصائية لمطالع القصائد المدحية لأبرز شعراء المدح في هذا العصر ، فالجراوى يصرّع مطلع ثلاثين قصيدة (٥) ، ويخالف هذه القاعدة في قصيدة واحدة ، بينما نجد أبا الربيع الموحّدي يصرّع سبع عشرة قصيدة ومقطوعة ويحانب التصريح في ست قصائد ومقطوعات . أما أبو حفص بن عمر فقد جاءت مطلع مدائحه جميعاً مصرعة ، وابن حبوس صرّع مطلع خمس قصائد وأغفل التصريح في واحدة .

(١) الحواميم : سور من القرآن على غير قياس . وقيل : إنّ السور التي أولّها :

حُم لها شأن ، وهي ممّا يستظهر به على استنزال النصر من الله .

(٢) ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة : ٢٩٤ / ٨ ، صفوان بن إدريس ، زاد المسافر : ٤٤

(٣) انظر مقاله حازم في المطلع ، في منهاج البلغاء : ٣٠٩ - ٣١٠

(٤) قدامة بن جعفر ، نقد الشعر : ٥١

(٥) قامت الإحصائية على القصائد والمقطوعات التي ثبت أنها بُدئت بمطالعها .

فالشعراء الموحّدون كانوا ذوي نزعة تقليديّة من هذه الناحية . ولم يكن من السّهل أن يتخلّص الشعراء الموحّدون بشكل صارم من المنهج التقليدي للقصيدة العربيّة . لأنّ الثّراث العربيّ الإسلاميّ واحد ، وهم يشكّلون غصنا منه يستمدّ نسف حياته من الحذور ، فكان من الطّبيعي أن نلمح بقابا من آثار ذلك المنهج في أشعار بعض الشعراء . من ذلك ماقرأناه في قصيدة لمحمّد بن حبّوس الفاسي مدح فيها الوزير أبا جعفر بن عطية استهلّها بمقدّمة في النّسيب تقع في أربعة أبيات تخلّص بعدها ببراعة فنيّة إلى مدح الوزير المذكور بواسطة صدر البيت الخامس فقال : (١)

أَلَا زَارُ مِنْ أُمِّ الْخُشَيْفِ خَيَالُهَا	وَمِنْ دُونِهَا الْبَيْدَاءُ يَخْفُقُ آلُهَا (٢)
لَقَدْ أَوْقَدْتُ فِي الْقَلْبِ مِتِّي جُفْرَةً	بَدَا فِي سَوَادِ الْعَارِضِينَ اشْتِعَالُهَا (٣)
ثَكِلْتُ اللَّيَالِي عِنْدَ غَيْرِي سَلْمُهَا	وَرَوْقَةُ دُنْيَاهَا وَعِنْدِي قِتَالُهَا
أَتَحْسُدُنِي فِي أَنْ أَعِيشَ كَأَنَّمَا	إِذَا فَسَدَتْ حَالِي سَتَصْلُحُ حَالُهَا
أَمَا تَتَّقِي أَنْ يَشْرَبَ لِنَهْرَتِي	قَوِيَّ إِذَا رَامَ السَّمَاءَ يَنَالُهَا (٤)

فالشّاعر يتخلّص من مقدّمته المركّبة التي مزج فيها بين النّسيب والشّكوى من الشّيب ، إلى المدح معتمدا في هذا الانتقال على الحوار الذي اصطنعه مع طيف هذه المحبوبة ، والشّكوى مما آلت إليه حاله ، فحاء انتقاله من المقدّمة إلى المدح خفيّاً لم نشعر به لشدّة الالتئام والتّرابط بينهما .

ونقف على قصيدة مدحيّة لابن الفُكون مدح فيها بعض سادات بني عبد المومن استهلّها بمقدّمة في وصف الطّبيعة والتّغني بمفاتها وسحرها

(١) صفوان بن إدريس ، زاد المسافر : ٤٥ .

(٢) البَيْدَاءُ : الفلاة ، وَالْأَلُ : السّراب .

(٣) الْعَارِضَانِ : صَفْحَتَا الْخَدِّ ،

(٤) يَشْرَبُ : يَنْهَضُ ، يَرْتَفِعُ .

من خلال وصف قصر الرّبيع يقول فيها: (١)

عَشُونَا إِلَى نَارِ الرَّبِيعِ وَإِنَّمَا عَشُونَا إِلَى نَارِ النَّدَى وَالْمَحَلِّقِ (٢)
رَكِبْنَا بِوَادِيهِ جِبَالُ زَوَارِقِ نَزَلْنَا إِلَيْهَا عَنْ ضَوَامِرِ سُبُقِ
وَحُضْنَا حَشَاهُ وَالْأَصِيلُ كَانَتْهُ بِصَفْحَتِهِ تَبْدِي مَرُوقَ زُنْبَقِ
وَسَيِّدَنَا قَدْ سَارَ فِيهِ لِأَنَّهُ - بِزُورِقِهِ - إِنْسَانُ مُقْلَةٍ أَزْرَقِ (٣)

فالشاعر قدّم لقصيدته بمقدمة في وصف الطبيعة في ثلاثة أبيات
ثم تخلص في البيت الرابع إلى المدح عبر واف الاستئناف التي أشعرتنا
بانقطاع بين المقدمة والمدح ، فلم يوفق ابن الفكون في تخلصه توفيق
سابقه .

وشمّة قصيدة مدحيّة لأبي الرّبيع الموحّدي يبدوها ببيت في الرحلة
- دونما مقدّمة - ثم يتخلص إلى مدح الخليفة محمد الناصر فيقول: (٤)
(من الكامل)

أَرْحَ الزَّمِيلُ مِنْ أَنْ يَحْطَّ وَيَزْجَلَ وَأَلِجْ رِكَابَكَ قَدْ بَلَغْتَ الْمَنْزَلَ (٥)
وَالْقَ الْإِمَامَ مُحَمَّدًا مَنْ يَلْقَاهُ يَلْقَ الْمُنَى وَيَنْلِ بِهِ مَا أَمَلَا

فالشاعر يختصر في حديث الرّحيل اختصاراً كبيراً ، فيجعله في
بيت واحدٍ يشير فيه إلى مكابדתه وعنائه في الوصول إلى الممدوح، ويحاول
فيه أن يحقق لنفسه جودة الانتقال فيلجأ إلى أسلوب الخطاب ، فيجرّد من

(١) الغبريني ، عنوان الدّراية : ٢٨١

(٢) عشا النار ، وإليها عشا ، وعشواً : رآها ليلاً فقصدها راجياً هدى أو

قرى . والمحلق الكلبى ممدوح الأعشى ، وفيه قال :

تُشَبَّ لِمَقْرورِينَ يُضْطَلِيَانِهَا وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمَحَلِّقُ

(٣) كذا في عنوان الدّراية ، وأظنّه تصحيفاً عن : كأنه - بزورقه - إنسان ...

(٤) ديوان أبي الرّبيع : ٣٨ .

(٥) الزميل : الرديف على البعير الذي يحمل الطعام والمتاع ،

نفسه شخصا ويطلب منه أن يحطّ ركابه ، ويريح رفيق الرحلة من عناء السفر ومشقّته ، فهو قد بلغ منتهى الرحلة بوصوله إلى حمى ممدوحه الذي يحقق آمال قاصديه .

ولم يكن اهتمام النقاد بخاتمة القصيدة بأقلّ من اهتمامهم بمطلعها فقد أولوها أهمّية كبيرة لأنّها " أبقي في السّمع ، وألصق بالنّفس لقرب العهد بها ، فإنّ حسنت حسن ، وإنّ قبحت قبح " (١) ، وحاولوا التّقصيد لها ، وصياغة شروط يمكن أن ترشد الشعراء وتوجّههم . يقول حازم :
" فأما الاختتام فينبغي أن يكون بمعانٍ سارّة فيما قصد به التّهاني والمديح وبمعانٍ مؤسّية فيما قصد به التعازي والرّثاء ، وكذلك يكون الاختتام في كلّ غرض بما يناسبه " (٢) .

وكثيرا ما كان الشعراء الحاهليّون ومن جاء بعدهم يختمون قصائدهم بالحكمة التي كانوا يودعونها خلاصة تجاربهم ، ونظرتهم إلى الحياة . ولكن هذا لا يعني أنّ الحكمة هي السّبيل الوحيد للخاتمة . فقد تعدّدت وسائل الشعراء في إنهاء القصيدة ، وكثيرا ما كان بعض الشعراء يتركّون قصائدهم دون خاتمة وكأنّها في حاجة إلى استكمال معانيها .

ويكثر ورود الخاتمة الدّعائية في مدائح أبي العباس الحرّاوي إذ يختتم بها اثنتي عشرة قصيدة ، يقع فيها الدّعاء فسي بيت أو بيتين أو ثلاثة ، يستخدم فيها الشاعر أفعالا متعددة منها :

" اسلم ، يحميك ، بقيت ، دمت ، وقاك الله ، لازال ... " كما في قوله لممدوحه (٣) :

(من البسيط)

دُمْتُ حَيَاةَ بَنِي الدُّنْيَا وَدَامَ لَكُمْ
نَصْرٌ وَفَتْحٌ وَتَمَكُّينٌ وَتَأْيِيدُ

(١) ابن رشيق ، العمدة : ١ / ٢١٧ .

(٢) حازم القرطاجيّ ، منهاج البلغاء : ٣٠٦ .

(٣) ابن سعيد : الغصون الياضنة : ١٠٢ .

وقوله (١) :

لَزِلْتُ لِلْأَعْيَادِ تَمْنَحُ بِهِجَةً يُغَيِّرُ سَنَاهَا أَعْيُنَ اللَّمَّاحِ
مُسْتَوْفِيًا مَدَدًا إِلَى مَدَدٍ بِهِ مُدَدِ طَوَالٍ لَا تُعَدُّ فِسَاحِ
مُسَرِّبَلًا بِالسَّعْدِ مُتَّشِحًا بِهِ مُسْتَفْتِحًا بِالْوَاحِدِ الْفَتَّاحِ

وربما جمع بين الدعاء لممدوحه والدعاء على أعدائه في بيت واحد كقوله (٢) :

دُمْتُ لِلدِّينِ عِصْمَةً وَمَلَاذًا وَلِأَعْدَائِهِ مُبِيدًا مُبِيرًا (٣)

كما نجد هذه الخاتمة عند أبي الربيع الموحدي ، إذ ختم بها سبعة من مدائحه . وتتراوح صيغة الدعاء عنده بين بيت وثلاثة أبيات ، كقوله لممدوحه : (٤)

وَقَاكَ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ اللَّيَالِي وَمَدَّ عَلَيْكَ مِنْ جَفْظِ رَوَاقَا (٥)

وقوله مضميًّا على الدعاء مسحة إسلامية : (٦)

وَيَخْمِيكَ مَنْ تَحْمِي بِسَيْفِكَ دِينَهُ فَلَا زِلْتُ مَحْمِيًّا وَلَا زِلْتُ حَامِيًّا

ومعروف أن النقاد " كانوا يكرهون أن تختتم القصيدة بالدعاء إلا للملوك الذين يحبونه ، لأن الدعاء من عمل أهل الضعف " : (٧)

فالخاتمة الدعائية في قصائد المدح الموحدية المنصرفة إلى بلاط الخلفاء ، من الخواتم المناسبة لغرض المدح ، لما فيها من معان سارة وتتنويع لمشاعر

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢٣٧ .

(٢) نفسه : ٢٥٠

(٣) مُبِيرًا : مهلكا .

(٤) ديوان أبي الربيع : ٣٧ .

(٥) غَيْرُ اللَّيَالِي : أحداثها ، وأحوالها ، المتغيرة من الصلاح إلى الفساد .

(٦) ديوان أبي الربيع : ٣١ ، وانظر خواتم القصائد في الصفحات ٢٢ ، ٢٦ ،

٢٧ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٩

(٧) يوسف حسين بكار ، بناء القصيدة : ٢٣١

القائل تجاه الممدوح ، فالدعاء للخليفة بالبقاء ، والتأييد ، والنصر ، من المعاني التي يطرب لها الخليفة ، ويهتز لها ، وتبهجه ، ويحسن أن ترسخ في ذهن السامع .

ومعروف أن مسألة الدعاء للخليفة في نهاية خطبة صلاة الجمعة ، أصبح أمراً معتاداً في أغلب البلاد الإسلامية ، إذ درجت العادة أن يدعو الإمام بصوت مرتفع ، ويؤمن الحاضرون ، وليس بعيداً أن يكون الشعراء نقلوا هذا التقليد من نهاية الخطبة إلى خواتم قصائدهم المديحة في الخلفاء .

وفي موازاة الخاتمة الدعائية ، نجد بعض الشعراء الموحدين يختمون قصائدهم بشكر الممدوح ، مقدمين له شك الاعتراف بفضلهم ونعمته ، ولعل هذا الشكر كان صادقاً في بعضها ، حيث جاء شكرهم خالصاً من شوائب الطلب ، وربما كانوا يصرحون بأنهم يقومون بالمدح رجاء المنفعة في الدارين ، كقول أبي العباس الجراوي : (١)

مَدَحُ الْإِمَامِ عِبَادَةً نَرْجُو بِهَا عِزَّ الْحَيَاةِ وَأَنْ نَفُوزَ مَابَا

ويرى أبو الربيع أن الشكر واجب اجتماعي على الرعية وثواب ذلك عند الله : (٢)

فَعَلَى عِبِيدِكَ أَنْ يُؤَفَّقُوا سَعْيَهُمْ شُكْرًا وَعِندَ اللَّهِ عَنْهُ جَزَاءٌ

وربما لجأ بعض الشعراء إلى الصلاة على الإمام في خاتمة القصيدة المديحة ، وهو تقليد شيعي ، كقول أبي حفص بن عمر السلميّ في ممدوح المنصور : (٣)

صَلِّ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَدَقَ مَدْحَتِهِ ذَاكَ الرَّحِيقُ بِهَذَا الْمِسْكِ مَخْتُومٌ

وقول الشاعر الحزائري : (٤)

عَلَيْهِ سَلَامٌ اللَّهُ مَا ذَرَّ شَارِقٌ وَمَا صَدَرَ الْوَرَادُ عَنْ وَرْدٍ مُورِدٍ

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب : ١٩٦ .

(٢) ديوانه : ٢٦ ، وانظر صفحة : ٣٩ .

(٣) المقرئ ، أزهار الرياض : ٢ / ٣٦٤ .

(٤) المراكشي : المعجب : ١٩١ .

وقد يختتم الشاعر الموحد مدحته بالحكمة ، وكأنه يلخص تجربة ويودعها في نهاية القصيدة ، كقول أبي العباس الجراوي يمدح المنصور ، ويزري بالشاعر الجزيري^(١) ، مستغلاً الموقف في صياغة حكمته : (٢) (من البسيط)

وَالْوَعْظُ فِي النَّاسِ مَقْبُولٌ وَمُطَرَحٌ كَالْخَطِّ فِي الْمَاءِ أَوْ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ

وقد يفخر الشاعر في خاتمة مدحته بشعره ، " وربما كان الشاعر يهدف منه إلى ترك الإحساس لدى الممدوحه بالرّضا عن هذا الفن الذي يحاول فيه الإجابة ليقدمه إليه " (٣) ، مع الاعتراف بقصور الشعر عن الوفاء بحقوق الممدوح : (٤)

(من البسيط)

وَالشَّعْرُ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي نَفْسِهِ حَسَنًا فَمَا تَحَسَّنَهُ الْأَصْحَابُ وَالشَّيْعُ
مَنْ رَامَ وَصْفَكَ مُسْتَوْفَى فُغِفَلْتَهُ يُبْدِي، وَمِنْ فَهْمِهِ عِنْدَ الْوَرَى يَضَعُ
أَضَحْتُ عَلَاكَ مَكَانَ النَّجْمِ عَنْ مِدْحِي مَا حِيلَتِي وَبُلُوغُ النَّجْمِ مُمْتَنِعُ

وكثيرا ما يترك الشعراء الموحدون قصائدهم بلا خواتم ، فنجد الشاعر ينهي قصيدته بببيت يلخص فيه رأيه في الممدوح ، كقول الشاعر أبي العباس الجراوي (٥)

(من الكامل)

رَوَّعْتُ كُلَّ مَرْوَعٍ وَحَفِظْتُ كُلَّ لَ مُضَيِّعٍ وَحَمَيْتُ كُلَّ ذِمَارٍ

(١) ظهر بمزّاكش : وتبعه بعض البشر ، فلوحق حتى عثر عليه بما لقة ، فقبض عليه ، وهرب إلى مرسية حيث قبض عليه ، وسبق إلى إشبيلية فطلب هناك ، (ابن عذاري : البيان ٢٠٧ - ٢٠٨)

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢٠٩ ، وانظر خاتمة مدحته في البيان :

٢٢٤ ، وديوان أبي الربيع : ٣٣

(٣) عبد الله التّطاوي : قضايا الفن في قصيدة المدح العبّاسية : ٣٢٣

(٤) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢٠٩ ، وانظر ديوان أبي الربيع : ٣٢

(٥) نفسه : ٧٢ ، وانظر الصفحات : ١٢١ - ١٣١ - ١٥٢ - ٢١٣

ويمكن للدارس أن يلاحظ ظاهرة فنيّة تتعلّق بمنهج القصيدة المدحيّة هي ظاهرة طول القصيدة - عموماً - وهذا يعني أنّ التّخفّف من المقدّمات وحديث الرّحلة وانصراف القصيدة إلى غرض المدح فقط لم يوّدّ إلى قصّر القصيدة ، ويمكن تسويغ هذا الأمر بقدرة هؤلاء الشعراء على تفتيق المعاني المستعملة في المدح ، والاستطراد الكبير في عرض الصّفات ، وتأكيداتها عن طريق تكرارها بصور مختلفة . وسنحاول أن نتبين ذلك من خلال استعراض قصائد المدح لأبرز شعراء هذا العصر ، فأبو العباس الجراوي الذي يُعدّ شاعراً مختصاً بالمدح تتّصف قصائده المدحيّة بالطّول عموماً، فله اثنتا عشرة قصيدة تجاوز عدد أبيات الواحدة منها عشرين بيتاً، وأربع عشرة قصيدة عدد أبيات الواحدة منها يفوق عشرة أبيات . وثلاث قصائد عدد أبيات الواحدة بين سبعة وتسعة أبيات .

وكذلك ابن حبّوس الفاسيّ فله أربع قصائد أبيات الواحدة فوق عشرة أبيات ، وواحدة مؤلفة من ثمانية أبيات . ونجد عند أبي الرّبيع الموحّدي سبع قصائد يتراوح عدد أبياتها بين عشرة وخمسة وثلاثين، وست قصائد يتراوح عدد أبياتها بين ثمانية وتسعة أبيات . وقد تطول القصيدة المدحيّة كثيراً كما وجدنا عند ابن خبّازة في قصيدته الّلامية التي مدح فيها " المأمون " إذ بلغ عدد أبياتها أربعة وسبعين بيتاً^(١) وهذا يوكّد أنّ اقتصار قصيدة المدح الموحّديّة على غرض واحد وتخفّفها من المقدّمات والرّحلة لم يوّدّ إلى قصّر القصيدة المدحيّة . وهذا يدلّ على مقدرة هؤلاء الشعراء الفنيّة ، ومحاولة بعضهم^(٢) مضارعة كبار شعراء المديح في التّراث أمثال المتنبي وأبي تمام .

(١) تراجع جداول أشعار هؤلاء الشعراء في القسم الأول من البحث .

(٢) كثيراً ما كان الشعراء الموحّدون - ومنهم أبو العباس الجراوي - ينظمون

قصائدهم وهم ينظرون إلى قصائد الشعراء المشارقة المشهورين أمثال أبي

تمام والمتنبي ، انظر كتاب الدكتور محمد بن شريفه " أبو تمام

وأبو الطيّب في أدب المغاربة والأندلسيين " .

وخلاصة القول : لقد تمرّد الشعراء الموحّدون على منهج القصيدة التقليدي ، فتحفّفوا - على الغالب - من المقدمات ، وحديث الرّحيل ، والانطلاق وراء مشاهد الصيد في الصحراء ، وهذا عائداً إلى طبيعة المجتمع الموحّدي المتحضّرة التي تفتقر إلى الأطلال من جهة ، وإلى أنّ تلك القصائد كانت تلقى على أسماع الخليفة مباشرة في مواقف حماسيّة بعد انتصار أو عودة من فتح فلم يكن الوقت يتسع آنذاك للمقدمات وحديث الرحلة من جهة أخرى . ولكن بعضهم لم يستطع الانعتاق بشكل كامل من تأثير ذلك المنهج ، فقد وجدنا ظلّاً باهتاً لذلك المنهج في أشعار بعضهم ، كبعض المقدمات الغزليّة أو الطليّة ، وبعض الأبيات القليلة في الرحلة . وقد رأينا أغلب هؤلاء الشعراء يثبون إلى المدح مباشرة ، وكانت مطالع قصائدهم توحى بالجو العام للمناسبات التي كانت تقال فيها القصيدة من تفخيم وعظمة وأبهة ، ووجدناهم يختمون قصائدهم بأنماط متعدّدة من الخواتم ، وتأتي الخاتمة الدّعائية في المرتبة الأولى يليها الضروب المختلفة من الخواتم بنسب متقاربة . وسحلنا ظهوراً لخاتمة يعز وجودها في قصائد المدح العربية وهي خاتمة الصّلاة والسّلام على الإمام .

معاني المدح

آ - معاني مدح الخلفاء و الوزراء :

١- المعاني التقليدية :

إن المعاني والأفكار التي تقوم عليها المدحة الموحّدية لاتكاد تبعد كثيرا عما تعاوره شعراء المدح في المشرق والأندلس ، والشاعر المغربي الموحّدي يلجأ إلى مخزونه من التّراث ، يمتح منه ويستقرص ماشاء من معان ، فيوظفها في مدحّته ، فإذا بالتشبهات والصّور تكاد تتكرّر بين ممدوح وآخر ، والصفّات والخلال التي يخلعها الشعراء على الممدوحين ، باختلاف شخصياتهم وطبائعهم . تكاد أن تكون نفسها .

لقد دأب هؤلاء الشعراء أن يرسموا لممدوحهم صورا تتلّأ فيهما الألوان ؛ فالممدوح مثال الجود والتّقوى ، والشّجاعة ، وكرم المحتد ، والعدل ، والحلم ، وهو الذي اختاره الله ليعلي كلمة الإسلام ، ويذبّ عن حماه الكفار والمارقين ، إلى غير ذلك من الصفّات الحميدة والمآثر . فإذا افتقر الممدوح إلى بعضها ، ولم يتّصف بها ، عمدوا إلى خلعها عليه ليكملوا تزيين الصّورة وجعلها مثالا كاملا .

الكرم

تأتي قيمة الكرم في طبيعة القيم التي يُلحّ عليها الشعراء الموحّدون وهو كرم مطلق لا حدود له ، شبيه بالبحر الزّاهر والسّحاب الممطر . ونجد هذه القيمة تبرز بروزا كبيرا عند أبي العباس الحرّاوي ، الذي يؤكد هذه الصّفة عند ممدوحيه تأكيدا كبيرا وليس هذا بغريب ، فالحرّاوي كان شاعر بلاط ، وهولسان السّلطان الذي يقوم بدور وسائل الإعلام التي تضطلع بالدعاية للقصر ، وقد اختصّ هذا الشاعر بالخلفاء الموحّدين الأربعة الأوائل وخصّهم بغالبية شعره ، مدحا وإشادة بانتصاراتهم . مقابل بعض الهبات والعطايا ، فمن الطبيعي أن يُلحّ على هذه الصّفة عند ممدوحيه ، ويحفّرها بحروف من نور ، فهو عندما يمدح عبد المؤمن بن عليّ عند محاصرته المهدية سنة (٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) يلتفت إلى مخزونه التّراشي ، ويستعير منه حديث

جرير عن " هنيذة " (١) ، إذ كان يراها غاية الجود ، ثم يقارن بحذق بين كرم ممدوحه عبد المؤمن ، وكرم ممدوح جرير ، ليصل إلى أن عبد المؤمن بزه في الحود بمراحل، يقول الجرّاي : (٢) ،
(من البسيط)

قَالُوا : الْعَطِيَّاتُ أَحْيَاهَا فَقُلْتُ لَهُمْ ؛ بَلْ لَمْ تَكُنْ قَبْلُ أَنْ كَانَ الْعَطِيَّاتُ
أَمَّا سَمِعْتُمْ جَرِيرًا عَنْ هُنَيْدَتِهِ يُوْنِي يَرَى أَنَّهَا فِي الْجُودِ غَايَاتُ
وَأَيْنَ مَنْ حَسْبُهُ أَلْفًا مِنْ ذَهَبٍ هُنَيْدَةُ مِنْ سِوَاهُ أَوْ هُنَيْدَاتُ

فجود عبد المؤمن غير محدود ، وبهذا يوافق الشاعر غيره من الشعراء الذين اعتادوا ألا يذكروا عطية بعينها ، ولا مقداراً محدداً من المال ، لئلا يجعلوا لكرم الممدوح حدوداً ، لأن تحديد كرم الممدوح يعد انتقاصاً من قيمته .

ويقول في مدح أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بالكرم : (٣)

(من الوافر)

وَوَالَيْتَ السَّمَاحَ فَقَدْ تَنَاهَيْتُ أَمَانٍ لِلْعَفَاةِ وَمَا تَنَاهَيْ (٤)
وَجُودُكَ نِعْمَةٌ لِلَّهِ عَمَّاتُ وَجُودُكَ نِعْمَةٌ أُخْرَى سِوَاهَا
وَصَلَّتْ وَصَلَّتْ فَالْأَمْوَاهُ تَجْرِي وَغَلَبُ الْأُسْدِ تُحْذَرُ فِي شَرَاهَا (٥)

فالشاعر يرى في ممدوحه محققاً لأقصى ما يتمناه طالبو المعروف ، دون تحديد لما يجود به ليبقى كرمه في أجواء مطلقة ، ويعمد إلى الجنس بين لفظتي " وَجُودُكَ " من الوحد ، و " جُودُكَ " من الجود و " وَصَلَّتْ " و " صَلَّتْ " على سبيل اللف والنشر ف " وَصَلَّتْ " من الصلة تناسب " الْأَمْوَاهُ تَجْرِي " و " صَلَّتْ " الأخرى من الصولة يناسبه قوله :

(١) هنيذة : اسم للمئة من الإبل ، والمقصود قول جرير في ديوانه : ١ / ١٧٤

أَعْطُوا هُنَيْدَةً يُحْدُوهَا ثَمَانِيَةٌ مَافِي عَطَائِهِمْ أَمْنٌ وَلَا سَكْرَفُ

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٧٢

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب : ١١٩ - ٢٠

(٤) العفاة ج عاف : وهو طالب المعروف.

(٥) غَلَبُ الْأُسْدِ : الأسود الغليظة الأعناق : الشرى : موضع تنسب إليه الأسود

فيقال : أسود الشرى .

"غلب الأسد تحذر في سراها" (١) .

ويعمد الشاعر إلى صورة قديمة تعاورها الشعراء على اختلاف عصورهم ، وهي تشبيه كرم الممدوح بالماء الدافق ، ويبالغ فيها ويغالي ، إذ يغلب ندى الممدوح على ماء السحب : (٢)

(من المتدارك)

وَهُمَّتْ دَيْمٌ مِنْ رَاخَتِكُمْ هِيَهَاتَ سَاجِلُهَا الدَّيْمُ (٣)

ويوسع الجراوي دائرة الكرم عند ممدوحه لتشمل بني الدنيـا ، فجوده أغنى البشر جميعا : (٤)

(من البسيط)

نَدَاكَ عَمَّ بَنِي الدُّنْيَا وَالْبَسْهُمْ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ أَشْوَابَ الْغِنَى الْقُسْبَا (٥)

وجود الممدوح أزرى بأموال البحار : (٦)

(من الكامل)

أَزْرَى نَدَاكَ بِكُلِّ بَحْرٍ زَاخِرٍ هَبَّتْ عَلَيْهِ عَوَاصِفُ الْأُرُوحِ

أرايت كيف يستعير الجراوي صور الأقدمين ؟ وكيف ينفخ فيها من روحه وفنّه ، فإذا بالصورة تشع في أطرافها الحياة ؟ وكيف يبالغ في نعت ممدوحه بالكرم لينهز أريحته ، ويحثه على العطاء الجزيل ؟ إن هذا أمر معهود عند الشعراء المتكسبين الذين يرتزقون بشعرهم .

ويقرن الشاعر الموحد بين عطاء الممدوح وتهلل وجهه ، وهذا أمر عرفناه منذ الجاهلية عند زهير (٧) ، يقول أبو الربيع : (٨)

(من البسيط)

(١) محمد بن تاويت ، الوافي بالأدب العربي : ١ / ١٢٦

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب : ١٥٢

(٣) همت : سالت - الديم ، ج ديمه : وهي مطر يدوم في سكون لارعد فيه ولا برق .

(٤) ابن عذاري ، البيان المغرب : ١٨٣

(٥) قُسْبُ الثَّوْبِ قَشَابَةٌ : كان جديدا نظيفا .

(٦) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢٣٦

(٧) قال زهير في ديوانه : ٥٧ :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

(٨) ديوانه : ٣٠

حَسْبُ الْعِنَايَةِ أَنْ وَلَّيْتَهَا مَلِكًا طَلَقَ الْأَسْرَةَ وَالْكَفَيْنِ وَضَاحًا (١)

وهو يعطي دون أن يسأله أحد: (٢)

يَكْفِيكَ مِنْهُ ضِيَاءُ غُرَّةٍ وَجْهِهِ مَهْمَا تَبَسَّمَ لِلنَّدَى وَتَهَلَّلَا
أَلِفَ السَّمَاحَةِ وَالنَّدَى فَلِذَاكَ مَا تَلَقَّاهُ إِلَّا ضَاحِكًا مُتَهَلَّلَا
يُعْطِي الْحَزِيلُ عَلَى الدَّوَامِ طَبِيعَةً مِنْ غَيْرِ أَنْ يُشْكِيَ إِلَيْهِ وَيُسْأَلَا

فممدوح أبي الربيع يعطي دون أن يسأل وهو مبتسم، بينما ممدوح زهير يعطي وهو مبتسم ولكن بعد أن يسأله العفاة .

وتتكرر صورة البحر في دائرة المدح الموحديّة لتصوير كرم الممدوح ، كقول ابن حبّوس الفاسي في مدح عبد المؤمن : (٣)

(من الطويل)

أَلَا أَيُّهَذَا الْبَحْرُ جَاوَرَكَ الْبَحْرُ وَخَيْمٌ فِي أَرْجَائِكَ النَّفْعُ وَالضَّرُّ

فالشاعر يشير إلى عظمة الممدوح وكرمه ، وتفوقه على البحر في نفعه وضرره ، لأنّ البحر ينفع ويضرّ من غير إرادة ، على أنّ الممدوح ذو سلطان يحعله ينفع ويضرّ بقدرة وإرادة ، وهذه مبالغة وغلوّ ، ولكنها مبالغة مقبولة لأنّ المراد اشتراك البحر والممدوح في صفة العطاء غيّر المحدودة .

ويشبه ابن الفكون ممدوحه بالبحر ، غير أنّه يتصنّع فيجاوز حدّ الذّوق في قوله يمدح بعض سادات بني عبد المؤمن وهو يركب زورقا : (٤)

(من الطويل)

تَجَمَّعَ حَتَّى صَارَ فِي بَطْنِ زُورَقٍ (٥)

كُرِّ / كُرِّ
أَيَا عَجَبًا لِلْبَحْرِ عَبَّ عَبَابُهُ

(١) الوَضَّاح : الأبيض اللون الحسنّ .

(٢) ديوانه : ٣٨

(٣) صفوان بن إدريس ، زاد المسافر : ٤٤ ، وابن عبد الملك ، الذيل والتكملة :

٢٩٤ / ٨

(٤) الغبريني : عنوان الدّراية : ٢٨١

(٥) عَبَّ الْبَحْرُ عَبَابًا : ارتفع موحه واصطخب .

وصفوة القول : لقد مدح الشعراء المغاربة ممدوحهم بالكرم ، وجعلوا هذا الكرم مطلقاً لا يُحدّ ، ولجؤوا إلى التّراث يستقرضون صور القدماء وتشابيههم ، فشبّهوا هؤلاء الممدوحين بالبحر الزّاهر ، والمطر المتهاطل ، وجعلوا كرم ممدوحهم يعمّ وجه البسيطة ، فانتفى وجود العفاة والمحتاجين في أرجاء الدّولة .

القُوَّة والبأس

كان الخلفاء الموحدون عادة، يقودون الجيوش في المعارك الحاسمة بأنفسهم ، فقد قاد عبد المؤمن بن عليّ الجيوش في فتوح إفريقية وجزائر إلى الأندلس مجاهداً ، وصحبه الشعراء في هذه الحروب والغزوات ، وكذلك فعل أولاده وأحفاده . وشكّلت هذه المعارك مادة خصبة للشعراء الموحدين - مغاربة وأندلسيين - فقد كانوا يشيدون بقوة ومدوحيهم ورباطة جأشهم . وعزمهم في المعارك ، وبُعدثون ويعيدون فيها على نحو ما صنعوا في حديثهم عن كرم ومدوحيهم .

ولعلّ حيوش الممدوحين هي أهم مظاهر القوة التي استوقفت هؤلاء الشعراء ، فوقفوا يصوّرونها كما في قول أبي العباس الجراوي في مدح عبد المؤمن : (١)

(من الكامل)

لِمَنِ الْخِيُولُ كَأَنَّهُنَّ سَيُولُ غَصَّتْ بِهِنَّ سَبَاسِبُ وَهْجُولُ
طُوِيَتْ بِهَا الدُّنْيَا فَأَبْعُدَ مَا انْتَحَتْ دَانٍ وَأَبْطَأَ سِيرَهَا تَغْجِيلُ

وهو ينظر فيها إلى قصيدة ابن هانيء الأندلسي ت (٣٦٢ هـ / ٩٧٣ م) في مدح المعز لدين الله الفاطمي (٢) بمناسبة انتصاره على الروم التي يقول في مطلعها : (٣) .

(من الكامل)

يَوْمَ عَرِيضٍ فِي الْفَخَارِ طَوِيلُ مَا تَنْقُضِي غُرْرَ لَهُ وَحُولُ
ويطيل أبو الربيع الموحدي في حديث الجيش ، فيصوّر عزيمة الخليفة يوسف ، ويذهب تصوير الجنود بمعظم هذا الحديث على نحو مانرى في قوله : (٤)

(من الكامل)

وَمَضِيَتْ فِي نَصْرِ الْإِلَهِ مُصَمَّمًا
بِعَزِيمَةٍ كَالسَّيْفِ بَلْ هِيَ أَقْطَعُ

(١) ابن عذارى : البيان المغرب : ٧٢ .

(٢) الخليفة الفاطمي توفي سنة (٣٦٥ - ٩٧٥) .

(٣) ديوانه : ٢٥٦ .

(٤) ديوانه : ٢٠ - ٢١ .

وَكُتَائِبٍ مَنصُورَةٍ يَخْدُو بِهَا
مَادَتْ بِهَا أَرْحَاءُ كُلِّ تَنُوفَةٍ
مِنْ كُلِّ مَنْ تَقْوَى إِلَهِهِ سِلَاحُهُ
لَا يَسْلِمُونَ إِلَى النَّوَائِبِ جَارَهُمْ
لِلَّهِ حَاشَكَ وَالصَّوَارِمُ تُنْتَضَى
عَزْمٌ إِذَا أَمْضَيْتُهُ لَا يَرْجِعُ
حَتَّى حَسِبْنَا أَرْضَهَا تَتَمَدَّدُ (١)
مَا إِنَّ لَهُ إِلَّا التَّوَكُّلُ مَفْزَعُ
يَوْمًا إِذَا أَضْحَى الْحَوَارُ يُضَيِّعُ
وَالْخَيْلُ تَرْدِي وَالْأَسِنَّةُ تُشْرَعُ (٢)

وفي قصيدة أخرى يمدح فيها المنصور يتطرق إلى وصف الحيش فهو
مواكب تتلوها مواكب ، وهو جيش كثيف ذو قوات بريّة وأخرى بحريّة (٣) :

(من الكامل)

وَمَوَاكِبُ أَرْدَفَتْهَا بِمَوَاكِبِ
كُلُّ الْبَسِيطَةِ مَضْرَبٌ وَمَخِيَّمٌ
ضَاقَ الْفَضَاءُ بِهَا وَغَصَّ الْمَاءُ
لَهُمْ وَكُلُّ بَحَارِهَا مِينَاً

ويقرن الشاعر بين جيوش الموحّدين وحيوش المسلمين يوم بدر ، فكلا
الجيشين ينصر دين الله ، وهو يمدّه بجيش من الملائكة يقاتل معه وينصره (٤)
(من البسيط)

مَنْ ذَا يَرُدُّ جُنُودَ اللَّهِ يَقْدُمُهَا
جَيْشٌ تَصْدَى لِدِينِ اللَّهِ يَنْصُرُهُ
- حَيْثُ انْتَحَيْتَ بِهَا- لِلنَّصْرِ حَيْزُومٌ (٥)
مَنْ يُحْرِمِ الْغَزْوَ فِيهِ فَهُوَ مَحْرُومٌ

تأمل كيف ربط الشاعر ماضي المسلمين بحاضرهم . وكيف كرّس قيمة
الجهاد الذي حثت عليه تعاليم الدين الإسلامي ، فالتقاعس عن الجهاد هو المحروم
الحقيقي من ثواب المجاهد .

(١) التَّنُوفَةُ : القفر من الأرض ، مادت : اهتزّت واضطربت .

(٢) تَرْدِي : تعدو - تُشْرَعُ : تسدّد .

(٣) ديوانه : ٢٣

(٤) ديوان أبي الربيع : ٣٢

(٥) حَيْزُومٌ : اسم فرس جبريل عليه السلام ، وفي حديث بدر أنّه سمع صوته

يوم بدر يقول : أقدم حَيْزُوم .

وَيَصَوِّرُ ابْنَ حَبُوسِ الْفَاسِي كَشَافَةَ الْجَيْشِ تَصْوِيرًا بَدِيعًا فَبَشَبَهُ خِيُولَ
الْأَبْطَالِ بِالسَّيْلِ الْجَارِفِ الَّذِي يَجْرِفُ مَنْ أَمَامَهُ ، وَيَحَقِّقُ النَّصْرَ حَتْمًا
فَيَقُولُ : (١)

(من الطويل)
وَسَأَلَ عَليَّكَ الْبَرَّ خَيْلًا كَمَا تَهَيَّأَ إِذَا حَاوَلْتَ نَصْرًا فَقَدْ وَجَبَ النَّصْرُ (٢)
وَيَلْتَفَتُ الشَّعْرَاءُ إِلَى عَنَائَةِ الْمَمْدُوحِ بِالْجِيُوشِ وَتَحْهِيْزِهَا ، يَقُولُ
الْحَرَاوِيُّ : (٣)

مَا لِلْعَدُوِّ بِمَا أَعْدَدْتَهُ قَبْلَ وَلَا يَغْيِرُ انْقِيَادٍ مِنْهُ تَمْتَنِعُ
عَزَاهُمْ الرَّعْبُ فِي حَيْشٍ بِلَا لَحَبٍ فَأَحْضَمُوا مِنْ وَرَاءِ الدَّرْبِ وَانْقَمَعُوا (٤)
فَالْخَلْفَةُ سَهْرٌ عَلَى إِعْدَادِ حَيْشِهِ إِعْدَادًا حَيِّدًا ، فَلَمْ يَبْعُدْ لِلْعَدُوِّ
طَاقَةً عَلَى مُوَاحَتِهِ ، بَلْ هُوَ أَشَارَ الرَّعْبُ فِي نَفُوسِ هَوَلَاءِ الْأَعْدَاءِ فَانْكَفَوْا
عَلَى أَنْفُسِهِمْ خَائِفِينَ .

وَقَدْ أَشَادَ الشَّعْرَاءُ بِقِيَادَةِ مَمْدُوحِهِمُ لِلْجِيُوشِ ، فَهَذَا أَبُو الرَّبِيعِ
الْمُوَحَّدِيُّ يَشِيدُ بِقِيَادَةِ " الْمَنْصُورِ " حَيْشِهِ فِي مَعْرَكَةِ " الْأُرْكُ " وَبَطُولَتِهِ ، وَلَا
يَنْسَى بَطُولَةَ جُنُودِهِ الَّذِينَ أَقْدَمُوا عَلَى الْمَعْرَكَةِ وَهُمْ يَضْعُونَ النَّصْرَ نَصَبَ
أَعْيُنِهِمْ : (٥)

قُدَّتِ الْهُدَى مِثْلَ الصَّبَاحِ تَبْلُحًا وَحَمَلَتْ لَيْلًا لِلرَّدَى مُخْلُولِكَا (٦)
بِمُؤَخَّذَيْنِ مُصَمِّمِينَ عُدُوَّهُمْ حَلَعُوا دَلِيلَ الْفَتْحِ فِيهِ عَزْمَكَا (٧)
وَبِكُلِّ أَشْوَسٍ إِنْ شَنِيتْ عِنَانُهُ لَكَ الشَّكِيمَ كَمَا تُلَاكَ الْمُصْطَكَى (٨)
وَبِحَيْثُ أَنْكَرَتِ الْجِيَادُ مَرَاحَهَا حَزَعًا وَأَنْكَرَتِ النَّيَاقُ الْمُبْرَكََا

-
- (١) ابن عبد الملك : الذيل والتكملة : ٢٩٤ / ٨
(٢) الكماسة ، ح كمي وهو البطل المقدام .
(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢٠٩
(٤) اللحب : الطيبة ، وارتفاع أصوات الأبطال واختلاطها .
(٥) ديوان أبي الربيع : ٢٨ (٦) : التبلح : الإشراق والإضاءة ، والمخلوك : شديد السواد .
(٧) " مصممين عدوهم " أي مصممين على عدوهم ، بإسقاط حرف الجر ضرورة .
(٨) الأشوس : الجريء ، القوي ، وأراد الخيل هنا ، والشكيم : الحديدية المعترضة
من اللجام في الفم ، المصطكى : ضرب من الشمع يعلك ، وهو اللبان .

وَجَعَلَتْ أَطْرَافَ الْأُسْنَةِ مَذْرَحًا وَشَبَا الْعَوَالِي لِلْمُعَالِي مُسْلَكًا (١)

فالشاعر يجعل ممدوحه يقود حبشا كثيفا من الأبطال الأشداء الذين صمموا على النصر مقتدين بعزيمة قائدهم الذي جعل السلاح طريقا للعلو ، ولا ينسى الشاعر أن يلف حديثه بوشاح ديني ، فالحيث الموحدى المسلم يدعو إلى الهداية والنور " قدت الهدى مثل الصباح تبلجا " وبحمل في الآن نفسه للأعداء الويل والدمار « وحملت ليلاً للردى مُحلولكا » . ولكن هذا الوصف لكيكاد ينقع غلة القارىء ، لأن الشاعر لا ينقل لنا وصفا تفصيليا لبطولة الممدوح وحنوده في المعركة ، وذلك عائد - فيما نظن - إلى أن الشاعر كان بعيداً عن حو المعركة ، وقام بوصفها على السماع .

ويبرز الشعراء الموحدون - إلى جانب صورة حيوش الممدوحين المتألقية - صورة الخصوم وهي صورة شاحبة قوامها الهزيمة ، والقهر ، والقتل ، والتشتيت ، كقول الحرّاي مصورا ابن غانية (٢) وأنصاره وقد فتكت بهم حيوش المنصور : (٣)

(من البسيط)

أَنَحَى الزَّمَانُ عَلَى الْأَغْرَارِ وَاجْتَهَدَتْ فِي قَطْعِ دَابِرِهِمْ أَحْدَاثُهُ السَّوْدُ
وَنَارَعَتْهُمْ سُيُوفُ الْهِنْدِ أَنْفُسَهُمْ فَلَمْ يُفْدِهِمْ عَنِ الْهَيْجَاءِ تَغْرِيدُ (٤)
فَهُمْ عَلَى التَّرْبِ صَرَعَى مِثْلَهُ عَدَدًا إِنْ كَانَ يُقْضَى بَيَّانَ التَّرَبِّ مَعْدُودُ

وصورة القتلى الذين غطت جثثهم وحه الأرض ، حتى إنّ الخيول لاتجد مكانا تضع سنانها عليه صورة قديمة للدلالة على كثرة القتلى ، استعارها أبو الربيع الموحدي لتصوير فتك المنصور بالأعداء : (٥)

(من الكامل)

(١) الْأُسْنَةُ جَ سِنَان : نَصْلُ الرَّمْح - وَشَبَا الْعَوَالِي : أَطْرَافُ الرَّمْحِ .

(٢) يريد علي بن إسحاق الميورقي الذي شار على الموحدين ، ودخل قفصة ودعا للعباسيين ، فسيّر له المنصور جيشا سنة : ٥٩٣ هـ / ١١٨٧ م وقضى عليه .
انظر المراكشي ، المعجب : ٢٧٤

(٣) ابن سعيد ، الغصون البانعة : ١٠٢

(٤) التَّغْرِيدُ : الْفِرَارُ .

(٥) ديوانه : ٢٨ .

أَوْطَأَتْهَا هَامَ الْكُمَاةِ فَلَمْ تَضَعْ إِلَّا عَلَى خَدِّ طَرِيحٍ مُبْتَكَى (١)

وقد اختار الشاعر قتلى العدو من الأبطال ليبدل على بطولة المقاتلين الموحدين ، وهذا مسلك فنيّ قديم وحدناه عند عنتره الذي كان يتخيّر قتلاه من الأبطال ليتوصل في النهاية إلى الفخر ببطولته .

وعندما انتصر المنصور في معركة الأرك سنة : (٥٩١ هـ / ١١٩٤ م) مدحه الجراوي بقصيدة وصف فيها ذلك الانتصار ، وعرج فيها على وصف هزيمة الإسبان في هذه المعركة ووصف قتلهم الذين امتلأت بهم أرض المعركة وعمد إلى المقابلة في المعنى لايضاح الصورة وتعميقها في نفوسنا ، فالفـلـاة أضحت مأهولة بهم ، في حين خلت دبارهم منهم وأقفر ، وإذا بهؤلاء القتلى أصبحوا طعاما للنسور فأصبحت بطونها قبورا لهم ، يقول الجراوي : (٢)

(من الطويل)

أَلَوْ غَدَتْ مَأْهُولَةً بِهِمُ الْفَلَا وَأَمْسَتْ خَلَاءَ مِنْهُمْ دُورُهُمْ قَفَرَا
وَدَارَتْ رَحَا الْهَيْجَا عَلَيْهِمْ فَأَصْبَحُوا هَشِيمًا طَحِينًا فِي مَهَبِّ الصَّبَا يُذْرَى (٣)
يَطِيرُ بِأَشْلَاءٍ لَهُمْ كُلُّ قَشْعَمٍ فَمَا شِئْتَ مِنْ نَسْرِ غَدَا بَطْنُهُ قَبْرَا (٤)

ويظهر اتكاء الشاعر في أبياته السابقة على التراث واضحاً ، فصورة القتلى الذين ملؤوا الأرض صورة قديمة ، وتصوير الحرب بالرحا التي تسدور صورة قديمة وحدناها عند زهير (٥) وغيره . وكذلك صور الأشلاء التي

(١) الضمير يعود على الخيول ، والكمأة ، جمع كمي : البطل .

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢٢٢ . وانظر محمد الفاسي ، شاعر الخلافة

الموحديّة ، الملحق : ٨

(٣) الهشيم : المتكسر من كل شيء : ولا يخفى نظر الشاعر الى قوله تعالى :

(الكهف : ٤٥) ﴿ وَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ ﴾ .

(٤) القشعَمُ : المُسِنَّ من النسور

(٥) قال زهير في معلقته : (شرح شعر زهير : ٢٧) (من الطويل)

فَتَعَرَّكُمُ عَرَكُ الرَّحَا بِثَفَالِهَا وَتَلْقَحُ كِشَافًا ، ثُمَّ تُنْتِجُ ، فَتُشْتِمُ

أصبحت بطون النّسور قبوراً لها صورة قديمة وقفنا على مثلها عند الطّرمّاح (١) وغيره .

ويصف أبو الرّبيع في قصيدة منصورية (٢) ، ماحلاً بحنود الأعداء ، فهم بين أسير راسف في قيوده ، وقتيل مضرج دمائه : (٣) (من الكامل)

وَأَخَذَتْ لِلْأَعْدَاءِ كُلِّ شَيْئَةٍ	فَأَرَيْتَ كَيْفَ تُقْتَلُ الْأَعْدَاءُ
وَبِكُلِّ أَزْهَرٍ فِي الْحَدِيدِ كَأَنَّمَا	نُظِمَتْ عَلَى لَبَاتِهِمِ الْجَوَازُ (٤)
وَالْقَتْلُ أَزْكَى فِي الْحُرُوبِ كَأَنَّمَا	نَلِدُ الْفَوَارِسُ فِي الْحُرُوبِ دِمَاءُ
وَمُصْرَعِينَ مُضْرَجِينَ كَأَنَّمَا	سَكِرُوا فَصَبَّتْ فَوْقَهُمْ صَهْبَاءُ (٥)

وصورة القتلى في البيتين الثالث والرّابع فيها الكثير من الطّرافة والجدة ، فقد تكاثر القتل ، وأريقَت الدّماء ، فعبر الشّاعر عن ذلك بقوله : " والقتل أزكى في الحروب " . إشارة إلى زيادته ، وأكّد هذه الزّيادة في الشّطر الثّاني حين جعل الدّماء تولّد الفرسان ، لأنّ فروسيّة الفارس إنّما تكون بكثرة قتلاه من الفرسان ، ثم يشبّه هؤلاء القتلى وقد تضرّجوا بدمائهم بالسّكاريّ الذين شربوا حتّى لم يعد لديهم القوّة على الجلوس فاستلقوا وصُبت عليهم الخمرة الحمراء ، وقد عهدنا شعراء الخمرة يشبّهون السّكاريّ بالقتلى ، ولكنّ أبا الرّبيع قلب التشبيه فحاء طريفا لايخلو من جدّة .

كما درج الشّعراء الموحّدون على وصف قادة الأعداء وحنودهم بالجبن والخوف ، والفرار من المعركة ، وذلك من باب الحرب النفسيّة ، من ذلك ما قاله ابن حبّوس الفاسيّ في قصيدة مدح فيها عبد المؤمن بن عليّ عندما فتح بحاية ، أتى فيها على وصف حنود الأعداء ، فصورهم وهم يحاولون

- (١) قال الطّرمّاح : (ديوان الخوارج : ٩٩)
 وَلَكِنَّ قَبْرِ بَطْنٍ نَسَرَ مَقِيلُهُ بِحَوْ السَّمَاءِ فِي نُسُورِ عَوَاكِفِرِ
- (٢) نريد بالقصائد المنصوريّة ما قبل في مدح يعقوب المنصور ، وبالناصرية ما قبل في محمد النّاصر .
- (٣) ديوانه : ٢٤ .
- (٤) اللّبّة : موضع القلادة من العنق ، والجوزاء : أحد بروج السّماء .
- (٥) الصّهباء : من أسماء الخمرة .

الاحتماء بقائدهم ، ولكن أين ذلك القائد ؟ لقد دفعه الخوف إلى الالتحاء
إلى زورق رغبة في النجاة ، ويعتمد الشاعر إلى الإطراف في تصويره هذا
القائد ، فهو لفرط خوفه أضحى خفيفاً لدرجة أنه لو خاض في البحر لطفأ
على وجهه ، يقول ابن حُبوس : (١)

(من المتقارب)

يَعُوذُونَ مِنَّا بِمَوْلَاهُمْ وَمَوْلَاهُمْ عَادَ بِالسَّرُورِقِ
فَأَكْسَبَهُ خَوْفُهُ خِفَّةً فَلَوْ خَاضَ فِي الْبَحْرِ لَمْ يَغْرِقِ

ومن الصور التي استعملها هؤلاء الشعراء في تصوير حبن جنود الأعداء
وذعرهم ، صورة النعام الحافل ، وهي صورة قديمة تناولها أبو العباس
الجرّاوي في وصف فرار جنود الأعداء : (٢)

(من الكامل)

جَاؤُوا أَسْوَدًا لَا تَنْهَنَهُ فَاثْنُوا يَحْكُونَ فِي الْحَرْبِ النَّعَامَ الْمُجْفَلَا (٣)
حَامُوا وَرَاءَ النَّهْرِ حَتَّى إِنَّهُمْ ظَنُّوهُ مَسْلُولًا عَلَيْهِمْ مُنْصَلَا (٤)

فالشاعر يرصد قدوم هؤلاء الأعداء كالأسود الضواري ، ولكن ما إن
دارت رحا الحرب ورأوا شجاعة جنود المسلمين حتى فترّوا من أرض المعركة .
ثم يرسم صورة طريفة لذعرهم فيقول ساخراً : إنّ هؤلاء الجنود الفاريين
- لشدة خوفهم - ظنّوا النهر الذي كان وراءهم سيفاً مسلّواً عليهم .
ويشير أبو حفص بن عمر إلى محاولات جنود الأعداء المتكررة الفرار
من المعركة بقوله : (٥)

(من الوافر)

وَكَمْ رَامُوا الْفِرَارَ مِنَ الرِّزَايَا وَلَكِنْ أَبْنُ مِنْ أَجْلِ فِرَارٍ ؟

(١) صفوان بن إدريس ، زاد المسافر : ٤٨ .

(٢) محمد الفاسي ، شاعر الخلافة الموحدية ، الملحق : ٨ .

(٣) تَنْهَنَهُ : انْزَجَرَ وَكَفَّ .

(٤) الْمُنْصَلُ : السَّيْفُ .

(٥) ابن سعيد ، الغصون اليبانة : ٩٧ .

ويرتبط الحديث عن هزائم الخصوم بوصف التدمير والخراب الذي يلحق
ديارهم ، فها هو أبو الربيع الموحدي يصوّر ديار الأعداء خاوية على عروشها
بعد أن هجرها أصحابها خوفاً من حيوش الموحدين . فنهبت وآضت مغنى
للوحوش بعد أن كانت عامرة بأهلها : (١)

(من مخلع البسيط)

هَـذِي دِيَارُ الْعِدَا يَبَابُ تَعْوِي بِأُجَائِهَا الذُّنَابُ (٢)
أَجْلَى مِنْ الْخَوْفِ سَاكِنُوهَا فَعَمَّهَا النَّهْبُ وَالْخَرَابُ

وحلاصة القول : لقد مدح الشعراء الموحدون ممدوحيهـم من الخلفاء
بالقوة والبأس ، والشجاعة ، وتبدى ذلك من خلال وصفهم لحيوش الممدوحين ،
فوصفوا بطولة الجنود ، وعزيمة القادة ، وشبهوا الجيش بالبحر الذي أمواجه
الخيـل والأبطال ، كما شبهوه بالسيل الجارف ، وكانت صورهم حافلة بالأبهة
والعظمة تسطع في جوانبها الأضواء ، وأبرزوا - إلى جانب صورة جيش الممدوح
الساطعة - صورة الخصوم ، وكانت صورتهم تلك باهتة الألوان ، تمتلئ
بمظاهر الهزيمة والجبن ، والقتل والأسر والتدمير والخراب .

(١) ديوان أبي الربيع : ٣٥ .

(٢) أرض يباب : ليس بها ساكن ، يباب : خراب .

مكارم الأخلاق

رسم الشعراء الموحّدون لممدوحيهـم صوراً بارزة تكتنفها الأضواء من كلّ أطرافها ، وقد خلّعوا عليهم مجموعة من القيم والصفات التي تكمل صورة الممدوح وتجعله مثلاً يحتذى .

فمن هذه الصفات : الرّحمة و الرّقّة و العطف ،
 ((فالبطل الصّارم الشّجاع ليس أسداً فراساً وإنّما هو إنسان اتّسع قلبه للشّجاعة والبأس ، وللرّحمة والعطف ...)) (١) .

وأمدّنا الشعراء في مدائحهم بصور مختلفة للرّحمة عندما أشادوا بممدوحيهـم وبطولاتهم ، ومن معاني هذه الرّحمة الصّبح عن المخطئين ، والعفو عن الأعداء عند التّمكّن منهم ، وإغاثة الملهوف والانتصار للمظلوم ، والسّهر على مصالح الرّعيّة والعناية بها .

فعندما انتصر المسلمون على الفرنجة في المهديّة ، منحهم الخليفة عبد المؤمن بن عليّ الأمان ، ومَنّ عليهم بالعفو ، وبإطلاق سراحهم ، ولم يكتف بذلك بل قدّم لهم السفن لإجلائهم عن البلاد (٢) . وكان الشّعر حاضراً ، فرصد فرجة هؤلاء الأعداء بالنّجاة ، فاستثمر أبو العباس الحرّاوي هذه الحادثة في مدحه عبد المؤمن بن عليّ الذي كان عفوه عن هؤلاء عفو مفتدر ، فقال : (٣) (من الكامل)

فَعَفَوْتُ عَفْوُ الْقَادِرِينَ تَكْرُمًا عَنْهُمْ وَعَفْوُ الْقَادِرِينَ حَمِيلٌ

وعندما شار أهل قفصة على الموحّدين ، وجّه إليهم عبد المؤمن جيشاً كبيراً تمكّن من خضد شوكتهم ، واستطاع أن يعيدهم إلى ربيعة الدّولة ، وظفر برؤوسهم ، وبدلاً من أن يبطش بهم ، عفا عنهم وأمر برّد أموالهم إليهم ،

(١) - أحمد العوفي ، البطولة والأبطال : ٣٣

(٢) - عبد الواحد المراكشي ، المعجب : ٢٣٠

(٣) - ابن عذارى ، البيان المغرب : ٧٣

وفي ذلك قال الجرّاوي : (١)

(من الكامل)

نَالَتْهُمْ رُحْمَى الْخَلِيفَةِ بَعْدَمَا نَادَى الرَّدَى بِنُفُوسِهِمْ وَأَهَابَا

فرحمة الخليفة أنفذتهم بعد أن كانوا قاب قوسين أو أدنى من الموت .

وبتصل بالرحمة تأمين الخائف ، ومن هذا ماقاله الجرّاوي عند جواز

عبد المؤمن إلى الأندلس وإخضاعها للموحّدين : (٢)

(من الكامل)

وَأَفْبَتْ أُنْدُلُسًا فَأُمِّنَ خَائِفٌ وَسَمَا لِأَخْذِ الشَّارِ رَبُّ الشَّارِ

والممدوح عند الشعراء الموحّدين رحل ذو هيبة ، وهيبتة تسبغه

إلى الأعداء فتثير فيهم الرعب ، يقول الجرّاوي : (٣)

(من الطويل)

بَعَثْتُ أَمَامَ الْجَيْشِ جَيْشَ مَهَابَةٍ أَقَامَهُمْ فِي كُلِّ أَرْضٍ وَأَقْعَدَا

ويلتفت ابن حبوس إلى الموروث التاريخي ويستقرض منه قصّة سدّ

ياجوج وماعوج في تصوير هيبة عبد المؤمن : (٤)

(من الكامل)

وَتَقَدَّمَكَ إِلَى الْعَدُوِّ مَهَابَةً يَشْقَى بِهَا فِي سَدِّهِ يَاجُوجُ

وبمزج أبو الرّبيع الموحدي بين خصلتي الهيبة والتّواضع ببراعة في

مدحه الخليفة النّاصر فيقول : (٥)

(من الكامل)

مَلِكٌ عَلَيْهِ مِنَ التَّوَاضُّعِ هَيْبَةٌ خَضَعَتْ لَهَا هَامُ الْمُلُوكِ تَدَلُّلًا (٦)

تَعْرِوهُمْ إِنْ أَبْصَرُوهُ رِعْـدَةٌ مِثْلَ الْبُغَاثِ إِذَا بَصُرْنَ الْأَجْدَلَا (٧)

وَمِنْ التَّوَاضُّعِ رِفْعَةٌ عُـلُويَّةٌ وَطِئَتْ بِأَخْمَصِهَا السَّمَاءَ الْأَعْزَلَا (٨)

(١) - ابن عذاري ، البيان المغرب : ١١٦

(٢) - نفسه : ٧١

(٣) - نفسه : ٢٤٢

(٤) - صفوان بن إدريس ، زاد المسافر : ٤٤

(٥) - ديوان أبي الرّبيع : ٣٨ - ٣٩

(٦) - الهَامُ ح هامة ، وهي الرّأس .

(٧) - الْبُغَاثُ : مالا يصيد من الطّير ، الأجدل : الصّقر .

(٨) - الْأَخْمَصُ : باطن القدم الذي يرتفع عن الأرض ، السَّمَاءُ الْأَعْزَلُ : نجم نيّير .

وعندما فتح عبد المؤمن بن علي بجاية سنة (٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م) مدحه ابن حبوس بالسود فقال : (١)

يَقُودُهُمْ مَلِكٌ أَرُوْءُ تَفَرَّدَ بِالسُّودِّ الْمُطْلُقِ (٢)

أمّا الخليفة يوسف بن عبد المؤمن فقد بلغ ذروة المجد والرّفعة التي نافس فيها النّجوم في قول الجرّاوي : (٣)

حَلَلْتُ مِنَ الْعُلَا أَسْمَى ذُرَاهَا وَجَارَيْتَ النُّجُومَ إِلَى مَدَاهَا (٤)

والخليفة يحظى بمحبّة الرّعية ، فهو عندما يشكو من علة ينكوي أبناء شعبه بنار الحرقه : (٥)

صَفَا لَكَ كُلُّ قَلْبٍ غَيْرِ صَافٍ وَخَزَزَ عَنْ ضَمَائِرِهِ النِّفَاقَا
شَكُوتَ فَايَّ قَلْبٍ غَيْرِ شَاكِ وَأَيُّ الْعَيْشِ لَمْ يَمُرَّرْ مَذَاقَا
وَلَوْ لَا عَطْفَةُ الْإِبِلَالِ كُنَّا بِنَارِ الْوَجْدِ نَحْتَرِقُ احْتِرَاقَا

ويستوقفنا في مدائح الشعراء المغاربة في هذا العهد أمر هو الاقتراض من الغزل ، ومزج ما اقتُرِضَ بالمدح مزجا جميلا ، وهو ما يسمّى لفّا المدح بالغزل ، وهو مسلك فنيّ بديع ، عرف عند النّقّاد منذ القدم ، قال فيه حازم : ((ويجوز للمادح أن يصف ممدوحه بالحسن والجمال ، ولا بسوغ للمفتخر أن يصف نفسه بذلك (٦) .

فمن استخدام الصّور الغزلية في المدح قول أبي العباس الجرّاوي فبى مدح النّاصر : (٧)

يَا إِمَامَ الْهُدَى مَلَأْتَ جَمَالًا وَجَلَالًا عَيُّونَنَا وَالشُّدُورَا
كُلُّ نُورٍ لِلشَّمْسِ وَالْبَدْرِ يَبْدُو أَنْتَ أَصْلُ لَهُ وَمِنْكَ اسْتُعِيرَا

-
- (١) - صفوان بن إدريس ، زاد المسافر : ٤٨
(٢) - الأروع من الرجال : الذي يعجبك حسنه وشجاعته ، والكريم ذو الفضل والسّودد .
(٣) - ابن عذارى ، البيان المغرب : ١١٩ .
(٤) - الأبيات للجرّاوي في البيان المغرب : ١٥٢ .
(٥) - حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء : ٣٥٢ ، وانظر رأي قدامة بن جعفر في نقد الشعر : ٧١ .
(٦) - ابن عذارى ، البيان المغرب : ٢٥٠ .

- وقوله في مدح يوسف بن عبد المؤمن : (١)
 (من الوافر)
 وَعُذِّرَ الشَّمْسُ لَوْ حَسَدَتْكَ بَادٍ
 لِأَنَّ سَنَّاكَ أَشْهَرُ مِنْ سَنَاهَا (٢)
 وقول أبي الزبيع الموحدي : (٣)
 (من المتقارب)
 كَأَنَّكَ شَمْسٌ نَهَارِ الْهُدَى
 إِذَا غَبَّتْ أَعْقَبَهُ الْجَنَدُسُ (٤)
 وقول ابن جُبوس الفاسي : (٥)
 (من الكامل)
 عَزَلْتُ وَلَاةَ الْحَسَنِ عَنْ إِدْرَاكِهِ
 فَهُوَ الْمُنَزَّهَ حَسْبَهُ أَنْ يُعْقَلَ (٦)

هذه بعض الصفات الحميدة التي خلعتها الشعراء الموحدون على ممدوحيهـم،
 وهي صفات تقليدية تعاورها الشعراء منذ القديم .

(١) - ابن عذاري ، البيان المغرب : ١٢٠

(٢) - السَّنَا : الضوء .

(٣) - ديوانه : ٣٩

(٤) - الجنْدُسُ : الظُّلْمَةُ .

(٥) - صفوان بن إدريس ، زاد المسافرين : ٤٤

(٦) - أظنّ " ولاه الحسن " بحريف عن " ولاه الحسن " لأنّ الشاعر أراد أنّ الممدوح
 حلّ عن ادراك الحواس، وحسه أن يدرك بالعقل، وهي مبالغه جاوب
 الحدّ.

النَّسَبُ الْعَرَبِيُّ وَالْأُولُوبَّة

كان عبد المؤمن بن علي - مؤسس دولة الموحدين - ينفي نسبته إلى ((كومية)) إحدى قبائل زناتة ، ويؤكد أنه ينتسب إلى ((قبس عيلان)) و ((لكومية)) عليه حق الولادة بينهم والمنشأ فيهم)) (١) ، وهو بادعاء هذا النسب العربي يضيف على توليه أمور المسلمين صفة شرعية .

وقد ساعد الشعراء الموحدون على هذا الأمر ، ونخصّ شاعر البلاط الرسمي أبا العباس الجراوي الذي مافتىء يردّد هذه النعمة في مدائحه ، إرضاء للسلطان . ولاتكاد تخلو مدحة له من هذا المعنى . كقوله في مدح عبد المؤمن بن علي عندما كان محاصراً المهدية: (٢)

وَأَيُّنَ مَنْ قَيْسُ عَيْلَانَ أَرُومَتُهُ وَقَيْسُ عَيْلَانَ أُمْلَاكُ وَسَادَاتُ

فالممدوح كريم الأصل ، طيب المحتد ، ينتمي إلى هذه القبيلة الضاربة في العراق ، وهي مافتتحت تنجب الملوك والسادات على مرّ العصور .

ويلجّ على المعنى نفسه في مدحه يوسف بن عبد المؤمن فيقول مستعينا بالجناس الناقص: (٣)

مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ الَّذِينَ سُيُوفُهُمْ أَبْدَأُ تَصُولُ طُبَاتُهَا وَتَصُونُ (٤)

ولم يكتف الجراوي بإضفاء النسبة القيسية على ممدوحه ، بل يرفع هذه النسبة إلى قريش ، قبيلة الرسول صلى الله عليه وسلم إمعاناً في تأكيد حَقِّ

الممدوح في تولي أمور المسلمين ، فهو حقيق بأن يرث النبي: (٥) (من الطويل)

لَهُ نِسْبَةُ قَيْسِيَّةٍ قُرَشِيَّةٍ تُقَرُّ لَهَا بِالْمَعْلَوَاتِ الْمَنَاسِبُ
حَقِيقٌ بِمِيرَاتِ النَّبُوءَةِ وَالْهُدَى وَلَاعَجَبُ إِنَّ الْمَزَايَا مُوَاهِبُ

(١) - المراكشي ، المعجب : ١٩٧ .

(٢) - ابن عذاري ، البيان المغرب : ٧٢ .

(٣) - نفسه : ١٠٧ .

(٤) - طُبَات ، ح ظُبَّة : حدّ السيف .

(٥) - ابن عذاري ، البيان المغرب : ١٨٠ .

ونجد إضفاء النسب العربي على الممدوح عند بعض الشعراء الأندلسيين
أيضا ، أمثال أبي محمد بن حامد الذي مدح سليمان حفيد عبد المؤمن
بقوله : (١)

وَمُوَيَّدٍ مِنْ قَيْسٍ عَيْلَانَ الْأَلَى هُمْ رَوْضَةُ الْجَانِي وَعَوْدُ الْجَانِي (٢)
والرّصافي في مدحه عبد المؤمن : (٣)

وَأَيَّةُ كِبَاةِ الشَّمْسِ بَيْنَ يَدَيَّ غَزَوْ عَلَى الْمَلِكِ الْقَيْسِيِّ مَنْذُورِ (٤)
ومن المعاني التي نجدها في القصيدة المدحية الموحّدية ، الحديث عن
ال خليفة وجعله المقدم على تأخر تولّيه ، فعندما يمدح الجرّاوي الناصر
يقول : (٥)

أَوَّلَ أَنْتَ فِي التَّقَدُّمِ وَالسَّكْبِ قِ وَإِنْ كُنْتَ فِي الزَّمَانِ أَخِيرًا
وعندما يمدح عبد المؤمن يأتي بهذا المعنى في صورة طريفة
يقول الجرّاوي : (٦)

لَاغُرُوا إِنْ كُنْتَ الْأَخِيرَ زَمَانُهُ فَالْفَضْلُ لِلْأَصَالِ وَالْأَسْحَارِ (٧)
ولا يخفى أثر بيت أبي العلاء المعرّي في صباغة بيت الجرّاوي .
ويأتي أبو الربيع بهذا المعنى في مدح المنصور فبقول : (٨) (من الكامل)
إِنْ كُنْتَ تَتَلَوُ السَّابِقِينَ فَإِنَّمَا أَنْتَ الْمُقَدَّمُ وَالْخَلَائِفُ تَبَّاعُ

-
- (١) - صفوان بن إدريس ، زاد المسافر : ٨٣ .
(٢) - الجاني الأولى : قاطف الثمر وغيره ، والجاني الثانية : المذنب .
(٣) - ديوانه : ٧٩ .
(٤) - إياة الشمس : نورها وضوؤها ، وحسنها .
(٥) - ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢٥٠ .
(٦) - ابن عذاري ، البيان المغرب : ٧١ .
(٧) - الآصال : ج أصيل ، وهو وقت غروب الشمس ، والأسحار ، ج سحر ، وهو قبيل الصبح .
وأراد أنّ الأصيل يأتي آخر النهار ، والسحر ، آخر الليل . وهما وقتان مفضلان .
(٨) - ديوانه : ٢١ .

ويقرن ممدوحه الناصر بالنبي صلوات الله عليه في قوله : (١)

قَسَمًا لِّئِنْ وَرِثَ الْخِلَافَةَ آخِرًا لَهُوَ الْمُقَدَّمُ بِالْخِلَافَةِ أَوَّلًا
مِثْلُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ مَا شَأْنُهُ تَأْخِيرُ مُبْعَثِهِ وَكَأَنَ الْأَفْضَلَا

فالشاعر يلجأ إلى القسم ليجعلنا نصدق كلامه ، ثم يعتمد إلى الإتيان بدليل على قوله ، وهذا الدليل كان عن طريق الاستشهاد بمبعث النبي محمد .
أفضل الأنبياء مع أنه كان آخرهم .

(١) - ديوان أبي الربيع : ٣٩

وينوّه الشاعر أبو الربيع بسفارة أسامة بن مُنقذ^(١) رسولاً من صلاح
الدين الأيوبي للاستنجاد بالأسطول الموحدى القوي لردّ الهجمات الصليبيّة على
المشرق: (٢)

هَـذِي الشَّامُ رُسُلُهَا وَيَكْتُبُهَا نَفَرْتُ إِلَيْكَ تَبْمُنًا وَتَبَرُّكًا

ويصرّح في قصيدة أخرى برغبة الخلفاء الموحدين في فتح المشرق
والمغرب ، وتوحيد العالم الإسلامي: (٣)

فَعَمَّا قَرِيبٍ يُنْجِزُ اللَّهُ وَعَدَهُ لِأَمْرِكَ حَتَّى تَفْتَحَ الشَّرْقَ وَالْغَرْبَا

وعندما فتح المنصور إفريقية (٥٨٣هـ-١١٨٧م) هنّاه بقصيدة ، هَوّل فيها
هذا الفتح ، فجعل المشرق يهتّز لدى سماعه بأنباء هذا الفتح ، ويمبّد تحت
أقدام سكانه: (٤)

وَأَرْتَجَّ بَغْدَادُ وَمَحَا بَغْزُهُ أَرْضُ الشَّامِ وَمِصْرُ وَالْبَلْقَاءُ

لقد غالى الشاعر في تصوير أثر هذا الفتح ، وهذه المبالغات كانت
تستهوي هؤلاء الخلفاء وترضيهم ، فليس غريباً إن وجدنا الشعراء يكثرّون منها .

(١) - أسامة بن منقذ ، أمير ، من أكابر بني منقذ أصحاب قلعة (شيزر) قرب

حماة ، وكان أديباً وشاعراً ، وله ديوان شعر مطبوع . توفي سنة

(٥٨٤هـ - ١١٨٨م) . انظر الزركلي ، الأعلام ١ / ٢٩١ .

(٢) - ديوانه : ٢٩

(٣) - ديوانه : ٣٤

(٤) - ديوانه : ٢٥ .

المعاني الدينيّة والمذهبيّة

بدأت الحركة الموحدية على شكل حركة دينيّة ، إذ قام المهدي باللجوء " إلى الدين وإلى أصول الشرع ليهاجم حكم المرابطين ويقوّض دعائمه الفقهيّة القائمة على علم الفروع ... " (١)

ومعروف أنّ المهدي بن تومرت نشأ نشأة دينيّة في المغرب ثم رحل في طلب العلم إلى الأندلس والمشرق " حيث انتهى إلى بغداد ولقي أبا بكر الشّاشي فأخذ عنه شيئا من أصول الفقه ، وأصول الدين وسمع الحديث على المبارك ابن عبد الجبار ونظرائه من المحدثين ... " (٢) واحتتم في رحلته بمجموعة من العلماء كآبي بكر الطرطوشي (٣) وغيره ، فحصل قدرا كبيرا من علم الحديث والفقه أهله لمجادلة فقهاء المرابطين بمراكش والظهور عليهم .

وقد دعا المهدي " لمذهب هو مزيج من الأشعرية ، ومبادئ الشيعة الإمامية ، فهو يعتقد في العصمة والإمامية ، وبنصر للعقائد السلفية والدفاع عنها بالحجج العقلية ، ويحلل فكرة تنزيه الإله وإبعاد أيّة شبهة عن ذاته توحى بالتشبيه ، ويدعو إلى تأويل المتشابه من الآيات والأحاديث حتى لا يقع في التجسيم الذي يرمي به المرابطين ... ومن هنا سمى أتباعه بالموحدين ، قصده من التسمية أنهم ينزهون الله تعالى عن مشابته لخلقه في الذات والصفات " (٤).

(١) - عباس الجراري : الأمير الشاعر : ٢٠

(٢) - المراكشي ، المعجب : ١٧٨

(٣) - أبو بكر محمّد بن الوليد الطرطوشي ، فقيه عالم ولد بطرطوش سنة (١٠٩٩/هـ ١٠٥١م)

ورحل إلى المشرق طلبا للعلم ، وأقام في القاهرة إلى أن توفي سنة (١١٢٦/هـ ١١٥٢م)

له كتاب " سراج الملوك " ، انظر الزركلي ، الأعلام ٧ / ١٣٣ - ١٣٤ .

(٤) - عباس الجراري ، الأمير الشاعر : ٣٣ . وانظر ماكتبه عبد المجيد النجار

المهدي بن تومرت : ٣٥٦ - ٣٦٣ .

بقي الطابع الديني للدولة الموحدية هو الأبرز ، وخاصة في عهد الخلفاء
الأوائل ، فمن الطبيعي أن يحافظ هؤلاء الخلفاء على الهالة الدينية ، ويتحلقوا
بالأوصاف التي أوجبها الإسلام فيمن يتولى أمر المسلمين من تقوى ، وعدل،
وغيره على الدين ، وعبادة ... إلى غير ذلك من الصفات .

وقد ألح الشعراء الموحدون في مدائحهم على هذه الصفات في الممدوح
وأبرزوها بروزا كبيرا، فجاء مدحهم عامرا بالقيم الإسلامية . مما جعل صورة
الممدوح تتلألأ فيها الأضواء ، فتبدو محاطة بالأنوار من كل جانب .

فالخليفة عند أبي العباس الجراوي قرّة عين الدين ، وهو الذي أعلى
دين الله بالجهاد في سبيله : (١)

أَعْلَيْتَ دِينَ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ بِالْمُشْرِفِيَّةِ وَالْقَنَا الْخَطَّارِ
وَرَأَى بِكَ الْإِسْلَامَ قُرَّةَ عَيْنِهِ وَعَدْتُ بِكَ الْغُرَاءَ دَارَ قَرَارِ

وهو ينظر في قصيدته إلى قصيدة أبي تمام التي مطلعها: (٢) (من الكامل)

الْحَقُّ أَبْلَجُ وَالسُّيُوفُ عَوَارِ فَحَذَارِ مِنْ أَمَدِ الْعَرِينِ حَذَارِ

وعندما ظفر الخليفة المنصور بالشاعر الجزيري ، مدحه الجراوي كعادته

بقصيدة أبرز فيها مجموعة من المعاني الدسّة ، كتأبّد الله الخليفة ، وإخلاص
النّبّة في نصره دبنه ، وإيثاره تعب السّهر على راحة النّوم ، يقول: (٣) (من البسيط)

قَصَى لَكَ اللَّهُ بِالتَّأْيِيدِ وَالظَّفَرِ وَبِالسَّعَادَةِ فِي وَرْدٍ وَفِي صَدَرِ
أَشْرَتْ فِي نُصْرَةِ الدِّينِ الْمَسِيرَ عَلَى طَيْبِ الْمَقَامِ وَبِعْتَ النَّوْمَ بِالسَّهْرِ

(١) - ابن عذاري ، البيان المغرب : ٧٠ - ٧١

(٢) - ديوان أبي تمام : ٢ / ١٩٨

(٣) - ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢٠٨ - وانظر محمّد الفاسي . شاعر الخلافة

الموحّدية ، الملحق : ٧ .

ويؤكد الشاعر أبو الربيع معنى تأييد الله للخليفة ، وإمداده
بهدد من الملائكة كما أمد النبي محمداً عليه السلام يوم بدر: (١) (من الكامل)
وَأَتَتْ لِعَوْنِكُمُ الْمَلَائِكُ سُبْقًا حَتَّى لَصَقَ بِهَا الْفَضَاءُ الْوُسْعُ
والخليفة حامي الإسلام ، وناصره عند الجراوي: (٢) (من الكامل)

شَاءَ إِلَهِ حِمَايَةَ الْإِسْلَامِ فَأَعَزَّ نُصْرَتَهُ بِخَيْرِ إِمَامٍ
بِسَمِيٍّ خَيْرِ الْخَلْقِ وَالنُّورِ الَّذِي كَفَلَتْ بِدَايَتِهِ إِلَى الْإِتِمَامِ
ويمور مدح أبي العباس الجراوي بالمعاني الدينية ، ويتسم بكثير
من السمات الإسلامية ، من مثل قوله يمدح الناصر: (٣) (من الخفيف)

إِنَّمَا أَنْتَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَمَّتْ سَاكِنِي الْأَرْضِ مُنْجِدًا وَمُغِيرًا
أَوْجَدَ اللَّهُ مِنْكَ لِلدِّينِ عِزًّا وَمُعِينًا وَنَاصِرًا وَظَهِيرًا
ويؤكد أبو الربيع معنى نُصرة الدين عند المنصور: (٤) (من الكامل)

غَضِبْتُ وَمَا لِلدِّينِ عَيْزُكَ نَاصِرٌ لِمَنَابِرِ الْإِسْلَامِ أَنْ تَتَمَلَّكَ
والتّضحية في سبيل الله والعزيمة الماضية من الصفات التي ردها أبو
الربيع في مدائحه كقوله في مدح المنصور: (٥) (من الكامل)

وَأَمَدَكَ الرَّحْمَنُ بِالْفَتْحِ الَّذِي مَلَأَ الْبَسِيطَةَ نُورُهُ الْمُتَشَعُّشُ
لِمَ لَا وَأَنْتَ بَذَلْتَ فِي مَرْضَاتِهِ نَفْسًا تُفَدِّيْهَا الْخَلَائِقُ أَجْمَعُ
وَمَضَبْتُ فِي نُصْرِ إِلَهِ مَصْمَمًا بِعَزِيمَةٍ كَالسَّبْفِ بَلْ هِيَ أَقْطَعُ

(١) - ديوانه : ٢٠

(٢) - ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢٤٠ - ٢٤١

(٣) - نفسه : ٢٥٠

(٤) - ديوانه : ٢٨

(٥) - ديوانه : ٢٠٠

ومن المعاني الدينية التي تعاورها الشعراء في مدائحهم التقوى وهي من الفضائل التي حثّ عليها الإسلام ، واشترطها في القائد الصالح وقد اتصف الخلفاء الموحّدون فعلاً بالتقوى ، فمن الطبيعي أن يردّد الشعراء الموحّدون هذه النعمة في مدائحهم ، فهذا أبو العباس الجراوي يرى في ممدوحه المنصور الموحدي صنواً لسليمان في سعة الملك ولداود عليه السلام في العبادة: (١) (من البسيط)
 أَنْتُمْ سُلَيْمَانُ فِي الْمُلْكِ الْعَظِيمِ وَفِي طُولِ التَّهَجُّدِ فِي الْمِحْرَابِ دَاوُدُ .

ويشيد في قصيدة أخرى بتقوى الخليفة ، وسيره على الصراط المستقيم متأثراً بأسلوب القرآن الكريم ، إذ يأخذ من قوله تعالى : ﴿ فَسَيُسْرُهُ لِيُسْرَى ﴾ (٢) أساساً يقيم عليه فكرة البيت ، ومادة يستمدّ منها ألفاظه ، فيقول: (٣) (من الطويل)
 رَأَى السُّبُلَ شَتَّى فَاتَّقَاهَا تَوَرُّعًا وَسَارَ عَلَى الْمُثُلَى فَيُسَّرَ لِيُسْرَى
 ويرى أبو الربيع في الناصر خليفة يهتدي بالشريعة لايحيد عنها قيد .
 أنملة فيقول: (٤)

جَعَلَ الشَّرِيعَةَ هَدْيُهُ وَإِمَامُهُ فَأَقَامَهَا غُرَاءً وَاضِحَةً حَلِى

والخليفة عند هؤلاء الشعراء مثال العدل بين الرعية ، فالعدل منتشر في كل الأقطار زمن المنصور ، يقول الجراوي: (٥)

وَقَامَ بِأَقْطَارِهَا عَذْلُهُ وَصَوْتُ نَدَاهُ مَقَامَ الدَّيْمِ (٦)

(١) - ابن عذاري ، البيان المغرب : ١٩٣ .

(٢) - اللّيل : ٧ .

(٣) - ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢٢٢ .

(٤) - ديوان أبي الربيع : ٣٩ .

(٥) - ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢١٢ ، وانظر ٢١٣ .

(٦) - الضمير يعود على البلاد التي يحلّ بها الممدوح .

أما عند ابن حُبُوس فإن الزَّمان أضاء بنور عـددل
الخليفة (١) (من الوافر)

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ أَضَاءَ النُّورَ زَمَانُ نُورٍ عَدْلِكَ وَأَسْتَنَارَا
وبالغ أبو حفص في نعت عدل المنصور فيجعله نعم وجه الأرض
وينفي الظلم منها: (٢)

أَنْوَارُ عَدْلِكَ فِي الْآفَاقِ دَائِعِيَّةٌ هَلْ فِي الْبَسِيطِ ظِلَامٌ وَمَظْلُومٌ

لقد أسلفنا القول بأن الدعوة الموحّدية كانت متأثرة بمبادئ الشيعة
الإمامية وتعتقد بالمهدية والعصمة والإمامة (٣)، ولطالما تردّد صدى هذه المبادئ
في أمداح هؤلاء الشعراء ، وقد زودنا الأستاذ حسن جلاب بجداول وإحصائيات
تدلّ على " أن التيار المذهبي هو الغالب على إنتاج المغاربة ... وهذا يدلّ
على هيمنة الشعر المتأثر بالعقيدة على كافة الأغراض ... إن المدح مهيمن إذ بلغ
(٩٤٪) من مجموع الشعر المذهبي ، وصبّ في قالبين رئيسيين : وصف الحروب
والفتوحات أو التحريض عليها (٦٦٪) ، والإشادة بشجاعة الملوك وجندهم وبلائهم في
نصرة الدين ... والقالب الثاني : تهنئة الخلفاء والأمراء بالأعياد ، والاحتفالات
العامّة أو الخاصّة ... ولم يخل الشعر في الحالتين من التركيز على المذهب " (٤)

وكثيرا ماوقف في الأشعار التي وصلت إلينا على ألفاظ ذات دلالات شيعية
كالفاظ المهدي ، والهداية ، والإمام ، وغير ذلك فمن هذا القبيل قول الجرّاوي
مهنّا المنصور بفتح بجاية: (٥)

إِمَامٌ لَهُ فَضْلٌ عَلَى الْخَلْقِ بَاهِرٌ وَمُرْتَبَةٌ تَنْحَطُّ عَنْهَا الْمَرَاتِبُ

- (١) - صفوان بن إدريس : زاد المسافر : ٥٧
(٢) - المقرّي ، أزهار الرياض : ٢ / ٣٦٢
(٣) - انظر في تفصيل ذلك ماكتبه عبد المجيد النّجار في كتابه المهدي بن تومرت :

٢٣٤ / ٢٤٨ •

- (٤) - حسن جلاب ، الدولة الموحّدية ، أثر العقيدة. في الأدب : ٥١ - ٥٣

- (٥) - ابن عذاري ، البيان المغرب : ١٨٠ •

ومثل هذه المبالغة في رفع مرتبة الإمام وتقديسه نجدها عند شعراء الفاطميين أمثال ابن هانيء وغيره . ويؤكد المعنى نفسه في مدح منصورية أخرى بمناسبة تقجب الدينار الموحدي ، فيرفع ممدوحه إلى مرتبة تعلو مراتب البشر وتلي مرتبة النبوة ، ويؤكد أنّ الله تعالى اختاره من بين الناس اختياراً ، وانتخبه لهذه المهمة : (١)

أَعْلَى الْمَرَاتِبِ مِنْ بَعْدِ النَّبُوَّةِ قَدْ حَبَا بِهَا اللَّهُ أَعْلَى الْخَلْقِ وَانْتَخَبَا
ويلجّ الشعراء على مبدأ الاختيار إلحاحاً كبيراً في مدائحهم ، فالله سبحانه وتعالى اختار الإمام الموحدي خليفة ، واصطفاه من الأنام لاتصافه بصفات جليلة يعزّ أن يتصف بها غيره ، يقول أبو العباس الجراوي في مدح منصورية : (٢)

وَسَعَادَةٌ عَجَبٌ تَهْدِي قُرَى الْعُرْدَا هَدَا، وَتَقْصِمُ مِنْهُمْ الْأَصْلَابَا
خَصَّتْ إِمَامًا لِلْبَرِيَّةِ مُجْتَبَا بَرًّا تَقِيًّا خَاشِعًا أَوَّابَا
مَلِكٌ عَلَيْهِ مَسْحَةٌ مَلَكِيَّةٌ لِبَسِ الزَّمَانُ جَمَالَهَا جَلْبَابَا

أرأيتم كيف رفع الجراوي ممدوحه ؟ وكيف رسم له صورة تكتنفها الأضواء من كل جانب ؟ وأحاطه بهالة جعل الزمان يزهو بها ؟ .

أمّا أبو الربيع فيستخدم في مدائحه اصطلاح " أمير المؤمنين " في مدحه المنصور على غرار الخلفاء السابقين في المشرق : (٣) (من الكامل)

وَاسْلَمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِأَمَّةٍ أَنْتَ الْمَلَاذُ لَهَا وَأَنْتَ الْمَفْزَعُ
كما يستعمل مصطلح " الإمام " في قوله : (٤) (مخلص البسيط)

فَلْيَطْلُبُوا الْأَمْنَ مِنْ إِمَامٍ فِي كَفِّهِ الصَّفْحُ وَالْعِقَابُ

(١) - ابن عذاري ، البيان المغرب : ١٨٢

(٢) - نفسه : ١٩٦

(٣) - ديوان أبي الربيع : ٢٢

(٤) - نفسه : ٣٦ .

وهو - عنده - خليفة الرحمن: (١)

خَلِيفَةُ اللَّهِ إِنْ تَشْكُرْ أَتَدُلُّسْ تَشْكُرْكَ مَعْنَى وَ لَمْ تَشْكُرْكَ إِفْصَاحًا

ويمدح أبو الربيع الناصر الموحدي في أبيات نشم منها رائحة المذهب
فالممدوح هو خليفة الله ووليّه ، وهو ينحدر من سلالة الأئمة الذين أزالوا
الضلال عن وجه الأرض: (٢)

أَخْلِيفَةُ اللَّهِ الرَّضَا وَوَلِيَّاهُ دَعَاوَى مُحِبِّ قُرْبَةٍ وَتَوَسَّاهُ
وَابْنُ الْخَلَائِفِ وَالَّذِينَ يَهْدِيهِمْ زَالِ الضَّلَالُ عَنِ الْبَسِيطَةِ وَانْجَلَى

وتظهر المعاني المذهبية واضحة في مدحته المنصورية التالية ، إذ نشم
منها رائحة مذهب المهدي ، ورأيه في الإمامة والخلافة ، يقول أبو
الربيع: (٣)

إِنَّ الَّذِي سَمَّاكَ خَيْرَ خَلِيفَةٍ جَعَلَ الْخِلَافَةَ فَيْكُمُ لَا تُنْزِعْ
لَكُمْ الْهُدَى لَمْ يُوْتِهِ إِلَّا كُمْ وَمَنْ ادَّعَاهُ يَقُولُ مَا لَا يَسْمَعُ
هَيْهَاتَ سِرُّ اللَّهِ أُوْدِعَ فَيْكُمُ وَاللَّهُ يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ وَيُمْنَعُ
إِنْ قِيلَ : مَنْ خَيْرُ الْخَلَائِفِ كُلِّهَا؟ فَالْبُكَ يَا عَقُوبُ تُوْمِي الْأَصْبُعُ
فَلَأَنْتُمْ دُخُرُ الْخِلَافَةِ وَالَّذِي عِبْنُ الزَّمَانِ لَوْ قَتَرْتَهُ تَطَلَّعُ

ويرى الدكتور عباس الجراري - ونحن معه - ((أن مدح أبي الربيع
للمنصور يدخل في نطاق التّيار المذهبيّ الذي ساد العصر ...)) (٤) .

وتبرز هذه المعاني المذهبية عند أبي حفص بن عمر السُّلَميّ في
مدح الخليفة يوسف بن عبد المؤمن عندما يقول: (٥)

اللَّهُ حَسْبُكَ وَالسَّعْيُ الْحَوَامِيْمُ تَغْزُو بِهَا سَبْعَةٌ وَهِيَ الْأَقَالِيْمُ

(١) - ديوان أبي الربيع : ٣٠ ، وفيه « وَإِنْ لَمْ » ، زيادة (لن) ، وبها يحتلّ المورن

(٢) - ديوان أبي الربيع : ٣٩

(٣) - نفسه : ٢١

(٤) - عباس الجراري ، الأمير الشاعر : ٢٠٧

(٥) - المقرري ، أزهار الرّياض : ٢ / ٣٦٢ - ٣٦٤

سَمِعُ الْمُثَانِي الَّتِي لِلَّهِ قُمْتَ بِهَا - عَلَيْكَ مِنْ سِرِّهَا نَصْرٌ وَتَقْدِيمٌ (١)
وَأَنْتَ بِالسُّورِ السَّبْعِ الطَّوَالِ عَلَى - كُلِّ السُّورِ حَاكِمٌ بِاللَّهِ مَحْكُومٌ (٢)

وهكذا يستمر الشاعر في استعمال العدد سبعة في السنين والشهب والأيام، وهي أرقام ذات مدلولات عند الشيعة الإسماعيلية (٣)، وبنقل بعدها للحديث عن علم الإمام، فقد أوتي علماً غزيراً، وهو لابتكر هذا العلم، بل ينفع به كل طلابه :

فَوَادُهُ بِضِيَاءِ الْعِلْمِ مُنْشُرٌ - وَوَجْهُهُ بِجَمَالِ النُّورِ مُؤَسُّومٌ
الْعِلْمُ قِيَمَتُهُ، وَالْجِلْمُ شِيَمَتُهُ، - طَابَتْ أَرْوَمَتُهُ وَالنَّفْسُ وَالْخِيَمُ (٤)
لِطَالِبِي الْعِلْمِ مَاشَاوُوا بِخِدْمَتِهِ - غَنَى وَعِزٌّ وَإِرْشَادٌ وَتَعْلِيمُ

ثم يغالي الشاعر في أوصاف هذا الخليفة ويرفعه فوق مستوى البشر مستعملاً الكثير من مصطلحات الشيعة :

إِنَّ الْخَلِيفَةَ سِرُّ اللَّهِ ظَاهِرَةٌ - آيَاتُهُ وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ مَعْلُومٌ
فَسَلُّمُوا وَاخْلَعُوا الْأَرَاءَ وَاتَّبِعُوا - حُكْمَ الْإِمَامِ فَمَا فِي الدِّينِ تَحْكِيمُ
الشَّرْقُ وَالْقَرْبُ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمٍ - فِي كَفِّهِ عَوْدُهُمْ بِالْقَبْضِ مَعْجُومٌ (٥)
وَالْبَحْرُ وَالْبَرُّ مِنْ سَهْلٍ وَمِنْ حُلٍّ - جَمِيعُهَا بِزِمَامِ الرَّأْيِ مَخْطُومٌ

إلى أن يقول :

يَاسَامِعِينَ أَمَادِيحَ الْإِمَامِ أَلَا - فَاجْثُوا عَلَى الرُّكَبِ الْإِعْظَامِ أَوْ قَوْمُوا
عِزُّ الْإِمَامِ فَلَا تَضْرِبُ بِهِ مَثَلًا - مَنْ ذَا يُقَاسُ بِهِ وَالْمِثْلُ مَعْدُومٌ

(١) - المثنائي من القرآن : الآيات تتلى وتكرر: فاتحة الكتاب وهي السبع المثنائي. وقيل: هي القرآن كله .

(٢) - السبع الطوال : من سورة البقرة إلى سورة التوبة، على أن تحسب التوبة والأنفال سورة واحدة، ولهذا لم يفصل بينهما بالبسملة .

(٣) - انظر تفصيل ذلك في دائرة المعارف الإسلامية ١١/٢٤٥-٢٥١ - مادة "السبعية" (المعربة)

(٤) - الخيم : الشيمة والطبيعة والخلق والسجية .

(٥) - عجم الشيء : عضة ليعلم صلابته من رخاوته، وعجم عوده : امتحنه واختبره .

أَعْطَى الْوَرَى فَضْلَ مَا أَعْطَاهُ خَالِقُهُ عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ بُشْرَى وَتَسْلِيمُ
صَلِّ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ صِدْقُ مِدْحَتِهِ ذَاكَ الرَّحِيقُ بِهَذَا الْمُسْكِرِ مَخْتُومُ

فاللهجة الشيعية طاغية في هذه الأبيات الأخيرة ، والصلاة على الإمام

أمر خاص بالشيعية .

أما محمد بن حَبُوس فيظهر أثر الدعوة المهدوية عنده في مدح

عبد المؤمن بن علي عند حوازه إلى الأندلس فيقول : (١)

بَلَغَ الزَّمَانُ بِهَدْيِكُمْ مَا أَمَّلَا وَتَعَلَّمَتْ أَيْامُهُ أَنْ تَعْلَمَ دِلَالًا
وَبِحَسْبِهِ أَنْ كَانَ شَيْئًا قَابِلًا وَجَدَ الْهَدَايَةَ صُورَةً فَتَشْهَدُ كَلَامًا

ومطلع هذه القصيدة بقوم على مبدأ المهدى المنتظر الذى سيملا الأرض

عدلا - حسب زعم الشيعة - بعد أن ملئت جورا وظلما .

ويصرح شاعر من أهل الجزائر - بهذه الصفات في قصيدته التي يمدح

فيها المهدى بن تومرت : (٢)

سَلَامٌ عَلَى قَبْرِ الْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ سَلَالَةِ خَيْرِ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدٍ
وَمُشَبِّهِهِ فِي خَلْقِهِ ثُمَّ فِي اسْمِهِ وَفِي اسْمِ أَبِيهِ وَالْقَضَاءِ الْمُسَدَّدِ
وَمُحِبِّيْ عُلُومِ الدِّينِ بَعْدَ مَمَارَتِهَا وَمُظْهِرِ أَسْرَارِ الْكِتَابِ الْمُسَدَّدِ
أَتَتَّنَا بِهِ الْبُشْرَى بِأَنْ يَغْلَا الدُّنَا بِقِسْطٍ وَعَدْلٍ فِي الْأَنْبَاءِ مُخَلَّدِ
وَيَفْتَتِحَ الْأُمُصَارَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَيَمْلِكُ عَرَبًا مِنْ مُغِيرٍ وَمُنْجِدِ
فَمِنْ وَفْقِهِ أَقْنَى وَأَجْلَى وَأَنَّهُ عَلَامَاتُهُ خَمْسٌ تَبِينُ لِمُهْتَدِي (٣)
زَمَانٌ وَإِسْمٌ وَالْمَكَانُ وَنِسْبَةٌ وَفِعْلٌ لَهُ فِي عِصْمَةٍ وَتَأْيِيدِ

(١) - صفوان بن إدريس ، زاد المسافر : ٤٤

(٢) - المراكشي ، المعجب : ١٨٩ - ١٩٠

(٣) - قنَى الأنف : ارتفع أعلاه واحذوب وسطه ، وضاق منخراه ، والجَلَا : انحسار

مقدم الشعر ، وفي صفة المهدى أنه أجلى الجبهة (اللسان جلا) .

فالشاعر هنا يقرن المهدي بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ويبدأ أبياته
بالسلام على قبره ، ويختمها بالصلوة عليه ، وقد أشرنا سابقا إلى أن هذا
الأمر وارد عند الشيعة ، كما يعدد الشاعر الصفات التي يشترك فيها المهدي والنبي
عليه السلام ، فهو شبيهه بالصفات الخلقية ، وبالاسم ، وباسم الأب . ثم يؤكد
فكرة الإمامة وعصمة المهدي ، وتأبيده من الخالق سبحانه . وفكرة أنه سيملا
الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا ، وكلها أفكار استقاها الشعراء الموحّدون من
الشيعة .

وهذا التأشير العقدي لم يكن حكرا على الشعراء المغاربة في مدائحهم
بل ظهر أيضا في شعر الأندلسيين الذين مدحوا الخلفاء الموحدين ، كآبي عبد الله
الرّصافي الذي أنشد يوم جبل الفتح قصيدة يمدح فيها عبد المؤمن قال
فيها : (١)

لَوْ جِئْتَ نَارَ الْهُدَى مِنْ جَانِبِ الطُّورِ	قَبَسْتَ مَا شِئْتَ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ نُورِ
مِنْ كُلِّ زَهْرَاءَ لَمْ تَرْفَعْ ذَوَابَتْهَا	لَيْلًا لِسَارٍ وَلَمْ تُشَبِّبْ لِمَقْرُورِ
فِيضِيَّةِ الْقَدَحِ مِنْ نُورِ النَّبُوءَةِ أَوْ	نُورِ الْهِدَايَةِ تَجَلُّو ظُلْمَةَ الزُّورِ
حَتَّى أَضَاءَتْ مِنَ الْإِيمَانِ عَنْ قَبَسِ	قَدْ كَانَ تَحْتَ رَمَادِ الْكُفْرِ مَكْفُورِ
نُورٍ طَوَى اللَّهُ زُنْدَ الْكُوفِ مِنْهُ عَلَى	سَقَطَ إِلَى زَمَنِ الْمُهْدِيِّ مَذْخُورِ

وهذه المعاني تفترب كثيرا من المعاني التي كان شعراء الفاطميين
يمدحون بها أئمتهم (٢) .

(١) - ديوان الرّصافي البلنسي : ٧٧ - ٧٨

(٢) - انظر ديوان تميم بن المعز : ٢٢٣ - ٢٢٥ .

العلم ورعاية العلماء

لم تقف عظمة الخلفاء الموحدين عند الشجاعة في ساحات الحرب، والانتصارات الباهرة، والوقوف في وجه الفرنجة - ولو إلى حين - بل كانت لهم ناحية أخرى من العظمة لاتفل عن العظمة الحربيّة، فقد كانوا علماء ورعاة للعلم والأدب، كما كانوا يعقدون الندوات التي يتبارى فيها العلماء والأدباء في إظهار علومهم .

وقد ألح الشعراء في مدائحهم على صفة العلم عند الإمام (١)، ورعاية العلماء، ولعلّهم نأثروا في هذا بشعراء الشيعة الذين غالوا في مدائحهم بالاحتفال بهذا المعنى، وجعلوا علم الإمام " ملكة فطرهم الله عليها " (٢). لنستمع إلى أبي العباس الجراوي وهو يمدح يوسف بن عبد المؤمن مهتلاً بإيأاه بالعيد والشفاء، ويبرز من خلال مدحه قيمة العلم والفصاحة: (٣) (من الحبش)

بَهَرَتْ أَنْوَارُ خِلَافَتِكُمْ وَسَمَاءُ الْعِلْمِ بِهَا عَلَمٌ

ومن الشعراء الذين مدحوا بالعلم، شاعر حزائري، زار قبر المهدي وألقى قصيدة في مدحه وتعداد مناقبه وصفاته، فرأى فيه محيي علوم الدين بعد موتها: (٤)

وَمُحْيِي عُلُومِ الدِّينِ بَعْدَ مَمَاتِهَا وَمُطَهِّرِ أَسْرَارِ الْكِتَابِ الْمُسَدَّدِ

ويرى أبو حفص بن عمر في ممدوحه العالم المنشرح الصدر بالعلوم، الذي بذل علمه لطالبيه، فيقول: (٥)

فَوَادُّهُ بِضِيَاءِ الْعِلْمِ مُنْشَرِحٌ وَوَجْهُهُ بِجَمَالِ الْعِلْمِ مُؤَسِّمٌ

(١) انظر في ذلك ماكتبه عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت: ٣٨٢ - ٣٨٦ .

(٢) محمد اليعلاوي، ابن هانيء المغربي: ٢٥٨ .

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٥٣ .

(٤) المرآكشي، المعجب: ١٨٩ .

(٥) المقرئ، أزهار الرياض: ٢ / ٣٦٢ .

- الْعِلْمُ قِيمَتُهُ وَالْجِلْمُ شِيمَتُهُ طَابَتْ أَرْوَمَتُهُ وَالنَّفْسُ وَالْخَيْمُ (١)
 لِطَالِبِي الْعِلْمِ مَا شَاؤُوا بِخِدْمَتِهِ غِنَى وَعِزٌّ وَإِرْشَادٌ وَتَعْلِيمٌ
 سَحَبَ الْعُلُومِ عَلَيْهِمْ مِنْ سَمَاحَتِهِ تَهْمِي فِي بَحْرِهَا هُمْ شُرْعٌ هَيْمٌ (٢)
 أما ابن حُبوس الفاسي ، فممدوحه مشجع للعلماء وراع لهم : (٣)

(من الكامل)

- بِخَلِيفَةِ الْمُهْدِيِّ سَيِّدِنَا اغْتَدَى نَهَجَ الْعُلُومِ مَعْبَدًا وَمُذَلَّلًا
 وَرَعَى جَمِيمَ الْعِلْمِ فِي أَوْطَانِهِ مَنْ كَانَ يُبِيدِي الضَّعْفَ أَنْ يَتَنَقَّلَا (٤)

وسمات هذا الخليفة يغمص بالعلماء ، وطالبي العلم ، فهو سوق للمعارف

يفوق سوق عكاظ :

- وَوَقِفْتُ وَسُطَ سِمَاطِهِ فَوَجَدْتُهُ سَوْقًا تُقَامُ عَلَى الْمَعَارِفِ وَالْعُلَا
 لَمْ أَلْقَ إِلَّا عَالِمًا وَإِزَاءَهُ مُتَعَلِّمًا مُتَكَثِّرًا مُتَقَلِّلًا
 وَبَصُرْتُ بِالطُّوسِيِّ يَفْهَقُ حَوْلَهُ وَأَبِي الْمَعَالِي مُجْمِلًا وَمَفْصَّلًا (٥)

وياس على علم الإمام ، فعلمه فوق علم جميع العلماء ومحلسه هو

سبيل السعادة في الدنيا والآخرة :

- وَالْكَلُّ فِي عِلْمِ الْإِمَامِ مُقْعَطٌ حَسْبُ الْمُبَرِّزِ مِنْهُمْ أَنْ لَيْسَ لَّا
 فَاتْرَكَ عَكَظًا وَالْوُفُودَ بِسُوقِهَا حَزَقًا وَسَحْبَانَ الْخَطِيبِ وَدَغَفَلًا (٦)

(١) الخيم : الشيمة والسحبة .

(٢) شُرْعٌ : خاضعون ، هيم : عطاش .

(٣) ابن القطان ، نظم الجمان : ١٧٤ - ١٧٦

(٤) الجميم : الكثير .

(٥) يريد بالطوسي الإمام أبا حامد الغزالي ، وبأبي المعالي : عبد الملك بن عبد

الله بن يوسف الجويني النيسابوري ، المعروف بإمام الحرمين ، الذي توفي سنة

(٤٧٨هـ / ١٠٨٥م) انطرفي ترجمته ، ابن خلكان وفيات الأعيان : ١٦٧/٢ - والسبكي

طبقات الشافعية الكبرى : ٥ / ١٦٥ - ٢٢٢ .

(٦) حَزَقٌ : جماعات ، وسحبان وائل : الخطيب المشهور ، وأراد دغفل بن حنظلة السدوسي

النسابة المشهور .

وَالْحَقُّ بِحَضْرَتِهِمُ السَّنِيَّةُ وَاسْتَمَعَ لِلْقَوْلِ وَآخَذَ - وَيك - أَنْ تَنْقَوْلَا
فِيهَا كَمَالَ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا مَعًا وَسَعَادَةُ الْأَرْوَاحِ فِي أَنْ تَكْمُلَا

ويجعل عبد الواحد المراكشي من ممدوحه صوا للمنصور العباسي

(من الكامل) في رعايته للعلوم والعلماء : (١)

أُخِيَّتُمْ الْمَنْعُورَ فَهُوَ كَانَ نَسْهُ لَمْ تَعْتَقِدْهُ مَعَالِمَ وَعُلُومِ
وَمَحَابِرُ وَمَحَابِرُ وَمَحَابِرُ وَحِمَى يُحَاطُ وَأَرْمَلُ وَبَنِيَّتِي

ويرى أبو الربيع في مرض المنصور مرضاً للعلا والدين والعلم (٢):

(من البسيط)

وَمَا مَرِضْتَ وَلَكِنَّ الْعُلَا مَرَضَتْ وَالْدِّينُ وَالْعِلْمُ وَالْآدَابُ وَالْحِكْمُ

ويجعل ابن خبازة من ممدوحه بحرا زاحرا بالعلم والجود : (٣)

(من البسيط)

يُفِيضُ بِالْعِلْمِ أَوْ بِالْجُودِ زَاخِرُهُ بَرُوي وَيُرُوي فَيُعْيِي قَالَ أَوْ فَعَلَا

والعلم من الصعاب المكمله لصورة الإمام ، ولهذا أكثر الشعراء منها

في مدائحهم . فجعلوا ممدوحهم بحورا من العلم يعبدون منه من شاء من طلبته ،

ورعاة للعلماء يخلعون عليهم العطايا والهبات .

(١) المراكشي ، المعجب : ٣٠٩

(٢) ديوانه : ٣٦ .

(٣) ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة : ٨ / ٢٨٩

مجز الشاعر من الوفاء بحق الممدوح

وعندما يتصف الممدوح بكل هذه الصفات يسعر الشاعر بعجزه عن الوفاء بحق الممدوح ، فالشعر لا يفي بخصاله الحميدة ، ويفصر عن الإحاطة بهاء ويطرده هذا المعنى في كثير من المدائح الموحدية ، فمن ذلك قول الجرّاي : (١)

(من البسيط)

جَارِي مَنَا قَبْكَمُ شِعْرِي مُقَصَّرٌ عَنْ بُلُوغِ أَذْنَى مَدَاهَا وَهُوَ مُجْهُودٌ
ويجعل في مدحة أخرى النثر والشعر يعجزان عن الإحاطة

بمآثر الممدوح يوسف بن عبد المؤمن : (٢) (من الكامل)

لَا يَبْلُغُ الْمَنْشُورُ بَعْضَ مَا شِـرَ صَانَتْ لَكَ الْعُلْيَا ، وَلَا الْمَنْشُورُونَ
ويعرب الجرّاي في التعبير عن هذا المعنى في قصيدة ناصرية ، إذ يجعل البليغ يقصر في مدحه ولو نظم الكواكب حروفا : (٣)

(من الكامل)

فَتَ الْمَدَائِحُ فَالْبَلِيغُ مُقَصَّرٌ وَلَوْ أَنَّهُ نَطَمَ الْكَوَاكِبَ أَحْرُفًا
وبورد أبو الربيع المعنى نفسه في مدحة منصورية فيجعل النثر والفريص عازرين عن الإحاطة بمآثر الطبيعة : (٤)

(من الكامل)

جَلَّتْ صِفَاتُكَ أَنْ يُحِيطَ بِكُنْهَيْهَا نَثَرْتُ يُولُفُ أَوْ قَرِيبُ يُجْمَعُ
ويدعو أبو حمص للخليفة يوسف ، لمحن المدح عن الوفاء بحقه : (٥)

(من البسيط)

خَذْ كَأْسَ لَفْظِي دِهَاقًا مِنْ مَدَائِحِهِ فِيهَا الْحَقَائِقُ لَالِفُو وَتَأْشِيهِمْ
نَدْعُو لَهُ بَدَلًا مِنْ مَدْحِهِ لِقَمُومِ رِ الْمَدْحِ عَنْهُ وَفِيهِ الْعُذْرُ مَعْلُومُ

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب : ١٩٣

(٢) نفسه : ١٠٧

(٣) نفسه : ٢٣٧ ، وانظر الصفحات : ٧٢ - ١٥٣ - ١٩٧ - ٢٤٢

(٤) ديوانه : ٢٢

(٥) المقرري ، أزهار الرياض : ٢/ ٣٦٤

(٦) فيه نظر إلى قوله تعالى : (وَكَأْسًا دِهَاقًا) النبأ : ٣٤

ب - معاني مدح الرجال :

إنَّ الناظر في شعر المدح في عهد الموحّدين بالمغرب يلفت نظره أنَّ مدح الخلفاء يذهب بمعظم هذا الشعر الذي وصل إلينا ، إذ لانكاد نقف إلا على بضع قصائد ومقطوعات في مدح الرجال من فقهاء وعلماء ورجال كان لهم بعض المآثر التي استحقّت المدح والثناء .

وليس من المعقول ألا يكون هناك شعر في مدح الرجال غير القصائد التي وصلت إلينا ، ولكن من المرجّح أنَّ شمة شعرا كثيراً لم يصل إلينا ، وضاع بسبب إهمال المصنّفين هذه القصائد ، واهتمامهم بقصائد مدح الطبقة الحاكمة .

إذا حاولنا أن نبيّن المعاني التي تناولها الشعراء في ممدوحيههم من غير الخلفاء والوزراء ألفيناها تدور حول مجموعة من القيم والمعاني تخالف القيم والمعاني التي لاحظناها سابقاً ، فنحن نجد انحساراً للمعاني التقليديّة كالكرم والشجاعة ، والمعاني المذهبيّة والسّياسيّة الخاصّة بالدعوة الموحّدية ، ونجد بالمقابل بروزاً لمجموعة أخرى من الصّفات تناسب الممدوح ، فإن كان فقيهها مدحوه بالعلم والتّضلّع من الفقه ، وعلو كعبه فيه ، وإن كان شاعراً مدحوه بجودة الشعر ، وبراعته فيه .

ونسوق هنا بعض الأمثلة لمآزينا إليه ، فمن ذلك قصيدة للشاعر عبد الواحد بن عبد الرحمن بن أبي زكريا بن أبي حفص بن عبد المؤمن في مدح الفقيه جمال الدين البغدادي (١) ، وتقع هذه القصيدة في أربعين بيتاً ، وهي بعيدة عن منهج القصيدة التقليدي ، إذ ينصرف صاحبها عن المقدمات بضروبها المختلفة ، وعن حديث الرحيل ووصف الصحراء ومشاهدها . ويبدأ قصيدته مباشرة

(١) هو محمد بن أبي بكر بن رشيد البغدادي ، أبو عبد الله ، فقيه شافعي ، أخذ في المشرق عن جلة من العلماء ، ورحل إلى الأندلس ، وأخذ عن مشايخها ، ثم انتقل إلى مراكش وتعدى للوعظ وكان له حظّ من الشعر ، وكان رجلاً ممدوحاً ، توفي بتونس

(٢٦٦٣هـ/١٢٥٠م) نظر ترجمته في : ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة ٢٧٤/٨ - ٢٨٠ .

بالترحيب بهذا الفقيه الذي خلف فراغا لا يُسدُّ في بلدان المشرق قاطبة ، ويعتدّ الشاعر هذه المدن التي كانت عصرئذ مراكز للثقافة والعلم ، ويذكر ما أصاب كل واحدة من هذه المدن من أثر سلبي نتيجة ارتحال هذا العالم إلى المغرب، ويصف في المقابل البهجه والحبور اللذين أصابا بلدان المغرب بفدومه إليها واسفراره فيها ، ويؤكد الشاعر أمراً مهماً هو وحدة العالم الإسلامي ، فالمغرب والمشرق أخوان نضمّهما رابطة الدين ، وحران ، فلا فرق بين أن يقيم هنّا أو هناك ، وينوجه بالشكر إلى أهل المشرق الذين لم بضّوا على إخوتهم في المغرب بهذا العالم النحرير والفقيه العالم ، يقول الشاعر : (١)

(من البسيط)

أَهْلًا وَسَهْلًا يَمَنْ أَهْدَتْهُ بَغْدَانُ	وَمَرْحَبًا مَرْحَبًا حَيَّاهُ رُضْوَانُ
إِنْ فَارَقَ الرَّيَّ رِيَّاهَا لِفَرَقْتِهِ	وَأُخْرِسَتْ بَعْدَهُ حُزْنًا خُرَاسَانُ
أَوْ وَاصَلَتْ مُوَصِّلًا فِيهِ الْأُسَى وَبِهِ	قَدْ غَادَرَتْ قَلْبُهَا حَرَّانَ حَرَّانُ
فَبِأَن حَضَرْنَا تَفْتَرَّ مِنْ جَذَلٍ	بِهِ إِذَا فَرِحَتْ مَاضَرَ لَهْفَانُ
أَمَّا سَمِعْتَ يَقُولُ ابْنُ الْحُسَيْنِ وَمَا	قَدْ جَاءَ فِي الشَّعْرِ حُكْمٌ وَهُوَ قِيَانُ (٢)
إِيَّاهِ رَعَى اللَّهُ إِخْوَانًا بِهِ سَمَحُوا	لَنَا فَنَحْنُ لَهُ فِي الدِّينِ إِخْوَانُ
وَنَحْنُ جِيرَانُهُ مِنْ بَعْدِ جِيرَانِهِ	بِبَابِ حَيْرُونَ لَا بَفَقْدِهِ جِيرَانُ

بعد ذلك ينتقل الشاعر إلى مدح هذا الفقيه ، فهو بحر في العلم ،
إلا أنّ ماءه عذب ، وجواهره ولاكيه من بنات الفكر ، ومنطقه يأخذ بالألباب
كانه السحر :

(١) ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة ٨ / ٢٧٨ - ٢٨٠ .

(٢) ابن الحسين ، هو المتنبي ، ولعله أراد قوله الشاعر في ديوانه ٣١٣

" مَسَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ "

بَحْرٌ وَلَكِنَّهُ عَذَبَ جَوَاهِرُهُ أَضْدَافُهَا شَقَقْتُهَا مِنْهُ أَذْهَانُ
يُبْدِي الْجَلِيَّ مِنَ الْمُخْفِيِّ مُنْطَفُوهُ كَانَ الْغَاطَةُ لِلَّسَّخْرِ خَزَانُ

ويصور الشاعر الأساليب والطرق التي يسعملها الممدوح في وعظه ، فهي متعددة ، كالتعليم ، والترهيب ، والترغيب ، وهو في هذا كله يوثّر في مستمعيه أكبر الأثر فجعلهم يدرسون الدمع الغزير ، ويهتدي من كان ضالاً منهم :

طَوْرًا يَعْلَمُ ، طَوْرًا يَخْوْفُنَا طَوْرًا يَرْجِي فَهَذَا الْوَعْظُ الْوَانُ
تَصُوبُ مِنْ وَعْظِكَ الْأَجْفَانُ وَكَفْةً كَمَا يَهْوِبُ لِمَوْتِ الرَّعْدِ هَتَّانُ (١)
كَمْ مِنْ شُرُودٍ أَخِي غَيٍّ إِلَى رَشَدٍ قَادَتْهُ يَابُنْ رَشِيدٍ مِنْكَ أَرْسَانُ

ويعنرف الشاعر بقصوره عن إحصاء مكارم ممدوحه ، فهي عدد الحصص والنجوم ، فأنّى له أن يدركها ولو أوتي بلاغة قسّ وسحبان :

عُذْرًا فَدَيْتَكَ لَمْ أَحْصِ الَّذِي لَكَ هَلْ يُحْصِي الْحَصَى وَنُجُومَ اللَّيْلِ حُسْبَانُ
أَتَى وَلَوْ قَاسَهَا قُسٌّ لَفَصَّـرَ ، أَوْ أَجْرَى لَهَا طَرْفُهُ لَمْ يَجْرِ سَحْبَانُ (٢)

ويختتم الشاعر قصيدته بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم :

مَلَى إِلَهِهُ عَلَيْهِ كُلَّمَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَمَانُلَيْتُ أَيْ وَفُـرَّانُ
وَحَصَّهُ بِسَلَامٍ مَاسَرَى مَسْلُكُ مَسْخَرُ وَرَسَا رَضَوَى وَثَهْلَانُ (٣)

والقصيدة في مجملها يطهر عليها طابع التعمّل والتكلف ، إذ أشقلها صاحبها بالمحسنات اللفظية قصداً ، إظهاراً لمقدرته الشعرية ، مما أوقعه في السّخف أحيانا ، والحشو أحيانا أخرى ، فكثرت الجناس فيها كثرة بارزة ، إذ لا يكاد يخلو بيت من أبيات القصيدة منه . كما حشد الشاعر كمّاً كبيراً من الإشارات الجغرافية والتاريخية ليدلّ على معرفته ، وثقافته العالية .

(١) تهوب : تنصبّ ، الهتان : السحاب الكثير القطر .

(٢) قسّ وسحبان ، قسّ بن ساعدة الإيادي ، وسحبان وائل ، وهما خطيبان من فصحاء

العرب قبل الإسلام .

(٣) رَضَوَى وَثَهْلَانُ : جبلان في الجزيرة العربية ، الأول جبل في المدينة ، والثاني جبل

لبني نمير .

ومن الفضلاء الممدوحين أبو الحسن الشَّارِبي (١)، الذي كَوَّن مكتبة عامَّة وزوَّدها بنفائس الكتب، ثم وقفها على طلبة العلم المتعطِّشين له . وقد لقي هذا العمل - الذي كان سابقاً لأمثيل لها في المغرب - تقدبراً من الشعراء، وتثميناً له، فهبَّوا يمدحونه، ويهتئون به هذا الفضل الذي حارى به المشاركة، وراوا فيه ماثرة نكسب صاحبها المدح والثناء عند الناس، والحرأء والثَّواب عند الله تعالى فقال أبو القاسم بن عمران: (٢)

(من الطويل)

أَبَا حَسَنِ زَادَتْ مَا تَرْكُمُ حُسْنًا	بِغَيْرِ جَمِيلٍ مُّوَجِّبٍ لَكُمْ حُسْنًا
لَكُمْ أَجْرُهُ الْوَفَى وَأَجْرُ مَنْ اقْتَفَى	سَبِيلَكَ فِيهِ أَوْ بِسُنَّتِكَ اسْتَنَّا
أَحْلَ وَالْيَدِ الطُّوْلَى فَلَيْسَ بَغْرَبِنَا	حَفِيٌّ بِأَهْلِ الْعِلْمِ مِنْتَكَ امْتَنَّا
تَخَيَّرْتَ أَعْلَاقَ الدَّوَاوِينِ مُغْرَضًا	بِإِدْنَائِهَا مِنْكُمْ عَنِ الْعَرَضِ الْأَدْنَى

ويتابع الشاعر حديثه عن أهميَّة هذه المكتبة، وفضل صاحبها، إلى

أن يختمها بتحيةة هذا الممدوح بقوله :

وَحَيَّيْتُ عَنِّي يَا سَرِيَّ تَحِيَّةً يَفَارُ عَلَيْهَا الْقَلْبُ أَنْ تَلِجَ الْأَدْنَى (٣)

وينظم الشاعر أبو الحسن بن إسماعيل بن عبد الله الأغماشي قصيدة من واحد وأربعين

بيتاً في الغرض نفسه، يؤكد فيها المعاني نفسها، فيجد في الممدوح - بهذا العمل -

(١) هو علي بن محمد بن علي بن يحيى بن عبد الله بن يحيى الغافقي، فقيه محدث،

أخذ عن كثير من العلماء بالأندلس والعدوة، له حظ من علم التاريخ وكان له عناية

بالكتب النفيسة، جمع عدداً كبيراً من نفائس الكتب وحبسها في مدرسة أنشأها

لهذا الغرض، توفي مغرباً عن وطنه سنة (٦٤٩هـ/٢١٢٥م) انظر ترجمته في :

ابن عبد الملك، الذيل والتكملة ٨ / ١٩٧ - ١٩٨ .

(٢) ابن عبد الملك، الذيل والتكملة : ٨ / ١٩٧ - ١٩٨ .

(٣) السَّريُّ : الشَّريف .

قد بنى لأهل المغرب مجدا رفيعا ، ورفع ذكرهم : (١)

(من الطويل)

بَنَيْتُ لِأَهْلِ الْعَرَبِ مَجْدًا وَسُودًا وَفَحْرًا عَلَى الْأَيَّامِ يُبْقَى مُوَبَّدًا
رَفَعْتُ لَهُمْ ذِكْرًا وَأَسْمَيْتُ مَنْصِبًا أَنَا فِى سَامِي الْكُؤَاكِبِ مُمَعَّدًا

ويرى الشاعر أن ممدوحه - بإنشائه هذه المدرسة ونجهيرها - قد نسخ صيت المدرسة النظامية الشهيرة ببغداد - النبي سارت بسمعتها التركبان :

وَمَدْرَسَةٍ لِلْعِلْمِ قَلَدَتْ جِيدَهَا مِنْ الْكُتُبِ الْأَعْلَاقِ دُرًّا مُنْضَدًا (٢)
نَسَخَتْ بِهَا حُسْنَ النَّظَامِيَّةِ النَّبِي أَغَارَ صَدَاهَا فِي الْبِلَادِ وَأُنْجَدًا

ويستعرض الشاعر أنواع الكتب التي خص بها الممدوح المكتبة فهي كتب متنوعة الموضوعات ، تشمل كتب التفسير ، والحديث ، واللغة والإعراب ، والتصوف وغيرها وهو يقرّ بعدم استطاعته حصرها :

وَلَيْسَ بِوَسْعِي أَنْ أَجِيءَ بِذِكْرِهَا مُفَصَّلَةً إِذْ لَيْسَ تُخَصِّي لَهَا عَدًا
فَمِنْ كُتُبِ التَّفْسِيرِ أَعْظَمُهَا غِنًى وَأَنْفُسُهَا قَدْرًا وَأَنْفَعُهَا جَدًا
وَمِنْ سُنَنِ الْمُخَنَارِ مَا صَحَّ نَقْلُهُ وَجَاءَ بِهِمِ أَهْلُ الْعَدَالَةِ مُسْنَدًا
وَمِنْ عِلْمِي الْإِعْرَابِ وَاللُّغَةِ النَّبِي بِهَا أَنْزَلَ اللَّهُ الْكِتَابَ الْمُمَجَّدًا

ويبالغ الشاعر في المدح ، ويرى في عمل ممدوحه تنبيهها لذكر العلم بعد خموله ورفعاً لمنازل الدين مما زاد نوره وجلد ظلام الجهل والضلال :

أَشَدَّتْ بِذِكْرِ الْعِلْمِ بَعْدَ خُمُولِهِ وَأُحْيِيَتْ مِنْهُ مَيِّنًا كَانَ مُلْحَدًا
وَلَوْلَاكَ بَعْدَ اللَّهِ كَانَتْ رُبُوعُهُ يُجَاوِبُ فِي أَرْجَائِهَا الدَّاعِيَ السَّدَى
رَفَعَتْ مَسَارَ الدِّينِ فَازْدَادَ نُورُهُ وَضُوحًا عَدَا الْإِسْلَامُ مِنْهُ مُمَهَّدًا

(١) ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة : ٨ / ١٩٩

ولم يكتف الشاعر بذلك ، بل جعل مدينة " سبتة " تتيه فخرا بهذا الصرح العظيم الذي أكسبها عزًا ومجدا ، فعدت قبلة لطالبي العلم من كل الأمصار ، مما زرع الغيرة والحسد في بقية مدن المغرب :

لِنَفْخَرُ بِمَا شَيْدَتْ سُبَّةٌ مِنْ عُلَا أَمَامَ لَهَا مَجْدًا أَثِيلًا مُشَيَّدًا
عَدَتْ مَكَّةَ لِلْغَرْبِ كُلِّ بَرٍّ ——— لَدَاهِ لَهَا حُسْدٌ ، لَزَلْنِ لِلْحَشْرِ حُسَّادًا
وَصَيَّرَتْهَا لِلطَّالِبِ الْعِلْمُ كَعَبَابَةٌ يُلِمُّ بِهَا مَنْ حَاءَ يَبْغِيهِ مُقْصِدًا

ويتابع الشاعر الثناء على الممدوح ، وتعداد فوائده المكتبة ، ويختتم قصيدته بدعاء غريب لممدوحه ، فيطلب من الله تعالى أن يبقيه محسودا في المعالي :

جُرِيتَ عَنِ الْإِسْلَامِ خَيْرًا وَنَلِيتَ مَا نَوَمَلُ مِنْ رُضْوَانِ رَبِّ الْوَرَى غَدَا
وَلَزَلْتِ فِي مَجْدٍ وَإِقْبَالِ عِزَّةٍ تَكْرُوحُ وَتَعْدُو فِي الْمَعَالِي مُحَسَّدَا

وفي حال كون الممدوح شاعرا ، يُلحُّ الشاعر على براعته في نظم الشعر وعلى جودة معانيه ، فهو ربّ العريض ، وألفاظه كقطع الرّياض ، كقول ابن العابد الفاسي ، في مدح عبد الكريم بن عمران : (١)

(من الطويل)

إِذَا قِيلَ مِنْ رَبِّ الْقَرِيفِ الَّذِي لَهُ يَدِينُ ، فَقُلْ: عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنِ عُمَرَانِ
حُبَانِي بِرُوضٍ مِنْ نَتِيجَةِ فَكْرِهِ يَرُوقُ بِهِ لِلنَّظْمِ وَالنَّشْرِ زَهْرَانِ
وبعد :

فقد نعتّق الفول في معاني المدح عند الشعراء الموحّدين ، ونشعبت سبله وآن الألوان لنلّم أطراف الحديث بعضه إلى بعض فنقول :
لقد قسمنا معاني المدح إلى مدح الخلفاء ومدح الرجال ، فالفيئنا الشعراء المغاربة في مدحهم للخلفاء كانوا يلحّون على مجموعة من المعاني تفارق

المعاني التي مدحوا فيها التّبهاء من الرّجال ، فمدحهم بمجموعة من المعاسي بعضها تغليديّ كالكرم والقوّة وهما الحصلتان اللتان كانتا أكثر دوراناً على ألسنة شعراء المدح منذ القديم ، وكان كرم ممدوحهم لاجدّ ، وقوتهم لانداني ، وعرضوا إلى الحديث عن حيوسهم وتجهيزها ، وضحموا انتصاراتهم ، في حبس النفسوا إلى خصومهم فصّروا هزائمهم ورموهم بالحبس والفرار من المعارك .

كما مدحهم بالمعاني الدّينية التي استمدّوها من الدّين الإسلاميّ ، فلا تكاد تخطى العين الأضواء القرآنية التي يوشح بها هؤلاء الشعراء مدائحهم فالحووا على نعت الخلفاء بأنهم معلون لدين الله ، وساهرون على حمايته ، وهم مؤيّدون من الله في كلّ خطواتهم ، ولم يعفلوا مجموعة من الصّفات الدّينية الأخرى كالنّقوى والالتزام بتعاليم الشّريعة ، والعدل بين الرّعية ، إلى غير ذلك من الصّفات .

وكان لبعض تعاليم الدّعوة الموحّدية ظهور في أشعار هؤلاء الشعراء فبرزت موضوعات الإمامة والعصمة والمهدية هي عماد الدّعوة الموحّدية برورا كبيرا ، وطهر مداها جليّاً عند بعض الشعراء ، كما ألح هؤلاء الشعراء على احتيار الله سبحانه للإمام ليكون خليفته في الأرض ، ولم يعفلوا الحديث عن علم هؤلاء الأئمّة .

أما مدح الرّجال عندهم فقد كانت نعوصه قليلة نسبياً ، لاننقع غلّة ، وعزّونا فلنّها إلى ضياع قسم قد يكون كبيراً من القصائد التي تتحدث عن مدح الرّجال بسبب اهمال المصنّفين إيرادها في مصنفاتهم وانصراف اهتمامهم إلى قصائد المدح الرّسميّة ، مما يجعل حكمنا مرهوناً بالنّصوص القليلة التي وصلت إلينا . وقد كانت معاني المدح في هذه القصائد مختلفة عن المعاني التي مدح فيها الشعراء خلعاؤهم ، وكانت تراعي وضع الممدوح وطبيعته ، فإذا كان فقيهاً أو عالماً مدحوه بالتّبخر في فنون العلم ، وإتقان صنوفه وروعة بيانه ، وتأثيره فيمن يأخذون عنه ، وإذا كان شاعراً تحدّثوا عن روعة شعره ، ونعتوه بأنّه ربّ القريض ومعتق كوز المعاني ... إلى غير ذلك من الصّفات .

الفصل الثاني

شعر العرب

١- رؤية الشعراء للصراع في الأندلس

تميّز عصر الموحّدين بكثرة المعارك والحروب على المهيّدين الداخليّ والخارجيّ ، فمنذ أن أعلن محمّد بن تومرت دعوته ، بدأ يعدّ العدّة لتقويض دعائم حكم المرابطين ، فكّون الأنصار والأتباع ، ودرّبهم على السلاح . وبعد وفاته ، تسلّم خليفه عبد المؤمن بن عليّ الرّاية ، واستطاع القضاء على الحكم المرابطي ، ونشبت أركان الدولة الموحّدية في المغرب الأقصى ولمّا استتبّ لها الأمر هناك ، انطلقت الجيوش الموحّديّة نحو الشرق والأندلس لتوسيع رقعة الدولة ، فخاضت الحروب العنيفة على جميع الجبهات ، وكانت لها أيّام ، وعليها أخرى .

وواكب الشعر هذه الحروب والمعارك ، وسجّل الوقائع والغسزوات والحروب ، فشكّل الشعر - إضافة إلى المصادر التاريخيّة - وثيقة مهمّة تفيد الدارسين في التاريخ المغربي وأدبه (١) .

فكيف نظر الشعراء الموحّدون إلى هذا الصّراع ؟

كان الصّراع بين الموحّدين والإسبان في الأندلس صراعاً بين عقيدتين ، الإسلام والنّصرانيّة (٢) ، ويظهر هذا المفهوم جليّاً في الرّسائل التي كانت تصدر عن الدولة الموحّدية ، إذ كانت هذه الرّسائل تصف المسلمين بأنهم أولياء الله وأنصار الحقّ ، وتصف الأعداء بالمشركيين والكفّار (٣) .

ومن الأمور التي توضح نظرة المسلمين إلى هذا الصّراع ، ما روتّه المصادر من أنّ الخليفة يوسف بن عبد المؤمن أمر بجمع الأحاديث النبويّة التي تحثّ

المروسة

(١) انظر تفصيل ذلك في مجموعه شيخه ، الفتن والحروب ، قسم الحروب . ٣٩٧/٢ - ٤٨٢ .

(٢) شفيق محمد الرّقب ، شعر الجهاد في عصر الموحّدين : ٤٩

(٣) رسائل موحّدية : ١٢٢

على الجهاد ، وإلقاءها على الجند^(١) . وفي الطرف المقابل آذرت الكنيسة في روما الحرب التي شنتها الفرنجة على مسلمي الأندلس ، وعدّها البابا حرباً صليبية مقدّسة^(٢) ضدّ المسلمين الذين وصفهم بـ " أعداء الدين " ، فجمعوا حشوداً هائلة من الجنود الوافدين من أنحاء أوربه^(٣) ، وأقيمت الصلوات طلباً للنصر .

ولم يقف الشعراء الموحدون مكتوفي الأيدي ، بل واكبوا الصراع الجاري وتأثّروا به ، وعبروا عنه ، وصدروا في شعرهم عن مفهوم إسلامي شامل، من ذلك ماقاله عبد المؤمن بن عليّ في انتصار الجيوش الموحدية على النورمان في المهدية سنة (٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) :^(٤)

(من الطويل)

وَأَصْبَحَ وَجْهَ الْحَقِّ غَيْرَ مُحْجَبٍ	وَأَشْرَقَتِ الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ فَوْقَنَا
وَعَادَ بِمِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ تَقَلُّبٍ	وُظْهِرَ هَذَا الصُّقْعُ مِنْ كُلِّ كَافِرٍ
وَنَادَى مُنَادِي الْحَقِّ فِي كُلِّ مَرْقَبٍ ^(٥)	وَكُسِّرَتِ الثُّلُبَانُ فِي كُلِّ بَيْعَةٍ

فالشاعر قرن انتصار المسلمين بشعائر دينهم ، " ونادى منادي الحق في كلّ مرقب " ، كما ربط هزيمة النصارى بطقوس عبادتهم ، " وكُسِّرَتِ الثُّلُبَانُ فِي كُلِّ بَيْعَةٍ " . واستخدم للتعبير عن فكرته ألفاظاً مرتبطة بعقيدة الطرفين مثل " الحق ، كافر ، الإسلام ، الثُّلُبَان ، بيعة " .

(١) المراكشي ، المعجب : ٢٥٤ .

(٢) سعيد عاشور ، أوربا في العصور الوسطى : ٢ / ٥٠١ .

(٣) المراكشي المعجب : ٣١٩ .

(٤) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٦٤ . وابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالإمامة : ١١٧ .

(٥) البَيْعَةُ : كنيسة النصارى ومحلّ عبادتهم .

ويرى أبو علي الأشيري في هزيمة الفرنجة في موقعة " السَّبَطاط " سنة (٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م) ، هزيمة للشرك بشكل عام ، لأن الصراع في مفهومه صراع عقائد ، يقول الأشيري : (١)

(من الكامل)

دَارَتْ رَحَا الْهَلَكَاتِ بِالسَّبَطَاطِ وَسَطَابِهَا رَيْبُ الزَّمَانِ السَّاطِي (٢)
وَأَهَيْنَ فِيهَا الشَّرْكَ أَيَّ إِهَانَةٍ شَفَعَتْ كَرِيهَ هَيَاطِهَا بِمِيَاطِ (٣)

وتسيطر العاطفة الدينية على أبي العباس الجراوي في قصيدته اليوسفية عند فتح "قنطرة السيف" بالأندلس سنة (٥٥٩ هـ / ١١٦٣ م) فيقول : (٤)

(من الكامل)

جَاهَدْتُمْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَنَهَضْتُمْ لِحِمَايَةِ الْإِيمَانِ
وَتَرَكْتُمْ أَرْضَ الْعَدَا وَقُلُوبَهُمْ فِي غَايَةِ الرَّجَفَانِ وَالْخَفَقَانِ
وَعَزَاهُمْ الدِّينَ الْحَنِيفِيَّ الَّذِي كُتِبَ الظُّهُورُ لَهُ عَلَى الْأَدْيَانِ
كَتَبَ إِلَهُكُمْ لَكُمْ فُنُوحًا فِي الْعَدَا هَذَا لَهَا وَسِوَاهُ كَالْعَنْوَانِ

أرايت كيف تمور الأبيات السابقة بالمعاني الإسلامية ؟ وبالأحاسيس والمشاعر الدينية ؟ وكيف يلجأ الشاعر إلى القرآن الكريم مقتبساً من قوله تعالى ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ (٥) ؟ إن الأبيات السابقة تصدر عن فهم إسلامي للصراع بين العرب والإسبان ، فلا غرابة إذاً أن نجدها عامرة بالمعاني الدينية المتعلقة بالجهاد .

ويشيع في شعر الحرب استعمال الشعراء لمصطلحات توضح فهمهم الإسلامي لهذا الصراع ، فقد أطلقوا على جيش المسلمين اسم " حزب الله " مستوحين هذه

(١) صفوان بن إدريس ، زاد المسافرين : ١٠٢

(٢) السَّبَطَاطُ : تقع جنوب طَلَيْطَلَة ، ويقوم مكانها اليوم المدينة الملكية . انظر :

محمد عبده حتملة ، محنة مسلمي الأندلس : ٩٦ .

(٣) الهِياطُ والمِياطُ : الاضطراب .

(٤) ابن عذاري ، البيان المغرب : ١٣١ .

(٥) الحج : ٧٨ .

التَّسْمِيَةِ مِنَ الْفِرَآءِ الْكَرِيمِ (١)، فَمِنْ هَذَا قَوْلُ أَبِي الْعَبَّاسِ الْجَزَّازِيِّ: (٢)

(مِنْ مَخْلَعِ الْبَسِيطِ)

رَأَوْا لِحِزْبِ الْإِلَهِ سَبْئَرًا وَالْمَوْتُ حَفَّتْ بِهِ الْجِهَاتُ

وجيش المسلمين هو جيش الحق ، بينما جيش الأعداء هو جيش الضلال ، يقول أبو الربيع: (٣)

(مِنْ الْبَسِيطِ)

جَيْشُ الضَّلَالِ بِجَيْشِ الْحَقِّ مَهْزُومٌ فَنفَّذَ الْعَزْمَ إِنَّ الْفَتْحَ مُحْتَوِمٌ

وجنود المسلمين هم جنود الله ، يمدّهم بحنود من الملائكة لتحقيق النصر :

(مِنْ الْبَسِيطِ)

مَنْ ذَا يَرِدُّ جُنُودَ اللَّهِ يَقْدَمُهَا - حَيْثُ انْتَحَيْتَ بِهَا - لِلنَّصْرِ حَيْزُومٌ (٤)

فالصِّراع مع الفرنجة إذاً صراع بين الإسلام والنصرانية ، وقد وعى الشعراء هذا الأمر ، فعَبَّرُوا عنه بشعرهم تعبيراً واضحاً ، واستعانوا بالقُرْآن الكريم ومفاهيمه للتعبير عن هذا .

ومما يتصل بهذا الفهم ، حديث الشعراء عن عقيدة أعدائهم ، إذ كان الصِّراع بين الموحّدين والإسبان صراعاً عفديّاً ، فلا عجب أن نجد الشعراء الموحّدين يلحّون في أشعارهم على الحديث عن عقيدة أعدائهم منطلقين من نظرة إسلامية لهذا الصِّراع ، فالإسبان مشركون عند أبي الربيع: (٥)

(١) انظر سورة المائدة : ٥٦ . والمجادلة : ٢٢

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢٢٤ .

(٣) ديوان أبي الربيع : ٣٢ .

(٤) حَيْزُومٌ : اسم فرس جبريل .

(٥) ديوانه : ٢٩

(من الكامل)

وَكَاثَمَا أَلَتْ عَلَيْكَ أَلِيَّسَةً أَلَّا تَرَى بِكَ فِي الْبَسِيطَةِ مُشْرِكًا (١)
وهم كفّار عند عبد المؤمن : (٢)

وَلَابَدَّ مِنْ يَوْمٍ أَغَرَّ مُحَجَّجِلٍ يُسِيلُ دِمَاءَ الْكُفْرِ فِي كُلِّ مَذْنَبٍ (٣)
ويرى فيهم الجراوي " أهل ضلالة " في قوله : (٤)

(من الكامل)

أَلْقَى عَلَى أَهْلِ الضَّلَالَةِ كُلَّكَلا فَلَهُمْ عَوِيلٌ تَحْتَهُ وَأَنِيْنُ (٥)
وأهل جهالة في قصيدة أخرى : (٦)

(من الكامل)

أَهْلُ الْجَهَالَةِ هُمْ فَكَيْفَ أَلُومُهُمْ وَعَلِمْتُ أَنَّ الطَّيْعَ لَيْسَ يَحُولُ

ويردّد الشعراء الموحّدون ذكر " الصليب " بوصفه شعاراً للحروب التي قادتها الكنيسة لإخراج المسلمين من الأندلس ، وبوصفه مثيراً للحمية الدينية لدى الإسبان وقد اتخذ بعض الشعراء من هذا الصليب لقباً للإسبان يخاطبونهم به كقول الشاعر أبي الربيع الموحدي : (٧)

فَقُلْ لِأَهْلِ الصَّلِيبِ حَقًّا : إِنَّهُمْ خَسِرُوا وَخَابُوا

وكثيراً ما يذكر الشعراء تكسير الصليب إشارة إلى انتصار المسلمين كقول

عبد الواحد المراكشي : (٨)

يَذُرُّ الصَّلِيبُ صَغِيرَةً وَكَبِيرَةً فِيهَا جُسْدٌ إِذَا وَالْعُلُوجُ جُثُومُ (٩)

(١) أَلَتْ أَلِيَّةٌ : أقسمت يميناً . والضمير يعود على الأقدار .

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٦٥ - وانظر قول أبي الربيع في ديوانه ٣٠ .

(٣) المَذْنَبُ : المسيل في الحضيض .

(٤) ابن عذاري ، البيان المغرب : ١٠٧ - وانظر أبي الربيع في ديوانه ٣٢ -

(٥) الْكُلْكُلُ : المصدر .

(٦) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٧٣ .

(٧) ديوانه : ٣٥ .

(٨) المراكشي ، المعجب : ٣٠٩ ، وانظر قول عبد المؤمن في ابن عذاري ، البيان المغرب : ٩٤

(٩) الْجُذَاذُ : القطع المتكسرة - وَالْعُلُوجُ : ج عِلْجٌ : الواحد من كفار العجم انظر : الصّاح . ٥٠ عِلْج .

٢ - شعر استنفار القبائل العربيّة

ونقف في شعر الحرب في عهد الموحّدين على غصن بسق ونما في المغرب والأندلس ، وهو الإلحاح على استشارة المشاعر الإسلاميّة لدى القبائل العربيّة القاطنة بإفريقية ، إذ قام الشعراء بتبصير هذه القبائل بالخطر الذي يهدّد الإسلام في الأندلس ، وحثّوها على الانبراء للدّفاع عنه ، مذكّرين بما قام به أجدادهم في نصره الإسلام أوّل أمره .

ومعروف عن هذه القبائل شدّة المراس ، وقوة الشّكيمة ، ووفرة العدد ، وتدريب أفرادها على القتال ، وتجهيزهم بالمعدات والسّلاح ، لذا عُدّوا الموحّدون قوة لا يستهان بها ، يستطيعون الاعتماد عليها في إحراز النّصر ، فإذا أضفنا إلى ذلك حبّهم للجهاد ، واعتزازهم بعروبيتهم ، واستماتتهم في الدّفاع عن الإسلام أدركنا السّبب في اهتمام الشعراء الموحّدين باستشارة مشاعرهم الدينيّة ، إلى جانب إبراز الجانب الأهم في أعماقهم ، وهو تمسّكهم الدائم بعروبيتهم وشدّة تعلّقهم بها .

لقد اهتمّ الخلفاء الموحّدون أنفسهم بتوجيه نداءات الانعاشة إلى هذه القبائل كلّما أعلنوا النّفير ، وتجهّزوا للقتال ، فكانوا يوعزون للشّعراء بتدبج القصائد الرّنانة في مدحهم والإشادة بمآثرهم ، ومجدهم الأثيل ، وبطولتهم .

ومن هذه القصائد فصيحة أبي العباس الجراوي التي وجهها إلى عرب قبيلة " رياح " التي بنهي نسبها إلى بني هلال بن عامر بن صعّعة يستميلهم فيها إلى معاضدة حيوش الموحّدين ، والالتفاف حول الخليفة ومناصرتة في قتال الإسبان . ويلجأ الشاعر إلى مدح العرب مدحاً قبليّاً ، ويذكّر بما كان لهذه القبيلة أو تلك من محد أثيل وعراقة وبطولة ، ويشيد بشجاعة بعض القبائل في القضاء على الكفّار ، ويعدّد بعض رجالها فيقول : (١) (من الطويل)

١ - ابن سعيد ، الغصون اليانعة : ١٠٣ .

- أَحَاطَتْ بِغَايَاتِ الْعُلَا وَالْمَفَاخِرِ
وَزَانُوا سَمَاءَ الْمَجْدِ عَوْدًا وَبَدَاةً
هُمْ الْمُضْرِيُونَ الَّذِينَ سَيُوفُهُمْ
أَوَاغِلُهُمْ فِي الْخُودِ وَالْبَاسِ غَايَةً
وَكَمْ فِيهِمْ مِنْ مِثْلِ كَعْبٍ وَهَاشِمٍ
وَكَمْ قَدْ أَقَامُوا مِنْ عُرُوشٍ مُوَائِلٍ
عَلَى قَدَمِ الدُّنْيَا هِلَالُ بْنُ عَامِرٍ (١)
يَسْمُرُ الْقَنَا وَالْمُرْهَفَاتِ الْبَوَاتِرِ (٢)
صَوَاعِقُ بَاسٍ تَنْتَحِي كُلَّ كَافِرٍ (٣)
وَكَمْ تَرَكُوا مِنْ غَايَةٍ لِلْأَوَاخِرِ
وَكَمْ لَهُمْ مِنْ مِثْلِ عَمْرٍو وَ عَامِرٍ (٤)
وَكَمْ قَدْ أَقَالُوا مِنْ حُدُودٍ عَوَاشِرِ (٥)

في هذه الأبيات مدح قبلي بمتح من معين الجاهلية ، فلا نكاد نلمح فيها أثرا للمعاني الإسلامية ، بل نجد مدحا قبلياً يلح على استشارة النخوة مستفيدا من العصبيّة القبليّة لقوم يتصفون بالشجاعة والبأس والكرم والنجدة ، ثم يواصل الشاعر إلحاحه على إبراز مآثرهم ومفاخرهم ، ويبدو أنّه كان عارفا بخبايا نفوس هؤلاء العرب ومايحرّكهم ، فيبعث فيهم الحميّة ، والنخوة العربيّة عن طريق الإشادة بحكمتهم وفصاحتهم ، وشجاعتهم ، ويسوق على ذلك أمثلة من التاريخ : " وكم فيهم من مثل كعب وهاشم " " وكم قد أقاموا من عروش موائل " . ويؤكد الشاعر فكرة هذا الشبل من ذاك الأسد ، فمن غير المعقول ألاّ يقتدي هؤلاء العرب بأبائهم وأجدادهم وألاّ يتصفوا بصفاتهم : (من الطويل)

- وَكَمْ لَهُمْ مِنْ حِكْمَةٍ تَبْهَرُ النَّهْيُ
وَمِنْ خُطْبَةٍ تَسْتَنْزِلُ الْعُصْمَ مِنْ عَلٍ
هُمْ مَرْقُؤَا بِالْبَيْضِ كُلِّ مُمَرِّقٍ
وَمِنْ مَثَلٍ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ سَائِرٍ
وَتَقْضِي بِتَكْبِيلِ النَّفُوسِ النَّوَافِرِ (٦)
مَمَالِكَ شَادَتْهَا مُلُوكُ الْأَكَاسِرِ (٧)

وفي ظل هذه الإشادة المستمرة يتوجّه الجراوي بدعوه بني " رباح " إلى الالتحاق بالجيوش الموحّدية المحاهدة ، وهو في ذلك يستمرّ في استنهاص هذه القبيلة فيصف أبنائها بالعزم والتّصميم وراحة العقل :

- ١ - هم بنو هلال بن عامر بن صعصعة من قيس عيلان ، ومنهم طوائف استقرت بإفريقية ، وأشهرها الجذمان العظيمان : رباح وزغبة .
٢ - القنا : الرّماح ، والمرهفات البواتر : السيوف القاطعة .
٣ - تنتحي : تستأصل .
٤ - يعدّد الشاعر مجموعة من رجال هذه القبيلة . انظر : ابن الكلبي ، جمهرة النسب ٥٥/٢ .
٥ - الجدود : الحظوظ .
٦ - العُصم : جمع أعصم : الوعل .
٧ - البيض : السيوف . والأكاسر : ج كسرى : وهو لقب ملوك الفرس .

بَنِي عَامِرٍ أَنْتُمْ صَمِيمٌ فَصَمُّوا إِلَى الْمَوْتِ ، تَصْمِيمٌ اللَّيْثُ الْخَوَادِرِ (١)
وَلَا تَتَوَانُوا فِي حُطُوطِ نَفُوسِكُمْ فَإِنَّكُمْ أَهْلُ النَّهْيِ وَالْبَصَائِرِ

ويتابع الشاعر نغمته تلك في بقية أبيات القصيدة ويختتمها بمسح
الخليفة الموحدى بقوله :

دَعَاكُمْ لِمَا يُحِبُّكُمْ وَارِثُ الْهَدَى وَحَامِعُ أَشْيَاتِ الْعُلَا وَالْمَفَاخِرِ (٢)
وَأَحْزَمَ مَنْ سَاسَ الدِّيَانَةَ وَالْدُّنَا وَأَكْرَمَ مَأْمُولٍ وَأَحْلَمَ قَادِرِ

فدعوة الخليفة لهم هي دعوة إلى الحياة والخلود ، وهم في تلييتهم
هذه الدعوة يسطرون في تاريخهم الحافل بالمفاخر سطوراً من نور تضاف إلى
مآثرهم الخالدة .

ونقف على قصيدة أخرى نظمها الخليفة عبد المؤمن بن علي يستنفر العرب
الجهلانية إلى الجهاد في الأندلس ، وهي في لهجتها ومعانيها تختلف عن قصيدة
الجزاوي ، إذ نجد في هذه القصيدة إلحاحاً على استشارة الروح الإسلامية ، دون
إغفال المدح القبلي، فهو منذ مطلع القصيدة يطلب منهم الهبوب إلى ظهور
المطايا ، لأنّ أمراً جليلاً فيه سموهم وارتفاعهم في انتظارهم ، وهذا الأمر هو
نصرة دين الله ، والجهاد في سبيله ، فكيف لهم أن يتقاعسوا عن هذا الأمر ؟
يقول عبد المؤمن : (٣)

أَقِيمُوا إِلَى الْعُلَيَاءِ هُوجَ الرِّوَاحِلِ وَقُودُوا إِلَى الْهَيْحَاءِ حُرْدَ الصَّوَاهِلِ (٤)
وَقُومُوا لِنَصْرِ الدِّينِ قَوْمَةَ شَائِرِ وَشُدُّوا عَلَى الْأَعْدَاءِ شِدَّةَ صَائِلِ

إنّ العزّ والرّفعة في امتطاء ظهور الخيل ، وامتشاق السيوف البيضاء :

فَمَا الْعِزُّ إِلَّا ظَهْرُ أَجْرَدٍ سَابِحٍ يَفُوتُ الصَّبَا فِي شِدَّةِ الْمُتَوَاصِلِ

١ - اللَّيْثُ الْخَوَادِرِ : الأسود التي لزمّت خدورها ، وَالْخِذْرُ : الأجمة .

٢ - صدر البيت مأخوذ من قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ
وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ٠٠) (الأنفال : ٢٤) .

٣ - المراكشي ، المعجب : ٢٢٥ - ٢٢٦ .

٤ - هُوجَ الرِّوَاحِلِ : النّوق السريعة . الْهَيْجَاءُ : الحرب . وَالْفَرَسُ الْأَجْرَدُ : السّباق .

وَأَبْيَضُ مَأْثُورٌ كَأَنَّ فِرْنَنْدَهُ عَلَى الْمَاءِ مَنْسُوجٌ وَلَيْسَ بِسَائِلٍ (١)

ثم يعمد الشاعر إلى استثاره روح الفرابية فيهم ، بخطاب فيه الكثير من الرقة بقوله :

نَبِيَّ الْعَمِّ مِنْ عَلْنَا هَلَالٍ بِي عَامِرٍ وَمَا حَمَعَتْ مِنْ بَاسِلٍ وَابْنٍ نَاسِلٍ (٢)

ويطلب منهم القيام بالغزو في الأدلس ، دون أن ينسى إغراءهم بالمال والغنائم :

فَمَا هُمْنَا إِلَّا صَلَاحُ جَمْعِكُمْ وَنَسْوِغُكُمْ نَعْمَى نَرِفُ ظِلَالُهَا
وَنَسْرِيحُكُمْ فِي ظِلِّ أَخْضَرِ هَاطِلٍ عَلَنُكُمْ بِحَيْرٍ عَاجِلٍ غَيْرِ آجِلٍ

وكان للشعراء الأدلستين حظٌّ أكبر في هذا الغرض ، ولعلَّ السبب في ذلك يعود إلى اكتوائهم ببار العدو الإسباني بشكل أكبر ، لكونهم بعضون أحداث ذلك الصراع عن كثب ، فهذا العدو على أبوابهم ، وهم في حاحه ماسّه إلى المساعدة ، لذلك كنز عندهم الاسحاح بالفائل العربيّة مما نَسَّرَ لنا الوقوف على عدد لا بأس به من فصائد الاسفار والاسمراخ ، وهذه الفصائد في مصمومها لا تحلّف في أغلبها عما ذكرناه ، إذ يلجّ الشعراء فيها على اسبهاص الحمّة العربيّة والتذكّر بماضي هذه القبائل المحبّد ، ونصرتهم الأولى للإسلام ، ومن هذه الفصائد فصيدة ابن طعل التي نظمها لأمر يوسف بن عبد المؤمن وطلّعها (٣)

(من الطويل)

أَفِمْوَا صُدُورَ الْحَلِّ نَحْوَ الْمَعَارِبِ لِعَرَوِ الْأَعَادِي وَأَفِينَا الرِّعَائِي

١ - فِرْنَنْدُ السيف : ما لمح في صفحته من أثر نموّح الضوء .

٢ - الباسل : السّجاع الشّديد .

٣ - ابن صاحب الصّلاه ، المنيّ بالإمامه ٤٣٧ - ٤٤١ .

وقصيدة ابن سهل الأندلسي ، ومطلعها : (١)

(من الكامل)

وَرَدًّا فَمَضْمُونُ نَجَاحِ الْمَصْدَرِ هِيَ عِزَّةُ الدُّنْيَا وَفُوزُ الْمُحْشَرِ

وقد استحباب أبناء القبائل العربية للدعوات الموحّدية المتتالية للالتحاق بالجيوش الإسلامية المجاهدة في الأندلس ، وأبلوا في الحروب بلاء حسناً ، ممّا حدا بالشّعراء إلى الإشادة بالدور الذي قاموا به في هذه المعارك . من هذا ماقاله الشاعر أبو العباس الجراوي في الجنود العرب الذين شاركوا في معركة فحصى يلقون : (٢)

(من الكامل)

أَتَمَّمْتَ مَا قَدْ أَمَلُوهُ فَفَاتَهُمْ مِنْ نَصْرِ دِينِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٣)
بِعَرَابِ خَيْلٍ فَوْقَهُنَّ أَعَارِبُ مِنْ كُلِّ مُعْتَصِمٍ عَلَى الْأَخْطَسَارِ (٤)
أَكْرَمَ بِهِنَّ قَبَائِلًا إِقْلَالُهَا فِي الْحَرْبِ يُغْنِيهَا عَنِ الْإِكْثَارِ
هُمْ أَظْهَرُوهُ مَعَ النَّبِيِّ وَوَاحِبُ أَنْ يُتَبِعُوا الْإِظْهَارَ بِالْإِظْهَارِ

فالشاعر هنا يؤكد الشواحي التي تربط العروبة بالإسلام ، ويعيد مقام به العرب في الأندلس امتداداً لما قام به آباؤهم وأجدادهم في حمل الرسالة الإسلامية ونشرها منذ القديم ، ويدعوهم إلى مواصلة الدفاع عن الدين الحنيف والانتصار له .

ويخلّد أبو علي الأشيري مآثر العرب القادمين من إفريقية في معركة " السَّبْطاط " فيقول : (٥)

(من الكامل)

جَيْشُ مَنْ الْعُرْبِ الَّذِينَ إِذَا غَزَوْا كَوُّوا الْأَعَاجِمَ فِي الظُّلَى بِعِلاطِ (٦)
قَوْمٌ إِذَا شَمَخَ الزَّمَانُ بِأَنْفِهِ وَضَعُوا السُّيُوفَ مَوَاضِعَ الْأَسْوَاطِ (٧)

١ - ديوان ابن سهل : ٥٧ .

٢ - ابن عذاري ، البيان المغرب : ٧١ .

٣ - الضمير في " أتممت " يعود على الممدوح عبد المؤمن بن علي .

٤ - خيل عراب : كرائم سالمة من الهينة .

٥ - صفوان بن إدريس ، زاد المسافر : ١٠٢ .

٦ - الظلى ، ج طلية : صفحة العنق ، العلاط : الوسم .

٧ - يعني أنهم يقرعون أنف الزمان بالسيف .

ويستعمل الشاعر الألفاظ الموحية بالعظمة والأبهة ، وهو ما كان يطرب له هؤلاء العرب .

وخلاصة القول : لقد ألحَّ الشعراء في استنفار القبائل العربيّة على استشارة المشاعر الدينيّة عندهم في المرتبة الأولى ، ولم يغفلوا مشاعر العروبة عند هؤلاء العرب، ولم يكن من الممكن للشعراء في ذلك الحين الاسترسال في استشارة هذه النزعة ، لكون سواد الشعب المغربي كان من البربر المسلمين ، كما أن المجتمع الأندلسيّ كان يتألف من عناصر مختلفة .

لذلك فإن النزعة الدينيّة تبقى أهمّ النزعات التي توجّه اهتمام الشعراء إليها لكونها تولّف بين مختلف عناصر المسلمين .

٣ - استلهم التّـراث

إنّ المتأمل فيما وصل إلينا من شعر الحرب في عهد الموحّدين ، يلفت نظره ظاهرة تتكرّر في هذا الشعر ، وهي الالتفات إلى التاريخ الإسلامي واستلهم بعض صفحاته المشرقة ، وربطها ببعض الوقائع والشّخصيات الإسلاميّة في عهد الموحّدين ، فقد أوحى انتصار الموحّدين في معركة الأرك إلى أبي العباس الحرّاوي ، بانتصار المسلمين يوم بدر : (١)

لَقَدْ أَوْرَدَ الْأُذُنُشْ شِيعَتَهُ الرَّدَى وَسَاقَهُمْ حَهْلًا إِلَى الْبَطْشَةِ الْكُبْرَى (٢)
حَكَى فِعْلًا إِبْلِيسَ بِأَصْحَابِهِ الْأَلَى تَبَرَّأَ مِنْهُمْ حِينَ أَوْرَدَهُمْ بِكَدْرًا

وكان قد سبقه إلى ذلك الشاعر أبو تمام الذي ربط بين انتصار المسلمين في " عمورية " وانتصارهم يوم بدر في بائعته المشهورة فقال : (٣)

فَبَيْنَ أَيَّامِكَ اللَّاتِي نُصِرْتَ بِهَا وَيَيْنَ أَيَّامِ بَدْرٍ أَوْثَقَ النَّسَبِ (من البسيط)

١ - ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢٢٢ .

٢ - تعبير "البطشة الكبرى" مأخوذ من قوله تعالى : (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى) (الدخان: ١٦)

٣ - ديوان أبي تمام : ٧٣/١ .

ومعروف أنّ التاريخ الإسلامي للأندلس يرتبط بشخصيتي موسى بن نصير ، وطارق ابن زياد اللذين قادا الحشود الإسلامية لفتحها ومن هنا استلهم بعض الشعراء الموحدين مواقف هذين البطلين وقرنوها بمواقف بعض الشخصيات الموحديّة — المحاهدة . كصنيع أبي العباس الجرّاوي الذي رأى في جهود القائد عبد المؤمن ابن علي في محاربة الإسبان إكمالا لما بدأه هذان القائدان في فتح الأندلس ، ونشر الإسلام فيها ، بل إن الجرّاوي يغالي في مدح عبد المؤمن ، فيرى أنّه برّ هذين القائدين العظيمين بأفعاله ، فزعم أن موسى وطارقا لو رأيا أفعال عبد المؤمن لاستخفا بما قاما به ، قال الجرّاوي : (١) (من الكامل)

لَوْ رَأَى مُوسَى مَا فَعَلْتَ وَطَارِقُ زَرِيًّا بِمَا لَهُمَا مِنَ الْأَشَارِ
أَتَمَّمْتَ مَا قَدْ أَمْلَوْهُ فَفَاتَهُمْ مِنْ نَصْرِ دِينَ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ

ويقرن عبد الواحد المراكشي شخصية ممدوحه إبراهيم بن أبي يوسف في رعايته للعلم والعلماء بشخصية الخليفة العبّاسي المنصور فيقول : (٢) (من الكامل)

أَحْيَيْتُمُ الْمَنْصُورَ فَهُوَ كَأَنَّهُ لَمْ تَفْتَقِدْهُ مَعَالِمٌ وَعُلُومُ
وَمَحَابِرٌ وَمَنَابِرٌ وَمَحَارِبُ وَحِمَى يُحَاطُ وَأَرْمَلٌ وَبَيْتٌ

والشعراء في صيغهم هذا بكسبون قصائد هم هالة إسلامية وضاء قادة على استشارة إحياءات فكرية وعاطفية في نفوس المسلمين جميعا ، والمقاتلين

موسى بن نصير - طارق بن زياد

١ - ابن عذاري ، البيان المغرب : ٧١ .

٢ - المراكشي ، المعجب : ٣٠٩ .

٣ - انظر محمد أحمد حاد المولى ورفاقه ، قصص القرآن: ٥٦ وما بعد .

٤ - وصف السّـلاح

من الأمور التي نقف عليها في شعر الحرب حديث الشعراء الموحّدين عن الأسلحة التي كانت الحيوّش الموحّدية تستعملها في معاركها .

وينبغي أن نسّـل في البدء أنّ الشعراء الأندلسيّين في هذا العصر برّزوا نظراءهم المغاربة في هذا المجال ، فحاء وصفهم للسّـلاح أكثر حيويّة ووضوحاً ، وذلك بسبب معاشتهم ظروف القتال اليوميّة ، ومرافقتهم الجيوش في تحركاتها ، واشترك بعضهم فيها ^(١) .

أما حديث الشعراء المغاربة عن السّـلاح فهو حديث مقتضب ، لا يعدو الالتفاتة السّـريعة العارضة في أثناء قصيدة المدح أو التهنئة ، فلا بكاد الشّاعر يلتفت إليها حتّى ينصرف عنها إلى غرضه من قصيدته وهو المدح .

والأسلحة التي لمحنا صداها في الشعر ، أسلحة تقليدية في أغلبها ، كالسّيف والرّمح ، والسّهم ، والحبّـل ، ونقف على حديث عن النّار الإغريقبّة والقلاع في مواضع نادرة .

وقد كثر وصف السّيف كثرة مفرطة ، ولبس هذا غريباً فهو السّلاح الأكثر استعمالاً ، وهو الذي يحدّد بطولة الفارس في أرض المعركة .

وإذا تتبّعنا صورة السّيف في الشعر المغربي في هذا العهد وحدناها ما مشابهة لما ورد ، فوصفه لا يتجاوز الحديث عن أصله ولونه ، وحدّته .

فهذا السّيف إمّا أن يكون من سيوف الهند القاطعة المعروفة بحودتها ، كما يقول الجرّاوي : (٢)

(مخلص البسط)

رَدَّتْ جَمَى الْفُنُشْ مُسْتَبَاحاً بِيضٌ مِنَ الْهِنْدِ مُرْهَفَاتٌ (٣)

(١) انظر أطروحة جمعة شبيحة ، الفتن والحروب . ٦٤٨/٣ - ٦٦٢ .

(٢) - ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢٢٤ .

(٣) - يقال سيف هُنْدُوَانِيّ ، منسوب إلى الهند .

وربما جمع الشعراء بين ثلاثة أسلحة ، الخيل ، والرماح ، والسيوف ،
وهي عدة الفارس المقاتل ، من ذلك قول أبي الربيع مصورا رباطة جاش
ممدوحه : (١)

لَلَّهِ جَاشُكَ وَالصَّوَارِمُ تُنْتَضَى وَالْخَيْلُ تَرْدِي وَالْأَسِنَّةُ تُشْرَعُ (٢)

ويصف الشعراء أثر السلاح في الأعداء ، فسيف الممدوح عند أبي الربيع
يبيد الأعداء عن آخرهم ، فلم يبق من يئبى بهزيمتهم ومفلهم : (٣)

(من الكامل)

لَمْ يَبْقَ سَيْفُكَ مِنْهُمْ مَنْ يُنْبِذُ نَ بَقْتَلِهِمْ وَلِبِئْسَتِ الْأَنْبَاءُ

وقوله : (٤)

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ السَّيْفِ مُتْلِفَ أَنْفُسٍ وَإِنْ كَانَ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ شَافِيَا

وهو ينظر فيه إلى قول عنتره : (٥)

وَسَيْفِي كَانَ فِي الْهَيْجَا طَيِّبَا يُدَاوِي رَأْسَ مَنْ يَشْكُو الْمَدَاعَا

وقول الجرّاوي يصور أثر السيوف في الأعداء : (٦)

وَنَارَعَتْهُمْ سُيُوفُ الْهِنْدِ أَنْفُسَهُمْ فَلَمْ يُفِدْهُمْ عَنِ الْهَيْجَاءِ تَعْرِيدُ (٧)
فَهُمْ عَلَى التُّرْبِ صُرْعَى مِثْلَهُ عُدَدَا إِنْ كَانَ يُقْضَى بِأَنَّ التُّرْبَ مَعْدُودُ

لقد ألمّ الشعراء المغاربة في عهد الموحّدين بوصف السلاح الذي جاء
في أثناء القصيدة المدحيّة ، فجاء حديثهم مقتضبا فيه الكثير من العموميّة ،

١ - ديوانه : ٢١ ، وانظر : ٣١ .

٢ - تردى : تعدو ، تشرع : تسدد .

٣ - ديوانه : ٢٥ .

٤ - ديوان أبي الربيع : ٣١ .

٥ - ديوان عنتره : ١٧١ .

٦ - ابن سعيد ، الغصون اليانعة : ١٠٢ .

٧ - التعرّيد : الفرار .

ولم يأتوا فيه بجديد ، ولم يزدوا على ما جاء في التّراث ، مما يرجّح
لدينا أنّ حديثهم هذا كان أقرب إلى أن يكون حديث سماع منه إلى حديث
مشاهدة .

هـ - وصف المعارك

أسلفنا القول أنّ ما وصل إلينا من شعر الحرب بشكل عام جاء في أشناء
قصيدة المدح ، وفي معرض تصوير مظاهر قوّة الممدوح ، حيث كان الشعراء يصفون
أنواع السّلاح من خيل وسيوف ورماح وقلاع وسفن ٠٠ وغيرها . وكان هذا الحديث
لا يسمن ولا يغني من جوع ، فهو حديث عامّ تعوزه الدّقة والتّفصيل .

فإذا ما بحثنا عن وصف المعارك والحروب ألفينا ذلك أمراً نادراً فبي
أشعارهم على كثرة المعارك والحروب التي خاضها الموحّدون (١) ويمكننا بادئ
ذي بدء أن نردّد هذا إلى أنّ الشعراء المغاربة كانوا يصفون تلك المعارك على
السّماع ، ولم يكونوا يخوضون المعارك مع الجيوش المحاربة ، ممّا جعل وصفهم
للمعارك يحىء باهت الظّلال غير واضح المعالم .

ومن النّصوص النّادرة ، مقطوعة للشاعر أبي حفص بن عمر من بينين يصفون
فيهما التحاماً بين الأبطال في ساحة الحرب ، ولا يفتح فيهما عن هويّة
المتقاتلين ، ولكن الطّرافة في الصّورة هي جعل الرّائي يظنّ أنّ هؤلاء الأبطال
إخوة يتعانقون بحرارة بعد غياب ، ولا يخطر في باله أن يكون هذا العناق
من شدّة البغض ، يقول الشاعر : (٢)

يَتَعَانِقُونَ إِذَا لَقُوا أَعْدَاءَهُمْ يَوْمَ الْكِفَاحِ تَعَانَقَ الْإِخْوَانُ
هَذَا إِنَّمَا ذَاكَ التَّعَانُقُ بَيْنَهُمْ مِنْ شِدَّةِ الْبَغْضَاءِ وَالشَّنَانِ (٣)

١ - انظر جمعة شخّة ، الفتن والحروب قسم الحروب والمعارك .

٢ - صفوان بن إدريس : زاد المسافر : ١٤٤ .

٣ - الشّنان : البغضاء .

ونصف في ديوان أبي الربيع الموحدي على مقطوعة من خمسة أبيات في تصوير معركة بحرية ، لانعرف فيها الفريقين المتحاربين ، ويتعرض فيها إلى وصف الزوارق المتحاربة ، ويشبهها بالخيل المرحية ، ويشبه رذاذ الماء المتطابر من حركة المجاديف بالغبار المنطائر من حركة سناك الخيل ، وهذه الزوارق يحمل بعضها على بعض كما يفعل الأبطال الشجعان ، وتوهم الشاعر الحرب الدائرة بين فريقين متسلمين ، إلى أن انقضت المعركة عند الأصيل ، فخرج الأبطال منها وقد اصطبغت دروعهم بالدماء ، يقول أبو الربيع : (١)

(من الكامل)

وَزَوَارِقٍ تَحْتَ الظَّلَالِ حَسِبْتُهَا	حَلَبَاتٍ خَيْلٍ تَهْتَدِي بِمَقْدَمِ (٢)
مَرَحَتْ وَمِنْ رَشِّ الْمَحَادِفِ نَقَعُهَا	مِنْ كُلِّ أَشْهَبَ فِي السَّبَاقِ وَأَدْهَمِ (٣)
حَمَلَتْ بِهَا الْعِثْبَانَ مِلءَ عِنَانِهَا	حَمَلُ الْكَمِيِّ عَلَى الْكَمِيِّ الْمُعْلَمِ (٤)
فَطَنَنْتُ أَنَّ الْحَرْبَ حَرْبُ مُسَالِمٍ	لَا حَرْبُ مُضْطَفِّينَ وَلَمَّا أَعْلَمِ (٥)
حَتَّى انْثَنَتْ عِنْدَ الْأَصِيلِ كُمَاتُهَا	مُخْضَوْبَةً حَلَقَ الدُّرُوعِ مِنْ الدَّمِ

وفي المقال ، فإن الشعر الأندلسي في هذا العهد حافل بتصويير المعارك ، وقد خلف لنا الشعراء الأندلسيون لوحات رائعة في وصف المعارك البرية والبحرية ، والسبب - كما أسلفنا القول - هو معاشة هؤلاء الشعراء لأحداث الصراع ، ومشاركة بعضهم في المعارك ، مما جعل وصفهم لها يتصف بالواقعية والحيوية .

فعندما عبر عبد المؤمن بن علي إلى الأندلس بأسطوله ، سارع الشعراء إلى مدحه وتصوير بطولة جيشه ، فأمدنا الشاعر الأصمُ المرواني بقصيدة يصف فيها استئصال أسطول الموحدين تجاه الأسطول الإسباني ، وإيقاع الهزيمة

١ - ديوانه : ١٠٦ .

٢ - حَلَبَاتٌ ، ج حلبة : خيل السباق ، والمقدّم : الذي يتقدّم الخيل .

٣ - النَّقْعُ : الغبار المرتفع المنتشر في الحَوّ . الْأَشْهَبُ : الذي خالط بياضه سواد . والأدهم : الأسود .

٤ - الْكَمِيُّ : الشجاع ، المقدام : الْمُعْلَمُ : الفارس الذي جعل لنفسه علامة الشجعان في الحرب .

٥ - الضغن : الحقد الشديد .

فيه بقوله من قصيدة طويلة : (١)

(من البسيط)

حَدَّثَ عَنِ الرُّومِ فِي أَقْطَارِ أَنْدَلُسِ
مِنْ كُلِّ مَنْ يَتْرُكُ الْهَيْحَاءَ فِي حُلْكِ
مُقَلَّبِ بَيْنَ مَشْتَاةٍ وَهَاحِرَةٍ
بَرَمِي بِهِمْ ظَهَرَ طَرْفِ بَطْنٍ سَابِجَةٍ
وَتَعْبُرُ الْمَاءَ مِنْهُمْ نَارُ عَادِيَةٍ
وَطُودٌ طَارِقٌ قَدْ حَلَّ الْإِمَامُ بِهِ
وَالْبَحْرُ قَدْ مَلَأَ الْعَبْرَيْنِ بِالْعَرَبِ (٢)
جَمْرٍ إِذَا اخْضَرَّتِ الْغَبْرَاءُ بِالْعُشْبِ (٣)
تَقْلُبُ السَّيْفِ بَيْنَ الْمَاءِ وَاللَّهَبِ
فَالْبَرُّ فِي شُغْلٍ وَالْبَحْرُ فِي مَخْبِ
يَمْلَأُ بِهَا عَابِدُ الْأَوْثَانِ وَالْمُلُوبِ
كَالطُّورِ كَانَ لِمُوسَى أَيْمَنَ الرُّتَبِ (٤)

فالشاعر يصف المعركة البحرية بين الأسطول الموحدى ، والأسطول الفرنجى ، وهو يصور لنا عصف الحرب التي تخوضها السفن ، فهي تهاجم الأعداء وتقذف الحمم فتحرقهم .

كما وصف لنا الشعراء الأندلسيون المعارك البرية ، فصوروا لنا شجاعة الأبطال المسلمين ، ويلاءهم ، وهزيمة العدو وانكساره ، ومحاولة الفرار الفاشلة من جنوده ، وغير ذلك ، بأسلوب حميل رشيق فيسـهـ الكثير من الحيوة . (٥)

١ - ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة : ١٥٤ .

٢ - العبران : الجانبان .

٣ - الغبراء : الأرض .

٤ - طود طارق : جبل طارق . والطور : جبل قرب أيلة يضاف إلى سيناء . وهو الذي ناجى فيه موسى - عليه السلام - ربّه .

٥ - انظر ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة : ١٤٢ - ١٤٣ - وابن الأبار ، الحطة

السيرة ٢ : ٢٧٣ .

٦- القيمة الوثائقية لشعر الحرب

إنّ الهدف من هذا المبحث ربط الشعر بالأحداث التاريخية ، و ملاحظة مدى مواكبة الشعر الذي وصل إلينا لأحداث الصراع بين الموحّدين و خصومهم انطلاقاً من النصوص الشعرية ، و سنعتمد على الشعر المغربيّ دون الأندلسيّ وفاء للمنهج الذي خططنا منذ بداية البحث ، و سكتفي بالشواهد الدالة على الفكرة دون استقصاء .

١- الحروب مع المرابطين

نعرّ النصوص الشعرية التي تحدّث عن الحروب بين الدولة الموحّديّة و المرابطيّة ، هذه الحروب التي انتهت بأفول نجم المرابطين و سطوع نجم الموحّدين ، فمن النصوص القليلة ما نجده ، عند ابن عذاري إذ أمّنا في "بيان" ببيتين قالهما عبد المؤمن بن علي بعد معركة انتصر فيها جيوش الموحّدين على ملول المرابطين في مدينة " سلا " ، و هو يمجّد فيهما هذا الانتصار و يعدّه فتحاً من الله ، و يذكر المرابطين و ينعتههم بـ " بني التحسيم " و لا ينسى أن يتطرق لوصف حالة الفريسين النفسية ، فالمرابطون غرقوا في بحور اليأس و الحزن ، بينما انتشى الموحّدون بهذا النصر و استبشروا به ، يقول عبد المؤمن (١) :

هُوَ الْفَتْحُ لَا يَجْلُو غَرَائِبُهُ الشَّرْحُ أَمَّا بَنِي التَّحْسِيمِ مِنْ يَأْسِهِ تَرْجُ (٢)
أَتَتْنَا بِهِ الْبُشْرَى عَلَى حِينِ عَقْلِهِ بِمَهْلِكِ قَوْمٍ كَانَ وَعْدُهُمُ الْعُبُحُ (٣)

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢٦

(٢) أراد ببني التحسيم المرابطين ، لأنهم لم يكونوا يأخذون بتأويل المنسابة من

الآيات بل كانوا يشبهون الذات الإلهية بالحادث مما يفي صفة الوجود على الذات

الإلهية باعتبارها واقعا مادياً مجسماً ملموساً ، لها حيّز في المكان - والتَّرجُ : الحزن

(٣) ينظر الشاعر إلى قوله تعالى : (إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الْعُبُحُ ، أَلَيْسَ الْعُبُحُ بِقَرِيبٍ) ، هود (٨١)

و فيها تفصيل لما أورده القفطي في كتابه المحمّدون من الشّعراء^(١) :
 " و ذلك أنّ عبد المؤمن هاجم بجاية يعد محاصرتها ، فانهزم صاحبها إلى قصره ،
 و غلق أبوابه من جهة المدينة ، و فتح يابه من جهة البحر ، و لاد أهل
 المدينة بالقصر ، ينادونه : يامولانا ! اخرج إلينا لنقاتل بين يديك "
 * ملح المَهْدِيَّة :

نحرك عبد المؤمن بس علي يحيوش الموحّدين من مراكش سنة (٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م)
 متّجها إلى مدينة المَهْدِيَّة التي كانت مقرّا للتّورمان من أهل مَعْلِيَّة ، و حاصرها
 قرابة سبعة أشهر ، إلى أن تمكّن من فتحها صلحا ، و سمح للتّورمان المقيمين
 فيها بالرحيل إلى بلادهم بعد أن آمنهم على أرواحهم و مالهم .

نظم أبو العبّاس الجرّاي قصيدة مدح فيها عبد المؤمن ، و صور هذا
 الفتح العظيم ، و تعرّض إلى وصف عظمة الجيوش الموحّدية ، و مظاهر قوتها ،
 و إلى استسلام الأعداء عندما علموا أنّه لا قبّل لهم بمقاومة جيوش الموحّدين ،
 كما نقف فيها على عفو عبد المؤمن عنهم ، و السّماح لهم بالحروح من المَهْدِيَّة بآمان ،
 يقول الجرّاي (٢) :

لَمَنْ الْخِيُولُ كَانَتْهُمْ سُوِيُولُ غَعَّتْ بِهِنَّ سَبَاسِبُ وَ هُحُوُولُ (٢)
 طَوِيَتْ لَهَا الدُّنْيَا فَبَعْدَمَا انْتَحَتْ دَانِي ، وَ أَبْطَأَ سَبِيرُهَا تَعْجِيلُ

و يصف ما اعتمل في نفوس الأعداء المحصورين في المدينة قائلا :
 وَدَرَتْ نَفُوسُهُمْ بِأَنَّكَ طَافِرٌ فَأَتَتْ نَقْدَمُهَا لَهُ وَ تَقُوُولُ

و يشير إلى عفو عبد المؤمن عنهم :

فَعَفَوْتَ عَفْوَ الْقَادِرِينَ تَكْرُمًا عَنْهُمْ ، وَ عَفْوَ الْقَادِرِينَ جَمِيلُ

(١) القفطي : المحمّدون من الشّعراء : ٣٦٤ .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب : ٧٢ - ٧٣ .

(٣) سَبَاسِبُ ، ج سَبَسَب : القفر و المفازة ، و الهُجُول : ج هَجُل : المطمئن من الأرض .

سَمَا لِاسْتِرَاقِ السَّمْعِ مِنْ وَهْدِ اسْتِمٍ وَ دُونَ سَمَاءِ الْمُلْكِ شُهْبٌ ثَوَاقِبُ (١)
تَلَاقَى عَلَيْهِ الْبَرْزُ وَالْبَحْرُ تَرْتِمِي سَعِينٌ إِلَى اسْتِثْعَالِهِ وَ كَتَائِبُ (٢)
وَمَا هَارِبٌ مِنْهُ وَ لَوْ بَلَغَ الشَّهَا يَنْجِاحٍ وَ هَلْ يَنْجُو مِنَ اللَّهِ هَارِبُ

و تتفق الرواية التاريخية مع ما جاء في أبيات الجراوي ، إذ أسارت هذه المصادر إلى وفرة العدة ، وكثافة الجيش ، و تحرك الأسطول من سبتة ، لمعاودة الجيوش البرية ، كما أشارت إلى هرب ابن غانية من المعركة و التجائه إلى أحيه في فسَنْطِينَة (٣) .

✽ يَوْمُ الْحَمَةِ : (٤)

تحرك يعقوب المنصور من تونس بعد أن اكتمل جيشه عددا و عدة في صدر رجب سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م ميمماً شطر "الجمعة" حيث تجمعت جيوش الموارقسة و حلفائهم من الغز و العرب الهلالية (٥) ، و النقى الفريقان في معركة حامية الوطيس لم تستمر طويلا ، إذ سرعان ما انقشع عيارها عن هزيمة علي بن إسحاق ابن غانية و حلفائه ، و هروبهم من أرض المعركة محلّفين وراءهم أعداداً لا تحصى من القتلى و الأسرى ، و اهتم أبو العباس الجراوي بهذه المعركة كعادته منظم قصيدة يمدح فيها يعقوب المنصور ، ذكر فيها ابن غانية و هربه من المعركة (٦) .
(من البسيط)

(١) فيه نظر إلى قوله تعالى: (الْحَجَرُ (١٨) إِلَّا مَنْ إِشْرَقَ السَّمْعُ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ)

(٢) إشارة إلى اشراك الجيوش البرية و البحرية في هذه المعركة

(٣) قارن بما أورده ابن عذاري في البيان المغرب : ١٧٨ - ١٧٩ .

(٤) هي حمة مطماطة بالقرب من قابس ، (الحميري ، الرّوض ، المعطار : ٢٠٠ - ٢٠١) .

(٥) الغز: جنس من الأتراك ، عرفهم العرب في أيام الفتح الأولى ، دخلوا بلاد العرب المسلمين أسارى و مماليك ، ثم ملكوا حرياتهم وبرزوا في الحياة المدنية والعسكرية فصار منهم قواد و وزراء ، و الغز المذكورون هنا قدموا من مصر و أميرهم شرف الدين قراقوش فحالفوا عرب بني هلال و أغاروا على الأطراف الشرقية للدولة الموحدية . (انظر المرآكشي : المعجب : ٢٨٨) .

(٦) ابن عذاري ، البيان المغرب : ١٩٣ - ابن سديد ، الفصون البانعة : ١٠٢ ، الحميري ، الرّوض ، المعطار ، ٢٠١ .

رَأَى الشَّقَاءَ ابْنَ إِسْحَاقٍ أَحَقَّ بِهِ مِنْ السَّعَادَةِ وَالْمَحْدُودُ مَحْدُودٌ (١)
أَلْقَى السَّلَاحَ وَوَلَّى يُبْتَغِي أَمْدًا يَنْجِيهِ وَهُوَ مَرُوعُ الْقَلْبِ مَفْوُودٌ (٢)

و يعصف الشاعر حال ابن غانية و حلفائه من العز بعد المعركة و كيف
نالت منهم سوف الموحدين فملأت جثثهم الأرض :
(من البسيط)

أُنْحَى الزَّمَانُ عَلَى الْأَعْزَانِ وَاحْتَهَدَتْ فِي قَطْعِ دَابِرِهِمْ أَحْدَاشُهُ السَّودُ
وَ نَارَعَتْهُمْ سُيُوفُ الْهِنْدِ أَنْفُسَهُمْ فَلَمْ يُفِدْهُمْ عَنِ الْهِيَاءِ تَعْرِيدٌ (٣)
فَهُمْ عَلَى التُّرْبِ مَرَعَى مِثْلُهُ عَدَدًا إِنْ كَانَ يُقْفَى بِأَنَّ التُّرْبَ مَعْدُودٌ

✽ فتح قَفْصَة :

بعد أن فرغ المنصور من فتح الحِمَّة ، و ضع فتح " قَفْصَة " نصب عينيه
فحاصرها مدّة ، و أمطرها الموحدون بوابل من حجارة المجانيق و السّهام يعد أن
ردموا الحندق و سوّوا الأرض بارتفاع السّور ، فأطلوا على المدينة من علّ ،
و لما يئس أهل البلد من المفاومة و جهّوا أعيانهم إلى المنصور طالبين
العفو عن المحصورين في المدينة ، فأجابهم المنصور بالعفو عن أهل البلد
و الغزّ ، في حين لم يَغْفُ عن الميورقيّين فجمعهم و أعمل فيهم السيّف ،
و كان فتح قفصة في شعبان من سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م ، و عاد المنصور بعدها إلى تونس ،
و أذن للشعراء ، و كان منهم أبو العيّاس الجرّاي الذي مدحه بقصيدة ذكر فيها فتح
قَفْصَة ، و بدأها بتمجيد هذا الفتح (٤)
(من الكامل)

(١) المحدود : القليل الحظّ الممنوع من الخير

(٢) المفوود : الذي أصابه داء في قلبه

(٣) التّعريد : الفرار

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب : ١٩٦ .

فَتَحَّ يَطَاوِلُ فَنَحْنُ الْأَحْقَابَا خَضَعَتْ لَهُ فِرْقُ الضَّلَالِ رِفَابَا (١)

و نقف في القعيدة على تحديد يوم المعركة :

لِلَّهِ يَوْمُ الْأَرْبَعَاءِ فَإِنَّتَهُ أَحْيَا النَّفُوسَ وَتَمَّمَ الْأَرَابَا

و وصف ابن غانية بالخزي الذي سوف يلزمه على مرّ العصور :

و سَمَ ابْنُ إِسْحَاقٍ عَلَى خُرْطُومِهِ خَزِيًّا يَنْالُ حَدِيثُهُ الْأَحْقَابَا

و الصورة قرآنية مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ سَنَسِفُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾ (٢)

و في القعيدة إشارة إلى إطلال جيوش الموحّدين على المدينة

من علي :

لَمْ يُعْنِ عَنْهُمْ إِذْ أَتَاهُمْ مِنْ عَلِيٍّ أَنْ يَحْرُسُوا الْأَسْوَارَ وَالْأَبْوَابَا
طَلَبْتُهُمْ تَحْتَ التُّرَابِ وَفَوْقَهَا أَحَالَهُمْ فَنَوَلَّجُوا الْأَسْرَابَا

كما يشير الشاعر إلى عفو المنصور عن أهل البلد بعد أن

كاد الموت يعصف بهم :

نَالَتْهُمْ رَحْمَى الْخَلِيفَةِ بَعْدَ مَا نَادَى الرَّدَى بِنُفُوسِهِمْ وَ أَهَابَا

(١) كذا في المصدر السابق ، و أظنّه تحريف : " فتح يطاول نعته ،

أو وصفه " .

(٢) القلم : ١٦

و من الشعراء الذين ذكروا فتح فُفْعَة ، الشاعر أبو الربيع
الموحدى الذي نظم قصيدة مدحية في المنصور ، ذكر فيها هذا الفتح ،
و أشار إلى كثافة الجيوش الموحدية و ترتيبها (١) :
(من الكامل)

وَ كَتَائِبٍ مُنْصُورَةٍ يَحْدُو بِهَا عَزَمَ إِذَا أَمْضَيْتَهُ لَا يَرْجِعُ
مَادَتْ بِهَا أَرْجَاءُ كُلِّ تَنُوفَةٍ حَتَّى حَسِبْنَا أَرْضَهَا تَتَعَدَّعُ (٢)

و نففي القصيدة على ذكر فرار ابن غانية من أرض المعركة ،
و هو مخطئ إن طن أنه نجا بفراره لأن الأرض في يد الخليفة المنصور
تطوى و تنشر :

إِنْ طَنَّ أَنَّ بَرَارَهُ مُنَجِّ لَكُمُ فَلِحَظْلِهِ قَدْ طَنَّ مَا لَا يَنْفَعُ
أَيْنَ الْمَفَرِّ وَ لَا مَفَرٍّ لَهَا رَبِّ وَ الْأَرْضُ تُنْشَرُ فِي بَدَنِكَ وَ تُجْمَعُ

(١) ديوانه : ٢٠

(٢) مَآلَات : اهترت ، التَّنُوفَةُ : القفر من الأرض .

ج - حروب الأندلس

لقيت حروب الموحدين في الأندلس اهتماما من قبل الشعراء المغاربة إذ حاولوا أن يواكبوها ، ويصوروها في أشعارهم ، إلى جانب إخوانهم الأندلسيين الذين لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة إلا صوروها ، وذلك لقربهم من ساحات الصراع ، ومعاشتهم أحداثه بشكل يومي كما أسلفنا القول ، وسنحاول أن نستقرىء النصوص المعربية التي نقلت أحداث المعارك في الأندلس ، لرى مدى واقعيتها .

✽ جواز عبد المؤمن إلى الأندلس :

في شهر ذي القعدة من عام (٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) عبر عبد المؤمن البحر من سبتة فاصدا الأندلس ، ويزل في جبل طارق ، الذي أطلق عليه تَوْأ " جبل العنح " ، وحضر الشعراء لمدحه ، والتعبير عن ابتهاجهم بهذا العبور ، وكان منهم ابن حبوس العاسي الذي مدحه بقصيدة قال في مطلعها : (١)

(من الكامل)

بَلِّغِ الزَّمَانَ بِهَدْيِكُمْ مَا أَمَّلاً وَتَعَلَّمْتُ أَيَّامَهُ أَنْ نَعْدِلَ
وَبِحَسْبِهِ أَنْ كَانَ شَيْئاً قَابِلاً وَجَدَ الْهَدَايَةَ صُورَةً فَتَشْكَلُ

وللمس في البيتين السابقين ، ولا في سائر أبيات القصيدة (٢) آية إشارة إلى حركة عبد المؤمن ، ولانجد سوى الإشادة بهذا الممدوح ، وهي إشادة مستوحاة من تعاليم الموحدين في الإمامة .

(١) المراكشي ، المعجب : ٢١٤ .

(٢) ابن القطان : نظم الجمان : ١٧٤ - ١٧٦ .

* فحص بلقون :

تذكر المصادر أنّ عبد المؤمن بن عليّ شكل أثناء إقامته في جبل الفتح جيشاً مشتركاً من المعاربة والأندلسيين ، وقد توجه هذا الجيش نحو " فحص بلقون " ، فوجد الفرنجة قد استعدوا للقاء المسلمين ، وتقابل الجيشان وكان " بينهما حرب شديد نصر الله فيه المسلمين على أعدائهم الكافرين ، وكانت هزيمة لم يعهد مثلها .. " (١) . ولم يغوّ الجراوي العرصة كعادته ، فنظم فعيدة مدح فيها عبد المؤمن بدأها بأبيات توحى بتعوق المسلمين على أعدائهم ، وبمشاعر النشوة بهذا الظفر الإسلامي ، يقول الجراوي : (٢)

(من الكامل)

أَعْلَيْتَ دِينَ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ بِالْمُشْرِفِيَّةِ وَالْقَنَا الْخَطَّارِ
وَرَأَى بِكَ الْإِسْلَامُ قُرَّةَ عَيْنِهِ وَغَدَتْ بِكَ الْغُرَّاءُ دَارَ قَرَارِ

ويسخر الشاعر من الأعداء حين يرسم مشهداً حياً للحالة النفسية التي

اعتريتهم بعد هذه المعركة :

وَحَلَلْتُمْ جَبَلَ الْهُدَى فَحَلَلْتُمْ مِنْهُ عُقُودَ عَزَائِمِ الْكُفَّارِ
لَوْ بَدَّلُوا أَقْدَامَهُمْ بِقَوَادِمِ طَارُوا عَنِ الْوَطَانِ كُلِّ مَطَّارِ (٣)

وفي القصيدة إشارة إلى اشتراك أبناء القبائل العربية في هذه المعركة :

بِعَرَابِ حَيْلٍ فَوْقَهُنَّ أَعَارِبُ مِنْ كُلِّ مُفْتَنَجِمٍ عَلَى الْأَخْطَارِ
أَكْرِمَ بِهِنَّ قَبَائِلًا إِقْلَالُهَا فِي الْحَرْبِ يُغْنِيهَا عَنِ الْإِكْثَارِ

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٧٠ ،

(٢) نفسه : ٧١ .

(٣) القوادم : ج قادمة . إحدى ريشات أربع في مقدمة الجناح .

(٤) حَيْلُ عَرَابٍ : كرام سالمة من الهجنة .

فالقصيدة في مجملها إشادة بعبد المؤمن ، ولم تغفل الإشارة إلى نتيجة المعركة وانتصار المسلمين ، وحالة الرعب التي أصابت جنود الأعـداء واشتراك الفبائل العربيّة في حركة عبد المؤمن هذه ، وبلائهم الحس في هذه المعركة .

✽ فتح بَطْلَيُْوس :

في الثّاني والعشرين من شعبان سنة (٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م) دارت حول مدينة " بَطْلَيُْوس " (١) معركة عنيفة استطاع فيها المسلمون تحرير المدينة من الإسبان الذين كانوا احتلّوها في شهر رجب من السّنة نفسها ، وفد أكثر الشّعـراء الأندلسيّون من القول في هذه المعركة (٢) ، وكان لأبي العباس الجراوي حظّ من القول ، فنظم قصيدة في هذه المناسبة ، يمدح فيها الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ومطلعها: (٣)

(من الكامل)

نَصْرٌ بِكُلِّ سَعَادَةٍ مَقْرُونُ نَالَتْ بِهِ الدُّنْيَا الْمُنَى وَالْدِّينُ (٤)

فالشاعر منذ المطلع يمجّد هذا النصر ، ويقدمه في إطار من الفؤول والاستبشار ، فهذا النصر مبعث سعادة وحبور لأنّه حقّق ماتصو إليه الفؤوس من إعزاز لدين الله ، ونصره له .

بعد ذلك تختفي أخبار هذا الانتصار ، أو تكاد ، وينتقل الشّاعر بعدها إلى الإشادة بالخليفة يوسف بن عبد المؤمن وأصله العربيّ مستعينا بمخزونـه التّراثي الذي ينهل منه بكثرة ، فتغصّ أبيات القصيدة بمفردات ذات دلالات مثل: " صَفّين ، البرامك ، هارون ... " .

(١) انظر ابن صاحب الصّلاة ، المنّ بالإمامة : ٤٠٣ وما بعد .

(٢) انظر ابن عذاري ، البيان المغرب : ١٠٨ ، وابن صاحب الصّلاة ، المنّ بالإمامة : ٤٠٧ .

(٣) ابن عذاري - البيان المغرب : ١٠٧ .

(٤) في البيان المغرب : " نظر " وهو تحريف واضح ، وقد أشبتنا مارأيناه أقعد بالمعنى .

* فتح مُرْسِيَّة :

استطاع الموحّدون أن يفتحوا عدداً كبيراً من المدن التي كانت تحت طاعة محمّد ابن مرديش^(١)، حليف الفرنجة ، وانتهوا إلى أن حاصروه في حاصره مملكته مُرْسِيَّة ، واضفّر عدد كبير من أتباعه وحلفائه من حوله ، فبقي وحيداً ، فاقد الثقة بكلّ من حوله ، فعسد ذهنه ، واختلّ عقله ، مما جعله يرتكب كثيراً من الحرائم بحق أقرب المقرّبين منه^(٢) ، وانتهى الأمر بموته كمداً في رجب (٥٦٧ هـ / ١١٧١ م) . وعندها بادر ابنه هلال إلى الإفراق بطاعة الموحّدين ، والانضواء تحت رايتهم .

آرخ الشعراء هذه الأحداث بشعرهم ، ومن هذا الشعر قصيدة لأبي العباس الجراوي مدح فيها الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ، وطرّق فيها إلى الحديث عن الإسبان وحليفهم ابن مردنيش الذي لبس لباسهم ، وافندى بهم ، ورماه بالمروق من الدين :^(٣) (من الوافر)

تَنَالُ الْمَارِقِينَ بِكُلِّ أَرْضٍ وَلَا طَارَتْ وَلَا نَقَلَتْ خُطَاهَا
لَقَدْ أَخْنَسَ الزَّمَانُ عَلَى النَّصَارَى بِوُطْءٍ مُؤَيَّدٍ صَدَعَتْ صَعَاهَا

ويشير إلى اختلال عقل ابن مردنيش وندمه على ما فرط منه :

خُطُوبٌ أَذْهَلَتْ عَقْلَ ابْنِ سَعْدٍ وَذَادَتْ عَنْ لَوَاجِطِهِ كَرَاهَا
يُرَدِّدُ آهَ مِنْ أَسْفٍ وَحُزْنَ وَمَاتُنْجِي مِنَ الْغَمَرَاتِ آهَهَا

ويرى في محالفته النصارى ضرباً من الجاهليّة :

لَقَدْ وَلَّى عَنِ الْحَيْرِ اخْنِيَاراً وَوَالَى اللَّاتَ وَالْعِزَّى سَفَاهَا
وَأَثَرَ مَعْشَرًا ضَلُّوا سَبِيلًا فَمَا عَرَفُوا النَّبِيَّ وَلَا إِلَهَهَا

(١) انظر ابن صاحب القلّة ، المنّ بالإمامة : ٤٣٠ - ٤٣١

(٢) نفسه : ٤٣٢ - ٤٣٣ ، وجمعة شيخة : الفتن والحروب : ١٧٩ .

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب : ١٢٠ .

* معركة السَّبْطَاط : (١)

في سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م بدأ " فرنادة، البيوج " صاحب " السَّبْطَاط " بمهاجمة بلاد المسلمين ناقضا بذلك المعاهدة التي كان أبرمها مع الموحّدين . فوجّه إليه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن على الفور جيشا ليغزوه في عقر داره فهاجمها ، ولكنه لم يتمكن من احتلالها .

وكان أبو علي الأشيريّ الشاعر الوحيد - على حدّ علمنا - الذي ذكر هذه المعركة في شعره . فقال مصوّرا عنف المعركة : (٢)

دَارَتْ رَحَا هَلَكَاتِ السَّبْطَاطِ وَسَطَّابُهَا رَيْبُ الزَّمَانِ السَّاطِي
وَأُهَيْنَ فِيهَا الشُّرُكُ أَيَّ إِهَانَةٍ شَفَعَتْ كَرِيهَ هَيَاطِهَا بِمِيَاطِ (٣)

ويشير الشاعر إلى عدم تمكّن الموحّدين من احتلالها :

إِنْ لَمْ تَقُمْ فِيهَا قِيَامَةٌ مُلْكِهِمْ فَلَقَدْ رَأَوْا جُمْلًا مِنَ الْأَشْرَاطِ (٤)
وَأَمَارُهَا وَطْءُ الْجِيَادِ هُشِيمَةً سَوْدَاءَ مُعْتَبَرًا لِعَيْنِ الْوَاطِي (٥)

كما نجد في القصيدة إشارة إلى اشتراك قبائل العرب في هذه المعركة :

جَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ الَّذِينَ إِذَا غَزَوْا كَوُوا الْأَعَاجِمَ فِي الطَّلَى بِعِلَاطِ (٦)
قَوْمٌ إِذَا شَمَخَ الْعِنَادُ بِأَنْفِهِ وَضَعُوا السُّيُوفَ مُوَاضِعَ الْأَسْوَاطِ

ولئن لم يقدّم لنا الشاعر وصفا تفصيليا للمعركة ، فإنّ جوّ الأبيات يوحي بالصورة العامة لها ، ففيها إشارات تاريخيّة مفيدة ، كتحديد مكان وقوعها ، ومقدار الدمار الذي حلّ بالمدينة ، والإشارة إلى إخفاق المسلمين في احتلالها ،

(١) السَّبْطَاط : مدينة تقع جنوب طَلَيْطَلَة ، ويقوم مكانها اليوم المدينة الملكية ،

انظر حاملة ، محنة مسلمي الأندلس : ٩٦ .

(٢) صفوان بن إدريس ، زاد المسافرين : ١٠٢ .

(٣) يقال : هم في هَيَاطٍ وَمِيَاطٍ ، أي في شرّ وجَلْبَةٍ واضطراب - وشفع الشيء : ضم مثله إليه .

(٤) الأشرط : الكلامات .

(٥) الواطي : الواطي ، وخفف الهمزة ضرورة .

(٦) الطَّلَى ، ج طَلَاة وطلية وهي العنق ، العِلَاط : الوسم .

واشتراك العرب في المعركة ، إضافة إلى إبراز مشاعر الكراهية لدى الشاعر تجاه هذا العدو .

وإذا كانت الجيوش الموحدية لم تستطع فتح مدينة " السَّيْطَاط " فقد تمكنت من فتح " قَنْطَرَة السَّيْف " و " نَاضُوش " في طريقها ، فأكثر الشعراء من القول ، وكان منهم أبو العباس الجراوي ، الذي مدح الخليفة بقصيدة لانجد فيها تفصيلات شافية عن هذين الفتحين ، بل نجد إشارات خاطفة إلى نتيجة المعركة يقول الجراوي : (١)

(من الكامل)

وَتَرَكْتُمْ أَرْضَ الْعِدَا وَقُلُوبَهُمْ	فِي غَايَةِ الرَّجْفَانِ وَالْخَفْقَانِ
وَعَزَاهُمْ الدِّينَ الْحَنِيفِيَّ الَّذِي	كُتِبَ الظُّهُورُ لَهُ عَلَى الْأَدْيَانِ
كُتِبَ إِلَهُكُمْ فَتَوَحَّأَ فِي الْعِدَا	هَذَا لَهَا وَسِوَاهُ كَالْعُنُوتَانِ

ومابقي من أبيات القصيدة مدح للخليفة وإشادة به .

ويقول من قصيدة أخرى في هذا الفتح : (٢)

(من الطويل)

بِسَيْفِكَ صَالَ الدِّينُ فِي الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ	وَدَارَتْ عَلَى الْأَعْدَاءِ دَائِرَةُ الْحَرْبِ
وَأَذَعْنَ نَائٍ وَاسْتَقَامَ مُعَانِيْدٌ	وَلَانَ قِيَادًا كُلُّ مُمْتَنِعٍ مَعْسَبِ

فالشاعر يرى في سيف الخليفة ناصراً للدين ، ومتلفاً للأعداء ، وقد

استطاع به أن يذل كل المعاندين .

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب : ١٣١

(٢) نفسه : ١٣١ .

* معركة الأرك :

وفي يوم الأربعاء التاسع من شعبان سنة (٥٩١ هـ / ١١٩٤ م) التقت جيوش الموحدين بقيادة يعقوب المنصور ، بجيوش الفرنجة التي استنفرت من كل مكان ، ونزلت في " الأرك " واستحرّ القتل في هذه المعركة ، التي انكشفت عن نصر مؤزر للمسلمين سار ذكره في العالم الإسلامي كله .

وقد خلّد الشعراء هذا الانتصار ، وجاؤوا من كل قطر يهتفون بالمنصور ، وكانوا ، لكثرتهم ، لا يستطيع الشاعر منهم أن ينشد قصيدته كاملة ، بل كان يكتفى منه بإنشاده البيت أو البيتين أو الثلاثة ، وانتهت الرقاع إلى أن حالت بين الخليفة وبين من كان أمامه لكثرتها^(١) ، ومع ذلك فلم تحفظ لنا إلا قصائد معدودة في هذه المناسبة ، منها قصيدتان للجراوي افتتحهما بتمجيد هذا النصر ، والافصح بعجز اللسان عن تصويره : (٢) (من الطويل)

هُوَ الْفَتْحُ أَغْيَا وَصْفُهُ النَّظْمُ وَالنَّثْرَا وَعَمَّتْ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ بِهِ الْبُشْرَى
وَأُنْجِدَ فِي الدُّنْيَا وَغَارَ حَدِيثُهُ فَرَأَقَتْ بِهِ حُسْنًا وَطَابَتْ بِهِ نَشْرَا (٣)

ويقول في الثانية : (٤) (من الكامل)

فَتَحَ مُبِينٌ جَلًّا أَنْ يَتَخَيَّ لَا جَاءَ الزَّمَانُ بِهِ أَغْرَّ مُحَجَّلَا (٥)
بَهَرَتْ عَجَائِبُهُ الْخَوَاطِرَ فَاسْتَوَى مَنْ كَانَ فِيهَا مُجْمَلًا وَمُفَصَّلَا
لَا يَبْلُغُ الْبُلْغَاءُ غَايَةَ وَصْفِهِ إِلَّا إِذَا بَلَّغُوا السَّمَكَ الْأَعْزَلَا (٦)

ويشيد الشاعر ببطولة الجنود المسلمين ، ومواقفهم الخالدة في ذلك

١ - المقري ، نفح الطيب : ١٧٢/٤ .

٢ - ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢٢٢ .

٣ - يريد أن حديث هذا الفتح وصل نجدا وغور تهامة في الجزيرة العربية .

٤ - محمد الفاسي ، شاعر الخلافة الموحدية ، الملحق : ٨ .

٥ - الأغرّ : الحسن ، الأبيض من كل شيء ، المحجل : الأبيض .

٦ - السمك الأعزل : نجم .

الجهاد ، ثم ينتقل إلى وصف الأعداء المنهزمين .

ونقف في القصيدتين على إشارات توجي بكثرة القتلى من الإسبان كقوله

من الأولى :

أَلَوْ غَدَتْ مَأْهُولَةً بِهِمِ الْفُـلَا وَأُمَمْتُ خَلَاءَ مِنْهُمْ دُورَهُمْ قَفَرَا
وَدَارَتْ رَحَا الْهَيْجَا عَلَيْهِمْ فَأَصْبَحُوا هَشِيمًا طَحِينًا فِي مَهَبِّ الصَّبَا يُذْرَى (١)

وقوله من الثانية :

عَدَدُ الْمَصْرَعِ مِنْهُمْ عَدَدُ الْحَصَى هَيْهَاتَ أَنْ يُخْصَى وَأَنْ يُتَحَصَّـلَا

ونجد في القصيدة الأولى ذكرًا لاسم القائد الإسباني :

لَقَدْ أُوْرِدَ الْأُذُنُشْ شَيْعَتُهُ الرَّدَى وَسَاقَهُمْ جَهْلًا إِلَى الْبَطْشَةِ الْكُبْرَى

وفيها تحديد ليوم المعركة :

فَسَلَاهُ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ عَنِ الْمُنَى فَمَا يُزْتَجَى مِمَّا تَمَلَّكَهُ شِـبْرَا

كما نقف في هذه القصيدة على أمر مهم لم يصل إلينا عن طريق مصدر آخر ، وهو إصابة القائد الإسباني في المعركة بطعنة كادت أن تـوـدي بحياته :

وَقَدْ أُوْرِدَتْهُ الْمَوْتُ طَعْنَةً شَائِرٍ وَإِنْ لَمْ يُفَارِقْ مِنْ شِقَاوَتِهِ الْعُمْرَا

وفي القصيدة الثانية إشارة إلى هرب جنود الأعداء :

وَتَفَرَّقَتْ أَيْدِي سَبَا أَشْيَاءُهُ لَا يَعْرِفُونَ مِنَ الْبَسِيطَةِ مَوْثِرِـلَا (٢)
لَاذُوا بِشَمِّ جِبَالِهِمْ مِنْ زَاخِرٍ مُتَلَاطِمِ الْأَمْوَاجِ قَدْ مَلَأَ الْمَكَلَا (٣)

١ - الهشيم : المتكسر ، وقد أخذ الشاعر المعنى من قوله تعالى في سورة

الكهف : ٤٥ ﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ﴾ .

٢ - تفرقت أيدي سبا : أي تفرقوا تفرقاً لا اجتماع بعده ، (ابن منظور ، لسان العرب : سبا) .

٣ - حبل أشم ، أي طويل الرأس . الملا : الصحراء ، والمتسع من الأرض .

وأدلى القاضي أبو حفص بن عمر بدلوه في الإشادة بهذا الانتصار في موقعة الأرك ، فقد وقفنا له على تسعة أبيات من قصيدته التي يقول في مطلعها: (١)
(من الوافر)

أَطَاعَتَكَ الدَّوَابِلُ وَالشَّفَارُ وَلَبَّيْ أَمْرَكَ الْفَلَكَ الْمُدَارُ (٢)

ولا يخفى ما في هذا المطلع من إحياء بتفوق الخليفة المنصور ، وانتصاره على أعدائه .

ويعدّ الشاعر هذا الانتصار بداية عهد جديد على الأندلس ، فهو يهنئ الأندلس بهذا العهد :

لِيَهْنِيءَ أَرْضَ أُنْدَلُسٍ بِدُورٍ مِنْ السَّرَّاءِ لَيْسَ لَهَا سِرَارُ

ويحدثنا صاحب البيان المغرب عن المحاولات المتكررة للفرار من قبـل الفرنجة من أرض المعركة ، فيقول : " وخلق الكفار عن مراكزهم ، ونسخ الله ما أراهم من اغترارهم فولّوا الأدبار " (٣) . إلّا أنّ سيوف الموحّدين ركبتهم ، وأعملت فيهم ، وقد أشار الشاعر إلى ذلك بقوله :

وَكَمْ رَامُوا الْفِرَارَ مِنَ الرِّزَايَا وَلَكِنْ أَيْنَ مِنْ أَجَلٍ فِرَارُ (٤)
تُدَارُ عَلَيْهِمْ حَمَرُ الْمَنَايَا بِكَأْسٍ فِيهِ عَقْرٌ لَا عُقَارُ (٥)

كما نظم أبو الربيع قصيدة في تهنئة المنصور عند صدوره من الأندلس ، بعد وقعة الأرك ، ولانقف فيها على جديد ، إذ يمدحه فيها ، ويثني على الموحّدين . ويشير إلى كثرة القتلى من الأعداء ، ويمجد هذا الفتح العظيم . (٦)

١ - انظر ابن سعيد ، الفصون اليانعة : ٩٦ - ٩٧ .

٢ - الضمير في " أطاعتك " يعود على يعقوب المنصور ، والدَّوَابِلُ وَالشَّفَارُ : الرماح والسيوف .

٣ - انظر ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢٢٠ .

٤ - الرِّزَايَا ، ج رزيّة : المصيبة .

٥ - الْعَقْرُ ، بفتح العين : النحر ، والعُقَارُ ، بضم العين : الخمرة .

٦ - ديوانه : ٢٨ - ٢٩ .

✽ معركة طُلَيْطَلَة :

في منتصف رجب الفرد من سنة (٥٩٢ هـ / ١١٩٥ م) خرج المنصور من إشبيلية لغزو الأذفونش في عقر داره " طُلَيْطَلَة " ولما وصل المسلمون المدينة أقامو عليها "أسبوعا يشنون الغارات على أرجائها ، ثم أمر المنصور جيوشه بالانسحاب دون أن يحتل المدينة ، وقد آرخ الشعر هذه الغزوة ، فقال الجرّاوي قصيدة وصف فيه الدمار الذي أصاب ديار الأعداء : (١) (مخرج البسيط)

قَدْ أَضَلَّيْتُ نَارَهَا الْعُدَاةُ وَأُنْجِزَتْ فِيهِمُ الْعَرِيدَاتُ
وَعَمَّهْمُ بِالْذَمَارِ يَوْمٌ تَقْصُرُ عَنْ وَصْفِهِ الرُّوَاةُ

ويذكر استباحة المسلمين أراضي الأعداء :

رَدَّتْ جَمَى الْفَنَشِ مُسْتَبَاحًا بِيضٌ مِنَ الْهِنْدِ مُرْهَفَاتُ

ويشير إلى ضخامة الجيوش الإسلامية :

وَعَرَقَتْ جَمْعَهُمْ بِحَارًا أَمْوَاغُهَا الْخَيْلُ وَالْكُمَاةُ

ويصور الشاعر صمود الجنود الموحدين يوم الكريهة ، ونكوص جنود الأعداء ، ومحاولتهم الفرار من أرض المعركة دون حدوى :

رَأَوْا لِحِزْبِ الْإِلَهِ صَبْرًا وَالْمَوْتُ حَقٌّ بِهِ الْجِهَاتُ
فَحَاوَلُوا مِنْهُمْ انْفِلَاتًا وَلَيْسَ لِلْخَائِنِ انْفِلَاتُ(٢)

ولانجد في سائر أبيات القصيدة إشارة للحدث الذي قيلت فيه القصيدة .

١ - انظر ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢٢٤ .

٢ - كذا في المصدر ، وأظنه تصحيفاً للحاء المهملة ، وهو من حان

أوان موته .

✽ فتح مَيُورْقَة وَمُنُورْقَة :

كان عبد الله بن إسحاق بن محمد بن غانية ، الشاعر بإفريقية ، قد احتل جزيرتي " ميورقة " و " منورقة " ودعا لبني العباس ، فسير السلطان محمد الناصر أسطولاً ضخماً بقيادة عمه إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن ، وجعل على الجيش " أحد أشياخ الموحدين " عثمان بن أبي حفص " فقصد مَيُورْقَة ومنورقة وفتحها عنوة وقتلا أميرها عبد الله ، وبهذا انتهى " أمر بني غانية فيهما .

وأكثر الشعراء القول في هذا الفتح ، ومنهم الجرّاي الذي نظم مدحة في الناصر ، وتطرق فيها إلى الحديث عن ابن غانية ، ورماه بالغباء والذّل : (١)

(من الطويل)

فَبُعْدًا وَسُخْقًا لِبْنِ إِسْحَاقَ إِنَّهُ مُطِيعٌ لَأَحْلَامِ الْكَرَى وَهُوَ يَقْظَانُ
سَوَاءٌ لَدَيْهِ مِنْ غَبَاوَةٍ طَبْعِهِ هَلَاكٌ وَمَنْجَاةٌ وَرَبْحٌ وَخُسْرَانُ
فَمِنْ حَيْثُ رَامَ الْعِزَّ جَاءَتْهُ ذِلَّةٌ وَمِنْ حَيْثُ رَامَ الْحِظَّ لَاقَاهُ جُرْمَانُ

ويرى في عودة " مَيُورْقَة " إلى سلطان الموحدين عودة إلى أمر الله ، وتخلصاً من الشقاء الذي أصابها :

أَنَابَتْ إِلَى أَمْرِ إِلَهِ مَيُورْقَة فَلَيْسَ عَلَيْهَا لِلشَّقَاوَةِ سُلْطَانُ

أمّا بقية أبيات القصيدة فهي مدح للناصر ، وإشادة به ، وإقرار بأن الشعر يعجز عن الإحاطة بخصاله .

وللشاعر نفسه قصيدة أخرى في المناسبة نفسها يستهلها بمدح الناصر ، ويستغرق ذلك سبعة أبيات ، ينتقل بعدها إلى الإشادة بالفتح وتمجيده بقوله : (٢)

(من الكامل)

ذَخَرَ الزَّمَانُ مِنَ الْفُتُوحِ غُرَائِبًا لَزَمَانِهِ الْمُتَهَلِّلِ الْبَسَامَ

١- ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢٤٠ - وابن تاووت ، الوافي بالادب العربي : ١٤٨/١

٢- ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢٤١ .

لَا مِثْلَ فَتْحٍ مُبْرَقٍ فَهُوَ الَّذِي أَبْقَى السُّرُورَ لِمُنْجِدٍ وَتَهَامِ

ونقف في القصيدة على ذكر مصرع ابن غانية الذي حمح عن جماعة الصواب ، ولم يردّه إلا مصرعه :

حَمَحَ ابْنُ غَانِيَةٍ فَكَفَّ حِمَاحَهُ بَوْمٌ أَدَارَ عَلَيْهِ كَأْسَ حِمَامِ
نَاهِيكَ مِنْ بَوْمٍ أَغَرَّ مُحَجَّلٍ مُتَمَيِّزٍ عَنْ سَائِرِ الْأَيَّامِ (١)
وَعَظَّتْ بِمَصْرَعِهِ الْحَوَادِثُ عَنُوءَةً نَاهِيكَ مِنْ وَعَظٍ يَغَيِّرُ كَلَامِ (٢)

وعندما فتحت الجيوش الموحدبة حزرة " مُنُورَقَةٌ " في التاريخ المذكور ، نظم الجرّاي قصيدة يمدح فيها الناصر ، ويلمح فيها إلى ابن غانية الذي ظنّ صبر الموحدين عليه ضَعْفًا ، وترويه خذلانا : (٣) (من الطويل)

تَرَكْتُ بَقَابَا السَّيْفِ خَلْفَ حِمَارِهِ رَمَادًا تَهَادَتْهُ الْعَوَاصِفُ رِمْدًا (٤)
جَرَى بِهِمُ الْإِمْهَالُ شَاوًا مُغْرِبًا وَأَعَمَّتَهُمْ عَنْ رُشْدِهِمْ فُشْحَةُ الْمَدَى

وبختم العصدة بتمحيد هذا الفتح ، والإقرار بعجز الشعر عن وصفه .

١ - في المصدر : متميز عن ، وأظنه تحريف : " متميز من " .

٢ - كذا في ابن عذاري ، وهو تحريف واضح لـ " وعظت بمصرعه الحوادث غيره " .

٣ - ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢٤٢ .

٤ - رَمْدُ : كثير دقيق ، والجرّاي ينظر إلى قول الكميت بن زيد في ديوانه : ١٦٤ .

" رَمَادًا أَطَارَتْهُ السَّوَاهِكُ رِمْدًا "

* معركة العقاب :

في يوم الاثنين الخامس عشر من صفر سنة : (٦٠٩هـ / ١٢١٢م) التقى الموحّدون بقيادة محمد الناصر ، سالفونشو ملك قشتالة عند حصن " العقاب " ، وكان الإسبان قد استنفروا جيوشهم من كل أنحاء أوروبا ، فتجمّع منها أعداد وفيرة لقنال المسلمين في الأندلس ، واحلّى هذا اللقاء عن هزيمة المسلمين هزيمة نكراء ، وتفرقت جموعهم أبادى سباً ، بعد أن قُتل من جنودهم أعداد كبيرة ، فوصفت هذه الموقعة بالهزيمة العظمى ، وبسببها " ضعف المغرب والأندلس ، أما المغرب فبخلاء كثير من قراه وأقطاره ، وأما الأندلس فبطلب العدو عليها " (١) .

وفد أثار هذه الهزيمة أسباب الجزع في الأندلس حينذاك ، وعدها كثير من المؤرّخين بداية سقوط الموحّدين واندثار دولتهم .

ومن اللافت للانتباه أنّنا لم نقف على مادة شعرية تؤرّخ هذه الوفقة ، كما كنّا نجد عند انتصار جيوش الموحّدين ، وكأنّ هذه الهزيمة أفحمت الشعراء ولجمت ألسنتهم ، إضافة إلى كون غالبية الشعراء الذين كانوا يؤرّخون لانتصارات الموحّدين كانوا من طبقة شعراء البلاط المتكسّبين الذين كانوا يجدون في الانتصارات مجالا رحبا للقول ، أمّا في حال الهزائم فإنهم كانوا ينكفئون على أنفسهم ، ونحّمون عن القول ، لذلك عزّت النصوص الشعرية التي أرحب لهزيمة العقاب لدى شعراء البلاط وخصوصا المغاربة منهم ، وبرزت شذرات لدى شعراء آخرين ، منها الأبيات التي قالها إبراهيم بن الدباغ الإشبيلي ، وفيها يقف متأملا نتائح معركة العقاب التي شغلت تفكيره ، وأقضّت مضجعه ، وهو يرى أنّه لامقام بعد الآن في الأندلس لأنّ البلاء قد حلّ بهذه البلاد : (٣)

(من الوافر)

وَقَائِلَةٍ : أَرَاكَ تُطِيلُ فِكْرًا كَأَنَّكَ قَدْ وَقَفْتَ لَدَى الْحِسَابِ
فَقُلْتُ لَهَا : أَفَكَّرُ فِي عِقَابِ غَدًا ، سَبَبًا لِمَعْرَكَةِ الْعِقَابِ
فَمَا فِي أَرْضِ أُنْدَلُسٍ مَقَامٌ وَقَدْ دَخَلَ الْبَلَاءُ مِنْ كُلِّ بَابِ (٤)

-
- (١) - المقري ، نفح الطيب : ١ / ٤٤٦ .
(٢) - ابن أبي زرع ، روض الفرطاس : ٢٤٠ .
(٣) - المقري ، نفح الطيب : ٤ / ٤٦٤ .
(٤) - خفف همزة ((البلاء)) ، ضرورة

فالشاعر يقف من هذه الهزيمة موقعاً سلبياً ، إذ لا يرى غير الهرب وسيلة ، ليقبضه بأن معركة العقاب هي الضربة الفاضلة للدولة الموحدية التي لا قيام لها بعدها ، وهي بداية انقراض عقدها ، وسقوط مدن الأندلس تاعاً .

* معركة عَفْصٍ وَطَلِيَّاطَةَ :

وفي سنة (٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م) حُلب بالمسلمين هزيمة على مقربة من " طَلِيَّاطَةَ " ، وبعدها بشهرين حُلب بهم هزيمة أخرى مماثلة في شرقي الأندلس بالقرب من " عَفْصٍ " ، وفي الوقت نفسه سقطت مدينتا " لُوشَه " و " قَيْطَاجَه " بيد العرنجة ، وفي ظل سكوت الشعر المغربي عن هذه الحوادث الخطيرة ، سجل أحد المرسيين هذه الحوادث في قوله : (١)

تَكَامَلُ إِفْكَالُ أَيَّامِنَا	بُوقَعَةِ عَفْصٍ وَطَلِيَّاطَةَ
أَنَاخَا عَلَى شُمِّ أَعْلَامِنَا	فَبِالْغَرْبِ تِلْكَ وَبِالشَّرْقِ ذِي
وَلُوشَهْ خَفَا بِأَحْلَامِنَا	وَفِي وَسْطِ الْأَرْضِ قَيْطَاحَةَ
لِغَيْرِ تَوَاتُرٍ إِعْدَامِنَا	وَلَيْسَ الْمَلِكُ رَأَى مَانِعًا
بُرُومُ النَّجَاةِ بِإِسْلَامِنَا	وَسَدَّدْنَا نَاطِرَ فِي الْجَوَانِ

إن الشاعر عدّد لنا مجموعة من الوفائع التي دارت على المسلمين في الأندلس ، شرقها وغربها ، وبينّه على بداية انقراض عهد المدن الأندلسية وسقوطها بيد الإسبان ، وتمتزوج في أبيات الشاعر أحاسيس السخرية المرة ، وتلمّس المأساة التي تنتظر مدن الأندلس ، ويبدو لنا الشاعر وقد رانت عليه مشاعر البأس والعنوط والإدانة لموقف السلطان الموحدى " العادل " الذي آثر النجاة بنفسه على القيام بواجبه تحاه إخوة له يذوقون الويل والنكال .

واستمرت المدن الأندلسية في السقوط بيد الإسبان (٢) ، وفي الشعر الأندلسي صور هذه النكبات ، وتراوحت الأشعار بين البكاء على ماضع والتحصن عليه ، والاستصراخ لنجدة . ماتبقى بيد المسلمين ، ورشاء المدن الضائعة (٣) ، والتفجّع

(١) - الجُمُيرى ، الرّوض المعطار : ٤١٥ - ٤١٦

(٢) - انظر مواكبة الشعر لسقوط المدن الأندلسية في ، جمعة شيخه ، الفتن والحروب : ٤٣٧-٤٦٢

(٣) - نفسه : ٤٦٢ - ٤٧٤

على ما أصابها .

وبعد ، فهذا حديث الشعراء عن الحروب بين الموحدين والفرنجة في الأندلس ، وقد آرخ الشعر الأحداث الكبرى لهذا الصراع ، وسجلها ، وتغنّى الشعير بالانتصارات ، وحثّ الشعراء أهل الإسلام على الجهاد كلّما اسنشعروا الخطر المحدق ، وبكوا المدن الإسلاميّة التي تساقطت بيد الإسبان ورنوها فأينع غصن في شجره الشعر الأندلسيّة هو رثاء المدن والممالك الزائلة وكان هذا الغصن متّشحا بالسّواد ، مبلّلاً بالدموع والحسرات (١)

(١) - انظر مهجة الشا ، رثاء المدن والممالك الأندلسية: ٢٢٥

أثر الشعر في حروب الأندلس

وعى الشعراء طبيعة الصراع بين الموحّدين والعرنجة في الأندلس ، فلم يبقوا بشعرهم عند نقل أنباء المعارك وسردها فحسب ، بل تعدّوها إلى اتخاذ مواقف في شعرهم من هذا الصراع ، ومن هذه المواقف الحثّ على الوقوف في وجه المدّ الفرنجي الذي ستهدّد الوجود الإسلامي بالأندلس ، وبثّ روح الجهاد بين الجموع الإسلامية لإنقاذ حواضرها من خطر العزو الفرنجي .

أمّا دعوات الاستشارة والتّحريض للوقوف في وجه الخطر الفرنجي فقد تراوحت بين الشّدّه والشّعور بالثّقة في حالات فوّة المسلمين، والتّفجّع والتّألم وتحرّع الحسرة في حالات ضعفهم .

فهذا أبو الرّبيع الموحّدي بثّق ثقة مطلقة بانتصار جيوش المسلمين، لذا يطلب من الحليفة المنصور أن ينقّذ عزمه على جهاد الأعـداء، بقوله: (١)

حَيْشُ الصَّلَالِ بِحَبْشِ الْحَقِّ مَهْـزُومٌ	فَنَقَّذِ الْعَزْمَ إِنَّ الْفَنَاحَ مَحْتُومٌ
وَحُسْ بِعَسْكَرِكَ الْمَنْمُورِ مُحْتَكِمًا	أَرْضَ الْعِذَا فَالَّذِي وَدَدْتَ مَعْلُومٌ (٢)
صَمِّمِ لِفَتْحٍ يُرَى فِي الدَّهْرِ نَادِرَةً	فَكَمْ أَتَاكَ بِهِ عَزْمٌ وَنُصَيْمٌ
مَنْ ذَا يَرُدُّ حُنُودَ اللَّهِ يَقْدِمُهَا	- حَيْثُ انْتَحَيْتَ بِهَا - لِلنَّصْرِ حَيْزُومٌ
جَيْشَ تَصَدَّى لِذِبْنِ اللَّهِ بِنُصْرِهِ	مَنْ نَحَرُمُ الْغَزْوُ فِيهِ فَهُوَ مَحْرُومٌ

وقد لجأ الشعراء الأندلسيون إلى أساليب متعددة لتعبئة مشاعر المسلمين، وحفزهم على مواجهة العدو الإسباني ، ومن هذه الأساليب تصوير الصراع على أنّه صراع بين الإسلام والتّصاريّ الذّبن يريدون استئصال شأفة المسلمين في الأندلس والقضاء عليهم ، فحرّيّ بهؤلاء المسلمين أن يدافعوا عن دنهم ووجودهم وبيدودوا

(١) - ديوانه : ٣٢ .

(٢) - حاس الأرض : وطئها .

عنهما ، لاسيما أنّ عدوّهم مسلّح بالقوّة والعتاد ، لذلك أسهب الشعراء في الحديث عن خطر هذا العدو على الإسلام وأهله وحضارته ، وحذّروا المسلمين منه ، ودعّوهم للوقوف في وجهه .

وقد بدأت دعوة الشعراء إلى مواجهة العدو الإسباني منذ وقت مبكر نسبياً إذ نقف في ((الإحاطة)) على أبياب نمانية للقرشي العامري^(١) من فصيدة طوبلة في رثاء الأندلس ، تحمل في أشائها دعوة قويّة لإنقاذها من خطر الفرنجة ، وتزخر بثروة عاطفية قادرة على إثارة الهمم والمشارع ، وبالخصوص عندما يَصوّر الشاعر أوضاع المسلمين المؤثّرة في الأندلس ، وقد أحّدق بهم العدو برسد الفتك بهم ، بقول الشاعر : (٢)

أَلَا مُسْعِدٌ مُنْحِرٌ ذُو فِطَكُنْ	يُنَكِّي بِدَمْعٍ مَعِينٍ هَتِرُنْ (٣)
حَزْبَرَةٌ أَنْدَلُسِي حَسْرَةٌ	أَلَا غَالِبٌ مِنْ حُقُودِ الزَّمَنْ
وَنَذْبٌ أَطْلَالُهَا آسِرُفًا	وَتُرَيْسٌ مِنَ الشَّعْرِ مَاقِدٌ وَهَنْ
وَبُجْجِي الْأَيَّامِ وَيُكْرِي الْبَتَامَى	وَبَحْكِي الْحَمَامَ ذَوَاتِ الشَّجَنْ (٤)
وَيَشْكُو إِلَى اللَّهِ شَكْوَى شَجٍ	وَدَعْوُهُ فِي السَّرِّ نَمَّ الْعَلَنْ (٥)
وَكَانَتْ رِبَاطًا لِأَهْلِ التُّقَى	فَعَادَتْ مَنَاطًا لِأَهْلِ الْوَشَنْ (٦)
وَكَانَتْ مَعَادًا لِأَهْلِ التُّقَى	فَصَارَتْ مَلَاذًا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ
وَكَانَتْ شَحَى فِي حُلُوقِ الْعِدَا	فَأَضْحَى لَهُمْ مَالُهَا مُحْتَجَنْ (٧)

(١) - إبراهيم بن خلف بن محمد بن الحبيب ... الفرشي العامري : محدث راوية ،

فقيه كاتب شاعر ، توفي سنة (٥٧٢ هـ / ٢١٧٦م) .

(٢) - ابن الخطيب ، الإحاطة : ١ / ٣٦٦ .

(٣) - المنجز : المسارع ، المعاجل .

(٤) - في الإحاطة : الأيام ، وهو تحريف واضح لـ (الأبامى) ، ج أيم : وهي التي فقدت زوجها .

(٥) - الشَّجِي : الحزين ، المهموم .

(٦) - الرِّبَاط : المكان الذي يربط به الجيش في الثغور مع الأعداء .

(٧) - الشَّجِي : الغصة ، محتجن ، من احتجن المال : جمعه واحتواه ، واختص نفسه به .

و عندما حاصر محمد بن سعد بن مرداس " وحلفاؤه الإنسان مدسنة " سُقِر " وأطفوا عليها ، لعب محمد بن أبي بكر المحرومي رسالة حسنة في الانصراف والاستنصار للسلطان الموحدى ، أودعها عدة أسان تمور بالمعاشى النى توضح مدى الصق الذى سببه هذا الحصار للمدنية وأهلها ، فقد أرهفهم وضيق الحناق عليهم ، فقال (١) (من الطويل)

تَدَارَكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دِمَاءَنَا فَإِنَّكَ لِلْإِسْلَامِ وَالذِّبِّ نَاصِرٌ
وَوَجَّهَ إِلَى اسْتِنْقَاذِنَا بِكِتَابِكَ بِهِابُ السَّرْدِ مِنْهَا الْعَدُوُّ الْمُحَاصِرُ
تُقَسُّ مِنْ ضِيقِ الْخِنَافِ بِأَرْضِنَا فَتُذَرَكُ أَمَالُ وَنُرْعَى أَوَاصِرُ

والملاحظ أن الشعراء الأندلسيين اطلعوا بأعناء هذه المرحلة ، دون المعاريه ، وألحوا على اننزاع المعاشى الى صور خطر العدو على حماه المسلمين فى الأندلس ، فكثرت قصائد الانصراف المؤثرة التى أرسلوها إلى حلفاء الموحدىين الذين كان الوهن قد نال منهم ، فالى الشعراء إلى ملوك الدولة الحفصية الفتية بعض هذه القصائد (٢) .

ومن الأساليب التى لحا إليها الشعراء الموحدون فى حروب الأندلس أسلوب الحرب النفسية التى أيقنوا جدواها فى رفع معنويات المسلمين ودعم الجبهة الداخلية ، فأكثروا من الحديث عن قوة حبوش المسلمين ، وضمموا الانتصارات الموحدة ، وفى المقابل هزلوا هزائم الأعداء وابعوا فى صميمها ، كما أرروا بعبادات العدو موصفوها بالجبن والكوص فى المعارك ، والجهل بأساليب القتال وحطه لخلق حالة من عدم الثقة بها ، وصعوا الصع نفسه فى وصف الحسنى الأساسى .

فهذا أبو الرّبع الموحدى يدعو الأعداء إلى الإسراع فى طلب الأمان من السلطان ، بعد أن دمر بلادهم فأضحت خرابا ، لأنه فادر على الصّبح ، وفادر على العفاب (٣)

(من مخلع السبط)

(١) - ابن الأثير ، الحلة السّراة : ٢ / ٢٦٩

(٢) - انظر قصيدة ابن الأثير السّنة فى دوانه : ٣٩٥ - ٤٠٠ .

(٣) - دوانه : ٣٥ - ٣٦ .

هَذِي دِيَارُ الْعِدَا يَبِيَا
أَجَلِي مِنَ الْخَوْفِ سَاكِوْهَا
فَقُلْ لِأَهْلِ الصَّلِيبِ حَقًّا:
فَلْبَطُلُوا الْأَمْنُ مِنْ إِمَامٍ
تَعْوِي بِأَرْجَائِهَا الذَّكَا
فَعَمَّهَا التَّهَبُ وَالْخَرَا
إِنَّهُمْ خَسِرُوا وَخَابُوا
فِي كَفِّهِ الصَّفْحُ وَالْعَفَا

وقد سلف الحديث عن تضخم الانتصارات الإسلامية عند الحراوي الذي كثيرا ما رأيناه يفتح عن عجز الشعر والنثر عن وصف هذه الانتصارات (١)، والإحاطة بعظمتها .

كما رأينا هؤلاء الشعراء سالغون في تصوير هزائم الأعداء ، ف يجعلون متلاهم يُعدّون بالآل (٢)، وهم عدد الحمى والتّراب (٣)، لذلك فإنّ خسول المسلمين لاتجد مكانا على الأرض تضع حوافرها عليه: (٤) (من الكامل)

أَوْطَأَتْهَا هَامَ الْكُمَاةِ فَلَمْ تَصْعَ
إِلَّا عَلَى خَدِّ صَرِيحٍ مُبْتَكَسِ

أمّا الدمار الذي حاق بالأعداء في معركة " طليطلة " فتعجز الرواة عن وصفه كما بقول الحراوي: (٥)
(من مخلص البسط)

مَدُّ أَصْلِيكَ نَارَهَا الْعُدَاةُ
وَعَمَّهُمْ بِالْذَّمَّارِ يَوْمَ
فِي مَشْهَدٍ لَا تَزَالُ تُتْلَى
وَأُنْجِزَتْ فِيهِمُ الْعِدَاتُ
تَقْصُرُ عَنْ وَصْفِهِ السُّرُوءُ
أَبَاتُهُ وَهِيَ بِنَاتُ

وبزري الشاعر بجنود العدو ، فقد هُزموا أمام جنود المسلمين مع

أنهم يتصفون بالشّاعة والإباء :

ذَلُّوا لِأَمْرِ الْإِلَهِ قَسْرًا
وَهُمْ أُولُو نَجْدَةٍ أَبَاةُ

(١) - ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢٤١ - ٢٤٢

(٢) - نفسه : ٢٢٢

(٣) - ابن سعيد ، الغصون اليانعة : ١٠٢

(٤) - ديوان أبي الربيع . ٢٨

(٥) - ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢٢٤ .

وَعَرَقَتْ جَفْعَهُمْ بِحِجَارٍ أَمْوَأَجُهَا الْخَيْلُ وَالْكَمَاسُ
رَأَوْا لِحِزْبِ الْإِلَهِ صَبْرًا وَالْمَوْتُ حُفَّتْ بِهِ الْجَهَنَّمُ
فَحَاوَلُوا مِنْهُمْ أَنْفِلَاتًا وَلَيْسَ لِلْخَائِسِ أَنْفِلَاتُ (١)

ومثل هذا الإزراء جنود الفرنجة وقاداتهم ، والاستهانة بهم والانتقاص من كفاءتهم بعد هزائمهم في كثير من المعارك نجدهم ماثوثا في غير موضع من شعر الحرب في هذا العهد .

وقد أبقن الشعراء بأن القوة هي السبيل الوحيد إلى دفع العدوان ، فتعالن أصواتهم داعية إلى الأخذ بأسباب القوة لمواجهة العدو ، ومن هؤلاء الشعراء أبو حفص بن عمر السلمي الذي استوحى الأثر القائل " مَنْ يَزْعُ السُّلْطَانُ أَكْثَرَ مِنْ يَزْعُ الْقُرْآنِ " (٢) في تعبيره عن إيمانه بالقوة سبيلاً إلى ردّ العدوان فقال : (٣)

يَزْعُ الْإِلَهِ سَطْوَةَ السُّلْطَانِ مَنْ لَابَزَعُهُ وَاعِطُ الْقُرْآنِ
شُدُّوا الْبِرَاعَةَ بِالْحُسَامِ فَإِنَّهُ بُرْهَانُ مَنْ يَعْمَى عَنِ الْبُرْهَانِ (٤)

كما نجد الحرّاي يمجّد القوة ، ويشيد بها ، لأنها السبيل الوحيد لإخضاع العدو : (٥)

بِسُفْكَ صَالِ الدِّيِّ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَدَارَتْ عَلَى الْأَعْدَاءِ دَائِرَةُ الْحَرْبِ
وَأَذَعْنَ نَاءً وَاسْتَقَامَ مَعَانِدُ وَلَانَ قِيَادًا كُلُّ مُقْتَبِعٍ صَعْبِ

ويدعو أبو الربيع المنصور إلى الاحتكام إلى السيف في معالجة أمر الأعداء

(١) - أظنها تحريف : ((للحائن)) الذي يحين أوان موته .

(٢) - (اللسان : وزع) ويزع : يكف ، ومعنى الحديث أنّ من يكف عن ارتكاب المعاصي

مخافة السلطان ، أكثر ممن تكفه مخافة القرآن واللّه تعالى .

(٣) - ابن إدريس ، زاد المسافر : ١٤٣ .

(٤) - البراعة : القلم يتخذ من القصب .

(٥) - ابن عذاري ، البيان المغرب : ١٣١ .

لأنّه لم يعد هناك مجال للتساهل معهم : (١)

شَكِبَ الثُّغُورُ الْخُطْبَ لَمَّا لَمْ يَكُنْ إِلَّا إِلَيْكَ مِنَ الْخُطُوبِ الْمُشْتَكَى
وَتَحَاصَّتْ مَهْجُ النَّفُوسِ بِهَا إِلَى حَدِّ الْحُسَامِ فَلَمْ تَسِرْ إِلَّا بِكَ
وَالسَّنْفُ أَعْدَلُ حَاكِمٍ فَقَضَى لِهْـذِي أَنْ نَصَانَ وَهَذِهِ أَنْ تُسْفَكَ

فالشعراء الموحّدون تنبّهوا إلى الخطر الإسباني على الوجود الإسلامي ورأوا في
القوة سبيلا للوقوف في وجه هذا الخطر ، فدعوا إلى الأخذ بها ، وإلى الولاء
للقيادة الموحّدية ، والالتزام بها لأنها المنقذ من هذا العدو .

(١) - ديوانه : ٢٨ .

د حروب الموحدين فيما بينهم

بعد أن قتل شيوخ الموحدين السلطان " العادل " سنة (١٢٢٦هـ/١٢٢٦م) بايعوا
 أبا العلا إدريس بن يعقوب المنصور ، الملقب " المأمون " في إشبيلية ، ثم
 نكثوا بيعته ، وعدلوا عنها لبيعة ابن أخيه " يحيى بن الناصر " الملقب
 بـ " المعتمد " في مراكش ، فعانت الدولة الموحدة شانة^(١) من ازدواجية القيادة،
 وتشتت قوتها ، وذهب ريحها ، فكان لامناص من المجاهدة بين الطرفين لحسم
 الموقف ، فاستعان " المأمون " بعرب الخلط الذين بايعوه دون "المعتمد" ، فشكرهم
 المأمون على ذلك على لسان شاعره أبي زيد الفازاني الذي نظم قصيدة بمدح بها
 العرب جميعا ، وينوّه ببطولتهم وشجاعتهم ونجدتهم ، ثم بخصّ عرب الخلط
 وزعيمهم بالمدح قائلًا : (٢)

الطَّعْنُ وَالضَّرْبُ مَنْسُوءَانِ لِلْعَرَبِ حَازُوا الْوَفَاءَ إِلَى الْإِفْدَامِ وَانْتَسَبُوا وَجَاءَتْ الْخُلُطُ الْمَشْكُورُ مُقَدَّمُهَا خَفُّوا إِلَى نَصْرِ جِزْبِ اللَّهِ وَاحْتَفَلُوا كَتَائِبُ ضَاقَتْ الْأَرْضُ الْفَضَاءُ بِهَا	بِالسَّمْهَرِيَّةِ وَالْهِنْدِيَّةِ الْقُضْبِ (٣) إِلَى خِلَالِ الْمُعَانِي كُلِّ مُنْتَسَبِ كَالْأَسَدِ تَبْدُو عَلَيْهَا سَوْرَةُ الْغُضْبِ فِي عَسْكَرٍ صَخْبٍ أَوْ حَقْفَلٍ لَجِبِ (٤) فِي ظِلِّ أَلْوَيْكَ مُنْشُورَةُ الْعَذَبِ (٥)

ثم يمدح زعيم هؤلاء العرب " هلال بن مقدّم الخلطي " فهذا الزعيم عاضد
 " المأمون " لأنّ حقّه شرعيّ في الخلافة التي ذهبت إلى غير صاحبها :

-
- (١) - عانت الدولة الموحدية من ازدواج القيادة. أول مرّة عندما خلع العادل بن المنصور عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن ، وتكرّرت هذه الازدواجية عندما خلع أبو العلا المأمون، أخاه العادل بن المنصور .
- (٢) - ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢٨٠ - ٢٨١ ، وابن عبد الملك الذيل والتكملة ٦/٢٩٠ - ٢٩١ .
- (٣) - السّمهرى : الرّمح الصّلب العود ، وهو منسوب إلى " سمهر " وهو رجل كان يقوم الرّماح . القضب : القاطعة .
- (٤) - جَحْفَلٌ لَجِبٌ : جيش كثير ذو جلبية .
- (٥) - العَذَبُ ، ج عذبة : الطّرف ، وعذبة الرّمح : خرقة تشدّ على رأسه .

أَمَّا هِلَالٌ فَقَدْ أَوْفَى بِذِمَّتِهِ وَفَاءٌ رَاعٍ لِحَقِّ الدِّبْنِ وَالْأَدَبِ
رَأَى الْخِلَافَةَ حَلَّتْ غُرُ مُوَضِّعِهَا فَأَذْرَكَتْهُ عَلَيْهَا غَيْرَةُ الْعَرَبِ
وَقَالَ لَا سِلْمَ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهَا مِنْ ظُلْمٍ مُسْتَلَبٍ أَوْ جَوْرِ مُغْتَصِبِ

أرأيت كيف بدغدغ الشاعر عواطف هذا العربي لبستئبر انفعاله ؟ إنَّه بمؤاررته " المأمون " أوفى بذيمة ، ورعى حقّ الدب ، فهو عندما رأى أنّ الخلافة آلت إلى غير صاحبها ، ثار لإرجاع الحقّ إلى أصحابه .

لقد جعل الشاعر من منافسي " المأمون " على السلطة ظلماً ، غاصبين لها ، فمن واجب الجميع مساعدته على إعادة الحقّ إلى نصابه .

ولابنسي الشاعر أن بغري هؤلاء العرب بالغنائم المادّة التي سيحصلون عليها ، والمكانة العالية التي سيطنون بها عند الخليفة :

صَرّاً أَبَا النَّحْمِ صَبِراً إِنَّهَا ظُلْمٌ تُحْلَى وَتُمَحَّى بِفَضْلِ اللَّهِ عَنْ كُثْبِ
وَدُمٌ عَلَى حَالَةٍ تَحْنِي عَوَاقِبَهَا أَذْكَى مِنَ الْمِسْكِ فِي أَحْلَى مِنَ الضَّرْبِ (١)
فَعِنْدَ ذَلِكَ إِشَارٌ وَمُرْتَبَةٌ تَحْطُّ عَنْهَا مَزَايَا سَائِرِ الرُّتَبِ
وَسَوْفَ نَلْقَى بِعَوْنِ اللَّهِ مَأْثُرَةً تَحْطِي بِرَاحَتِهَا مِنْ سَائِرِ التَّعَبِ

فالشاعر يطلب من زعيم العرب الصّبر ، لأنّه متفائل بانفشاء هذه الغمّة ، وانكشافها ، وسينال وقومه بتسّم " المأمون " عرش السلطنة ثمن موقفه ، غنائم ماديّة ، وحظوة وندبا عريضة لدى السلطان .

ويستند الشاعر في إثبات حقّ " المأمون " في الخلافة ، على كونه - أي المأمون - ابن السلطان " المنصور " صاحب الفضل الكبير على هؤلاء العرب ، وهم بمؤازرته برّدون بعض أفضال أبيه :

تَذَكَّرُوا مِنْنُ الْمُنْصُورِ فَأَعْتَرَفُوا لِنَجْلِهِ بَعْدَ كَرَّاتٍ مِنَ الْحَقِّ سَبِ

ولم يجد " المعتصم " بدّاً من الرّد على منافسه بالسّلاح نفسه فطلب إلى شاعره أبي عبد الله الصّفار المعروف بـ " البرنامج " أن ينقض قصيدة " أبي زيد الفازازي " السّالفة ، فلبى الأمر ونظم قصيدة من البحر والرويّ نفسها ، متّخذاً

(١) - الضَّرْبُ : العسل الأبيض الغليظ .

أسلوب النّقااض الذي عرف عند شعراء بني أميّة : الأخطل وجريير والفرزدق ، فعمد إلى معاني قصيدة " الفازازي " ينقضها ، فبدّل المحاسن مساويء ، والمفاخر بمخاز واستدأ بالعرب الذين مدحوا في القصيدة الأولى ، فجعلهم عبيداً للحم ، وعيّرهم بمساندة أجدادهم للقرامطة الذين شاروا على شرعية العباسيين ، وكأّنه يريد أن يصل إلى أنّهم بمساندتهم لـ " المأمون " في صراعه ضدّ " المعتصم " ، إنّهم يسرون على خطّ أجدادهم في تأييد العصاة والثائرين على الشرعية التي يمثلها " المعتصم " ويتوعدّهم على لسان أمره ، فإن كان أجدادهم قد سلموا من قبضة العباسيين ، فإنّهم لن يكتب لهم النّجاة من يد " المعتصم " ، الذي ستلفهم في المعركة ، بقول : (١)

نَسَبْتَ شَرَّ عَبِيدِ الْعُجْمِ لِلْعَرَبِ خَهْلًا بِفَضْلِ رَسُولِ اللَّهِ وَالنَّسَبِ (٢)
أَصِحَّ لِيَسْمَعَ أَنْسَابَ الذَّنِّ هُمْ شِعَارَكُمْ فِي الْخُطُوبِ السُّودِ وَالنُّوبِ (٣)
كَانَتْ عَبِيدُ الْعَصَا لِلْقَرْمِطِيِّ فِإِذْ وَافَى الْمَوْفِقُ لَأَذَتْ مِنْهُ سَالَهُرَبِ (٤)
حَلَّتْ مُحَلَّاةً بَتْرًا فَقَدْ رَحَلَتْ عَنْهَا نُوُ حُشَمٌ مِنْ مَائِهَا الْأَشْبِ (٥)

وبستمرّ الشاعر في حملته على هؤلاء العرب مستقرئاً التاريخ في تعداد مثالبهم ، ومُلهباً جلد فائدهم " هلال " بهزاء مُرّ ، وحاصباً إياه بلسانه الذّرب الحديد ، فهو بفعلته هذه قد سقط إلى الحضيض نتيحة لطمعه ، ولن ينال إلاّ الخزي والإهانة والهلاك :

-
- (١) - ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢٨١ - ٢٨٢ ، وابن عبد الملك ، الذّيل والتكملة : ٢٩١/ ٦ - ٢٩٣ .
- (٢) - الخطاب في البيتين للشاعر أبي زيد الفازازي .
- (٣) - النُّوبُ ، جمع نادر للنّائبة : المصيبة .
- (٤) - عبيد العصا : يضرب هذا المثل للقوم إذا استدّلوا ، ولزم ذلك بني أسد : " الثعالبي " ، ثمار القلوب : ٦٢٨ . والشاعر هنا يعيّرهم بموازرة أسلافهم للقرامطة في ثورتهم على العباسيين ، وأراد بالموفق طلحة بن جعفر بن المعتصم العباسي الذي كان من رجال السياسة والحزم زمن أخيه "المعتصم على الله" توفي سنة ٢٧٨ هـ
- (٥) - جاءت في البيان " محلاة " دون همز ، ومحلاة : مطرودة ممنوعة ، وخفف همز " بتراء " ضرورة ، وهي مدينة أثرية تقع في الأردن ، وأراد بالأشب : غير الصّافي .

أَمَّا هِلَالٌ فَقَدْ حَاقَ الْمِحَاقُ بِهِ
حَلَّ الْحُضِيضِ سُقُوطاً وَهُوَ مُحْتَرِقُ
وَعَرَّةُ خُلْبٍ مِنْ شَاعِرٍ مَلِيقٍ
وُظِلَّ مِنْ رُتَبِ الْعُلْيَا عَلَى عِدَّةٍ
وَصَارَ يُطْمَعُ فِي مَالٍ وَفِي نَشَبٍ
لَاقَى الْوَبَالَيْنِ مِنْ حَرْبٍ وَمِنْ حَرْبٍ (١)
تَحْتَ الشُّعَاعِ بِشُهْبِ الْهِنْدِ لَا الشُّهْبِ (٢)
فَنَالَ صَاعِقَةً لَا وَكِيفَ السُّحْبِ (٣)
فَالْتَرَبُّ بَعْلُوهُ مَا يَرْقَى عَلَى الرُّتَبِ
وَصَارَ مُنْتَشِباً فِي بُرْثَنِ النُّشَبِ (٤)

وبعد أن يعرغ الشاعر من هجاء هؤلاء العرب ، ويسلسهم متأثرهم يلتفت
إلى " المعتصم " مؤكداً شرعيته فيما يراه خلافة ، فهو فد ورث هذه الخلافة عن
أخيه وأبيه ، ولا ينسى - وهو بثبت هذه الشرعة - أن بنقض شرعية خلافة " المأمون "
الذي أتى منكراً باستعانتة بالتروم على ابن أخيه عند حوازه إلى العدو
المغربية :

يَحْيَى خَلِيفَةُ رَّبِّ الْعَالَمِينَ وَمَنْ
نَالَ الْخِلَافَةَ عَنْ خُبْرٍ وَعَنْ خَرٍ
اخْتَارَهُ اللَّهُ فَاخْتَارَتْهُ صَفْوَتُهُ
لَيْسَتْ بِنَكْثٍ وَلَا كُتْبٍ قَدْ اخْتَلَفَتْ
لَمْ يَنْتَصِرْ بِالتَّصَارِي وَالْبُغَاةِ عَلَى
يَحْهَلُهُ يُعْلِمُهُ حَطُّ السُّمْرِ وَالْقُضْبِ (٥)
مُحَقِّقٍ وَبَارِثٍ عَنْ أَحٍ وَأَبٍ
مِنْ الْبَرِيَّةِ أَهْلُ الدِّبَنِ وَالْحَسَبِ
وَلَا كِتَائِبِ أَهْلُ الْبَغْيِ وَالصُّلْبِ (٦)
مُطَهَّرِينَ مِنَ الْأَذْسِ وَالرَّيْبِ

ولحقاً " أبو عبد الله بن الصَّفَّار " إلى محاجة أبي زيد الفازازي في
أدلته حول حق " المأمون " بهذه الخلافة . فكونه اسناً لـ " المنصور " لا يعطيه
هذا الحق ، لأنَّ صلاح الأب لا يعني بالضرورة صلاح الأبناء ، فكم من ولد كان

(١) - المحق : الإبادة ، الوبال : سوء العاقبة ، الحَرْبُ بالتحريك : أن يسلب الرجل ماله

(٢) - الشَّهْبُ والشُّهْبَةُ : لون بياض .

(٣) - أراد بالشاعر الملق : أباً زيد الفازازي ، والبرق الخُلْبُ : الذي لاغيث فيه

(٤) - النُّشَبُ : المال والعقار ، البُرْثُنُ : مقلب السَّعِجِ أو الطَّائِرُ ، النُّشَبُ ح نشبة وهو

(٥) - كدافي البيان المغرب ، وأرى أن الصواب " يُعْلِمُهُ حَطُّ " اسم الذئب .

(٦) - يعرض ابن الصَّفَّار في هذا البيت والذي يليه باستعانة " المأمون " بجنود

من الفرنجة في تنازعه على السُّلطة مع " المعتصم " .

عاقاً لأبيه ، وفي قصة النَّبِيِّ ((نوح)) دليل على ذلك ، إذ رفض ابنه أن يستمع
لنصيحته ، فكان مصيره الهلاك .

أما كونه عمّاً لـ ((المعتمم)) فهو لا يقضي تقديمه على ابن أخيه ،
والدليل في سيرة سيد الخلق " محمد " صلى الله عليه وسلم ، فقد كان عمّه
" أبو لهب " من أشدّ الناس كفراً . بقول ابن الصّّار :

وَإِنْ بُجَادَ لَكَ فِي الْمُنْصُورِ ذُو حَدَلٍ فَجَلُّ نُوحٍ شَوَى فِي قِسْمَةِ الْعُطْبِ (١)
وَإِنْ يَقُلْ : أَنَا عَمُّ فَالْجَوَاؤُ لَهُ : عَمُّ النَّبِيِّ بِلَا شَكٍّ أَبُو لَهُبٍ

أرأيت كيف يفند " ابن الصّّار " حجج أبي زيد الفازريّ حجة بحجة ؟
وكيف يجادله ويأتي له بالأدلة والبراهين من التراث ؟ . إن هذا الشعر - بلا شك -
بذكرنا بحدل شعراء الأحزاب السّياسيّة في عصر بني أميّة . والقصيدة - إضافة الى
ذلك - ملأى بالإشارات التّاريخيّة ، التي تتطلّب من المتلقّي حظّاً من الشّفاة لستطيع
الوقوف على معانيها .

لغد كان الجدال السّياسي حول حقّ كلّ من المتنافسين في الخلافة إرهاباً
للصّراع العسكري بين الفريقين ، فقد عر " المأمون " بجيشه من الأندلس إلى
العدوة المغربيّة ، فمّم شطر مراكش حيث كان " المعتمم " قد عسكر هناك ، وضرب
فبته الحمراء ، فتقدم منها جنود " المأمون " وقطعوا أطناها ، فسقطت ، وكان
" ميمون بن خبّابة " - وهو من شعراء " المأمون - حاضراً ، فقال (٢) (من السّيط)

أَنْظُرْ إِلَى الْقُفَّةِ الْحُمْرَاءِ سَاقِطَةً لَمَّا رَأَتْ مُضَرَ الْحُمْرَاءِ مِنْ كَثَبِ (٣)
مَنْ كَانَ أَوْلَى بِهَا إِنْ كُنْتَ ذَا بَصَرٍ الْعُجْمِ أَوْ مُعَدِنِ الْعَلْيَا مِنَ الْعَكَبِ
وَإِنَّمَا سَجَدْتُ لَمَّا سَهَتْ وَغَدْتُ فَوْقَ التُّرَابِ فَكَانَتْ أَعْجَبَ الْعَجَبِ (٤)

تَحَقَّقَ الانتصار " للمأمون " على ابن أخيه ، ودخل مراكش ، فطلب شيوخ

(١) - الْعُطْبُ : الهلاك .

(٢) - ابن سعيد ، رايات المبرزين : ٧٣ ، المقرئ ، أزهار الرّياض : ٢٨٣/٢ .

(٣) - مضر الحمراء : قبائل مضر .

(٤) - رواية الأزهار : " لما سمت وغدت فوق الضلال " وقوله : " سمت " تحريف عن سهت ،

الفصل الثالث

الشعر الديني

أسباب ازدهار الشعر الديني :

إن الناظر في المادة الشعرية التي وصلت إلينا من عصر الموحدين يلفت انتباهه كثرة القصائد والمقطوعات التي يمكن تصنيفها في موضوع الشعر الديني ، وهذه القصائد يمكن تقسيمها وفق أغراضها إلى المديح النبوي والزهد ، والتصوف ، والحكم والمواعظ ، وغيرها .

ولا نبالغ إذا قلنا إن الشعر الديني يكاد يبلغ ثلث المادة الشعرية المجموعة . وقد تضافرت عوامل عدة أدت إلى هذه الكثرة، منها استلام الموحدين السلطة في خضم اضطراب سياسي ، وتعرض حواضر الأندلس لحركة الاسترداد الإسباني وسقوط المدن الأندلسية تباعاً مما جعل المواطن المسلم في هذه البلاد يشعر بكثير من أحاسيس الأسى والخيبة والقلق ، ويحد في اللجوء إلى الدين بعض الطمأنينة والأمل بالخلاص . وكان للشعراء مشاركة في هذه الأحداث فسلك فريق منهم طريق توعية الناس وتبصيرهم بالخطر المحقق بهم ، وحثهم على البذل والتضحية ، بينما لحا فريق آخر إلى الدين طالبا الطمأنينة والمدد ، وكفّ شر الغزاة عن الأمة الإسلامية داعياً إلى الصلاح طريقاً للخلاص من النكبات والويلات .

ومن أسباب وفرة الشعر الديني في عصر الموحدين ، الطابع الديني الذي قامت عليه الدولة الموحدية (١) ، واهتمام الخلفاء الموحدين بإصلاح المجتمع على أساس ديني تميز بارتكازه على أصلي التشريع الإسلامي : القرآن والسنة والتشدد في تطبيق أحكام الدين وحدوده ، فقد نقلت المصادر أن بعض خلفائهم قتل على شرب الخمر ، وقتل آخر من رؤي وقت الصلاة غير مصل (٢) ، كما شجعت الدولة التصوف بإنشاء الزوايا والرباطات وأنفقت عليها ، وأجرت المرتبات والجرايات على الشيوخ والوعاظ الذين كان لهم سلطان كبير على الناس .

(١) انظر ماكتبه عبد المجيد النجار عن الصبغة الدينية في الحكم الموحدي : في

كتابه المهديين تومرت ٣٨٦ - ٣٩٣

(٢) انظر ، التويري ، نهاية الأرب : ٢٤ / ٣١٨

ويمكن أن نضيف إلى تلك الأسباب التّردّي الذي أصاب بعض حواسب المجتمع الموحّدي إذ تدهورت الأخلاق الحميدة فانغلت قسم من النّاس من تعاليم الدّين ، وانغمسوا في حياة اللّهو والتّرف ، بينما انصرف قسم آخر إلى حياة العبادة والتّبتّل ردّاً على تلك الأوضاع السّائدة . وسوف نصنّف الشّعْر المحمّوع حسب موضوعاته وندرس خصائصه ومميّزاته .

١ - المديح النّبويّة

وهي القصائد والمقطوعات التي نظمها أصحابها في مدح النّبّي صلّى الله عليه وسلّم .

وتعود بواكير المدائح النّبويّة إلى حياة الرّسول الكريم ، فقد قام شعراء الدّعوة الإسلاميّة بمدح النّبّي صلّى الله عليه وسلّم في حياته . فنظموا قصائد كثيرة في هذا الغرض ، وكانت في أغلبها تتبع التّقاليد الفنّيّة الموروثة عن العصر الجاهليّ ، فخلت قصائدهم تلك في البدء - أو كادت - من أثر الدّين الجديد . وجاءت في محلّها مُشاكهة في معانيها ومنهجها للقصائد التي كانوا يمدحون بها سادتهم وسراة قومهم (١) .

وتشرّبت النفوس - مع مرور الوقت - من معاني الدّين الجديد وقيمه فأصبح الشعراء يمزجون في قصائدهم بين المعاني الاجتماعيّة التقليديّة والمعاني المستمدّة من تعاليم الدّين الإسلاميّ، فصرنا نلاحظ فيها مزيجاً من الإشادة بخصال النّبّي وشمائله والإشادة بهدايته ونبوّته. (٢)

غير أنّ من العسير علينا أن نحدّد أوليّة هذا الفنّ في المغرب والأندلس ومَن الذي كانت له عصا السّبق في هذا الميدان ، وذلك بسبب ضياع قسم كبير من الشّعْر العربيّ الّذي يعود إلى القرون الإسلاميّة الأولى ، ومع ذلك سنحاول أن نتبيّن ملامح تطوّر هذا الفنّ إلى عهد الدّولة الموحّديّة من خلال ما توفر لدينا من النّصوص الشّعريّة .

(١) انظر مثلاً قصيدة كعب بن زهير اللّامية في ديوانه : ٦ - ٢٥ .

(٢) انظر مثلاً قصائد حسان بن ثابت في ديوانه ١٤ - ١٧ و ٨٠ - ٨١ .

فمن أوائل النصوص التي وقفنا عليها في هذا الغرض ، قصيدة للشاعر الأندلسي عبد الملك بن حبيب ت (٢٣٨ هـ / ٨٥٣ م) يذكر فيها الرسول في معرض حديثه عن زيارته للمدينة المنورة فيقول : (١)

(من الكامل)

لِلَّهِ دَرْ عِصَابَةٍ صَاحِبَتُهَا	نَحْوُ الْمَدِينَةِ تَقَطَّعَ الْفَلَاوَاتِ
وَمَهَامِهِ قَدْ جُبَّتْهَا وَمُغَاوِرِ	مَارِلْتُ أَذْكَرُهَا بِطُولِ حَيَاتِي (٢)
حَتَّى أَتَيْنَا الْقَبْرَ قَبْرَ مُحَمَّدٍ	خَصَّ إِلَهُ مُحَمَّدًا بِصَلَاةٍ
خَيْرُ الْبَرِيَّةِ وَالنَّبِيِّ الْمُصْطَفَى	هَادِي الْوَرَى لِطَرَائِقِ الْجَنَّاتِ

فالشاعر يتحدث في أبياته السابقة عن زيارته للأماكن المقدسة ، ويتخذ من هذا الحديث سبيلاً لذكر ساكنها عليه الصلاة والسلام ، ومدحه بمعان دينية فهو خير البرية وهاديها إلى الجنة ، ويصلي عليه . وهذان الأمران سوف يتكرران فيما بعد بكثرة في قصائد المديح النبوي كما سنرى .

أما المدائح النبوية بوصفها قصائد ذات منهج محدد ، وخصائص فنية ، فإن أول قصيدة نبوية وصلت إلينا سالمة هي "الشقراطية" نسبة إلى صاحبها الشاعر المغربي أبي محمد عبد الله بن يحيى الشقراطي ت (٤٦٦ هـ / ١٠٧٣ م) وهي قصيدة لامية طويلة من البحر البسيط تقع في ثلاثة وثلاثين ومئة بيت ، تبدو لنا أنها فريدة في بابها . نظم فيها الشاعر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فبدأها بقوله : (٣)

(من البسيط)

الْحَمْدُ لِلَّهِ مِنَّا بِاعِثِ الرُّسُلِ هَدَى بِأَحْمَدَ مَنَّا أَحْمَدُ السُّبُلِ

والملاحظ فيها أن الشاعر أضرب عن المقتضيات بأنواعها المختلفة ، ودخل مباشرة إلى مديح النبي عليه السلام ، وأظهر منذ البداية أنه يريد أن

-
- (١) المَقْرِي ، نفح الطيب : ٤٦ / ١ .
- (٢) المَهَامَةُ ، ج مَهْمَةٌ ، والمغاور ج مغارة ، وهما بمعنى الصحراء الواسعة التي لاماء فيها .
- (٣) أورد العبدري القصيدة بتمامها في رحلته : ٦٣ - ٧٣ وهي مثبتة في التويري نهاية الأرب : ١٨ / ٣٤٧ - ٣٥٩ - والنبيهاني ، المجموعة النبوية ١٩٨/٣ - ٢١١ .

ينظم مايستطيع من سيرة الرّسول الكريم ، لذلك استحالت القصيدة إلى جمع للأخبار والروايات (١) ، وتعداد للمعجزات (٢) ، ونظم لأحداث السيرة النبوية (٣) ، في أسلوب يغلب عليه التصنع ، ثم ختم القصيدة بالتّوسل بالرّسول الكريم والتّشفّع به (٤) .

ولولا هذه الخاتمة التي يطلّ فيها الشاعر من خلال الأبيات ، لما اختلفت هذه القصيدة في شيء عن المتون العلميّة ، وعن المنظومات التعليميّة ، فليس للشعرية في هذه القصيدة نصيب كبير ، وجاء طغيان الصّنع البديعيّة فزادها ضعفا . وقد تركت هذه القصيدة أثرا كبيرا عند شعراء المشرق والمغرب وأصبحت مدائحهم في النّبي عليه السّلام منظومات تسرد سيرته ومعجزاته .

وما إن نصل إلى عهد الموحّدين حتى نجد فنّ المدائح النبويّة قد استقرّ وأضحت له تقاليده وأشكاله ، إذ بلغ مبلغاً كبيراً من الصّنع والتّكلف ، فكشّرت المشطّرات (٥) والمخمّسات (٦) ، والمسدّسات (٧) ، والمعشّرات (٨) ، والعشرينيّات (٩) وغير ذلك .

وقد وقفنا على كثير من المنظومات الخاصّة التي خصّصها أصحابها لنظم السيرة النبويّة . منها " الدّرة السّنية في الأخبار المحمّديّة " (١٠) لمحمّد بن المناصف (ت ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م) و " نظم الدّرر السّنية في معجزات سيّد البريّة " (١١) لأبي بكر بن الحجاج اللّخميّ (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) وغيرها .

-
- (١) - يبدأ نظم الأخبار بد ١٤ من البيت ٣ وحتى البيت ٩ .
 - (٢) - يقع تعداد المعجزات من البيت ١٠ - ٤٩ .
 - (٣) - نظم السيرة النبويّة من البيت ٥٠ - ١٢٣ .
 - (٤) - بعد البيت ١٢٣ من القصيدة .
 - (٥) - منها تشطير حازم القرطاجنيّ لمعلّقة امرئ القيس وهي في ديوانه : ٨٩ - ٩٦ .
 - (٦) - منها تخميس لابن الجنان في نفح الطّيب : ٤٣٢/٧ - ٤٣٨ - وآخر لمالك بن المرحّل ٤٥٣/٧ - ٤٦٧ .
 - (٧) - منها تسديس محمّد بن محمّد بن العطار الجرائريّ في نفح الطّيب : ٤٨٠/٧ - ١٨٤ . وآخر في ٤٨٥/٧ - ٤٨٨ .
 - (٨) - المعشّرات الحبّية لأبي زيد الفازانيّ ، والمعشّرات الزّهديّة له .
 - (٩) - قصائد أبي زيد الفازانيّ في ديوان الوسائل المتقبّلة .
 - (١٠) - منها نسخة مخطوطة في المكتبة الوطنيّة بتونس رقمها (٢٣٤) .
 - (١١) - ابن عبد الملك ، الذّيل والتّكملة : ١٧/ ٦ - ١٨ .

منهج قصيدة المديح النبوي :

ترتبط قصيدة المديح النبوي بقصيدة المدح ارتباطاً وثيقاً ، فهي في الأصل قصيدة مدح ، لذلك لم يكن لها أن تخرج في منهجها العام عنها ، وبما أن المدح سابق للمديح النبوي فقد جرى شعراء المديح النبوي سابقهم في المضمون والأسلوب .

المقدمات :

كانت مقدمات المدائح النبوية في بداية أمرها تقليدية خالصة (١) لأن شعراء المديح النبوي في بداية عهد الرسول لم يفارقوا الموروث الشعري إلا بإضافة بعض المعاني الإسلامية إلى مديحهم ، واستمر الشعراء في العصور المتأخرة في التقديم لقصائدهم بوصف الأطلال والنسيب (٢) رغبة في التقليد .

وربما استعاض الشعراء شيئاً فشيئاً عن ذكر الأطلال بذكر الأماكن الحجازية وتعدادها . وإبداء التشويق إليها (٣) ، وهذا أليق بغرض المديح النبوي لأن هذه الأماكن مقدسة عند المسلمين ، تهفو إليها أفئدتهم لارتباطها في مخيلاتهم بسيرة سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم ، فثمة ولد ، ونشأ وترعرع ، وصعد برسالة السماء ، وجاهد في سبيل نشرها حتى وافاه الأجل فضمت تربتها جسده الطاهر . فذكر هذه الأماكن يوصل إلى ذكر ساكنها عليه السلام ، وهذا يهيئ المتلقي لسماع المديح النبوي .

ويلاحظ الدارس أن شعراء المديح النبوي كانوا يكثرون في مقدمات قصائدهم من استخدام النسيم والبرق (٤) وتحميلها الأشواق والسلام إلى تلك

(١) انظر مقدمة لامية كعب في ديوانه : ٦ وما بعد : وقصائد حسان بن ثابت في ديوانه : ٧ و ١٢

(٢) انظر ديوان البوصيري : ٢٩ و ٩٦

(٣) انظر ديوان ابن حجر العسقلاني : ١٠٤

(٤) انظر مثلاً بردة البوصيري في ديوانه : ١٩٠ وما بعد .

المعاهد وساكنها . ومن المعلوم أنّ ذكر النّسائم والبروق يرتبط غالباً في الشّعر العربيّ بالشّوق والحنين ، فليس غريباً أن يكثر شعراء المديح النبويّ من ذكرها تعبيراً عن عواطفهم المتأجّجة ، وشوقهم الكبير لزيارة الأماكن المقدّسة .

وكثيراً ما كان شعراء المديح النبويّ يستهلّون قصائدهم بالحكمة والموعظة وضرب الأمثال ، " فالحكمة - أداة " في مقدّمة القصيدة - تلعب دور المنبّه إلى الاتّجاه العام الذي يتخيّر الشاعر السّير فيه ، والمثل الأعلى الذي يشترك فيه مع القارئ ، ويمقتضاه يرتبطان وتتمّ شروط العقد الذي بينهما^(١) ، وهذا الاستهلال بالحكمة ملائم للغرض لأنّ المقام مقام دينيّ والحكمة والموعظة تستثير الانتباه و " تشعّ على كامل جوانب القصيدة بحيث يستطيع المتقبّل التّقدّم في القصيدة من بيت إلى آخر إلى ما شاء الله بدون أن يفقد أي بيت منها أثر النّفس الحكمي المبثوث في مستهلّ القصيدة^(٢) : فالمقدّمة الحكميّة إذاً توحى بموضوع القصيدة وتدفع إلى الخشية والورع ، وهذا ما يقصد إليه شعراء المديح النبويّ ليعتبر النّاس من سيرة الرّسول وأخلاقه وأفعاله ، وغالباً ما تكون المواعظ في ذكر الذّنوب وإظهار التّوبة وطلب المغفرة ، وهو ما يتطلّع إليه الشعراء الذين مدحوا النّبّي صلّى الله عليه وسلّم من مديحهم . وقد دعا إليه النّبّهاني فقال : « ويُسْتَحْسَن أيضاً تقديم المواعظ والحكم في ابتداء مدائح - صلّى الله عليه وسلّم - لأنّها من الأمور النّافعة المُستحسنة طبعاً وشرعاً »^(٣) .

(١) محمد الهادي الطّرابلسي ، خصائص الأسلوب في الشّوقيّات : ٣٣٦ ،

(٢) نفسه : ٣٣٧ .

(٣) يوسف النّبّهاني ، المجموعة النّبّهانية : ١ / ١١ .

وإذا، عدنا إلى المدونة النصية المتوفرة لدينا من قصائد المديح النبوي وجدنا أن شعراء المديح النبوي المغاربة قد أ ضربوا عن مقدّمات المديح التقليديّة التي تعارف عليها شعراء المديح النبوي من أطلال ونسيب وغيرها ، واستعاضوا عنها بمقدّمات تشير إلى موضوع قصائدهم ، فافتتحوا هذه القصائد بذكر الرسول مباشرة ، والحديث عن مديحه . كصنيع أبي زيد الفازاني في ديوانه " الوسائل المتقبّلة " إذ استهلّ ثمانى عشرة قصيدة من أصل تسع وعشرين بالحديث عن مديح الرسول ، فعبر من البيت الأول عن رغبته في مدحه ، وأكثر الشاعر من استعمال أسلوب الخطاب الجماعيّ في هذه الاستهلالات محاولاً إشراك مستمعيه في هذه الرغبة ويسلك الشاعر في استهلالاته مسالك شتى : كقوله في بعضها : (٢)

(من الطويل)

تَعَالَوْا فَعِنْدِي لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ مَدِيحٌ كَأَزْهَارِ الْخَمَائِلِ طَلَّتْ

وقوله : (٣)

(من الطويل)

خُذُوا فِي امْتِدَاحِ الْهَاشِمِيِّ مُحَمَّدٍ عَجَائِبَ لَا تَنفُكُ تَنْمِي وَتَرْسَخُ

وقوله : (٤)

(من الطويل)

هَبُوا لِي أَسْمَاعَ الْقُلُوبِ أَفِدْكُمْ مَدَائِحَ فِيهَا لِلنُّهَى مُتَنَزَّهٌ

(١) هي قوافي : التاء ، الشاء ، الحاء ، الخاء ، الدال ، الذال ، التاء ، الزاي ، الصاد ، الضاد ، الطاء ، الظاء ، العين ، الغين ، الميم ، النون ، الهاء ، الياء .

(٢) أبو زيد الفازاني : ديوان الوسائل المتقبّلة : ١٤

(٣) المصدر نفسه : ٣٦

(٤) المصدر نفسه : ١٣٢

وكذا: فعل ابن خبّازة في قصيدته الياضيّة، فاستهلّها بالحديث
عن المديح النبوي ورأي الشاعر فيه ، وبيان أهميّة الأدب في نصرّة الدّين: (١)
(من الطويل)

حَقِيقٌ عَلَيْنَا أَنْ نُجِيبَ الْمُعَالِيَا لِنُفْنِي فِي مَدْحِ الْحَبِيبِ الْمُعَانِيَا
وَنُجْمَعُ أَشْتَاتِ الْأَعَارِيفِ حِسْبَةً وَنُحْشَدَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ الْقَوَافِيَا
وَنُقْتَادَ لِلْأَشْعَارِ كُلِّ كَتِيبَةٍ لِنُصْرِ الْهُدَى وَالَّذِينَ تُرْدِي الْأَعَادِيَا

ففي الأبيات السابقة تبينُ لموقف الشاعر من المديح النبويّ ، فهو
يرى أنّ من واحب الشعراء أن يمدحوا النّبّي بقصائدهم تقرباً من الذات
الإلهيّة من جهة ، وإشارة للحميّة الدّينيّة، في نفوس المسلمين في ذلك
الظّرف العصيب من تاريخ الدّولة الموحديّة التي كانت تواجه أعتى الهجمات
الإسبانيّة وأضرها من جهة ثانية . فالأدب كما يرى الشاعر لا يقلّ دوره
عن دور الحسام في الجهاد .

وقد يبدأ الشعراء قصائدهم بالإقرار بأنّ فضائل النّبّي لا يمكن حصرها (٢)
وقد يبدوونها بالحديث عن المعجزات (٣) ، أو بذكر عدد من الأماكن المقدّسة
التي شهدت مولد الرّسول ، ومبعثه ، وضمتّ جسده الطاهر بعد موته (٤) وهذه
المطالع ثلاثم غرض المديح النبوي لأنّها في مجملها تهنيء القارئ لسماع
المديح النبوي وتضعه في جو القصيدة من أول بيت فيها .

(١) المقري ، أزهار الرّياض : ٢ / ٣٨٤

(٢) أبو زيد الفازازي ، ديوان الوسائل المتقبّلة : ١٠٣

(٣) نفسه : ٦٧ - ٦٨ - ١٢٦

(٤) نفسه : ١٠٨ - ١١٨

الخواتم :

أما خواتم القصائد النبوية فقد اتخذت أشكالاً عدة ، منها حديث الشعراء عن يوم القيامة وأهواله ، وتوسلهم بالرسول الكريم ليشفع لهم يوم القيامة (١) :

(من الطويل)

أَعِدُّ لِأَهْوَالِ الْقِيَامَةِ حُبَّه وَحَسْبِي فَلَئِي مِنْهُ مَلَأْتُ وَمَلَجَأْتُ
أَعْلَلُ نَفْسِي بِالْوَصَالِ وَرَبَّمَا تُشَكِّي الْفَتَى أَدْوَاءَهُ وَهِيَ تَبْرَأُ

ومنها أن ينهي الشعراء قصائدهم بالتشويق إلى الأماكن المقدسة ويكثرون من ترديد الأسماء (٢) أو بإبداء الرغبة في تقبيل تمثال النعل النبوي (٣) أو بالصلاة والسلام الدائمين على النبي كقول ابن خبازة (٤) :

(من الطويل)

عَلَيْهِ سَلَامُ اللَّهِ لَزَالٍ رَائِحًا عَلَيْهِ مَدَى الْأَيَّامِ مِنَّا وَغَادِيَا

وقد يجمع الشاعر في صلاته بين النبي وخليفته أبي بكر وعمر ، رضي الله عنهما كقول الشاعر أبي زيد الفزازي : (٥)

(من الطويل)

صَلَاةٌ وَتَسْلِيمٌ عَلَى قَبْرِ أَحْمَدٍ وَقَبْرِ أَبِي بَكْرٍ وَقَبْرِ أَبِي حَفْصٍ

وربما يختم الشاعر قصيدته بتأكيد حبه للرسول : (٦)

(من الطويل)

فَوَاللَّهِ مَا أَظْهَرْتُ مِنْ حُبِّ أَحْمَدٍ مَعَ الْجُهْدِ إِلَّا الْبَعْضُ مِنْ كُلِّ مَا أُخْفِي

(١) أبو زيد الفزازي ، ديوان الوسائل المتقبلة : ٨ - ٩ و ٣٠ - ٥٢ .

(٢) نفسه : ٤١ - ٧٢ - ٩٢ - ٩٧ - ١٠٢ .

(٣) نفسه : ١٢٧ - ١٣٢ .

(٤) المقرئ : أزهار الرياض : ٢ / ٣٩٢ .

(٥) الفزازي : ديوان الوسائل المتقبلة : ٧٧ .

(٦) نفسه : ١٠٨ .

ويلاحظ الباحث طول القصائد النبوية واستفاضتها ، فقد وصلت إلينا من هذا العصر قصيدة ميمون بن خُبَّازة التي بلغ عدد أبياتها خمسين ومئة بيت ، وقد وصلت إلينا بعض قصائد المديح النبوي في المشرق تجاوز عدد أبياتها أربع مئة بيت (١) ، وهذا عائداً إلى خصوبة المعاني التي تتناولها هذه القصائد وتشعب موضوعاتها . إضافة إلى غنى شخصيّة الممدوح وكثرة فضائله ، واعتماد هؤلاء الشعراء على كتب السيرة والمغازي ونظم ماحاء فيها .

معاني المديح النبوي

المدح هو الثناء على الرجل وأخلاقه وفضائله وأفعاله . وقد سلك الشعراء في مديح الرسول هذا المسلك إلا أنهم أضافوا إلى معاني المدح العربي قيماً أخرى فرضتها طبيعة الممدوح ، فهو رسول الله ، وهو سيد الخلق ، وهادي البشرية . لذلك اتسعت معاني مديحه أيما اتساع ، لرحابة شخصيّة الممدوح وغناها ، فمن الشعراء من مدحه مدحا تقليدياً كما حرت العادة في مدح سراة القوم وعظامهم ، ومنهم من مدحه مدحا دينيّاً لمكانته الدينيّة السامية ، وبعضهم مدحه مدحا خلقيّاً لسموّ خلقه ورفعته وبعضهم أظهر أثره في البشريّة ، وحرص بعضهم على إظهار معجزاته وبيان مواطن العظمة في سيرته ، إلى غير ذلك من حوالب المدح التي لا حصر لها . ومن هنا جاء اعتراف الشعراء المادحين جميعهم بتقصيرهم في مدحه ، وبعجزهم عن إيفائه حقّه .

(١) بلغ عدد أبيات همزية البوصيري (٤٥٨) بيتاً

المدح بالقيم التقليديّة :

أُثِرَ عن العرب مجموعة من القيم الأخلاقية الحميدة كالكرم والشجاعة والعزة وحماية الجار وغيرها . وكان الشعراء الحاهليّون يلحّون على هذه القيم في مدائحهم . وعندما جاء الإسلام أقتر بعضها، وهذب بعضها وأعطاهما مفهوماً إنسانياً جديداً مغايراً لما كانت عليه ، فأصبحت من عوامل التكافل الاجتماعيّ بعد أن كانت للمباهاة وحب الظهور .

وقد تعلق الناس منذ القديم بأخلاق الرسول وخصاله الطيبة وأشادوا بها . ووجدوا أنفسهم أمام بحر من الفضائل والمكرّمات لا يستطيعون لها حصراً . فهو لا يداني في حسبه ونسبه ، ولا يقارب في كرمه وشجاعته ، وهو كريم أيام الجذب ، ومأمن الخائف : (١)

(من الطويل)

بُذُولٌ فَلَا جَدْبَ إِذَا بَخُلَ الْحَيَا مَلَأْدٌ فَلَا خَوْفَ إِذَا صَمَمَ الْغَضَبُ (٢)

وهو غياث اليتامى ومعيّل المساكين : (٣)

(من الطويل)

ثَمَالُ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ لَمْ يَزَلْ لَهُمْ عِنْدَهُ ظِلٌّ وَرِيفٌ وَغَيْثٌ (٤)

وقد يربط الشاعر بين خصلتي الحلم والجود : (٥)

حَلِيمٌ إِذَا طَاشَتْ يَدُ الطَّوْدِ خِفَّةً جَوَادٌ إِذَا ضَنْتَ يَدُ الْمُزْنِ بِالسَّحْرِ (٦)
حَيِيٌّ مِنَ السُّوَالِ مِنْهُمْ لُ النَّدَى عَفُوٌّ عَنِ الْجَهَالِ مُتَّصِلُ الْمَفْـحِ

(١) أبو زيد الفازازي ، ديوان الوسائل المتقبلة : ١٠ وانظر أيضا : ٢٦

(٢) الحيا : المطر .

(٣) أبو زيد الفازازي ، ديوان الوسائل المتقبلة : ٢٠

(٤) الثمال : الغياث الذي يقوم بأمرهم ، الوريف : المبهج ، الغيث : كثير

الماء والمطر . وينظر الشاعر في بيته إلى قول أبي طالب في مدح النبي :

وَأَبْيَضُ يَسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثَمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

م - الفازازي : ديوان الوسائل المتقبلة : ٣٠ - ٣١

٦- طاشت : خفت ، الطود : الجبل ، والمراد هنا الرجل الثابت في الحلم ،

والمزن : السحاب . و سفح الدمع : سفكه وأراقه .

فالشاعر يعدّد مجموعة من الصفات المستحبة في النبيّ كالطم والجود والحياء ، والعفو عند المقدرة ، وهي صفات اعتدنا أن نرى مثلها في مدائح الشعراء العرب منذ القديم .

ولئن اعتاد الناس أن يلجؤوا إلى القويّ لاغاثتهم ، ما كان أحراهم أن يلجؤوا إلى الرسول ، فهو ذو منعة يلجأ إليه العباد جميعهم يوم القيامة : (١)

(من الطويل)

ذُرَاهُ مَنِيْعٌ فَالْعِبَادُ بِأَسْرِهِمْ بِأَفْيَائِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْذُ (٢)

ولم يفت شعراء المديح النبويّ أن يمدحوا رسول الله عليه السّلام بجمال الخلقة والهيئة . مقتدين بشاعره حسان بن ثابت في قوله : (٣)

(من الوافر)

وَأَحْسَنَ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي وَأَجْمَلَ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ
خُلِقْتَ مُبْرَأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ

ويكثر أبو زيد الفازازي شاعر المديح النبوي من مدحه عليه السّلام بالجمال ملحاً على المماثلة بين جماله وجمال البدر التّام ، وبين طيب رائحته وطيب المسك مشبّها هدايته بالشمس والإشراق والنّجم ، فيقول : (٤)

(من الطويل)

حَكَى الشَّمْسُ وَالْإِشْرَاقُ وَالنَّجْمُ فِي الْهُدَى وَبَدَّرَ الدُّحَى فِي الْحُسْنِ وَالْمِسْكَ فِي النَّفْحِ
كما مدحه بالعلم والحكمة ، كقوله : (٥)

(من الطويل)

خَزَانَةُ الْإِلْهَامِ وَمَعْدِنُ حِكْمَةٍ وَبَحْرُ عُلُومٍ بِالْهِدَايَةِ يَنْضَحُ (٦)

(١) الفازازي ، ديوان الوسائل المتقبلة : ٤٧ .

(٢) الذّرا : كل ما استتر به ، والكنف .

(٣) حسان بن ثابت ، ديوانه : ٤١/١ .

(٤) الفازازي ، ديوان الوسائل المتقبلة : ٣١ وانظر : ٢٥ - ٣٦

(٥) نفسه : ٣٦

(٦) المعدن : موضع الإقامة ، يُنْضَحُ : يرش/البحر بالهداية .

وأكد الشعراء كون صفات الرسول وأخلاقه هبة من الله خصه بها ،
فهي علوية المنبع ، لم يكتسبها من محيطه ، لذلك فهذه الفضائل تميّز
الرسول من غيره من البشر: (١)

(من الطويل)

خُلِقَ عُلُوبَةُ الْبَاسِ وَالنَّدَى فَمَا شَبَّ إِلَّا وَهُوَ يُشْدِي وَيُصْرِخُ (٢)

ومن الصفات التي مدحوا بها الرسول المجد والرفعة ، فهو ذو مجد
عال لا يرقى إليه أحد من البشر: (٣)

(من الطويل)

ذَرَى مَجْدِهِ فَاتَتْ ذَرَى النَّاسِ كُلِّهِمْ كَأَنَّ خُطَاهُمْ عَنْ مَدَاهُ تَوَخَّذُ (٤)

ويلخص الشاعر مجموعة من خصاله في بيت واحد فيقول: (٥)

(من الطويل)

شَمَائِلُهُ مُذْ كَانَ حُكْمَ بِلَا هَوَى وَفَهُمْ بِلَا وَهْمٍ وَنُطْقُ بِلَا فُحْشٍ (٦)

أرأيت عظمة هذه الخلال وروعتها ؟ لقد استطاع الشاعر أن يلخصها

في بيت واحد ، دون ارتباك ، أو إبهام ، بل جاء البيت واضحا كلّ الوضوح .

كانت تلك مجموعة المعاني التقليدية التي مدح بها شعراء المديح

النبي صلى الله عليه وسلم وهي معان ألفنا مثلها في مدائح الشعراء للرؤساء

والعظماء من الناس .

إلا أنّ ما يميز هذه المعاني في المديح صفة الإطلاق ، لأنّ الممدوح ليس

كسائر البشر ، بل هو خيرهم ونبيّهم ، فلا عجب - والحال هذه - أن يكون مدحه

مختلفا عن مدح غيره من البشر .

(١) المصدر السابق : ٣٨

(٢) الخلائق : الطّباع ، البأس : الحرب - النّدى : الجود ، يسدي : يعطي ،
يُصْرِخُ ، يغيث .

(٣) أبو زيد الغازي ، ديوان الوسائل المتقبّلة : ٤٨

(٤) المدى : الغاية ، تَوَخَّذُ : تربط وتمنع .

(٥) المصدر السابق : ٦٧

(٦) الوهم : الغلط .

المعاني الدينيّة :

حاول شعراء المديح النبوي أن يحلوا شخصية النبي الكريم في قصائدهم ويبرزوا جوانبها العظيمة ، وكانوا في قصائدهم تلك يلجؤون إلى القرآن ، وكتب السيرة محاولين تمثّل هذه الشخصية ومميزاتها . فكانت أفكارهم ومعانيهم تتكرّر بين شاعر وآخر ، ولذلك قلّ الإبداع الشعري عند هؤلاء الشعراء ، وقد نبه على هذا الشيخ محمد النيفر فقال : " ولهذا كان الشعر في الرّبانيّات والنّبويّات ، قليل الإجادة في الغالب ولا يحذق فيه إلاّ الفحول ، لأنّ معانيها متداولة بين الجمهور ، فتصير مبتذلة لذلك " (١) .

وقد مدح الشعراء الموحّدون النبيّ بمجموعة من المعاني والقيم التي استمدّوها من تعاليم الدين الإسلاميّ السّماحة ، وأضافوا إليها كثيرا من نفوسهم ومشاعرهم المتأجّجة بحبّ عظيم صادق لشخص الممدوح .

ومن المعاني التي تناولها الشعراء في مدائحهم النّبويّة ، الحديث عن الحقيقة المحمّديّة التي تقول : " إنّ محمّداً ليس بشرا كبقية النّاس ، ولكنّه جزء من الذات الإلهيّة كان قبل خلق آدم . يسبح في عالم الملكوت ، فلمّا خلق آدم من الطّين حلّت فيه تلك الحقيقة المحمّديّة ، وظلّت تلك الحقيقة تنتقل من نبيّ إلى نبيّ إلى أن ظهرت في خاتم النبيّين محمّد " (٢) .

لقد أكثر الشعراء من تأكيد قدم الحقيقة المحمّديّة ، كقول ميمون ابن خبّازة في قصيدته اليائيّة : (٣)

(من الطويل)

رَسُولُ بَرَاهُ اللَّهِ مِنْ صَفْوِ نُورِهِ وَالْبَسُّ بُزْدًا مِنَ النُّورِ ضَافِيَا
وَمَازَالَ ذَاكَ النُّورِ مِنْ عَهْدِ آدَمَ يَنْبِزُ بِهِ اللَّهُ الْعُصُورَ الْخَوَالِيَا

(١) محمّد النيفر ، عنوان الأريب : ١ / ١٥

(٢) محمود سالم محمّد ، المدائح النّبويّة في العصر المملوكي : ٣٢٤

(٣) المقرئ : أزهار الرّياض : ٢ / ٣٨٤

شَوَى فِي ظُهُورِ الطَّيِّبِينَ يَصُونُهُ وَدِيعَةَ سِرِّ صَارَ بِالْبَعْثِ فَاشِيَا
وَحَصَّ بَطُونِ الطَّيِّبَاتِ بِحَمَلِنِهِ لِيَحْمِلْنَ فُرْعًا بِالسِّيَادَةِ زَاكِيَا

فالشاعر في أبياته يؤكد قدم الحقيقة المحمدية ، ويلائم بين هذه القيمة وقيمة النسب عند العرب .

ويقول أبو زيد الفازاني مؤكدا الفكرة نفسها : (١)

(من الطويل)

زَكَا وَهُوَ نُورٌ فِي سُلَالَةِ آدَمِ فَقَدْ طَابَ كُلُّ جِسْمِهِ وَالْغَرَائِزُ

ويلج الفازاني في مدائحه على بيان مكانة النبي بين الأنبياء ، فهو خطيبهم يوم القيامة ، وجاءت رسالته لتنسخ الرسائل التي سبقتها : (٢)

(من الطويل)

خُطِيبُ لِرُسُلِ اللَّهِ فِي الْحَشْرِ سَيِّدٌ تَتِيهِ بِهِ الدُّنْيَا وَآخِرَى وَبَرَزْخُ (٣)
خِتَامُ نِظَامٍ لَأَنْبَوُءَ بَعْدَهُ بِشِرْعَتِهِ كُلُّ الشَّرَائِعِ تُنْسَخُ (٤)

فالشاعر من خلال وصفه للرسول الكريم يعتبر عن نفس ملأى بنشوة الإجلال والإكبار لشخص النبي ، وعن عاطفة دينية دفاقة صادقة ، لازيف فيها ولا تعمّل .

(١) الفازاني : ديوان الوسائل المتقبلة : ٥٧ ، وانظر ٦٤ - ١٢٠ .

(٢) نفسه : ٣٧ - وانظر : ٤ - ١٥ - ١٨ - ١٤٦ .

(٣) تتيه : تفتخر : البرزخ : الحاجز ، وسمي به مابعد الموت ، لأنه فاصل بين الدنيا والآخرة .

(٤) النسخ : إبطال الشيء وإقامة غيره مكانه .

وكثيراً ما تحدّث الشعراء عن مرتبة النبيّ وعلوّ مكانته : (١)

(من الوافر)

فَإِنَّ مُحَمَّدًا أَعْلَى الْبَرَائِيَا مُحَلًّا فِي السَّيَادَةِ وَالْعَلَاءِ
فُحِّدَتْ عَنْ دَلَائِلِهِ فُوهِيهَا شِفَاءً لِلنُّهَى مِنْ كُلِّ دَاءٍ
وَلَسْتُ بِنَاقِلٍ لِلْعُشْرِ مِنْهَا وَهَلْ تَفْنَى الزَّوَاخِرُ بِالدَّلَاءِ
فَقُلْ لِلسَّامِعِينَ قِفُوا فَهَذَا مُحَالٌ لَيْسَ يُخْصَرُ بِانْتِهَاءِ

فالشاعر كغيره من شعراء المديح النبويّ يقرّر بعجزه عن حصر فضائل النبيّ وخصائله . وكيف يمكنه ذلك وماثره تفوق الوصف مهما كانت براعة الشعراء ؟

والى جانب هذا عرّج الشعراء الموحّدون على باب التّوسّل إلى الله برسوله الكريم ، وطلب شفاعته يوم القيامة ، فالشاعر يرجو بحبّ النبيّ الفوز يوم القيامة : (٢)

(من الطويل)

وَسِيلَتُنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُبُّهُ وَلَوْ لَمْ نَنْلُ حُظًّا بِحَجٍّ وَلَا غَزْوٍ

وربما أكثر الشعراء في مدائحهم من التّشوّق إلى المراحع النبويّة ، وهم بهذا يعبّرون عن حبّهم لساكن هذه المراحع : (٣)

(من الطويل)

عَشَوْتُ لِبَرْقٍ لَأُحِ مِنْ دِيَارِهِ وَمَنْ فَقَدَ الْمَحْبُوبَ حَنَّ إِلَى الرَّبْعِ (٤)
عَسَى دَارُهُ تَدْنُو وَلَوْ لَمَحْ مُقْلَةً وَقَدْ يَدْرِكُ الْمَأْمُولُ وَالرَّوْحُ فِي النَّزْعِ (٥)

انظر إلى فيضان العاطفة عند هذا الشاعر وهو يتشوّق لرؤية ديار النبيّ ولو لحظة ، ويؤمل نفسه باللقاء قبل حلول الأجل .

-
- (١) المقري ، نفح الطيب : ٥٠٩/ ٧ .
(٢) أبو زيد الغازي : ديوان الوسائل المتقبّلة : ١٤١ وانظر : ٥١ - ٦٨ - ١١٧ .
(٣) نفسه : ٩٧ ، وانظر ١١١ - ١٥١ .
(٤) عشا : نظر ببصر ضعيف .
(٥) النّزع : سياق الموت .

وَمِمَّا يُتَعَلَّقُ بِالْحَنِينِ إِلَى الْمَرَابِعِ النَّبَوِيَّةِ وَالشَّوْقِ إِلَيْهَا ، تعظيم آثار الرسول كالآدوات التي كان يستعملها في حياته من آنية ولباس وغير ذلك ... وأهم الآثار التي لهج الشعراء بذكرها هو النعل النبوي ، إذ تغنّى الشعراء بهذه النعل أو مثالها ، وأدرجوا ذكرها في المدائح النبوية ، وكانت أشعارهم في النعل تظهر مشاعرهم الدينية ومحبتهم الكبيرة للنبي . " وقد انتشر الحديث شعرا عن النعل النبوي الشريف في المغرب العربي خاصة واتخذ الشعراء وسيلة لإظهار عواطفهم الدينية وتوطئة لمدح صاحب النعل" (١) ومن يطالع كتاب أزهار الرياض للمقري يقف على عدد جم من القصائد في هذا الغرض (٢) .

وقد تردّد الحديث عن نعل النبي في ديوان أبي زيد الفازاني ، وهو في معظم قصائده التي يذكر النعل فيها يبدي شوقه إلى تقبيل هذه النعل أو موطئها ، كقوله : (٣)

(من الطويل)

لَثْمُنَا بِأَفْوَاهِ الْخَوَاطِرِ تَرْبُهُ فَيَا لَيْتَنَا مِمَّنْ مُقْبِلُهُ النَّعْلُ

فالشاعر لم يحظ بتقبيل نعل الرسول حقيقة ، فيستعيز عن ذلك بتقبيل تراب المدينة المنورة بخاطره ، ويتمنى لو كان ممن يحظون بتقبيل نعل الرسول حقيقة .

كما أثنى الشعراء على خصال الرسول ومدحوه بكثير من المعاني التقليدية والدينية . فقد تناولوا كذلك الحديث عن سيرته العطرة ، مفضلين فيها بدءاً من يوم مولده الشريف ، بل إن بعضهم بدأ بالحديث عن إرهابات النبوة . كما فعل ابن خبّازة الذي نظم قصيدة طويلة ذكر فيها سيرة الرسول منذ بداية الخلق حتى البعثة ، وأفاض فيها بذكر المعجزات ،

(١) محمود سالم محمد ، المدائح النبوية في العصر المملوكي : ٣٤٥ .

(٢) المقري ، أزهار الرياض : ٣ / ٢٢٤ وما بعد .

(٣) الفازاني ، ديوان الوسائل المتقبلة : ١٢٢ ، وانظر ١٢٦ - ١٣٢ .

والروايات الغيبية الثابتة وغير الثابتة ، مقترباً في ذلك من القصيدة الشُّقْراطِسيَّة ، غير أنَّ ابن خبَّازة يتميز من الشُّقْراطِسيِّ بمقدرته الشعرية التي أنقذته من الضعف ، كما جاءت قصيدته جزلة الأسلوب بعيدة عن الصنعة التي وحدناها تثقل الشُّقْراطِسيَّة (١) ، كما أنَّه ليس فيها تقسيمات المدحمة النبوية عند المشاركة والمغاربة إذ لم يتوسَّل الشاعر فيها بالنبي ، ولم يطلب شيئاً لنفسه أو لقومه ، ولم يمدح الآل والمحاباة ، كما أنَّه خالف الشعراء المغاربة الذين كانوا يجعلون مدائحهم النبوية على شكل رسالة يتخلَّصون فيها إلى ذكر السلطان أو الحاكم ومدحه (٢) ، بل جاءت قصيدته عبارة عن ذكر لمناقب الرسول ومآثره ومعجزاته بأسلوب يشيع فيه الحوار القصصي ، والنفس الملحمي .

ففي مجال الحديث عن إرهابات النبوة يقول ابن خبَّازة متحدثاً عن والد النبي عبد الله واصفاً عفته : (٣)

(من الطويل)

وَعَفَّ أَبُوهُ إِذْ دُعِيَ لِنَفْسِهَا فَتَاءَ رَأَتْ نُورَ النُّبُوَّةِ غَادِيَا
مَضَى وَلِذَاكَ النُّورِ بَيْنَ جَبِينِهِ شُعَاعُ سَنَى يُعْشِي الْعُيُونَ الرُّوَانِيَا
فَاعْرَضَ عَنْهَا ثُمَّ سَارَ لِشَأْنِهِ وَكَانَ لَهُ الرَّحْمَنُ بِالْحِفْظِ وَاقِيَا

(١) حفلت الشُّقْراطِسيَّة بضروب من الصنعة اللفظية كالجناس والطباق وغيرها ،

(من البسيط)

فَلَا يَكَادُ بَيْتٌ يَخْلُو مِنْهَا كَقَوْلِهِ : هُدَى بِأَحْمَدَ مَنْنَا أَعْجَدَ السُّبُلِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ مِنَّا بَاعِثِ الرُّسُلِ وَأَكْرَمَ الْخَلْقِ مِنْ حَافٍ وَمُنْتَعِلِ
خَيْرُ الْبَرِيَّةِ مِنْ بَدْوٍ وَمِنْ حَضَرٍ عَمَّا رَأَوْا وَرَوُّوا فِي الْأَعْمُرِ الْأُولِ
أَخْبَارُ أَهْلِ الْكُتُبِ قَدْ وَرَدَتْ

انظر العبدري ، الرحلة : ٦٣ - ٧٢

(٢) انظر نجاة المريني ، شعر عبد العزيز الفشتالي : ١٤٨ - ١٥١ .

(٣) المقرئ : أزهار الرياض : ٣٦٨ / ٢ .

وَعَادَ وَقَدْ أَدَّى أَمَانَةَ رَبِّهِ
فَمَرَّ عَلَى حَيِّ الْفَتَاةِ فَنُودِيَتْ
فَقَالَتْ لَهُمْ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ مَرَّةً
أَرَدْتُ بِأَنْ أُعْطَى سَنَاهُ وَقَدْ قَضَى
لَأَمَّتِهِ وَعُدَّاءَ مِنْ اللَّهِ مَاضِيَا
هَلُمَّيْ تَصَادِقْ لَدَعَةَ الْحَبِّ رَاقِيَا
لَأْمُرِ عَصِيْنَا فِي هَوَاهُ النَّوَاهِيَا
لِغَيْرِي بِهِ مَنْ كَانَ بِالْحَقِّ مَاضِيَا

ثم ينظم الشاعر معجزات المولد ، فيذكر الرؤيا التي كانت تراها أمه وهي حامل به ، كما يذكر إحاطة الملائكة به يوم مولده :

رَأَتْ فِي مُعَالِيهِ مَرَائِي جَمَّةً
وَحَقَّتْ بِهِ الْأَمْلَاقُ فِي حِينٍ وَضَعِهِ
وَنَادَى مُنَادِي الْعِزِّ طُوفُوا بِأَحْمَدِ
فَصَدَقَتْ الْأَشَارُ مِنْهُ الْمَرَائِيَا
بِلَيْلَةٍ إِفْضَالٍ تَزِينُ اللَّيَالِيَا
جِهَاتِ الدُّنَا طُرّاً وَعُمُومِ النَّوَاجِيَا

ويستمر الشاعر في عرض معجزات مولد النبي عليه السلام فيذكر ارتجاج إيوان كسرى وخمود نيران فارس التي لم تطفأ منذ ألف عام :

وَإِيْوَانُ كِسْرَى ارْتَجَّ لَيْلَةً وَضَعِهِ
وَأُخْمِدَتْ النَّيْرَانُ نِيرَانُ فَارِسِ
وَبَاتَ عَلَيْهِ قَصْرُهُ مُتَدَاعِيَا
وَكَانَتْ تَلْظِي أَلْفَ عَامٍ تَوَالِيَا

وقد عُدَّ الشعراء معجزات الرسول عليه السلام ، وكان الاهتمام بمعجزة الإسراء والمعراج كبيراً عند شعراء المديح النبوي ، فقد أكثروا من ذكرها في مدائحهم ، حتى لاتكاد تخلو قصيدة نبوية من ذكرها ، فهذا أبو زيد الغازي يقول : (١)

(من الطويل)

تَرَقَّى إِلَى السَّبْعِ الطَّبَاقِ بِجِسْمِهِ
تَرَقَّى مُحَبُّوبٍ دَعَاهُ حَبِيبُهُ
وَقَدْ أَشْرَقَتْ أُمْلَاكُهَا وَتَجَلَّتْ
فُطَارَتْ بِهِ أَشْوَاقُهُ وَتَعَلَّتْ

(١) أبو زيد الغازي ، ديوان الوسائل المتقبلة : ١٥ ، وانظر : ٢٨ -

ويقول ابن خبّازة (١)

(من الطويل)

وَأُسْرَى بِهِ لَيْلًا إِلَى حَضْرَةِ الْعُلَا
وَسَارَ عَلَى ظَهْرِ الْبُرَاقِ كَرَامَةً
فَمَا زَالَ فِيهَا لِلْحَبِيبِ مُنَاجِيَا
لَهُ رَاكِبًا إِذْ سَارَ جَبْرِيلُ مَاشِيَا

ولا يخفى استناد هؤلاء الشعراء في وصفهم لهذه المعجزات على كتب

السيرة النبوية مما جعل أوصافهم تلك تجيء متشابهة الصور والأساليب .

ومن المعجزات النبوية التي ذكرها الشعراء معجزة نطق الحيوان والجماد : (٢)

وَأَيَّتُهُ فِي خِيَمَتِي أُمَّ مَعْبَسِدٍ
وَفِي الذَّئْبِ إِذْ أَقْعَى وَأَخْبَرَ مُفْصَحًا
وَفِي الشَّاقِ إِذْ لَمْ تَبْقَ تَصْحَبُ رَاعِيَا
عَنِ الْمُصْطَفَى وَالذَّئْبُ مَا زَالَ عَاوِيَا
وَقَالَ لَهُ : لَبِيكَ لَبِيكَ دَاعِيَا
وَفِي الضَّبِّ لَمَّا أَنْ دَعَاهُ أَجَابَهُ

ومعجزة حنين الجذع لما فارقه الرسول :

وَأَيَّتُهُ إِذْ فَارَقَ الْجَذْعُ فَضْلُهُ
فَحَنَّ إِلَيْهِ الْجَذْعُ فِي الْحَالِ شَاكِيَا

ويقول الفارازي : (٣)

(من الطويل)

جُمَادُ الْحَصَى، وَالنَّبْتُ مِنْ مُعْجَزَاتِهِ
وَحُسْبُكَ مِنْ جَذْعٍ يَحْنُ وَيَنْشَجُ

ويذكر ابن خبّازة مجموعة كبيرة من المعجزات ، وكأنه كان يعتمد

استقصاءها . فيذكر من معجزاته : الإخبار بالغيب (٤) ، وتفجّر الماء، وتكثير

الطعام (٥) ، وشقّ الصدر (٦) ، إلى غير ذلك من المعجزات ، فاستحالت القصيدة

إلى جمع للمعجزات والمناقب، ونستطيع القول: إنّ الحديث عن معجزات النبي عليه السّلام

قد طغت عليها سمة المبالغة والفلو مما يجعلنا نؤيد ما قاله الدكتور زكي

مبارك " بأنّ تلك المعجزات مسائل يحتاج عرضها إلى مخاطرة ، وهي مخشّية الضّر

قبل أن تكون مرجّوة النفع " (٧)

(١) المقرّي ، أزهار الرّياض : ٢ / ٣٨٩ .

(٢) نفسه : ٢ / ٣٩٠ .

(٣) الفارازي ، ديوان الوسائل المتقبّلة : ٢٧ .

(٤) المقرّي : أزهار الرّياض : ٢ / ٣٩١ .

(٥) نفسه : ٢ / ٣٩٠ .

(٦) نفسه : ٢ / ٣٨٨ .

(٧) زكي مبارك : المدائح النبوية في الأدب العربي : ٥٧ .

ولاشك أن الشعراء الموحدين يؤكدون في تناولهم للسيرة النبوية في قصائد المديح النبوي ما عرف به المغاربة من تمسكهم " بالإسلام وتشبثهم به، وتعلقهم بالرسول عليه السلام ، وتفانيهم في حبه ، وحب آل بيته ، كل ذلك شحذ عاطفة العلماء والأدباء ، وأمدّها بشحنات وطاقات لم تلبث أن فجّرت إبداعاً غزيراً ومتنوعاً لا حدود لأبعاده. وآفاقه ، حيث نجدهم يتبعوا مراحل السيرة النبوية الزاخرة ، بدءاً من الحديث عن نسب الرسول ومولده ، إلى الحديث عن وفاته وآل بيته ، ملحين داخل هذا الإطار على شمائله ومعجزاته ومواقفه وغزواته " (١)

ويمكننا القول : إن المديح النبوي هو توظيف بارع لشعر المسدح العربي ، ويلاحظ أن عصر ازدهاره هو عصر الحروب الصليبية في الشرق الإسلامي ، ثم حقبة انتهاء الحكم الإسلامي في الأندلس ، وتميّزت هذه المدائح بصدق العاطفة الدينية ، وحرارة الشعور ، وذلك بسبب مكانة النبي المقدسة عند المسلمين ، وحبهم له .

(١) عباس الجراري ، الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياها : ١ / ١٤٧ .

٣- التشوق إلى المقدّسات

ومن الموضوعات التي تتّصل بالمديح النبوي ، حديث الشوق إلى أرض الحجاز ، والمرايع النبويّة ، وقد كان بعض الشعراء يتطرّقون إلى هذا الموضوع في أثناء قصيدة المديح النبوي ، وبعضهم الآخر كانوا يفرّدون له قصائد خاصة به .

وتعود بدايات هذا الموضوع إلى أيام الفتوح الإسلاميّة ، إذ وجدنا في شعر الفتوح مجموعة من القصائد والمقطوعات التي نظمها الشعراء من المجاهدين الذين التحقوا بجيوش الفتح الإسلاميّة التي توغلت بعيداً في بلاد ماوراء النهر وغيرها ، وجاءت قصائدهم طافحة بمشاعر الشوق والحنين إلى المرايع التي درجوا فيها بالحجاز و الجزيرة العربيّة .

ومع مرور الوقت وجدنا بعض الشعراء يكثر من هذه القصائد بسبب اضطرابهم إلى الابتعاد عن نجد وربوعها ، ومنهم الشاعر " الأبيوردي " (ت ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م) الذي عاش بعيداً عن الجزيرة العربيّة ، ولكنه كان دائم الشوق إلى مرايع الحجاز فأفرد قسماً من ديوانه سمّاه " النجديات " (١) تأكيداً على عروبتة (٢) .

أمّا الشاعر الذي اشتهر بحنينه إلى الحجاز عامّة ، وللمدينة المنورة خاصّة فهو " الشريف الرضي " (ت ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م) الذي كثرت في ديوانه قصائد الحنين إلى مرايع أجداده الهاشميين ، واختلط هذا الحنين بمشاعر الشوق إلى المقدّسات التي تضمّ رفات النبي عليه السلام ورفات أجداده من آل عليّ رضي الله عنه ، وشاب هذا الحنين طموح سياسي بوصول آل البيت إلى حقهم في الخلافة ومن هنا ذكر الأماكن المقدّسة في شعره (٣) ، وشعر المتشيعين بعده (٤) .

-
- (١) تقع النجديات في الجزء الثاني من ديوان الأبيوردي بدءاً من الصفحة : ١٦٧ .
 (٢) انظر محمود سالم محمد المدائح النبويّة في العصر المملوكي : ٢٠٣ .
 (٣) انظر ديوانه : ٩١/١ و ٥٩٣/٢ .
 (٤) محمود سالم محمّد ، المدائح النبويّة : ٢٠٤ .

كما تعلق الشعراء المتصوفة بهذه الأماكن ، لما تعنيه عندهم ، فهي موطن الرسالة والوحي ، أو اتصال الأرض بالسما . ذلك الاتصال الذي يسعى إليه بكل طاقاتهم ، فكثرت عندهم ذكر الأماكن الحجازية .

وقد أكثر الشعراء المغاربة من الشوق إلى المرباع الحجازية ، وذلك لما تنطوي عليه نفسية المواطن المغربي من تعلق بالدين الإسلامي ، وبنبيّه محمّد عليه السلام من جهة ، ولبعد المسافة التي تفصل أقطار المغرب عن الحجاز وللمشقة والعنت اللذين كان يلقيهما المسافر من جهة أخرى ، إضافة إلى الأخطار التي كانت تحيق بالطريق برّا وبحرا . لذلك كان الوصول إلى هذه البقاع المقدسة أقصى ما يطمناه المواطن المغربي ، ولكن الموانع كانت تحول بين واحد منهم وبين أمنيته ، ولهذا وجدنا الشعراء المغاربة في هذا العهد يكثرون من التآلم لتعذر الوصول إلى زيارة النبي صلى الله عليه وسلم ، كقول أبي بكر السّلوِي : (١)

(من الرمل)

يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكُوِي رَجُـلٍ	عَذَرَ الدَّهْرَ عَلَيْهِ السُّبُلَا
لَيْسَ بِي أَنْ أَفْقِدَ الْأَهْلَ وَلَا	أَفْقِدَ الْمَالَ مَعًا وَالْخَـوْلَا (٢)
إِنَّمَا بِي حِينَ يَدْنُو أَجْلِي	لَسْتُ أَلْقَاكَ، وَأَلْقَى الْأَجَلَا

فالشاعر يعتذر إلى الرسول عن عدم تمكنه من الزيارة ، وهو لا يكتـرث لفقد المال والأهل ، ولكنه يخشى أن يدنو أجله قبل أن يحقق أمنيته .

ويعتبر أبو زيد الفازاني عن ألمه وشجوه لتعذر رحيله برفقة الركب الميّم شطر البقاع المقدسة ، ويلجأ إلى نوع من تغزية النفس ، فهو لئن لم يرحل بجسمه ، فإنه يرحل بوجدانه وفكره : (٣)

(١) صفوان بن إدريس ، زاد المسافر : ١٥٩ .

(٢) الخول : ما أعطى الله العبد من نعم .

(٣) أبو زيد الفازاني ، ديوان الوسائل المتقبلة : ٧١ .

(من الطويل)

شَجَانِي قُصُودِي دُونَ زُؤَارِ قَبْـسِـرِهِ وَكَمْ قَاعِدٍ يَدْنُو إِلَيْهِ وَلَمْ يَمْشِ
شَكُوتُ النَّوَى، وَالْحَالُ عَوْنٌ عَلَى النَّوَى وَهَلْ طَارَ مَقْصُوصُ الْجَنَاحَيْنِ مِنْ عَشٍّ

ويكثر الشعراء من تصوير حنينهم الجارف لرؤية الأماكن المقدسة ، ويصورون مقدار الحرقه والألم عندما يرون المسافرين قد زَمُوا الإبل ، وتجهَّـزوا للرحيل : (١)

يَا حُدَاةَ الْعِيسِ مَهْلًا فَعَسَى يَبْلُغُ الصَّبَّ لَدَيْكُمْ أَمَلًا
لَا خَافَ الدَّهْرَ إِلَّا حَادِيكَا ظَلْتُ أَخْشَاهُ وَأَخْشَى الْجَمَلَا (٢)
أَوْدَعُونِي حُرْقًا إِذْ وَدَّعُـوَا غَادَرُوا الْقُلُوبَ بِهَا مُشْتَعَلَا

أرأيت مقدار الهلع الذي أصاب الشاعر عندما علم بأن الحداة بسدوا بالحداء ، فهو يستوقفهم عسى أن يبردوا حرقه نفسه ، ولكنهم لم يأبهوا له بل تابعوا طريقهم مخلفين وراءهم صبًا يذيبه الشوق ويضنيه ، وموقف الشاعر هذا يذكرنا بمواقف الشعراء الجاهليين الذين كانوا يصفون لنا رحلة الطعان (٤) .

ويضيق الشاعر ذرعًا بحاله ، فقد رحل قلبه مع الركب المشرق في حين بقي جسمه في بلده ، فكيف السبيل إلى لمّ الشمل ؟ :

آه مِنْ جِسْمٍ غَدَا مُسْتَوْطِنَا وَفُؤَادٍ قَدْ غَدَا مُرْتَحِلَا
شُعْبَةً شَرْقًا وَأُخْرَى مُغْرِبًا مَنْ لِهَذَيْنِ بَيَانٍ يَشْتَمِلَا

(١) صفوان بن إدريس ، زاد المسافرين : ١٥٨ .

(٢) يريد بهذا الحادي : الموت .

(٣) انظر : وهب رومية . الرحلة في القصيدة الجاهلية : ٢٢ وما بعد .

ثمَّ يتَّجه الشاعر إلى زوّار قبر الرّسول بحديث فيه الكثير من الوجدانيّة : (١)

(من الرمل)

يَارِجَالاً بَيْنَ أَعْلَامٍ مِنِّي	الْتُمُوا الْأَسْتَارَ وَاسْعُوا رَمْلًا
وَقِفُوا فِي عِرْفَاتٍ وَقَفَاةً	تَمُحْ عَنْ ذِي زُلَّةٍ مَاعِمٍ لَّا
وَإِذَا زُرْتُمْ وَلَا حَتَّ يَثْرِبُ	فَالْحُلُوا بِالنُّورِ مِنْهَا الْمُقْلَا
تُرْبَةً لِلْوَحْيِ فِيهَا أَثَرُ	عُودِرِ الْبَذْرِ بِهَا قَدْ أَفْلَا

فلئن لم يستطع الشاعر الالتحاق بهذا الركب الحجازي فإنه بهذا الخطاب والتّعداد لمناسك الحجّ من لثم لأستار الكعبة ، وسعي بين الصفا والمروة ، ووقوف بعرفة وزيارة لقبر الرّسول بالمدينة المنورة ، إنّما يروي العطش في نفسه الظمأى لزيارة تلك المرافق من خلال هذا التّعداد لأسماء الأماكن الحجازيّة ، وخاصة المدينة المنورة التي يكثر الشعراء من الشّوق إليها ، كيف لا ؟ وتربتها تضمّ جسد أشرف الخلق صلّى الله عليه وسلّم ، ويقول أبو الخطّاب بن دحيّة : (٢)

(من الكامل)

ذِكْرِي لِطَيْبَةِ طَيِّبِ النَّفَحَاتِ	وَالشُّوقُ مِنِّي دَائِمُ اللَّفَحَاتِ
أَهْدِي لَهَا مِنِّي تَحِيَّةَ مَعْرَمٍ	تُعْنِي عَنِ التَّقْبِيلِ وَالرَّشَفَاتِ
لِمُعَاهِدٍ عُهُدَتْ وَمِنْ سَكَانِهَا	جَبْرِيلُ يَتْلُو مُعْجَزَ السُّورَاتِ (٣)
فَلَبْنُ كَحَلَّتْ بِكَحَلِ تَرْبَةِ طَيْبَةِ	طَرْفِي وَفُزْتُ بِرُؤْيَا الْحُجَرَاتِ
لَا تُغْفِرَنَّ مَضُونُ شَيْبِي عِنْدَهَا	مَاعِشْتُ فِي الْعَدَوَاتِ وَالرَّوَحَاتِ
وَالْوُدُ بِالْقَبْرِ الْمُقَدَّسِ تُرْبُهُ	وَأَخْصُ مَنْ يَحْوِيهِ بِالْمَلَاوَاتِ

(١) صفوان بن إدريس ، زاد المسافر : ١٥٨ .

(٢) ابن عبد الملك ، الذّيل والتّكملة : ٨ / ٢١٩ - ٢٢٠ .

(٣) رواية صدر البيت في المصدر السابق " لمعاهد عهدت من سكانها " وهو

مكسور ، وصحّحته حسب اجتهادي .

فالشاعر يذكر المدينة المنورة بكثير من الشوق ، وهو يهديها عن بعد تحية لعلها تطفئ ما يكتنه من شوق ومحبة لتلك المرافق التي شهدت مهبط الوحي ، وبزوغ الرسالة ، وهو يقسم بأنه إذا طفر بزيارة المدينة فلسوف يقتل ترايبها ، ويعفر شبيه فيه ، وسوف يلجأ إلى قبر النبي الكريم ، ويكثر من الصلاة عليه .

أما أبو زيد الغزازي فإنه يتحدث بلسان جميع المؤمنين ، ويعبر عن خفايا نفوسهم ، فيظهر لهفتهم لرؤية المقدسات ، ومدى تعلقهم بحب رسول الله ، يقول : (١)

(من الطويل)

هَفَّتْ نَحْوَهُ أَرْوَاحُنَا وَقُلُوبُنَا	فَنَحْنُ عَلَى آثَارِهِ نَتَبَرَّأُوهُ
هُوَ أَيْ مَعَ الْأَعْذَارِ لَثْمُ تَرَابِهِ	وَمِنْ أَيْنَ لِي ذَاكَ التُّرَابُ الْمُفَوُّهُ (٣)
هَلُمُّوا فَوَادًّا يُخْسِنُ الصَّبْرَ دُونَهُ	فَإِنَّ فَوَادِي مَدْنَفٍ لَيْسَ يَنْقُصُهُ (٤)
هَجَرْتُ لَدِيدَ الْأُنْسِ فِي الْعَيْشِ دُونَهُ	وَحَزَنِي لِنَائِي عَنْهُ أَوْلَى وَأَشْبَهُ
هَمَّتْ أَدْمُعِي شَوْقًا وَفِي الصَّدْرِ لَوْعَةٌ	فَقَلْبِي مَكْلُومٌ وَجَفْنِي أَمْرُهُ (٥)
هَجِيرَةٌ نَائِي الدَّارِ عَنْهُ شَدِيدَةٌ	تَذُوبُ قُلُوبٍ فِي لَظَاهَا وَأَوْجُهُ
هَمَمْتُ بِأَعْمَالِ الْمُطَيِّبِ لِطَيِّبَتِهِ	وَلِلْحَالِ عُدْرٌ لَا يَزَالُ يَنْهَنِيهِ (٦)

فالشاعر يفصح في أبياته عن مشاعر المؤمنين عامة . فما من مؤمن إلا يهفو قلبه إلى زيارة الأماكن المقدسة ولثم ترايبها ، ولا يخلو عيشه بعيدا عن

(١) أبو زيد الغزازي ، ديوان الوسائل المتقبلة : ١٣٤ - ١٣٥ .

(٢) هفت : طربت وخفت .

(٣) المفوه : المطيب .

(٤) هلموا : أحضروا . مدنف : مريض ، ينقه : يصح .

(٥) همت : سالت ، المكْلوم : المجروح ، ومرهت عينه : خلت من الكحل ، أوفسدت

لتركه ، والنعت : أمره .

(٦) ينهه : يكف ويحجر .

مشوى رسول الله . ويستعمل الشاعر في أبياته ألفاظاً تدلّ على شدة الشوق " هُفَّتْ قلوبنا ، فؤادي مُدْنَفٌ ، همت أدمعي شوقاً ..)) وهذه الألفاظ ممّا كان يستخدمه شعراء الغزل ، ولولا البيت الأخير الذي أفصح فيه الشاعر عن رغبته في أن يجهز راحلته وينطلق إلى المدينة المنورة لما عرفنا هل القصيدة في الغزل ؟ أم الشوق إلى الأماكن المقدسة ؟

ومهما يكن من أمر، فإنّ التّشوّق إلى الأماكن المقدسة ، كان في أول الأمر حنيناً من أهل الحجاز الذين يفارقونه إليه ، ثم تطوّر ليصبح معبراً عن الشوق والحنين عند الذين لم يستطيعوا أداء فريضة الحجّ وزيارة تلك المعاهد الطاهرة ، واستقلّ بقصائد خاصّة ، اتّسمت بالعاطفة الدّينية الصادقة المعبرة عمّا يكنّه المؤمنون من حبّ لرسولهم الكريم .

٣ - الزُّهْدُ

الزُّهْدُ لغةً : هو الإعراض عن الشَّيْءِ احتقاراً له ، وشُرْعاً : أخذ قدر الضرورة من الحلال المتيقن الحلّ فهو أخَصُّ من الورع (١)

وقد ظهر موضوع الزُّهْدِ في الشعر العربيّ في صدر الإسلام (٢) فهو طور من أطوار شعر التديّن الذي ظهر في القرن الأوّل ، ثم تطوّر في القرن الثاني إلى شعر زهديّ موغل في الرُّوحانيّة أكثر من سابقه ، ويعتبر عن حياة رُوحية أعنف من تلك التي كانت في القرن الأوّل ، فظهر تيار زهديّ له ملامحه على يد مجموعة من الشعراء أمثال : صالح بن عبد القدّوس (ت : ١٦٧ هـ / ٧٨٣ م) ، ومحمود الوّراق (ت نحو ٢٢٥ هـ / ٨٤٠ م) وأبي العتاهية (ت ٢١٠ هـ / ٨٢٦ م) الذي يُعدُّ أبا الشعر الديني بحق .

وظهرت مدرسة للزُّهْدِ في المغرب تضارع المدرسة المشرقية كانت من أبرز أعلامها أبو عقّال غلّون بن الحسن بن غلّون (ت ٢٩١ هـ / ٩٠٤ م) وبكر ابن حمّاد التَّاهَرْتِي (ت ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م) . (٣)

استمرّ تيار الزُّهْدِ في المغرب في ازدهاره وحفلت كتب الأدب والتّراجم بأخبار كثير من الزُّهّاد والمُتصوِّفة . ونقف في عصر الموحّدين على عدد حمّ منهم طلقوا زخرف الدّنيا طلاقاً بائناً وانقطعوا إلى العبادة . والمتصفّح لكتاب " التَّشَوُّف " لابن الزّيّات (ت ٦٢٧ هـ / ١٢٣٠ م) تهوله هذه الكثرة المفرطة منهم . وكان فيهم شعراء عبّروا عن معتقداتهم وآرائهم في الحياة الدّنيا والآخرة ، فوصل إلينا كميّة لا بأس بها من الشعر الزّهدي تفاوتت نصوصه من حيث حودتها ، وإن كان أغلبها قليل الجودة لا طّراح معانيها بين الحمهور حسب رأي الشيخ محمّد النيفر (٤).

(١) التّهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون : ١ / ٦١٠

(٢) ذهب كارل نلينو إلى أنّ الزُّهْدَ كان موضوعاً من موضوعات الشعر الجاهليّ ، ورأى في أشعار عدي بن زيد العبادي دليلاً على ما رآه ، وقد فتّد الدكتور هذارة هذا الرّأي وبيّن أنّ ما رآه نلينو زهداً لا يعدو كونه حديثاً ساذجاً عن فكرة زوال النّاس وتغيّر الدّهر وهي فكرة موجودة عند غيره من شعراء الجاهليّة . انظر اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني : ٢٨٢ .

(٣) انظر ماكتبه الدكتور محمد مختار العبيدي عن هذه المدرسة الزّهديّة في أطروحته " الحركة الأدبيّة بإفريقية في عهد بني الأغلب : ٢٥١ - ٢٨٤ "

وقد ساعد على انتشار تيار الزهد في المغرب عوامل كثيرة ، ذكرنا بعضها عند الحديث عن ازدهار الشعر الديني ، ويمكن أن نضيف إليها — ازدهار العلوم الدينية كعلوم القرآن والحديث والفقه . ونشاط حركة الوعظ وانتشار حلقاتها في المساجد والزوايا .

وقد دعا الإسلام إلى الزهد بمعناه الإيجابي ، ورفض الزهد السلبي الذي لا يمد الحياة بما يمدّها بها الزهد الإيجابي ، وإلى التوفيق بين الحياة الدنيا والآخرة مع الالتزام بأوامر الله . وإذا استعرضنا بعض الآيات الكريمات التي تتحدث عن الدنيا والآخرة لانجدها أبدا تزهد الناس في الدنيا ، قال تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْضِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ وقال تعالى حاصراً على الأخذ بالدنيا والآخرة : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الْوَسْطَ الْآخِرَةَ ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ (٢) .

وقد جاءت آيات تتحدث عن الآخرة والغرض منها تنبيه البشرية إلى أمر مهم جداً هو ألا يغترون بالحياة الدنيا وينغمسوا فيها إلى حد أن ينسى الإنسان خالقه ويطغى ويتجبر ، من ذلك قوله تعالى ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٣)

فالزهد الذي دعا إليه الإسلام هو الزهد البناء الخصب المزهر الذي يقوم على التوفيق بين الدنيا والآخرة ، وللناس في رسول الله أسوة حسنة فقد تزوج، وغزا، وبَيَّن الحلال والحرام ، وأكل الطيبات ، كما أنه حارب الزهانية وحث الناس على أن يأكلوا من عمل أيديهم ولعل من خصائص الشريعة الإسلامية أنها توفق بين الروح والجسد ، فلا يطفئ أحدهما على الآخر ، بل تتوازن بين متطلباتهما موازنة حكيمة .

(١) سورة الأعراف : ٣١ - ٣٢

(٢) سورة القصص : ٧٧

(٣) سورة الأنعام : ٣٢

معاني الزهد :

إِنَّ إلقاء نظرة متفحّصة على ما وصل إلينا من شعر زهدي في عصر الموحّدين تمكّننا من الوقوف على أبرز عناصر الزهد ومعانيه ، وهي معانٍ لا تخالف ما اصطلح عليه الشعراء العرب الذين اشتهروا بهذا الفن الشعري ، فقد ضمّن الشعراء الموحّدون زهدياتهم مجموعة من المعاني كالتزهد في الدنيا ، والترغيب في الحنة ودعوة النفس إلى التحلي بمكارم الأخلاق ، وطاعة الله في كلّ ما أمر به ، وتجنّب معصيته ، والإكثار من ذكر الموت وهول القبر .

وهذه المعاني تعاورها الشعراء الزهاد في مختلف عصورهم وأماكنهم ، وهي في معظمها مستوحاة من القرآن الكريم الذي كان مرجعاً أساسياً لمعاني الزهد ومصطلحاته (١) ،

أما أبرز المعاني والأفكار التي تردّدت في زهديات الشعراء الموحّدين فهي :

١- الدعوة إلى التّجّد وقيام الليل :

وعى الشعراء الموحّدون أهميّة الوقت ، فهو كالسيف يمرّ سريعاً ، فما أحرى الإنسان أن يقطعه فيما يفيد في الدارين ، لذلك كثرت عندهم الدعوة إلى التّجّد وقيام الليل ، وصرفه في العبادة والتّقوى ، فحياة الإنسان قصيرة يذهب النّوم بنصفها ، بينما تذهب الذّنوب والآثام بنصفها الآخر ، قال أبو الرّبيع : (٢)

(من الطويل)

أما آن للوسنان أن يتنّبها فقد ذهب آناً ذا الليل وانتهى (٣)
لقد ضاع عمر أتلّف النّوم شطره وأتلّف الذات شطراً ترفّها

(١) انظر محمد مختار العبيدي ، الحركة الأدبية بإفريقية في عهد بني

الأغلب : ٢٦٠

(٢) أبو الرّبيع الموحّدي ، ديوانه : ١٥٤

(٣) الوسنان : النائم الذي ليس بمستغرق في نومه .

ويعمد الشاعر إلى ترغيب الإنسان في العبادة والتقوى فيحري مقارنة بين ضربين من البشر ؛ الأول يمضي ليله في العبادة وتلاوة القرآن والتضرع إلى الله عز وجل ليعفو عما فرط منه ، والثاني أخذته مباحج الدنيا وزخرفتها وغفل عن آخرته ، وانصرف إلى شهواته :

فَطُوبَى لِعَبْدٍ قَامَ لِلَّهِ مُخْلِصًا	وَأَيُّقُظُ بِالْقُرْآنِ ، وَالذِّكْرِ مَنْ لَهَا
وَقَامَ يُنَاجِي رَبَّهُ مُتَضَرِّعًا	لِيَمْحُو عَنْهُ مَا تَعَمَّدَ أَوْسَاهَا
وَوَيْلٌ لِعَبْدٍ أَوْبَقَتْهُ ذُنُوبُهُ	وَكَانَ بِمَا يَأْتِي عَلَى النَّفْسِ لَا لَهَا (١)
فَلَا يَسْتَوِي مَنْ سَرَدَ الْخَوْفُ نَوْمَهُ	وَمَنْ غَرَّهُ أَمْنٌ فَلَازِمٌ مَا انْتَهَى

لقد أفلح الشاعر في توضيح ما أراد بهذه المقارنة ، واستعمل ألفاظا تناسب كلا الحالين ، فلفظ " طوبى " أتى به الشاعر ليخبرنا منذ البداية بالنعيم الذي ينتظر من يقوم ليله عبادة وتقوى ، ولفظ " ويل " يناسب العبد المذنب الذي يمضي ليله في دعة ونوم ، ويقرر الشاعر في البيت الأخير النتيجة التي أرادها ، وهي : نفي مساواة العبدین ببعضهما .

ويكثر أبو الربيع في زهدياته من المقارنة بين الذين يقومون الليل ، وبين الذين يغطون في نومهم غير آبهين بشيء ، فيقول في قصيدة أخرى منكرًا على من يفرق في النوم ، بينما غيره يمضي ليله وهو سهران يدعو الله ويذكره : (٢)

(من البسيط)

يَانَايِمًا لَيْلُهُ وَالْعُمُرُ يَنْصَرِمُ	مُسْتَفْرِقًا فِي الْكَرَى يَلْهُو بِهِ الْحُلُمُ
كَمْ ذَا تَنَامُ وَأَقْوَامٌ قَدْ اكْتَحَلُوا	كُلَّ السَّهَادِ أَطَارَ الْخَوْفُ نَوْمَهُمْ
بَاتُوا لِرَبِّهِمْ يَدْعُونَهُ شَفْعًا	دُمُوعُهُمْ مِنْ شَدِيدِ الشَّوْقِ تَنْسَحِمُ

ويؤكد الشاعر أن الحياة الدنيا دار مؤقتة ، وهي مطبئة المؤمن إلى الدار الآخرة الأزلية ، فعليه أن يعمل من أجلها ، وذلك باغتنام العمر القصير في العمل الصالح ليحني ثماره في الآخرة :

(١) أوبقته : أهلكته .

(٢) أبو الربيع الموحدي ، ديوانه : ١٥٦ .

فَاعْمَلْ لِأَخْرَاكَ مَا تَرْجُو النَّجَاةَ بِهِ وَلْتَعْنَمِ الْعُمْرُ إِنَّ الْعُمْرَ يُغْتَنَمُ
وَارْغَبْ إِلَى اللَّهِ فِي الْغُفْرَانِ مُحْتَدًا هَذَا الصَّبَاحُ بَدَأَ وَاللَّيْلُ مُنْهَزِمٌ

ويختتم أبو الزَّبيع قصيدته بالدعوة إلى الصلاة على النبي عليه السَّلام وهذا
أمر نَحده يطرّد في خواتم زهدياته (١) ، فيقول :

(من البسيط)

وَصَلِّ صَلَاةً عَلَى خَيْرِ الْوَرَى حَسْبًا مُحَمَّدٍ خَيْرٍ مَنْ سَارَتْ بِهِ قَدَمٌ
صَلَّى إِلَهُهُ عَلَيْهِ كُلَّمَا شَرَقَتْ شَمْسٌ وَمَا أَعْقَبَتْ أَنْوَارَهَا الظُّلُمُ

فالشاعر يربط بين مكانة النبي بين البشر وبين قيمة النسب المهمة
عند العرب ، ويصلي على النبي صلاة دائمة لا تنتهي .
ويسلك أحمد بن جعفر الخزرجي طريقا آخر في الزَّهد . فقد كان
مولعاً بقلب معاني غيره في الغزل إلى الزَّهد ، من ذلك قوله في مقطوعة عارض
فيها قول أحدهم :

(من الخفيف)

((يَا أَخِي قُمْ تَرِ النَّسِيمَ عَلِيلًا))

إذ عارضها بمقطوعة أكد فيها وجوب الاقتداء بكتاب الله تعالى ،
ولزوم الذكر والصلاة والخضوع لله ، وقيام الليل لأن هذه الأمور هي السَّبيل إلى
الفوز برضا الله وفضله ، يقول : (٢)

(من الخفيف)

يَا أَخِي قُمْ تَرِ الْكِتَابَ دَلِيلًا وَاجْعَلِ الذِّكْرَ وَالسُّجُودَ سَبِيلًا
وَاطْلُبْ لِلَّهِ حَنَّةَ خُلْدٍ بِخُضُوعٍ يَرَاكَ فِيهِ دَلِيلًا
إِنَّ رَبَّ الْعِبَادِ يَدْعُوكَ لَيْلًا إِنَّ فَضْلِي لِمَنْ يَكُونُ سَوُولًا

انظر إلى هذا النداء الرقيق " يا أخي " إنه يمثل بحق روح الدين الإسلامي
الحنيف ، وتعاليمه السمحة في الإخاء والمحبة ، وهو بهذا النداء يرينا حرصه على
الآخرين ، ورغبته في إرشادهم إلى طريق النجاة والفلاح عملاً بالحديث الشريف
(إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ) .

(١) انظر مثلاً ديوان أبي الزَّبيع : ١٥٤ - ١٥٦ - ١٥٧ .

(٢) العباس بن إبراهيم المراكشي ، الإعلام : ١ / ٢٤٦ .

(٣) عياض بن موسى، الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ٢ / ٥٨٢ .

ونقف لعمر بن محمد بن أحمد القيسي على قصيدة دالية في الدعوة إلى التَّهَجُّد وقيام الليل ، وهي تقع في ثمانية عشر بيتاً يبدوها بخطاب بلهجة الغائب ، ويريد الإنسان الغافل الذي سها عن وجوب التزوّد للأخرة ، ويقرّعه على غفلته تلك ، فليُله نوم ، ونهاره انصراف إلى مشاغل الدنيا ، أما العبادة فهو ساهٍ عنها : (١)

(من الكامل)

ذَهَبَ الظَّلَامُ وَأَنْتَ جِدْعٌ رَاقِدٌ . وَأَتَى الصَّبَاحُ وَأَنْتَ صَخْرٌ جَامِدٌ
وَخَلَّتْ عَلَى الإِظْلَامِ مِنْكَ مُنَاسِكٌ . وَخَلَّتْ عَلَى الإِصْبَاحِ مِنْكَ مُسَاجِدٌ

ثم بلجاً إلى الوعظ عن طريق المفارقة ببن هذا العبد العاصي ، وبين أولئك العباد الصالحين الذين يقضون ليلهم رُكعاً سَجِّداً :

وَأَلُو التَّهَجُّدِ لَيْلُهُمْ مَآمِنُهُمْ . لِلَّهِ إِلَّا رَاجِعٌ أَوْ سَاجِدٌ
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ . خَلَصَتْ لَهُمْ فِيهِ لَدَيْهِ عَقَائِدٌ

ثم يعطف إليه عنان الحديث ثانية فيقرّعه ، ويصفه بالمغرور الذي طنّ واهما أنه خالد في هذه الدنيا ، ويمعن في توبيخه عندما يقارنه بالحيوان الذي لاعقل له :

وَهَجَعَتْ يَامَغْرُورُ لَيْلَكَ كُلُّهُ . وَعَلَيْكَ مِنْ عَيْنِ الإِلَهِ شَوَاهِدُ
فَكَأَنَّمَا أَيْقَنْتَ أَنَّكَ مُغْفَلٌ . فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّيْنِيَّةِ خَالِدُ
فَلَكُمْ تَنَامٌ وَفِي الْبُهَائِمِ نَابِهٌ . لَيْلًا يُسَبِّحُ لَيْلُهُ وَيُجَاهِدُ

ويهيئ به أن يكفّ عن مطامع الدنيا وشهواتها ، لأنها دنيا غرور تخذع الإنسان ، وتلهيه عن تذكر الموت ، الذي سيرده كل إنسان ، ومن بعده الحساب فعليه أن يتذكر يوم القيامة الذي سيحاسب الإنسان فيه على كل ما قدّمه من أعمال :

(١) ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل والتكملة : ٨ / ٢٣٦ - ٢٣٧

وَالِىَ مَتَى عَمَتْ فُؤَادَكَ غُفْلَةً
فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ حِينِ مَمَاتِهَا
وَتَذَكَّرِ السَّفَرَ الْبَعِيدَ وَطُولَهُ
وَادْكُرْ نُشُورَكَ بَعْدَ مَوْتِكَ فَجَاءَهُ
تَزْهَى بِغُرَّتَيْهَا وَعَمْرُكَ بَائِدُ
إِنَّ الْمَمَاتَ عَلَى الْبَرِيَّةِ وَافِدُ
مِنْ غَبْرِ زَادٍ وَالْمَجَالَ فِدَافِدُ (١)
وَصَحَائِفُ الْأَعْمَالِ مِنْكَ تُشَاهِدُ

فالشاعر يلجّ على فكرة التزوّد إلى الآخرة بزيادة التقوى ، لذلك
سبيل النجاة يوم القيامة .

٢- النَّدَمُ والاستغفار والرجاء : أما العنصر الثاني من عناصر الزهد الذى
نطالع فيه القصائد الزهدية فهو عنصر الندم والاستغفار . فنحن لانكاد
نجد مقطوعة أو قصيدة زهدية دون أن نلمح فيها ثنايا أعبائها ندم صاحبها
على ما احترحت يدها من ذنوب وآثام فيما تقدّم من أيامه ، وكثيرا
ما يقتترن هذا الندم بالدموع السخبة التى يسفحها الشاعر إقرارا بندمه
وتوبته ، وكان الخوف من يوم الحساب بقوّة هذا الشعور لدى الشعراء ، إذ
كان يوم الحساب ماثلاً أمام أعين شعراء الزهد لا يحيد قيد أنملة ، يزرع
في نفوسهم الرّهبة والخوف من لقاء الله ، يقول الشاعر أبو الربيع : (٢)
(من الطويل)

وَلَمَّا رَأَيْتُ الذَّنْبَ أَثْقَلَ كَاهِلِي
دَخَلْتُ جِمَاكَ الْأَمْنُ مُعْتَصِمًا بِهِ
وَهَا أَنَذَا بَسَطْتُ نَحْوَكُ خَاضِعًا
وَصَلَّ عَلَى خَيْرِ الْأَنَامِ مُحَمَّدٍ
وَوَهْمِي وَخَاطَبْتُ بِي بِحَارُ التَّنَدُّمِ
وَحَاشَاكَ صَرْفِي عَنْهُ بَعْدَ التَّحَرُّمِ
يَدَيَّ فَأَمَّنِي عَذَابَ جَهَنَّمَ
شَفِيعَ الْوَرَى إِذْ لَا شَفِيعَ وَسَلَّمَ

فالشاعر يقرّ بارتكاب المعاصي والذنوب التى أثقلت كاهله ، فأضحى يعصّ
أصابعه ندما على ما فرط منه ، ولا يجد الشاعر سبيلا إلا الالتجاء إلى حمى
الله سبحانه وتعالى ، باسطاً نحوه كفاً ضارعة ، طالبا منه أن يقبل توبته

(١) فداfid ، ج فدفد : الأرض الواسعة المستوية لاشيء فيها .

(٢) ديوانه : ١٥٦ وانظر : ١٥٧ .

التَّصَوُّحُ وَيُصَفِّحُ عَنْ ذُنُوبِهِ • وَبِبَدْوِ الشَّاعِرِ مُتَارِحًا بَيْنَ الْقَنُوطِ وَالرَّحَاءِ ،
وَلَكِنَّ رَحَاءَهُ يَغْلِبُ يَأْسَهُ ، فَحَاشَا لِلَّهِ أَنْ يَرُدَّ تَائِبًا لِاجْتِنَاءِ إِلَى حِمَاهُ ، وَيَعَزِّزُ
الشَّاعِرَ رَحَاءَهُ بِالتَّوَسُّلِ بِالنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَفِيعَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيُطْلِي
عَلَيْهِ وَيَسَلِّمُ •

وَيَتَوَسَّلُ الشَّاعِرُ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ الصَّقَرِ الْأَنْصَارِيِّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ،
وَيَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ شَاكِيًا كَثْرَةَ ذُنُوبِهِ الَّتِي أَضْنَتْهُ ، فَيَقُولُ : (١)
(من الطويل)

إِلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ يَشْكُو تَرْحُمَا	عَلِيلٌ بِأَمْرَاضِ الذُّنُوبِ تَأَلَّمَا
شَكَا قَلْبُهُ لَمَّا تَعَاظَمَ ذَنْبُهُ	فَحَطَّ بِأَرْجَاءِ الرَّجَاءِ مُخَيَّمَا
وَعَاجَ بِرَبِّعِ الْجُودِ يَسْأَلُ ضَارِعًا	عَوَارِفَ رَبِّ لَمْ يَزَلْ مُتَكَرِّمًا
يُدَاوِي سُقَامَ الْمُذْنِبِينَ بِعَفْوِهِ	فَيُصَفِّحُ إِفْضَالَ وَيَسْمَعُ مُنْعِمًا
فَكَيْفَ يُرَى فِي بَابِ جُودِكَ خَائِبًا	وَمَا خَابَ عَبْدٌ قَطُّ حُودَكَ يَمَّمَا

فَفِي الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ نَجَدَ شَاعِرًا أَثْقَلَتْهُ ذُنُوبُهُ ، فَلَجَأَ إِلَى اللَّهِ
رَاجِيًا الْعَفْوَ ، وَهُوَ عَلَى يَقِينٍ بِأَنَّ اللَّهَ سَيُصَفِّحُ عَنْهُ ، لِأَنَّ كَرَمَهُ وَعَفْوَهُ فَوْقَ
ذُنُوبِ الْعَالَمِينَ •

كَمَا يَكْثُرُ فِي الْقَصَائِدِ الزَّهْدِيَّةِ أَسْلُوبُ مَعَاتِبَةِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسَّوْءِ •
وَيَكْشِفُ الشَّعْرَاءُ الزَّهَادُ عَنْ خَبَايَا نَفُوسِهِمْ وَيَقْرَعُونَهَا عَلَى غَفْلَتِهَا عَنْ حَقِيقَةِ
الْحَيَاةِ ، فَهِيَ - وَإِنْ طَالَتْ - حِلْمٌ سَرْعَانِ مَا يَسْتَيْقِظُ الْإِنْسَانُ مِنْهُ ، فَيَجِدُ
نَفْسَهُ أَمَامَ ذُنُوبِهِ وَسَيِّئَاتِهِ ، يَقُولُ أَبُو الرَّبِيعِ : (٢)

(من البسيط)

عَاتَبْتُ نَفْسِي وَلَوْ كَانَتْ مُوقِفَةً	لَكَانَ لِي وَلَهَا مِنْ نَفْسِهَا حَكْمٌ
أَلَسْتُ عَالِمَةً يَا نَفْسُ مُوقِنَةً	أَنَّ الْحَيَاةَ - وَإِنْ طَالَتْ بِنَا - حُلْمٌ

(١) العباس بن إبراهيم ، الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام : ١٤٩/٤ - ١٥٠

(٢) دبوانه ١٥٣ ، وانظر ١٥٢

نَأْتِي مِنَ الذَّنْبِ قَدْرًا لَيْسَ نَجْهَلُهُ عَضُّ الْأَنَامِلِ فِي عُقْبَاهُ وَالنَّدَمُ
لَمْ يَكْفِ أَنَا مِنَ الدُّنْيَا عَلَى خُطُرٍ وَالْعُمُرُ يَنْفَدُ وَالْأَيَّامُ تَنْصَرِمُ
حَتَّى غُرِرْتُ بِأَمَالٍ مُزْخَرَفُوسَةٍ وَجُودُهَا إِنْ تُرِمَ تَحْصِيلُهُ عَدَمُ

فالشاعر يهيب بنفسه أن تكف عن مطامع الدنيا وشهواتها ، وألا
تجري وراء آمال كالسراب يظنه الظمان ماء ، حتى إذا جاء لم يحسده .
شيئا .

٣- الموت و الخوف من الحساب :

أخذت مسألة الموت و تذكير الانسان بنهايته المحتومة مكانة واضحة .
 في شعر الزهد منذ القديم ، و قد توارد عليها كثير من الشعراء الذين
 كانوا يظهرون و قد ارتعدت فرائعهم كلما تذكروا الموت و يوم الحساب ،
 و تمكن منهم الخوف و أخذ كل مأخذ لما قدموه من معاصي و ذنوب ، فيوم
 الحساب آن ، و ثم سوف يجد الإنسان عمله يانتظاره ، فلا يجد الشعراء أمامهم
 إلا البكاء و النوح ندماً ، فالبكاء يغسل أدران النفوس و يجلو صدأ القلوب ،
 يقول أبو الربيع : (١)

إِذَا مَا ذَكَرْتُ الْمَوْتَ فَاضَتْ مَدَامِعِي عَلَى كُلِّ مَا فَرَطْتُ فَيَضُ السَّحَائِبِ
 وَ أَذْكَرُ يَوْمَ الْحُشْرِ إِنْ جِئْتُهُ غَدًا وَ ذَنْبِي مَعِيَ وَ الذَّنْبُ أَخْبَثُ صَاحِبِ

ففكرة الموت كانت تعذب أبا الربيع الموحدي و تشير شجونته ، كيف لا و هو
 يلاقى وجه ربه برفقة صاحب خبيث هي الذنوب التي ارتكبها في حياته ؟ .

و ربما دعا شعراء الزهد إلى الاعتباط يتقلبات الدهر ، و الاعتبار
 بمصير الأمم السالفة ، و كان محور حديثهم في هذا المفمار أحيانا حياة
 الملوك و الأغنياء الذين أدبرت الدنيا عنهم ، و قلبت لهم ظهر المجن ، فأين
 الرجال العظماء السابقون ، و أين دؤرهم ؟ ، و إلى أين انتهى بهم المصير؟
 لقد ألوا الزوال و الفناء جميعا ، و تخطفهم الموت واحداً بعد واحد ، و جيل
 بعد جيل ، يقول عثمان السلاجي : (٢)

(من الطويل)

(١) ديوانه : ١٥١

(٢) العباس بن إبراهيم ، الإعلام بمن حلّ مراكش و أغمات من الأعلام : ٦/٩ .

وَكَمْ مِنْ رِجَالٍ قَدْ رَأَيْنَا وَ دَوْلَةَ فَبَادُوا جَمِيعًا مُسْرِعِينَ وَ زَالُوا
وَكَمْ مِنْ رِجَالٍ قَدْ عَلَتْ شُرَفَاتُهَا رِجَالٌ، فَمَاتُوا وَ الْجِبَالُ جِبَالٌ

إنّها دعوة من الشاعر إلى الإنسان كي يتأمل و يتفكّر في هذه الدنيا
و في مصيرها ، و إلى أن يعتبر بمصير الذين سيقوه .

و يدعوا الشاعر عيسى بن عمران في معرض وميته لأحد أبنائه إلى
الاعتبار بالأقوام الذين بادوا و انتهوا إلى قبور متفرقة تحت أديم
الأرض ، (١)

وَلَكُمْ رَأَيْنَا الْفَاتِنِينَ بِجَاهِهِمْ وَ بِمَالِهِمْ قَدْ مَزَقُوا أَيْدِي سَيَا (٢)
مَرَعَى بِسَيْفٍ مُشْهَرٍ أَوْ نَكْبَةٍ مَارُوا حَدِيثًا فِي الْمَجَالِسِ مُعْجِبًا
يَبْكِي لَهُمْ مَنْ كَانَ يَبْكِي مِنْهُمْ يَرِي لَهُمْ مَنْ أَوْرَدُوهُ الْمَعْطِيَا (٣)

فقد تفرّق هؤلاء القوم الذين كانوا ذوي جاه و مال ، و آلوا إلى حمرة
حقيرة بعد أن كانوا يسكنون القصور و يتحكّمون بالعباد ، فماروا حديثا في
المجالس يثير الشفقة و الرثاء .

و يعتبر أبو الربيع عن الفكرة نفسها في قالب من الحكمة ، بأبيات تتسم
بالبساطة و الانسياب مستعملا ألفاظا هي أقرب إلى لغة الخطاب المألوفة: (٤)

(من المديد)

تَرَكَ الْمَاضُونَ دَارَهُمْ فَنَزَلْنَا هَا عَلَى خَطَرٍ
وَ كَذَا نَمُضِي وَ نَتْرُكُهَا لِلَّذِي يَأْتِي عَلَى الْأَشْرِ
فَلْيَكُنْ مَنْ جَاءَ يَسْكُنُهَا يَغْدُنَا مِنْهَا عَلَى حَسَدٍ

(١) ابن عبد الملك ، الذّهل و التكملة : ٢٥٥/٨ .

(٢) يقال : تفرّقوا أيدي سينا ، أي تفرّقاً لاجتماع بعده .

(٣) المَعْطِيَةُ : المهلكة .

(٤) ديوانه : ١٥٣ .

إِنَّ الشَّاعِرَ فِي أَبْيَاتِهِ السَّابِقَةِ يَقْتَرِبُ كَثِيرًا مِنْ بَسَاطَةِ أَبِي الْعَتَاهِيَّةِ
فَالْفَاظُ تَقْتَرِبُ مِنْ لُغَةِ الْحَدِيثِ الْمُحْكَمَةِ الَّتِي يَتَدَاوَلُهَا النَّاسُ فِي أَحَادِيثِهِمْ
الْيَوْمِيَّةِ .

لَقَدْ كَانَتْ غَايَةُ شِعْرَاءِ الزَّهْدِ مِنْ حَدِيثِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ اسْتِخْلَاصُ الْمَوْعِظَةِ
وَالْعِبْرَةِ ، وَ دَفَعَ الْإِنْسَانُ إِلَى أَنْ يَتَهَيَّأَ لِمُلَاقَاةِ وَجْهِ رَبِّهِ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ
وَ كَانَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ تَجِدَ فِكْرَةَ الْمَوْتِ اِهْتِمَامًا كَبِيرًا مِنْ شِعْرَاءِ الزَّهْدِ
لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ كَانُوا مَشْغُولِينَ بِزُخْرَفِ الدُّنْيَا ، وَ غَافِلِينَ عَنِ يَوْمِ الْحِسَابِ ،
فَجَاءَ شِعْرَاءُ الزَّهْدِ لِيَذْكُرُوهُمْ بِذَلِكَ الْيَوْمِ .

٤- أُمُور أُخْرَى :

تَتَرَدَّدُ فِي أَشْعَارِ الزَّهْدِ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْأَفْكَارِ وَ الْمَعَانِي الَّتِي أَخَذَهَا
الشُّعْرَاءُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ ، وَ مَجَالِسِ الْوُعَاظِ ، مِنْ هَذِهِ
الْأَفْكَارِ فِكْرَةُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ وَ الثِّقَّةِ بِهِ ، فَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
يَكْفِيهِ: (١)

تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ تَلَقَّ الَّذِي يَسِّرْكَ مَسْتَعِجِلًا يُقْبِرُ
وَسَلَّهُ الَّذِي شِئْتَ مِنْ فَضْلِهِ فَلِلَّهِ أَكْرَمُ مَنْ يُسَاءَلُ

وَ مِنْهَا تَقْوَى اللَّهِ ، يَقُولُ عِيسَى بْنُ عِمْرَانَ: (٢)

وَتَقَى إِلَهَهُ فَقَدَّمُوهَا عُدَّةً لَا تَخْذُلُ الْإِخْوَانَ إِنْ خَذَلَ الشُّبَّاءُ (٣)

وَ هِيَ سَبِيلُ لَعْنَةِ الْمَرْءِ وَ رَفَعَتَهُ ، يَقُولُ أَبُو حَفْصٍ بْنُ عَمْرِو: (٤)

(١) ديوان أبي الربيع : ١٥٢ .

(٢) ابن عبد الملك ، الذَّيْلُ وَ التَّكْمِلَةُ : ٢٥٥/٨ .

(٣) الشُّبَّاءُ ، جَمْعُ شَبَاةٍ ، وَهِيَ حَدٌّ السِّيفِ وَ الرَّمْحِ .

(٤) المقرئ ، أَزْهَارُ الرِّيَاضِ : ٢ / ٤٧٣ - ٣٧٤ .

(من السريع)

أَيِّنْ تَهِيمُ الْأَنْفُسِ الْفَاخِرَةِ
تَرْجُعُ عَنْهُ نَفْسُهُ دَاخِرَةً

مَا شَرَفُ النَّسَبَةِ إِلَّا التُّقَى
مَنْ يَطْلُبُ الْعِزَّ بِغَيْرِ التُّقَى

و ربما دعا الشعراء إلى طلب العلم ، فالعلم طريق إلى رفعة
الإنسان و سمو مكانته ، و هو زينة للعياد ، يقول أبو حفص بن عمر داعياً
إلى طلب العلم : (١)

وَالْعِلْمُ يَحْيِي الْأَعْظَمَ الْمَخْرَجَةَ
وَالْعِلْمُ يَكْسُو الْجِلَلَ الْفَاخِرَةَ
وَمِنْ ذَنْبٍ أَمِيحَ رَأْسًا يَمِيدُ
وَمِنْ ذَنْبٍ أَمِيحَ رَأْسًا يَمِيدُ

ويحضر عيسى بن عمران أبنائه على طلب العلم و يوصيهم أن يتعلموا
و يعلموه ابتغاء مرضاة الله ، و ينهاهم عن اتخاذه وسيلة للكسب ، لأن المكتسبين
بعلومهم أشبه باللعوص و الذئاب التي تنهش غيرها دون رحمة : (٢)

وَالْعِلْمُ أَفْضَلُ مَا أَرَى أَنْ يُكْسَبَ
وَالْعِلْمُ أَفْضَلُ مَا أَرَى أَنْ يُكْسَبَ
وَذُرُوا أَنْسَاءَ مَيَّوَهُ مَكْسَبَا
وَالْعِلْمُ أَفْضَلُ مَا أَرَى أَنْ يُكْسَبَ
وَالْعِلْمُ أَفْضَلُ مَا أَرَى أَنْ يُكْسَبَ
وَالْعِلْمُ أَفْضَلُ مَا أَرَى أَنْ يُكْسَبَ

كما دعا الشعراء الزهاد إلى التواضع و الابتعاد عن الكبر ، و اجتناب
المتكبرين ، فأهل الإنسان من تراب ، و أي شيء أحقر منه ؟ يقول أبو حفص
ابن عمر : (٣)

وَلَا تُنْسَبْ إِلَى كِبَرٍ فَهَذَا
وَلَا تُنْسَبْ إِلَى كِبَرٍ فَهَذَا
وَلَا تُنْسَبْ إِلَى كِبَرٍ فَهَذَا
وَلَا تُنْسَبْ إِلَى كِبَرٍ فَهَذَا
وَلَا تُنْسَبْ إِلَى كِبَرٍ فَهَذَا
وَلَا تُنْسَبْ إِلَى كِبَرٍ فَهَذَا

- (١) المقرئ ، أزهار الرياض : ٤٧٣/٢ .
(٢) البذنب : الجدول ، وسيل الماء إلى الأرض .
(٣) ابن عبد الملك ، الذيل و التكملة : ٢٥٥/٨ .
(٤) عبد الله كنون ، ذكريات مشاهير المغرب : ص ٢٧ .
(٥) الذنوب : الوافر الذنب و الطويلة - الذنابي : الذنب -

و صفوة القول : لقد عالج الشعراء الموحّدون موضوع الزهد في أشعارهم و تناولوا فيها مجموعة من المعاني و الأفكار كانت في مجملها مستوحاة من القرآن الكريم ، و لا سيما في حديثهم عن زوال الدنيا و عما ينتظر الإنسان بعدها من ثواب أو عقاب ، فمتاع الدنيا إنّما هو متاع الغرور ، و الفئاض الحقّ ليس من ينعم فيها ، إنّما الفئاض من ينال رضا ربه ، إلّٰس ما هنالك من معان من تحقير الدنيا و التقليل من شأنها .

كما أفاد الشعراء من الأسلوب القرآني في الوعظ و التذكير باليوم الآخر و معاتبة النفس على غفلتها ، و تراوح هذا الأسلوب بين اللّوم و العتاب و التّقريع العنيف ، و ريمًا لجأ بعضهم إلى دعوة المرء إلى تأمل الكون من حوله و ملاحظة دوران الزّمن و تقلّب الناس لاستخلاص الموعظة من ذلك ممّا يجعل هذه الأشعار ذات أهميّة تعليميّة كبيرة .

٣ - - التَّصَوُّف

التَّصَوُّف هو انصراف العبد إلى الزَّهْد و العبادة ، و الاتصال الروحي بالله تعالى و التَّفاني في حبه ، أو هو كما يقول ابن خلدون : " العكوف على العبادة و الانقطاع إلى الله تعالى و الإعراض عن زخرف الدُّنيا و زينتها " ، و الزَّهْد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة و مال و جاه ، و الانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة^(١) ، فالتَّصَوُّف في حقيقة الأمر ما هو إلا خطوة الأخيرة من الطريق الذي يسلكه الزَّاهد ليحل إلى المحيَّة الإلهيَّة و المعرفة الكاملة للدُّنية التي عندها يفنى خيال الوجود الشَّخصي في حقيقة الكائن الإلهيِّ الشَّاملة لكل شيء^(٢) .

إنَّ المعاني التي عالجها الزَّهاد في أشعارهم كالانزواء عن الدُّنيا و زخارفها و الابتعاد عن النَّاس تُعدُّ البذور الأولى للتَّصَوُّف في المغرب ، و في الحقَّ إنَّ الوشائج التي تربط الزَّهد بالتَّصَوُّف قويَّة ، و التَّدخل بينهما كبير حتَّى إنَّ صاحب كتاب "التَّصَوُّف إلى رجال التَّصَوُّف" لا يكاد يفرِّق بين الزَّهاد والمتصوِّفة، فعَدَّ جميع المترجمين من المتصوِّفة .

و على الرَّغم من الوشائج القويَّة بين الزَّهد و التَّصَوُّف ، فإنَّ بعض العلماء منذ القديم قد تنبَّهوا إلى الفروق بينهما ، و يُعدُّ ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) من أوائل الذين فطنوا لهذه الفروق فقد قال : " التَّصَوُّف مذهب معروف عند أصحابه لا يقتصر فيه على الزَّهد ، بل له صفات و أخلاق يعرفها أربابُه " (٣) .

(١) ابن خلدون ، المقدِّمة : ٤٦٧

(٢) يوسف خليف ، حياة الشَّعر في الكوفة : ٢٠٢

(٣) ابن الجوزي ، صفة الصَّوفاة : ٢٥/١

و قال أيضا : " التّصوّف طريقة كان ابتداؤها الزّهد الكلّي ،،،،، " (١) .

و قد وجد المتصوّفة في ظلّ دولة الموحّدين بالمغرب و الأندلس تربية خصبة لنمو حركتهم بفضل الحرّية الواسعة التي منحتها الدّولة لهم ، و مناصبتها العداء للفقهاء المالكيّة الذين كانوا يقيّدون الحرّيات و يقفون بالمرصاد في وجه كلّ فكر خرج عن مألوفهم ، و شهدت الدّولة الموحّدية نهضة كبيرة كان لها أثر كبير على العقول في الأندلس و المغرب " فأصبح الفكر الإسلاميّ في كلا القطرين محرّراً من القيود التي كانت تجعله يثور لأقلّ بادرة من الخروج عن دائرة المسلّمات و القواعد و الرّسوم المتعارفة ، فشتان بين عهد المرابطين الذي كان فقهاؤه في كلّ من الأندلس و المغرب يحرمون " الإحياء " و غيرها من كتب الغزالي و يحكمون بإحراقها ، و بين هذا العهد الذي ينبغ فيه مثل ابن عربي الحاتميّ و ينشر كتابه " الفتوحات المكيّة " و غيره فلا يحرك الفقهاء ساكنا في سبيل الإنكار عليه ، مع عظم الفرق بين محتويات " الإحياء " و محتويات " الفتوحات " مما لا تقرّه المذاهب الفقهيّة بآجمعها و ربّما يتعارض مع جوهر العقيدة الإسلاميّة في كثير من المسائل (٢) .

فالعصر الموحّدي - إذّا - أخرج التّصوّف من دائرة الزّهد البسيط البدائيّ السّاذج الذي يعتمد على مجاهدة النفس إلى طور أكثر تعقيدا و أشدّ معوبة و هو الطّور الفلسفيّ ، الذي بدا جليّا على يد ابن عربيّ (ت ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م) أعظم صوفيّ في ذلك العهد ، " فالعصر الموحّدي إذّا ، يعتبر بحق عصر يزوغ الشّعور الصّوفيّ و نفوجه و ازدهاره في الأندلس (٣)

(١) ابن الجوزي ، تلبيس إبليس : ١٦١ .

(٢) عبد الله كنون : النّيوغ المغربيّ في الأدب العربيّ : ١٢٠ - ١٢١ .

(٣) محمد مجيد السّعيد ، الشّعور في عهد المرابطين و الموحّدين بالأندلس : ٢٦٩

خلف لنا الصوفيّة شعراً غزيراً ينطق بما تنطوي عليه سرائرهم ، و تخفيه ضمائرهم ، و جاء شعرهم متميّزاً عن غيره ، ذلك لعنايته الفائقة بالرمز و الغموض و الإشارة ، و اختصامه بالفاظ خاصّة به و أساليب قاصرة عليه ، و تناولته للمعاني و الأفكار بطريقة تفارق تعابير الشعراء الآخرين ، فقد تناولوا أغراض الحبّ الإلهي و الحنين و الوجد ، و اليقاع و الفناء ، و وصف الخمائل و الغزل الإلهي بطريقة لا يفهمها إلا من فهم مصطلحاتهم و دلالاتها .

و كان المتصوّفة كثيراً ما ينشدون أشعاراً ماجنة لأعلام الشعر العربي قالها أصحابها في أغراض دنيويّة " فهم ينشدونها للتمثّل و يلتصقون من خلالها معاني جديدة علويّة يقصدها قائلها (١) فقد أورد القشيري (ت ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م) في رسالته قول أبي نواس : (٢)

لِي نَشُوتَانِ، وَ لِلنَّدَمَانِ وَاحِدَةٌ شَيْءٌ خُصِمْتُ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحْدِي (٣)

و يرى الدكتور عبدالكريم اليافي أنّ ذا النّون المصري (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م) من أوائل الذين استعملوا مجازاً ألفاظ الكأس و الشراب في هذا السبيل ، و لا شك أنّه اقتبسها ممّا ورد ذكره في التّنزيل الكريم في وصف جنّات النّعيم (٤).

فالمتصوّفة - إذاً - كثيراً ما يستعملون الصور الحسيّة في التعبير عمّا يخالجهم من تجارب معنويّة ، و هذه الصور في أغلبيتها - مأخوذة من مجال حبّ الإنسان للإنسان و من ملذّات الحياة الدّنيا ، مع أنّهم يريدون أبعد من ذلك بكثير ، و هذا الأمر أدّى إلى تعرّض الصّوفيّة إلى حملات شديدة من الإنكار من قبل أصحاب المذهب الظّاهريّ ، و فريق من الحنابلة .

(١) عبدالكريم اليافي ، دراسات فنّيّة في الأدب العربيّ : ٣٠٤ .

(٢) ديوان أبي نواس : ٢٧

(٣) راجع رسالة القشيريّ : فعل القحو والسّكر : ٣٨ .

(٤) عبد الكريم اليافي ، دراسات فنّيّة : ٣٠٥ .

والسلفية ، فهؤلاء قبلوا أن يطلق لفظ الحبّ على العلاقة بين العبد والإله
إذ ورد اللفظ في القرآن الكريم ، ولكن يمنعون أن تكون هذه العلاقة من نوع العشق
والوله والغرام الذي يحدث بين الإنسان وإنسان آخر " (١) .

وقد وصل إلينا من عهد الموحّدين مجموعة من القصائد الصوفية هي في
جلّها في الحبّ الإلهي ، الذي تشير إليه الآيتان الكريمتان * (فَسَوْفَ بَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ
يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) * (٢) ، و قوله تعالى : * (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) * (٣)

وكانت أشعارهم تدور حول معاني الحبّ والشوق المشبوب والعشق والوجد والبقاء
والفناء ، ومن أوائل الشعراء الذين دعوا إلى حبّ الله لذاته ، لا لرغبة في الجنة ،
ولا لخوف من النار ، الشاعرة رابعة العدويّة (ت ١٣٥هـ / ٧٥٢م) ومن شعرها
في هذا الغرض : (٤)

كُلُّهُمْ يَعْبُدُونَ مِنْ خَوْفٍ نَارٍ وَيَرُونَ التَّجَاةَ حُظًّا جَزِيلاً
أَوْ بِأَنَّهُ يَسْكُنُوا الْجَنَانَ فَيَحْظُوا بِقُصُورٍ وَيَشْرَبُوا سُلْسَبِيلاً
ليس لي في الجنان والنار حَظٌّ أَنَا لَا أَبْتَغِي بِحُضِّي بَدِيلاً

ومن القصائد الصوفية الموحّدية التي تناولت الحبّ الإلهي قصيدة للشاعر
أبي الحسن العُشبي ، لجأ فيها إلى الرّمز يقول فيها : (٥)

وَهِيَ جَلَدُ الْمُضْنَى فَمِيلُوا إِلَى الرَّفْقِ وَرَقُوا لِمَا أَلْقَاهُ يَامَا لِكِي رِقِّي
أُحْبَابُ قَلْبِي ، إِنْ صُلِحَتْ لِحُبِّهِمْ وَهِيَ هَاتِ مِنْ إِخْلَاصِهِمْ فِي الْهَوَى مَذْقِي (٦)

(١) عبدالكريم اليافي ، دراسات فنيّة في الأدب العربيّ ٣٠٨ - ٣٠٩ .

(٢) - المائدة : ٥٤

(٣) - آل عمران : ٣١

(٤) - خفاجي ، التصوف الإسلاميّ : ٢ / ٧٢ .

(٥) - ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل والتكملة : ٨ / ٢٠٢ .

(٦) - مذك الوُدّ : لم يخلصه .

(٧) - ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة : ٨ / ٢٩٢ .

- ١ هُمْ غَايَتِي إِنْ سَارَعُوا أَوْ تَبَاعَدُوا
 ٢ وَهُمْ نَارِلُو مِنْ سِرِّ قَلْبِي بِمَنْزِلِ
 ٣ وَحَقَّهُمْ لَوْ أَعْتَقُوا مِنْ إِسَارِهِمْ
 ٤ وَمَا بَيْنَ تَعْذِيبِ الْعُدُودِ إِذَا رَضُوا
 ٥ فَيَأْسَادَتِي إِنْ تَرَحَّمُوا ذُلَّ مَوْقِفِي
 ٦ وَإِنْ كُنْتُ أَهْلًا لِلْجَفَاءِ بِهَفْوَتِي
 ٧ إِذَا لَمْ تُوَأْسُونِي عَلَى عِظَمِ فَاغِتِي
 ٨ أَقَرُّ بِزَلَاتِي وَ أَلْتَمِسُ الرِّضَا
 ٩ فَعِنْدِي دُمُوعٌ لَا تُعَاصِي دُمُوعَهَا
 ١٠ وَهُمْ حَافِظُو عَهْدِي وَهُمْ عَارِفُو حَقِّي
 ١١ خَفِيَّ عَنِ السَّلَوَانِ مُشْتَبِهَ الطَّرِيقِ (١)
 ١٢ فَوَائِدِي لِاخْتَارِ الْإِسَارَ عَلَى الْعِتْقِ
 ١٣ وَبَيْنَ نَعِيمِ الْوَصْلِ عِنْدِي مِنْ فَرْقِ
 ١٤ عَلَى يَأْسِكُمْ لَا تَكْذِبُوا فِي الْهَوَى مَذْقِي
 ١٥ فَأَيْنَ الَّذِي عَوَّدْتُمُونِي مِنَ الرَّفْقِ ؟
 ١٦ وَضُرِّي وَ لَمْ تُبْقُوا عَلَيَّ فَمَنْ يُبْقِي ؟ (٢)
 ١٧ وَ لَأَنْطَقَ لِي قَدْ أَخْرَسَتْ حَالِي نُطْقِي
 ١٨ وَ عِنْدِي جُفُونٌ لَا تُطَاوِعُ مِنْ يَرْقِي

إنَّ هذه القصيدة تتميز بالوحدة الموضوعية ، فمناحيها قمرها —
 على الحبِّ الإلهيِّ ، و لم يتناول فيها غرضاً سواه .

و أبيات القصيدة تكشف عن عاشق كلف بمحبوبه ، أضناه الشوق ، و هذه
 الحبِّ ، و لكن من هو هذا المحبوب الذي تمكَّن من قلب الشاعر ، وأوقعه
 في أسر محبته ؟ إنَّه - بلا شك - محبوب ليس كالإنسان ، إنَّه الذات الإلهية .
 و قد لجأ الشاعر إلى التعبير الصوفي الذي يرمز به إلى وجوده
 الشديد و حينه الفياض ، و هذه القصيدة ترسم حال صاحبها ، و تصور مقدار
 تعلقه بمحبوبه ، و هي طافحة بمشاعر التساغر و الدَّلَل له ، فلا يكاد الشاعر
 يكف عن الاعتراف بتقهيره ، و ذنوبه ، و يطلب العفو ، و لئن كانت هذه الذنوب
 قد لجمت لسانه فإن دموعه نابت عنه و أفصحت عما يريده .

و نقف على قصيدة قلمي الحبِّ الإلهيِّ للشاعر أبي عبد الله —
 المُلَحِّي تقع في اثنين و عشرين بيتاً ، يستهلها بقوله : (٣) (من الطويل)

(١) السَّلَوَانُ : مَا يَذْهَبُ الْهَمُّ وَالْحُزْنُ .

(٢) الْفَاقَةُ وَالضَّرُّ : سُوءُ الْحَالِ وَالْفَقْرُ .

(٣) ابن عيد الملك ، الذَّيْلُ وَ التَّكْمِلَةُ : ٢٩٢/٨ .

غُرَامِي دُعَانِي وَ الْعُدُولُ نُهَانِي فَوَجِدُ وَ عُدْلُ كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ
أَمَا عَلِمْنَا أَنَّ عَلَى الشَّعْطِ وَالنَّوَى مُقِيمٌ ، وَ أَنِّي وَ الْهُوَى أَخْوَانِ (١)
يُقُولَانِ لِي : مَنْ ذَا دُعَاكَ لِمَانَرِي؟ فَقُلْتُ : دُعَانِي حُبُّهُ ، فَدُعَانِي (٢)

فنحن نحن منذ مطلع القصيدة أننا أمام حالة حبّ عنيف يعصف بصاحبه
و أمام عدول لا يريد الهناء لهذا المحبّ ، فيكشر من لومه ، و لكنه لا يلتفت
إليه ، و يطلب منه الكفّ عن هذا العدل .

ثم يبدأ الشاعر بتعداد مجموعة من الأماكن في الجزيرة العربية ذات
المدلولات الخاصة لدى المتوفّة ، فهم يقدّسونها لأنّها تضمّ البيت العتيق ، و هم
يرون أنّ الله أقرب ما يكون إلى عبادته في هذا المكان المقدّس ، إذ شهد الفيض
الإلهي المتمثّل في الوحي المنزل على أنبيائه هناك ، فيذكر الشاعر أحد عشر
موصفاً ، قائلًا :

رَعَى اللَّهُ جِرَانَ الْعُذَيْبِ وَ أَهْلَهُ وَ إِنْ أَتَرَعُونِي مِنْ هُوَى وَ هَوَانِ (٣)
هُمْ وَ عَدُوا بِالْغُورِ ثُمَّ تَرَاوَعُوا وَ هُمْ عَنَفُوا بِالنَّعْفِ مِنْ بَدَلَانِ
وَصَدُّوا عَلَى صَدَى وَ بِالْخَيْفِ خَوْفُوا وَ يَأْنُوا بِذَاتِ الْيَمِينِ صُوبَ أَبَانِ

و لا يخفى احتفال الشاعر بالمحسنات اللفظية رغبة في تزويق شعره
و كان للجناس الناقص و المقلوب الحظّ الأكبر ، فلا يخلو بيت من الأبيات السالفة
من التّجنيس ، و رأينا الشاعر في عجن البيت الثاني يجانس بين ثلاث كلمات
" بانوا ، البين ، أبان " و لعلّه بذلك أراد أن يظهر ثقافته الأدبيّة و تمكنه
من ناصية القول .

و لا ينسى الشاعر أن يذكر اليرق اليعاني ، فهو يبعث في نفسه أنوار
التّجلي ، و يقارنه بقلبه محاكياً .

(١) الشَّعْطُ : البعد

(٢) دعاني الأولى بمعنى : ناداني ، و الثانية بمعنى : اتركاني .

(٣) العُذَيْبُ : و الغُور و نَعْف و بَدَلَان و صَدَى و الْخَيْف و أَبَان مواضع في الجزيرة
العربية لها علاقة بمناسك الحجّ .

إِذَا خَفَقَ الْبَرْقُ الْيَمَانِي بِأَفْقِكُمْ أَقَابِلَ ذَاكَ الْخَفَقَ بِالْخَفَفَانِ

و الشاعر هنا يؤكد اشتراك البرق و قلبه في الهوى ، فعندما يخفق الأول في سماء الجزيرة العربيّة ، يحرك كامن الهوى في قلب الشاعر فيجاوبه في الخفقان .

ثم يصرّح الشاعر بأنّه يذكر هذه الأسماء تورية عن حبيبته العلويّ الذي ملك عليه حواسّه كلّها ، و عندها يمسح الكلام مقبولا لدينا ، بعد أن كان الغُلوّ طاهرا فيه لو كان الغرض حبّا إنسانيا :

أُورِّي بِسَلْعٍ وَ الْعَذِيبِ وَ حَاجِرٍ	وَ تِلْكَ مَغَانٍ مَالِهَنٍّ مَعَانٍ
وَ أَذْكَرُ سُكَانِ الْعَذِيبِ تَسْتُرَا	وَ مَا ذِكْرُ سُكَانِ الْعَذِيبِ يَشَانِ
وَ لَكِنْ بِقَلْبِي مَنْ هُوَ الْقَلْبُ كُلُّهُ	وَ مَنْ ذِكْرُهُ فِي خَاطِرِي وَ لِسَانِي
حَبِيبِي إِذَا لَاحَظْتُ لَمْ أَرْ غَيْرَهُ	عَلَى أَنَّهُ إِذْ لَا أَرَاهُ يَرَانِي
فَمِنْ فَضْلِهِ وَجَدِي بِهِ وَ تَوَلَّيْ	وَ مِنْ جُودِهِ مَا أَشْتَكِي وَ أَعَانِي
فَطَرْتُ عَلَى حُبِّي لَهُ وَ كَأَنَّمَا	يَرَانِي لِمَعْنَى الْحَبِّ حِينَ يَرَانِي

فهذا الشعر قريب جدّا من الشعر المنظوم في الحبّ الإنسانيّ ، فهو يتناول الأفكار و العواطف و الألفاظ أنفمها ، غير أنّنا نجد ميالعات لا تفهم إلّا إذا وجهنا الأبيات تجاه الحبّ الإلهيّ ، عندها يضحى الكلام مقبولا .

و من الشعراء الصوفيّة الينارزين في هذا العهد أبو الحسن عليّ الجُرّاليّ المراكشي الذي يقول من قصيدة: (١)

وَ مَذْ عَنكَ غَيْبُنَا ذَلِكَ الْعَامَ إِنَّا	نَزَلْنَا عَلَى بَحْرِ وَ سَاحِلِهِ مَعْنَى
وَ شَمْسٍ عَلَى الْمَعْنَى تَطَالِبُ أَفْقُنَا	فَمَغْرِبُهَا فِينَا وَ مَشْرِقُهَا مِنَّا
وَ مَسَّتْ يَدَانَا جَوْهَرًا مِنْهُ رُكْبَتُ	نَفُوسَ لَنَا لَمَّا صَفَتْ فَتَجَوَّهَرْنَا

فَمَا السَّرُّ وَالْمَعْنَى وَ مَا الشَّمْسُ قُلْ لَنَا وَ مَا غَايَةُ الْيَحْرِ الَّذِي عَنْهُ عَبَّرْنَا
حَلَلْنَا وَجُودًا إِسْمُهُ عِنْدَنَا الْفَضْلُ . يَفْضِيقُ بَيْنَا وَ سَعَا وَ نَحْنُ فَمَا فَضَّلْنَا
تَرَكْنَا الْبَحَارَ الزَّائِرَاتِ وَ رَاءَنَا . فَمِنْ أَيْنَ يَدْرِي النَّاسُ أَيْنَ تَوَجَّهْنَا

و قد وقفنا على شرح لهذه الأبيات في كتاب " قوانين حكم الإشراق " يقول الشارح : " نزل العارف على ساحل يحر المعاني الذوقية ، و أشرقت عليه هناك شمس المعارف الكشفية ، فصار بذلك أفق طلوعها بنور شروقها و محل غروبها بعد يروقها ، له التعرف في جواهر التحقيق ، و اليد الطولى في التدقيق ، فيامن دخل يحر التوحيد و استغنى بشمس الذات و استنار بنور الصفات ، و قرأ سره المكتوم ، و فهم تعلق العلم بالمعلوم ، و حل بحبوة ذلك الفضاء الواسع ، في حضرات شهود النور الساطع ، أنت الغريب في الأكوان ، لما جمعت من حقائق العرفان ، حضرة غيبك لا تفهم ، و أسرار حكمتك لا تعلم " (١) ، و نستطيع أن نستشف من البيت الثاني : (من الطويل)

و شَمْسٌ عَلَى الْمَعْنَى تُطَالِعُ أَفْقَنَا فَمَغْرِبُهَا فِينَا وَ مَشْرِقُهَا مِنَّا

أَنْ الشَّاعِرَ مُتَأَثِّرَ بِنَظَرِيَّةِ الْفَيْضِ عِنْدَ ابْنِ سِينَا (ت ٥٤٢٨ / ١٠٣٧ م) ، ،
و الأفلاطونية الحديثة (٢) .

و يؤكد ذلك قوله من قصيدة ثانية إذ يستعمل ^{كلمة} " فيض " مرachine : (٢)

(من الرَّمْل)

أَشْرَقَتْ أَنْفُسُنَا مِنْ نُسُورِهِ فَوُجُودُ الْكُلِّ عَنْ فَيْضِ الْكَرَمِ

(١) جمال الدين محمّد أبو المواهب ، قوانين حكم الإشراق : ٥٦ - ٥٧ .

(٢) الغبريني ، عنوان الدراية : ١٥٧ و انظر تفصيل ذلك في سعاد الحكيم ، المعجم الصوفي ٨٨٨ - ٨٩٣ .

(٣) نفسه : ١٥٦

و المعرفة لدى الشاعر لا يتوصل إليها عن طريق العقل، لأنّ العقل
يوجب الإنسان من الوصول إلى المعرفة. الحقّة، ، بل إنّ الوصول إليها
يتمّ بالدّوق و الكشف : (من الرّمل)

كُلَّمَا رُمْتُ بِذَاتِي وَهَلَسَةً صَارَ لِي الْعَقْلُ مَعَ الْعِلْمِ جَلَمٌ (١)
يُقْطَعَانِي بِخَيَالَتِهِ الْفَنَسَا عَنْ وَجُودٍ لَمْ يُقَيِّدْ بِعَدَمٍ

و مهما يكن من شيء ، فإنّ الشعراء المتصوّفة استمدّوا أفكارهم
و معانيهم من الشعراء الغزليين ، و نقلوها إلى ميدان التّصوّف مستعملين
الرّمز في تعبيرهم عمّا يريدون ، مستعينين بالفاظ و معان صوفيّة
و امطلاحات خاصّة بكلام المتصوّفة تجعلها في كثير من الأحيان غامضة مبهمّة
لا يمكن الكشف عن مدلولاتها و مقاصدها إلاّ بالإلمام بمعاني تلك
الامطلاحات .

٢

(١) الجَلَمُ : المقص يُجَزِّيه ، و جَلَمُ الشيء : قطعه .

٤ - الحديث عن مصحف عثمان

ومن الموضوعات المستطرفة في الشعر الموحدى موضوع لم تألفه من قبل في الشعر المغربى وهو الحديث عن مصحف عثمان الذى كان في الجامع الأعظم بقرطبة حتى قيام دولة الموحدين ، حين أحضره ولدا عبد المؤمن بن علي: أبو سعيد ، وأبو يعقوب من الأندلس إلى المغرب سنة : ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م . وبقي خلفاء الموحدين يتوارثونه ويعنون به « ويحملونه في أسفارهم متبركين به إلى أن حمله السعيد - علي بن إدريس بن يعقوب المنصور - حيث توجه إلى تلمسان آخر سنة : ٦٤٥ هـ / ١٢٤٧ م ، فقتل السعيد قريباً من تلمسان ، ووقع النهب في الخزانة ٠٠٠٠ ونهب المصحف في جملة مائته منته منه » (١) .

ثم عثر عليه بنو عبد الواد ملوك تلمسان فاحتفظوا به حتى سقوط حاضرتهم بيد المرينيين ملوك المغرب الأقصى سنة : ٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م فصار المصحف إلى أبي الحسن المريني (ت ٧٥٢ هـ / ١٣٥١ م) فبالغ في الاعتناء به ، وحمله في أسفاره إلى أن غرقت سفنه أثناء رحلته من تونس إلى المغرب سنة : ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م فضاع فيما ضاع من حمولات السفن ، وكان آخر العهد به .

وقد زعم كثير من الناس أن هذا المصحف هو مصحف عثمان بن عفان ، وبالفعل بعضهم في زعمه فقال : إن فيه دم عثمان ، غير أن هذا الكلام مشكوك فيه ، بينما رأى فريق آخر أنه أحد المصاحف الأربعة التي أجمع عليها الصحابة وأرسلها الخليفة عثمان إلى الأمصار الأربعة : مكة والبصرة والكوفة والشام (٢) لتكون أصولاً يؤخذ عنها ، ويعاد إليها .

(١) أبو العباس الناصري ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى : ٢ / ١٢٩

(٢) ناقش الناصري هذه المسألة ، وأورد كثيراً من الشواهد في كتابه الاستقصا :

١ / ١٢٦ وما بعد ، فليراجعها من أراد التفصيل في موضعها .

ومهما يكن من أمر ، فإنّ هذا المصحف حظي بعناية عبد المؤمن إذ احتفل بكسوته وحليته احتفالا كبيرا ، « فحشر الصّناع المتقنين ممّن كان بالحضرة وسائر بلاد المغرب والأندلس فاجتمع لذلك حدّاق كلّ صناعة » (١) .

واستمرّ خلفاء عبد المؤمن في الاعتناء بهذا المصحف والاحتفال بكسوته وتزويقه ، لنستمع إلى مؤرّخ من ذلك العهد وهو يصف لنا موكب هذا المصحف وزينته : « ٠٠٠٠ وهذا المصحف - يعني مصحف عثمان - وقع إليهم من نسخ عثمان - رضي الله عنه - من خزائن بني أميّة ، يحملونه بين أيديهم أنّى توجهوا على ناقّة حمراء عليها من الحلي النفيس ، وشباب الدّيباح الفاخرة ما يعدل أموالا طائلة ، وقد جعلوا تحته بردعة مـن الدّيباج الأخضر يجعلونه عليها ، وعن بيمينه وبساره عصوان عليهما لواءان أخضران ، وموضع الأسنة منهما ذهب شبه تفاحتين ٠٠٠ » (٢) .

وكان الموحّدون عندما يخرجون في حرب أو غزو يقدّمون أمامهم المصحف العثماني في أحسن هيئة « على جمل مرتفع عليه قنّة حمراء لتصونه ، وهو منظّم بالجوهر والياقوت الأحمر والأصفر » (٣) .

تناول الشّعراء الموحّدون في أشعارهم الحديث عن هذا المصحف فأكد بعضهم أنّه مصحف عثمان حقّا ، فمن واجب الخليفة أن يصونه ، يقول محمّد بن حبّوس الفاسيّ : (٤)

(من السريع)

مُصْحَفُ ذِي النُّورَيْنِ عُثْمَانُ مَا كَانَ لَكُمْ عَنْ صُورِهِ بُدُّ

(١) النّاصري : الاستقصا : ١ / ١٢٨ .

(٢) عبد الواحد المراكشي ، المعجب : ٢٥٣ .

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، قسم الموحّدين : ١١٨ .

(٤) ابن عبد الملك : الذّيل والتّكملة ١ / ١٦٠ .

ولا يكتفي الشاعر بتأكيد كون هذا المصحف هو أحد المصاحف التي أرسلها عثمان إلى الأمصار المختلفة ، بل يزعم بأنه مكتوب بخط عثمان رضي الله عنه ، وكان شاهداً على جريمة مقتله : (١)

(من السريع)

هَذَا كِتَابُ اللَّهِ حَلَّ اسْمُهُ بِخَطِّ عُثْمَانَ وَفِي دَخْلِهِ
أُنِيسُهُ فِي وَحْشَةِ الدَّارِ إِذْ تَوَاطَأَ الْقَتْلُ إِلَى قَتْلِهِ

ونظراً إلى أهمية هذا المصحف فقد حفّوه بالتبجيل والتكريم فنعتوه كما نعته غيرهم بالمصحف الإمام ، لنستمع إلى أبي الحسن بن القطّان وهو يحدثنا كيف وضع المنصور الموحّدي المصحف العثماني في حُجْرِهِ بقوله : (٢)

(من المتقارب)

إِمَامُ الْمَصَاحِفِ فِي جِجْرِ مَنْ بِهِ حَفِظَ اللَّهُ هَذَا الْأَنَامَ

أرأيت كيف اتخذ الشاعر من حديثه عن المصحف تكأة لمدح المنصور ؟ إن الحديث المتصل بالمصحف العثماني عند الشعراء الموحّدين يرتبط دائماً بمدح الخليفة الموحّدي ، فهم يمدحون الخليفة دائماً برعاية المصحف والاعتناء به ، رغبة منهم في أن يظهرُوا اهتمام الممدوح بالدين ، فهو حاميهِ وراعيهِ .

كما تطرّقوا إلى الحديث عن احتفال الخلفاء الموحّدين بتزيين المصحف وإظهاره في أبهى حلّة ، وأقشَب ثوب ، وكان حديث ابن حُبوس عن حلية المصحف طويلاً بعض الشيء ، فهو يفتّق في المعنى ، ويأتي بتعابير مختلفة لإيضاح ما يريده ، فيقول :

(من السريع)

(١) ابن عبد الملك : الذيل والتكملة ١ / ١٦٢

(٢) نفسه : ٨ / ١٧٠

- أَلْبَسَهُ مِنْ رَائِقِ الْحَلِيِّ مَا
وَزَادَ مَا أَبْطَنَ مِنْ بَرِّهِ
نَشْرُ يُفِيءُ النَّحْمَ فِي عُلُوهِ
فَمِنْ حَصَى الْيَاقُوتِ حَصَاوُهُ
كَأَنَّمَا الْأَصْبَاغُ فِيهِ وَقَدْ
زُخْرِفَ النَّوَارُ فِي رَوْضَةِ
فَاضِ أَيْتِي الْحُسْنِ فِي كُلِّهِ
يَعْحَرُ جِيدُ الدَّهْرِ عَنْ حَمْلِهِ (١)
عَلَى الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ حَفْلِهِ
وَنَبَرَاتُ الشُّهْبِ فِي سُقْلِهِ (٢)
وَتَبَرُّهُ يُغْنِيهِ عَنْ رَمْلِهِ (٣)
تَأَلَّفَ الشَّكْلُ إِلَى شَكْلِهِ
هَرَّاقَ فِيهَا اللَّيْلُ مِنْ طَلِّهِ (٤)
فَكَلَّتْهُ يَعْحَرُ عَنْ كُلِّهِ

أرأيت كيف جعل الشاعر من المصحف شعلة من الأصواء والألوان التي تخطف الأبصار وتأخذ بالآلباب ؟ إنه يرسم لوحة لهذا المصحف وقد رُصع بضروب الحلي المختلفة الألوان ، وزُخرف بأثمان الأحجار الكريمة والمعادن الثمينة من ياقوت وذهب وغير ذلك ، فتألفت ألوان كسونه واتسقت ، فجاءت قمة في تناسب الألوان ، تحكي روضة غناء تفتحت في أرجائها ضروب الورود والنَّوَار ، ولم يكتف الشاعر بتشبيه حليمة المصحف بالروضة المتنوعة الورود ، ولكن جعل هذه الروضة مطلولة الورود والأوراق مما زادها بهاء وروعة ونضارة .

وبالإجمال فإن هذا المصحف لم تر العين شبيهاً له :

لَمْ تَرِ عَيْنٌ قَطُّ شَبِيهاً لَهُ وَلَمْ تُصِغْ أُذُنٌ إِلَى مِثْلِهِ

- (١) الضمير في " ألبسه " يعود على الخليفة عبد المؤمن بن علي
(٢) النَّشْرُ : ما ارتفع وظهر من الأرض .
(٣) الحَصَا : الحصى وصغار الحجارة ، والتَّبَرُّ : فُتَاتُ الذَّهَبِ أو الفضة قبل أن يصاغا .
(٤) الطَّلُّ : المطر الضعيف الخفيف الصغير القطر .
(٥) الْأَيْتِيُّ : السَّيْلُ .

ومهما يكن ، فإنَّ الشَّعراءَ الموحَّدين صَوَّروا لنا في أشعارهم اهتمام خلفائهم بالمصحف العثماني واحفالههم به ، واتَّخذوا من هذا الأمر موضوعاً يمدحونهم به ، كما وصفوا حليته الرَّائقة وكسوته الغالية الثَّمن ، البهيَّة التي تسرُّ الناظرين ، ويبيِّنوا أنَّ اهتمامهم بهذا المصحف الشريف عائد إلى كونه أحد المصاحف الأثمة التي أرسلها الخليفة الرَّاشدي عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى الأمصار المختلفة لتكون أصولاً يعاد إليها ، فهو حقيق بكلِّ عناية وتقدير .

الفصل الرَّاسع

العسرل

الغزل

نُعَدُّ العزل من أقدم القنن الشعريّة عند العرب ، وأكثرها سُبوفا لاتصالها الوثيق بالطبيعة الإنسانية . فقد عزل الحاهليّون من معلقاتهم وفصائدهم ، وكان الرأى السائد لدى جماعه من التّقاد العدامي في هذا العزل أنّه كان بأنى في مقدّمات الفصائد فحسب لاسنمالة فلوب السّامعي (١) .

وهذه النّظرة إلى العزل الحاهليّ على أنّه تفليد فنّي في الفصيدة جعل بعض الدّارسين يحدّدون بدايه بطور هذا الفنّ بالعصر الأمويّ الذي طهر فيه اسفلال العزل لأوّل مرّة في الشعر العربيّ عن الموضوعات التّفليديّة الأخرى ، يقول المستشرق حب بهذا الصّدد : ((وبدأت أولى خطوات التّجدد في حوّ النّمدس المحيط بمكّه . ومن الحائر جدّاً أنّ هذا الوحى الحدسد حاء من بلاد الفرس ، وربّما حاء أيضا من اليونان ، ولكنّ المهمّ في الأمر أنّ التّسبب - وهو لم يخرج عن أنّه حرء من الفصيدة - قد نظور فأصبح مبنّاً فائماً بذاته ، نعال فيه الفصيدة كاملة)) (٢) وهذا ماذهب إليه أيضا المستشرق كرانسكوفسكى (٣) ، وأتّده مجموعة من الباحثين العرب منهم الذّكور شكري فيصل الذي يحدّد هذه الطّاهره من أبرز ملامح الشعر في العصر الأمويّ (٤) . سيما رأى بعض الباحثين أنّ اسفلال العزل عن الموضوعات الأخرى قد حقق منذ العصر الحاهليّ (٥) .

إلى جانب هذه الإشكاليّة المتعلّقه بنظور فنّ العزل من حيث الشّكل ثمة إشكاليّة أخرى تعلق بنظوره من حيث النوع ، فذهب بعض الباحثين إلى أنّ العزل العذريّ نشأ لأوّل مرّة في العصر الأمويّ وربطوا هذه النّشأة بطروف عرب

(١) ابن فسيه ، الشعر والشّعراء : ١ / ٧٥

(٢) أحمد الحوفي ، العزل في العصر الحاهلي : ١٥٨ - ١٥٩

(٣) كرانسكوفسكى ، دراسا في تاريخ الأدب العربي : ١٦ - ١٨

(٤) شكري فيصل ، بطور العزل بين الحاهليه والإسلام : ٤٤٠

(٥) أحمد الحوفي ، العزل في العصر الجاهلي : ١٥٧ - ١٥٨

سوادى الحجاز فى هذا العهد (١) ، أمّا الغزل الماحى الذى يجاور فيه الشعراء ذكر معاس المرأة إلى القول الفاحش فربطوا نسائه بطروف حواصر الحجار المادّته فى عهد بنى أميه (٢) ، وبالتّموّ الحصارى فى العصر العباسى (٣) على حين ذهب ناحون آخرون أنّ العزل سوعه العدرىّ والحسّى الفاحش عرفهما العصر الحاهلىّ ، أيّ أنّهما لسا ممّا عرف لأول مرّة فى العصر الأموى (٤) .

ومهما يكن من أمر ، فإنّ غرض العزل قدسّم قِدم القصده العربيه ، فحسّ بفق عليه فى معدّات فصائد الشعر الحاهلىّ الى ملّ أن حلّو واحده منها من التّقديم بالتّسبب لأنّّه - كما يرى ابن فسيّة - من أهمّ عناصر سدّ الانتباه لأنّ العزل " لا يظنّ بالقلوب لِمَا قد جعل الله فى تركيب العباد من محبّه العزل وإلف النساء ... " (٥)

ويرى ابن رسيق أنّ التّسبب معناه لولوح سائر الأعراض والمواضع ذلك أنّه إذا " انفتح للشاعر سبب القصده فقد ولح من الباب ووضع رجله فى الرّكاب ... " (٦)

وإذا عدنا إلى المدوّنة السّعريّة التى جمعناها ، ألسنا عددًا لا بأس به من الفصائد والمعطوعات التى قبلت فى العزل ، ومع هذا فلا يستطيع القول أنّ ما جمعناه من شعر العزل هو كلّ ما قاله النّعراة المعاربه فى هذا العصر ، لأنّ فسمّا كبراً من أسعارهم قد أسن عليه غوائل الدّهر ، وفسمّا آخر ما رال حبس الرّفوف فى المخطوطات ، ولعلّ الأتّام القائله سحرجه من بطونها وبطهره للنّاس ، لذلك سنكون أحكامنا على الموفر من هذا الشعر الذى يمكن أن نصنّعه فى أربعة محاور هى ، العزل التّفليديّ، والعزل العُذريّ ، والغزل الحسّى ، والعزل بالمذكّر .

-
- (١) طه حبيب ، حذب الأربعاء ١٨٨/١ وما بعد ، وشكري فيصل ، نظور العزل ٢٨٤
 (٢) شكري فيصل ، نظور العزل ٣٤٣ وما بعد .
 (٣) سومي صف ، العصر العباسى الأول : ٣٧٠ .
 (٤) يوسف حسن بكّار ، اتجاهات الغزل : ١٣ و ١٧ وأحمد الحومى ، العزل فى العصر الحاهلىّ : ١٥٩
 (٥) ابن فيسيّة ، الشعر والشّعراة : ١ / ٢٠ .
 (٦) ابن رسيق ، العمده : ١ / ١٨٠ .

١ - العزل النفلبدى :

وهو العزل الذى كان الشعراء يفسحون به فصائدهم المدحثة، ويقدمون لهذه الفصائد به ، وهذا الضرب من العزل قليل جدا ، فقد حلّص الشعراء الموحّدون من نعمه النكاء على الأطلال ، وأصلّ الشعراء من برديد الأوصاف النفلبدته لكونهم انصرفوا إلى تصوير حياتهم التى امتازت بالتحضر والاسفرار فاحتجب الأطلال من حياتهم ، وبالتالي اختفى من أشعارهم أو كاد .

وفندوهفت على قصدين مدحّين قدّم صاحباهما لهما بالعزل النفلبدى الأولى للشاعر أبى ريد العازازى في مدح أبى المعالى محمود بن أبى القاسم الفارستى (ب ٥٨٤ هـ / ١١٨٩ م) والثانية لاس خوس القاسى في مدح الوزير أبى جعفر بن عطبة .

أما قصيدة العازازى فيقع في اثنين وثمانين بيتاً ، اسيعرف المفدّمه فراه نصف القصيده ، (أربعين بيتاً) ، وقد اتسع الشاعر في هذه المفدّمه اتساعاً كبيراً ، فبدأها بالوقوف على الأطلال ، ومحادّثها ، وجعل الأطلال سائله عن سكّانها ، وهو بهذا يفارق الشعراء القدماء الذين اعتمدوا مساءله الأطلال عن أصحابها فيقول : (١)

(من الكامل)

فَرُّوْا وَفَرِّطْ دُؤْهَمُ بُعْرِيسِ وَأَوَّا وَفَرِّطْ صَائِسِ دَعُوْيسِ
وَقُولُ لِي الْأَطْلَالُ: أَتُسُ أَجَبِي؟ وَقُولُ لِي الْأَطْلَالُ: أَتُسُ قَطِي؟

ثم ينقل الشاعر إلى الحديث عن طعون الحبيبه ، فيطلب الحديث عنها وعن رحلتها ملتبساً مع الشعراء الجاهلّين والإسلامّين بعدهم في إحياء أسرار رسوم رحلة الطعائى الأساسيّة التى كان الشعراء العرب يلافون فيها (٢) .

(١) اسعد المثلث ، الذيل والتكملة : ٨ / ٣٦٨ .

(٢) انظر تحديد أبرر هذه الرسوم في نظور العزل بن الجاهلّية والإسلام لشكرى فيصل ١١٧ " والرحلة في القصيدة الجاهلّية لوهر روميه ٢٢ " وهذه الرسوم هي :

١- إعلان حبر الرّجل

٢- مماساة الرّكب والوقوف عند معالم الطريق .

٣- وصف الطعائى والهو ادح - ذكر النساء والتحدّث عنهن

٤- موقف الشاعر من الطعائى المنحلّله .

فَسَقَطَتْهُمْ وَجَمَالُهُمْ نُخَذَى بِهَا
 لَامِعِرِصِرٍ وَقَدْ عَرَضْتُ مُسْتَعَاً
 هَاكُمُ فُوَادِي فَاقْبَلُونَهُ وَإِنَّهُ
 فَنَصُّوا سُخُوفَ الْحَزِّ عَنْ أَحَدِهِمْ
 وَفَهْمُ سِرِّ الْحُسْنِ وَهُوَ مُكْتَسَمٌ
 وَرَهْنُ نُسَى وَالْحَيَاةِ يَوْفَفُ فِيهِ
 وَطَنُ لَيْسَ قُدُودِهِمْ يَفْلُوبِهِمْ
 عَاهَدْنَهُمْ إِلَّا فِرَاقَ وَإِنَّمَا
 وَفَرَزْتُ عَنَّا بِالْحِدَاعِ وَفَلَمَّا
 وَرَحُوتُ فِي خُسْبِنِهِمْ تَخَصُّصَهُمْ
 وَحَمَالُهُمْ مِنْ قُومِهَا سَخُودِي
 رُدُّوا السَّلَامَ فَلَقَطَةُ كُفَّيِي
 ثَمَنَ بَجَلٍ لَدَيَّ عَنْ مَثْمُورٍ
 فَدَتُ لِي الْأَقْمَارُ فَوْقَ عُصُورٍ (١)
 فِي لَيْلٍ سَعَرٍ فَوْقَ صُنْحٍ جَبِي
 صَنُّوا بِهَا مِنْ نَعْدٍ فَنَصِرُهُورٍ (٢)
 فَإِذَا الْقَسَاوَةُ طَيَّ دَاكُ اللَّيْلِ
 عَاهَدْتُ كَالْجَرْبَاءِ فِي الثَّلُوبِ
 فَزَّتْ عُورٌ عِنْدَ حُورٍ عَبِي
 فَجَهَلْتُ مَا لِلصَّادِ مَعْنَى السَّيْرِ

إِنَّمَا لَمَحَ فِي طَعَائِنِ أَيْ زَيْدِ الْعَارِزِيِّ آثَارَ الشَّعْرَاءِ السَّابِقِينَ لَهُ ،
 فَهُوَ يَرَسِّمُ خُطَا الشَّعْرَاءِ الْهَاطِلِينَ ، وَيُوقِّرُ لَطَعَائِنَهُ مَحْمُوعَةً مِنَ الرُّسُومِ الْعَتِيَّةِ
 الَّتِي وَقَرَّهَا الشَّعْرَاءُ السَّابِقُونَ لَطَعَائِنَهُمْ ، فَهُوَ يَصْدَعُ بَحْرَ الرَّحِيلِ ، وَيَعْمَحُ
 عَنْ مَوْفَعِهِ مِنَ الطَّعَائِنِ الْمُنْحَمِلَةِ ، فَعَدَّ أَضَاءَهُ هَذَا الْفِرَاقَ وَأَوْسَكَ أَنْ يَفْلَهُ
 هَذَا الْبَيْتَ ، فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ جَرَى كَالْمَحْيُورِ مِمَّا شَاءَ الرِّكْبُ ، وَمَجَادِبَا
 أَصْحَابِهِ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ الشَّحِيِّ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى مَعَالِمِ الطَّرِيقِ وَكَأَنَّ الْجَزَعَ
 الَّذِي أَصَابَهُ شَعْلُهُ عَنْ كُلِّ سَاءٍ إِلَّا عَنْ هَوْلَاءِ النَّسْوَةِ الْآلِيَةِ بَعْضُهَا . كَمَا
 سَرَاهُ نَعَصَرَ فِي وَصْفِ الطَّعَائِنِ وَالْهَوَادِجِ ، فَلَا يَرَى عِنْدَهُ إِلَّا هَذِهِ الْإِشَارَةَ
 السَّارِعَةَ الْخَاطِفَةَ إِلَى الْأَحْدَاجِ وَفَدَّ غُطْبَ سَجُوفِ الْحَرِّ :

فَنَصُّوا سُخُوفَ الْحَزِّ عَنْ أَحَدِهِمْ فَدَتُ لِي الْأَقْمَارُ فَوْقَ عُصُورٍ

وَحِينَ سَعَدَ الطَّعَائِنُ عَلَى عَيْنِي الشَّاعِرُ ، وَسَوَارَى عَيْنِهِ فَلَيْلًا فَلَيْلًا شَدِيدَ
 لَوْعِهِ ، وَجِئَتْ جَنُودُهُ مِمَّا سَأَلَهُ سَأَانَ الشَّعْرَاءِ الْعَرَبِ مِنْدُ الْهَاطِلَةِ الذَّنَّ دَأَبُوا
 أَنْ يَفْتَحُوا لِلْحَطَّابِ الْبَيْتِ وَدَنَوْ سَاعَاتِ الْعِرَاقِ - فَيَكْفِي عَلَى نَفْسِهِ مَصْعَبًا إِلَى
 وَجِيبِ فَلَسِهِ مَسَحَلًا هَذَا الْأُنْسُ فِي أَسَابِ نَرْشِجِ حَرْبِهَا . وَنَعْطَرُ أَسَى عَلَى هَذَا

(١) السُّخُوفُ ، ح سَحَفٌ وَسَحَفٌ : وَهُوَ أَحَدُ الْمُسْتَرْتِينَ الْمَعْرُوسِينَ بَيْنَهُمَا مُرْجَفٌ ،

وَالْأَحْدَاجُ ، ح جَدَّحٌ : وَهُوَ مَرْكَبٌ لِلنِّسَاءِ كَالْهُودَجِ .

(٢) الرَّهْوُونَ ، ح رَهْنٌ ، وَهُوَ مَا يَصْقَهُ الْإِنْسَانُ عِنْدَ عِبْرَةِ لِسَابِ مَا أَحَدُهُ مِنْهُ .

الخطيب الذي أَلَمَّ به فحلف على نفسه فروحا لا يدمل ما في الحب
بعدا ، لذلك عَدَّ ابنُ حَزْم موقف العراق من المناظر الهائلة والمواقف
الصعبة (١) ، فيمر الشاعر على منازل الأختة الخالصة ، ويفتقد طوبى
يعود فيها إلى ذكريات الماضي الجميلة ، ويندكر هؤلاء النسوة وعسسه
التاعم سيهن ، حيث كان نعم بالود والحب ، بلفت طرفه فلا يقع إلا على
الحسن والنها ، والرؤعة ، وهل نَمَّه أحلى من قرب الحسنة ، ووصالها ؟
لقد سحره . وأسرت نفسه فلا يملك لنفسه عفا :

وَلَعَدَ مَرَرْتُ عَلَى الْمَنَازِلِ نَعْدَهُمْ	فَذَكَرْتُ عَهْدَ صَابِيٍّ وَمُجُوبٍ
أَتَامَ طَرْفِي رَابِعٌ فِي رُؤُوسِهِ	لِلْحُسْنِ نَسْ سَوَالِغٍ وَعُكُوبٍ
وَوَجَدْتُ مِنْ رِيقٍ هُنَاكَ وَنَعْمَةٍ	أَتَهَيَّ مِنَ الصَّهَاءِ وَالتَّلْجِ
عَشْتُ نَعْمَتُ بِهِ فَبَانَ بَيْنِيهِ	صَرُّ أَنَابِي فَقَدُهُ فِي الْحَبِ
أَسْرُكُ لَمَّا فَبَدَنُكَ بِسِحْرِهَا	فَاخْلُدْ بِلَا فِكٍّ وَلَا تَأْمِ

فالشاعر يعنى بصور مفانن محبوبته التى أسرنه ، فهى حملة الوجه ،
عده الريق ، رقيقه الصوت ، حملة العنق ساحرة اللحظة ، وهى أوصاف
نمتح من معن الشعراء القدماء ، ولا يحفى احفاله بالمحسبات اللغظية
ولا سيما الحاس والطباق اللذين لا يكاد يخلو بيت منها ، وهى محسبات تظهر
بكتف الشاعر فى اصطباها وحسرها فى أناسه ، فحاف فى بعض منها
ثعلبه بمجها الذوق كقولها :

وَرَجَوْتُ فِي حُسْنِهِمْ نَحِيبَهُمْ فَحَلَلْتُ مَا لِلصَّادِ مَعْنَى السَّيِّ

وقوله :

وَرَأَيْتُ مِنْ نَعْمَانٍ مَا بُسْفِينِي وَرَأَيْتُ مِنْ نَيْرِينَ مَا تَرِينِي (٢)

والشاعر فى هذه المقدمة العربىة تتبع الميبح التقليدى للعبيدة
العربىة ، فهى مقدمة لفصده مدحته ، والصورة التى رسمها الأسـ

(١) اس حزم ، طوى الحمامة : ١٧٥

(٢) يريد أنه بطبر باسم (نَعْمَان) لأنَّ شقائق النعمان ينسب اليه ، و(شفائق)

تحانس (الشقاء) فى بعض حروفها ولذلك نظر به ، كما نظر من (برس)
وأنه سبربه العراق .

للمرأة المتعزل بها لا تختلف عن النموذج المثال عند الشعراء العرب ، فالوجه أبهى مضىء يشع منه النور ، والشعر أسود فاحم كاللؤلؤ ، والمرأة كالريم ، والفد لبّن كالغصن ، والريق كالخمرة ، والصوت كاللحن ، واللحط كالسهم ، وهذه كلها صفات تراثية بدويّة سجّ فيها دبوان الشعر العربي القديم . وارنط الغزل هاهنا بمواقف التّحمّل والارنحال التي لاندو لها صله حممة بحياة الحضر ، ممّا يجعلنا نقول : إنّ الشاعر بصف أطلاّ ، وظعائن موهّمة على النّفلبد ليس إلّا . ولا تقتصر صلة هذه المقدّمة بالغزل القديم على العناصر الحسّية والتّشبيهات التي اعتمد عليها الشاعر ، بل إنّ الموصّفات النفسانيّ له في هذه الأبيات شئد بمواقف الحاهليّين الذين طالما ذرفوا الدّمع مثله عند تحمّل الأحبة ، كما أنّ الشاعر بقرب من الشعراء العدامي في بعض الأوصاف النّفسيّة للمرأة ، فعندما بصّور تلوّنها وحداها بلتفب إلى الببئة العربيّة ويستمدّ منها صورته فيقول :

عَاهَدْتُ كَالْجِرَاءِ فِي التَّلْوِينِ عَاهَدْتُمْ إِلَّا فِرَاقَ وَإِنَّمَا
فَرَّتْ عُيُونٌ عِنْدَ حُورٍ عِينِ وَفَرَرْتُ عَيْنًا بِالْخِدَاعِ وَقَلَمًا

وفدبما وصف كعب بن زهير حبيبته بالنّظون فعال (١) :

(من السط)

مَمَّا بَدُومُ عَلَى حَالٍ نَكُونُ بِهَا كَمَا لَنُورٌ فِي أَثْوَابِهَا الْعُولُ

وأطن أنّ تشببه ساعرنا الفانازيّ أقرب لأنّه تنّه المحسوس باللموس ، فالجرباء حوان معروف بلّون حلدّه حسب المكان الذي يوجد فيه ، في حن أنّ العول حوان حرافيّ لم يره أحد .

أمّا المقدّمة الغزليّة الثانية فهي للشاعر محمّد بن حوس الفاسيّ وهي أصا مقدّمة لقصيدة مدح فيها الوزير أبا حنّفر بن عطية ، وجاءت هذه

(١) دبوان كعب بن زهير : قصيدة البردة : ٨

المقدمة في أربعه أبيات يقول فيها : (١)

(من الطويل)

أَلَا زَارَ مِنْ أُمَّ الْحُسْبِ حَالُهَا	وَمِنْ دُوبِهَا السِّدَاءُ نَحْفُ الْهَا (٢)
لَعْدَ أَوْفَدَتْ فِي الْقَلْبِ مَيَّ حَمْرَه	نَدَا فِي سَوَادِ الْعَارِضِ اشْبَعَالُهَا (٣)
نَكَلْتُ اللَّالِي عِنْدَ عَثْرِي سِلْمُهَا	وَرَوْفَه دُنَاهَا وَعَيْدِي فِئَالُهَا
أَحْسَدْنِي فِي أَنْ أَعِشْ كَأَنْمَا	إِذَا فَسَدَتْ حَالِي سَمْلُحُ حَالُهَا

سحّدت الشاعر في أبياته عن طيف محبوبه الذي زاره ، فبعث من زيارته له على بعد المسافه ، وحلوله الصحراء الملائ بالسرور بسبه وسننها ، فلم يكن زيارة الطيف زياره مؤاسف ومواساه وسرور للشاعر ، بل على العكس من ذلك لقد كان وسيله للهم ، فقد أسعل هذا الطيف جمرة الحث في قلبه ، وحرمة هناء النوم وهدوءه ، وكأما آلب اللالي على نفسها أن حرمة من الهناء ما عاس ، وكأن هدوء بالها وراحها في نعيمه وألمه وشفائه .

لقد ألمّ الشاعر ببعض العناصر الطيفيّة المعرومه عند القدماء ، كالتعجب من زياره الطيف ، وذكر المماوز التي قطعها في طريقه إليه ، كما ذكر موقفه منه وهو موقف الرّاصل لهذه الرّارة ، وأعفل بعض العناصر الأخرى ، فلم يعب الشاعر محاسن الطيف كما كان يصنع كثير من الشعراء ، ولم يحدّد وصف الرّاره . وما يميّز هذه الأسا هو غلبه الطابع الوجدانيّ عليها ، فهي مصروفه لصورهمّ الشاعر ، وحالته النفسه في هذه اللّيله المسهده التي صامت فيها الدّسا عليه من رباره هدا الطيف .

(١) صفوان بن إدريس ، راد المسافر : ٤٥

(٢) البدياء : الصحراء .

(٣) العارضا : صفحا الحد .

نخلص إلى القول : إنَّ العرل النَّفلسديّ ظلَّ مربوطاً بالتّراث ، فعاء
نعبير الشعراء عن عواطفهم في إطار مواقف التّحمّل والارنحال الّـبي
لاعلافة لها بحياة شعراء المعرب في عهد الموحّدين ، فنفتحوا لرحل
حسبه مزعومه ، وتسوّقوا إليها ، وكواحتهم ، وأثار هجر الحبيبة في
نفوسهم إحساسات مضمّنية فاكتحلت عيوسهم بالسّهاد ، فشكو أرقهم وطول
لاليهم ، وطرفهم حيال الحبيبة فأورى نار الصّابة في نفوسهم ، ونكد
عبيشتهم وكدر صفوهم .

أما الصّنع البلاغيّة فكانت أدبيّة في أشعارهم ، فأكثروا من الحناس
كثرة لافتة للاننباه ، ولم يغفلوا الطّباق والمفارقة .

٢ - الغزل العفيف :

ويقصد بهذا النوع من الغزل ذلك الذي يكون ((مداره شعور الحت نفسه ونأثيره في نفس المحت ، ومدى ارتباطه واندماجه معه ، وموقف الحبيبة من صاحبها في الصّد والوصال ، إلى ما سوى ذلك من التّواحيش المعنويّة التي لا تتعرّض لمواضع حسّته في المحبوبة ٠٠٠)) (١) ، وكان هذا الضّرب من الغزل امتداداً لموجة الغزل العذريّ التي انتشرت في العصر الأمويّ ، ثم برز بعد ذلك في بغداد في القرن الرّابع الهجريّ على يد ابن داود الأصبهانيّ (ت ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م) صاحب كتاب الزّهرة " الذي يعتبره ماسنيون أوّل محاولة لوضع منهج شعريّ للحتّ الأملاطونيّ ، وكان ابن داود وأضرابه من أهل الظاهر يحدون في هذا اللون من الحتّ الظاهر عوضاً عن الحتّ الإلهيّ الذي كان مذهبهم ينكره ، وكانوا يطلعون عليه الحبّ العذريّ بسببه إلى أسلافهم من بني عُذرة ، وقد قدّر لهذه الدّعوة أن تحد لها صدق في الأندلس ، فألف ابن فرح الحبانى كتاباً على مثل الزّهرة لابن داود ، ثم قام ابن حزم بعد ذلك بتفصيل الحبّ العذريّ وتعريف ماهيّته في كتاب طوق الحمامة " (٢) .

ومد امتدّ تأثير هذه الدّعوة إلى العصور اللاحقة في المغرب والأندلس ، فنردّد صداها عند كثير من شعراء عصر الموحّدين الذين النظموا حاش العفة في غزلهم ، فابتعدوا فيه عن التعابير المكشوفة ، والألفاظ العاضحة ، والصّراحة المحلّة ، فحاء أشعارهم بصوّر ما عبور نفوسهم من مساعير الحتّ العفيف الذي عاشوا له ، وأخلصوا فيه .

ومن أبرز هؤلاء الشّعراء الذين تميّز غزلهم بالعفة ، أبو الرّبيع الموحديّ الذي يعدّ باب الغزل في ديوانه من أكبر الأبواب فقد ضمّ سبعين فصيدة ومقطوعة مجموع عدد أبياتها ستّ مئة وأربعة أبيات وأغلب هذا الغزل من الغزل المعنويّ العفيف الذي يتسم بالمحّة الصادقة

(١) محمد مصطفى هدارة ، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثّاني الهجريّ : ٥٠٣ .

(٢) غرسية غومس : الشعر الأندلسيّ : ٤٣ وما بعد .

والمعانى الحلقية السامية ، ذلك أن نظرة الشاعر أبى الربيع إلى المرأة
لست تلك النظرة المبتذلة ، ولكنها نظرة نترفع عن أدراان الحسن وعسى
الفاحشه ، فحاء حدثه عنها حدثا عاطفيا صادما ، يصور أثر الحب في
نفسه ، وما يعانیه من عذاب وصالة ، وحراره وشوق ، كما يكثر فيه
من الشكوى الدائمة من العراق والألم والحرفة ، والسهاد والقلق ، هذه
المشاعر التى تشي بأن الشاعر لم يذق - ولو للحظة - نعيم الحب ، وطعم
سعادة المحبب .

لستمع إليه وهو يعتز عن خلجات نفسه فى أبيانه التالية : (١)

(من الكامل)

صَتَّ بَذُوبٌ صَبَابَةٌ لِبُعَادِهِ	وَجِعْتُ نَاطِرُهُ لَطُولِ سُهُادِهِ
مُنِعَ الرُّقَادُ ضُنَانَةً بِأَحْيَةٍ	فَدُ كَانُ لَفَاهُمُ لِحَبِّ رُفَادِهِ (٢)
فَكُنَى لِيُطْفِئَ حَرَّهُ بِدُمُوعِهِ	غَلَطًا فَكَانَ الدَّمْعُ مِنْ رُؤَادِهِ
عَجَبًا لِنَارِلَمْ يَزِدْهَا دَمْعُهُ	إِلَّا وَفُودًا وَهِيَ مِنْ أَضْدَادِهِ
مَنْ ذَا تُسَوِّغُهُ اللَّعَاءُ وَدُونَهُ	دَهْرٌ عَا لَابُدَّ مِنْ إِسْعَادِهِ (٣)

فالشاعر يصور فى الأبيات حذوة الحب الموهجة فى أعماقه ، ويصف
ما أحدثه الحب فى نفسه ، فهو بذوب حسبا وصالة لعد حسنه ، ويمضى
ليله سهران بذرف الدمع الغزير علّيه يطفىء بعض حراره فؤاده ، ولكن
ذلك يعد ، فقد زاد شومه ، وانعدت النار أكثر فى فؤاده .

ومن هذه القصائد قصيدة رميفة تحدث فيها عن محبوبه لفة مُعَمَّة
من بنات الفصور ، أسرت لبيه ، وملكت قلبه ، فلما اضطر إلى فراقها
ورحله عنها ، بدأ يعانى ألم الوحدة وعذاب الفراق : (٤) ،

(من المتقارب)

(١) ديوانه : ٦٥

(٢) ضنانه : بحلا .

(٣) عتلا : تكبر .

(٤) ديوانه : ٥٤ .

وَمَا أَبْقَى الْهُوَى وَالشَّوْقُ مِنِّي سِوَى نَفْسٍ نَرَدُّدُ فِي حَالِ
خَفِيتُ عَنِ الْمُنْبَةِ أَنْ نَرَانِي كَأَنَّ الرُّوحَ مِنِّي فِي مُحَالِ

وكان المشاركة قد أنوا . مثل هذه المعاني ، فقد رأينا مثل هذا
المعنى عند شار والمسيبي الذي يقول : (١)

(من السبى)

كُفَى بِحِسْمِي نُحُولًا أَنَّنِي رَحُلٌ لَوْلَا مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرْنِي

وإذا كان أبو الرّسع قد نظر إلى بيت المتنبي في معناه ، وقاربه
فيما أنى به ، فإنّ الشاعر الفندلاوي قد سبق عليهما معاً ، فأتى بصورة
غريبة لهذا المعنى . فالمتنبي رحل ناحل مخاطب صاحبه ، وهو مرثيٌّ من
ذلك الصّاحب ، أمّا شاعراً فلم يبقَ منه إلاّ نفس نردّد في حال ، حتّى إنّه
حسى عن الموت أن يراه . وكان روحه في محال ، وهذا قريب من قول محمد بن
عبّاض (٢) .

(من مixel السبى)

أَتَحُلَّ جِسْمِي هَوَاهُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنِّي سِوَى الْإِهَابِ
فَاعْتَدَ لِرُوحٍ بِغَيْرِ جِسْمٍ فَذَرَكْتُ الرُّوحَ فِي الشَّيَابِ

وربّما سكا الشعراء الموحّدون من سنوّة الأحباب ، ورحلهم بعداً
فلوب من بحثون ، وفد حلفوهم حارّى ساهرون التّحوم في اللّيل ، فأكثر
هؤلاء الشعراء من التّشكى والتّظلم لأحبابهم ، يقول محمّد بن النّاصف : (٣)

(من المحت)

تَعِيبُ عَنِّي وَقَلْبِي لَدُنْكَ رَهْنٌ مُعَذَّبٌ
فَرَدَّهُ لِي ، وَبِئْسَ حُكْمٌ مَا تَشَأْ وَتَغَيَّبُ طُولُ الدُّحَى أَتَقَلَّبُ
اللّهُ يَعْلَمُ أَنَّنِي إِنْ كُنْتُ فِي الْوَصْلِ تَرَعْتُ
فَجَدْتُ عَلَيَّ بِطَيْشٍ فَلَحْ - فَدَيْتَكَ - كَوَيْتُ
إِنْ لَمْ تَلَحْ لِي بِدُرٍّ

(١) ديوانه ٤ / ١٨٦ .

(٢) صفوان بن يادرس : زاد المسافر : ١٣٧

(٣) ابن سعبد ، المغرب : ١ / ١٠٦

فالشاعر يسكو من حبيبهِ إليه ، يشكو إليه من عبادهِ ، وقد تركه
يسهر اللبالي ، ونفَلت في فراشه كمن ساوره ضئيلة من الأفاعي ، فطردت
من عينيه النوم ، ويطلب منه كثر من الضراعة والاستعطاف أن يردَّ له
فلسه ، ولغبت حنذاك حيث يرد ، وأن يزوره طبعه في الممام ، إن لم يكن
هناك سبيل لزيارته في النهار .

وهذا محمّد بن عدون المكناسيّ مخاطب أحبابه خطاباً رقيقاً ويطلب
منهم أن يعودوا إلى سابق عهدهم أتام كانوا يصلون حبل وداده ، وسعمون
سأهلاً العيش : (١).

(من الكامل)

يَا حَيْرِنِي وَمَنْ اسْتَحَرْتُ بِهِمْ	مِنْ جَوْرِ عَزَّهِمْ عَلَى ذُلِّي
عَوَّضْتُمُونِي بِالْوَدَادِ فَلَّى	أُذِلُّنْتُمُ الْإِنْصَافَ بِالْمُظَلِّ
وَشَعَلْتُمُ بَالِي بِهَجْرِكُمْ	وَوَالِهَ عَنْ كُلِّ مَا سُعِلَ
عُودُوا إِلَى عَادَاتِ وَصْلِكُمْ	لَا نَحْرُمُونِي لَذَّةَ الْوَصْلِ

ويظهر في الأبيات انفعال الشاعر بالمحسّنات اللفظيّة ، كالجناس والطباق
فأكثر منهما في أبياته ، فمن استعماله للجناس قوله : " حرتي ، اسحر ،
بالي ، وباله ، شغلنم ، شعل ، وصلكم ، الوصل " . ومن الطباق قوله :
" عزهم ، ذلّي - وداد ، فلّي ، إنصاف ، مظل " وقد أسعفه الطاق في
بيان التناقض بين حاله الشاعري في الماضي والحاضر .

وإذا كان يُبَيِّنُ الحبيبة قد آلم الشعراء - كما زعموا - فكوا واسحبوا
وأفصحوا عن مكنونات نفوسهم في غير فُحْشٍ أو رقت في القول ، فإنّ هجراتها
لهم ألهمب الأحشاء ، وأذكى نار الحتّ والجوى في نفوس المتيمّنين . فأبو الرّبيع
هَجَرَهُ الحبيب فطال ليله وسهر يرعى السّحوم ، يبكي بدمع غزير : (٢)

(من الكامل)

(١) ابن القاضي ، حذوة الافتباس : ٢٨٥

(٢) ديوانه : ٥٩

أَلَيْعَتْ جُفُونِي الشَّهْدُ فِيكَ أَلَوْفُ فَلَهَا عَلَى رَغَبِ النَّحُومِ عُكُوفُ
وَتَعَلَّمْتُ كَيْفَ الْبُكَاءِ فَدُمَعْتُهَا بُرِّي عَلَى فِطْرِ الْحَبَا وَبَيْعُ

ولكن هذا البكاء لا يطفىء نار الشوق ، وإنما يزيد لها اشتعالا (١) ،

(من الكامل)

فَبَكَى لِطُفْيِ حَرِّهِ بِدُمُوعِهِ غَلَطًا فَكَانَ الدَّمْعُ مِنْ رُؤَايِهِ
عَجَبًا لِنَارٍ لَمْ يَزِدْهَا دُمْعُهُ إِلَّا وَقُودًا وَهِيَ مِنْ أَضْدَادِهِ

أما محمد بن عاض فبشكو من الكاشحن والعذال الذبن سعوا بس
الخبس مفرقوهما : (٢)

(من الحفيف)

بَاشْهَابًا لَهُ الْقَوَادُ سَمَاءُ رَنَعُ قَلْبِي - وَفَدَّ هَحْرَبُ - خَلَاءُ
كَثَّ الْكَاشِحُونَ حُلِيَّ حَتَّى لَعُغُوا مِنْ فِرَاقِنَا حَيْثُ سَاوُوا
مَا نَفَكَّرْتُ فِي وَمَالِكَ إِلَّا هَدَمَ النَّاسُ مَا بَيْنَاهُ الرَّحَاءُ

أما أبو حصص عمر فيحدثنا عن هؤلاء العاذلين في الحث فهم عندما
يلومونه على حبه يزيدون هذا الحث اشتعالا ، وكأنهم يغرونه بالتمكادى
فى هذا الحب :

(من المفعول)

أَغَارَ عَلَى الصَّتِّ مَنْ أُسِّبُهُ هُوَ الْحُتُّ مَنْ بَطَفِيهِ أُلْهَهُ

ومما يميز شعراء الغزل العفيف تذللهم ونصاغرهم أمام المحبوب ، فهم
أسرى لهذا الحب لا يملكون لنفوسهم عتقا ، سنوي فى ذلك العامة والخاصة ،
فهذا بعض سادة بني^{عبيد} المؤمنين يجعل من نفسه فداء لمحبوبه الذي ملك أمره .
حتى إنه يرى حنة الخلد في قرب محبوبه : (٣)

(من السريع)

فَدَبْتُ مَنْ أَصْبَحْتُ فِي أَسْرِهِ وَلَسْتُ لِي مِنْ حُكْمِهِ فَايِدِ
إِنْ حَلَّ يَوْمًا وَادَا كَانَ لِي حَنَّةٌ عَذِي ذَلِكَ الْوَادِي

(١) ديوانه : ٦٥ . (٢) صفوان بن إدرس ، زاد المسافر : ١٣٨ .

(٣) عبدالله كئون ، النبويع المغربي : ٧١٩ .

(٤) المقرئ ، نفح الطيب : ٣ / ١١٠ .

ويمعس الخليفة عمر المرتضى الموحّدى في تذللّه وخضوعه لمحبوبه ،
فبفول : (١)

(من الوافر)

ذَلِيلٌ دَمْعٌ مُفْلِنِهِ دَلِيلُ	عَلَى أَنَّ الْحَشَا فِيهِ غَلِيلُ
أَلَمْ يَبَايِكُمْ بَبْعَى شِفَاءً	لِدَاءِ الْبُعْدِ فَهُوَ لَهُ قَتِيلُ
أَنْبِلُونِي رِضًا مِنْكُمْ وَقُرْبًا	وَحَاشَى مُحَدِّكُمْ إِلَّا تَنْبِلُوا
لَنْ قَطَعْتَ سَبِيلَ الْوَصْلِ عَنِّي	حَطَوْتُ شَرْحَهَا عِنْدِي بِطُؤُلُ
فَشَافِعُ مَا اقْنَرْتُ هُوَانُ ذُلِّي	وَأَعْظُمُ شَافِعٍ أَتَى ذَلِيلُ
فَحَسْبِي أَنْتَنِي عَبْدٌ قَطُوعُ	وَحَسْبُكَ أَلَاكَ الْمُؤَلَّى الْوَصُولُ

أرأيت إلى سلطان الحبّ كيف يكون أموى من سلطان الخليفة ؟ إنّ الحبّ
جعل هذا الخليفة صاغراً أمام محبوبه لدرجه العبوديّة ، وهو يفرّ بذنبه
حماه محبوبه ، وبببّ عذره فى هذا الهجر ، لقد هجر حبيب مكرهاً ،
ولعلّ أعباء الحكم وشؤونه اضطرته إلى الابتعاد قليلاً عمّن أحبّ ، وقد
أضناه البعد ولبس له دواءً إلاّ الوصل . وكان سبقه إلى ذلك الرشيد
العبّاسي (ت ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م) فيما نسب إليه : (٢) ،

(من الكامل)

مَلِكُ الثَّلَاثِ الْإِنْسَاءُ عِنَانِي	وَحَلَلٌ مِنْ قُلُوبِي يَكُلُّ مَكَانِي
مَالِي تَطَاوَعَنِي الرُّسَّةُ كُلُّهَا	وَأُطْبِعُهُنَّ وَهْنٌ فِي عِمْبَانِي
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ سُلْطَانَ الْهَوَى	- وَبِهِ مُوسَى - أَعْرُ مِنْ سُلْطَانِي

ونكمل صوره هذا العزل بالحدث عن طيف الحبيب الذي يروى المحبّ
ميسره ، أو يذكر جذوة الشوق فى نفسه فريده أرقاً . والحدث عن

(١) ابى القاضى حذوة الاقنباس : ٤٩٣

(٢) أبو العبّاس الخراوى ، الحماسة المعربة : ١٠٤٤ - ١٠٤٥ ، واس الأبتار

الحلّة السّيرة : ٩/ ٢

حيال الحبيب من العناصر التي عالجتها القدماء في غزلهم (١) ، فيقول
الذكنور الحوفي (٢) : " هذا المحب الذي ناب عنه الحبيبة أو رأى عنها ،
لا يفتأ يذكرها ، ويتذكرها ويتمثلها في حلمه ونرجاله ، ويفظته ومأمله ،
ولقد بسعده طيفها في حلمه ، فإذا صحا لم يجد إلا نفسه ، مصوّر
مشاعره تصويراً مختلف باختلاف طبيعته .

فمن الشعراء من اتّجه إلى العجب من قدرة الطّيف على قطع المعاوز ،
واحتمال مشاقّ الرحلة الطويلة ، ويظهر أنّ هؤلاء كانوا يعيدون عن الحبيب
..... واتّجه آخرون إلى وصف المشاعر ، وهناك فريق ثالث من الشعراء
ألمهم الحبال لأنّه أوهام وأحلام والشّعراء الذين كانوا يصلون بهجر
الحبيبة وبرؤوسهم عن نسبان الحاتم يأنسوا بالخيال كما أنس
عبرهم ، ولم يشقّهم كما شاق سواهم ، بل فابلوه في جفاف وحسونه
إنّ حديث الطّيف عند الشعراء المغاربة قريب إلى حدّث الجاهليّين عن
طيف الحبيب كما سنّاه الذكنور الحوفي . وكثيراً ما كان هؤلاء الشعراء
يتمنّون زيارة طيف المحبوبة عندما تكون بعيدة عنهم : (٣)

(من الكامل)

أَلِفْتُ حُفُونِي السُّهْدَ فِيكَ أَلَوْ	فَلَهَا عَلَى رَعْيِ النُّجُومِ عُكُوفُ
وَتَعَلَّمْتُ كَيْفَ الْبُكَاءِ فَدُمَعُهَا	تُرْبِي عَلَى فُطْرِ الْحَبَا وَنَيْفُ
لَمْ لَا وَأَنْتِ نَجِلَةٌ وَمَزَارُكُمْ	سَاءَ وَطْئُكَ لَا أَرَاهُ يُطِيفُ

(١) زعم الشريف المريضي أنّ عمرو بن قميئة هو أوّل من استنكر الحديث عن طيف
الحبيب " طيف الخيال ٩٩ " . أما أبو عبد الكريّم فبيري أنّ أوّل من منع
القول فيه بأحسن عبارة هو فبوس بن الخطيم . " سمط اللالي ٥٢٤ " ولا تعارض
بين هذين الرّأبين ، لأنّ عمرو بن قميئة وهو شاعر فديم معاصر لامرئ القيس
كان أوّل من ذكر الطّيف في شعره ، فيما وصل إلينا من الشعر الجاهليّ في حين
أنّ فبوس بن الخطيم - وهو شاعر عاصر بدابة الدّعوة الإسلاميّة ولم يسلم
وأسلمت زوجته - هو أوّل من أحسن وأجاد في وصف طيف الخيال

(٢) أحمد محمّد الحوفي : العزل في العصر الجاهليّ : ٢٩٦ - ٢٩٩

(٣) ديوان أبي الرّسع : ٥٩

وعندما يلمّ طيف المحبوبة بالشاعر يحتفل به احتفالا كبيرا ، فيرحّب به ، ويدعوه له بالرعاية والأمان : (١)

(من الرمل)

رَبِّ ابْنِي وَاللَّهِ طَبْفُ طَرَقَا	سَلَبَ النَّوْمَ وَأَهْدَى الْأَرْفَا
دَلَّهُ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ عَلَى	مُضْجَعِي دَقُّ فُؤَادٍ خَفَقَا
رَكِبَ الْهَوْلَ فَأَحْيَا دَنِفَا	فَرَعَى اللَّهَ خَبَالًا طَرَقَا (٢)
حَادَ بِالنَّوْصِلِ فَلَمَّا أَنْ رَأَى	فَلَقَ الصُّبْحَ دَعَا وَانْطَلَقَا
تَرَكَ الصَّبَّ عَلَى حَالٍ رُدَى:	مُقْلَاغَرَقَى وَقَلْبًا مُحْرَقَا
أَشْكُرُ اللَّهَ كَفَانِي وَضَلَّةُ	وَالرَّضَا عَنِّي وَفَرَّ الْمُلتَقَى
وَمَبِيتِي مَعَهُ يَحْمَعُنَا	لُحْفُ الْعِزِّ وَأَبْرَادُ التَّقَى

فالشاعر يلمّ بالعناصر الطفيفية القديمة ، كالتعجب من طروق الطّيف ليلاً على بعد الدّار واشتباه السّل ، واهتدائه إلى الشّاعر عن طريق سماع دقات قلبه ، وركوبه الأهوال والمخاطر للوصول إلى الشّاعر ، والترحيب بهذا الطّيف عند قدومه ، والدّعاء له عند ذهابه في الفجر ، وأثر هذا الطّيف على الشّاعر ، فقد خلّغه في حال سيئة ، غارقاً في أحزانه ، ثم نجد في الأبيات تلك الفناعة بهذه الزيارة التي امتدّت طول اللّيل تكلّلتها العفة والطّهارة .

ويتحدّث إبراهيم بن المُنَاصِف عن زيارة طيف محبوبه ، ويتصنّع في استكار الصّور مستعينا بهذا الحوار الرّقيق سنه وبين الطيف فبقول : (٣)

(من البسيط)

وَهَذَا

وَزَائِرُ زَارِنِي فَقُلْتُ لَسَهُ :	أَتَى اهْتَدَدَتْ وَسَجَفَ اللَّيْلُ مَسْدُولُ
فَقَالَ: آنَسْتُ نَارًا مِنْ جَوَانِحِكُمْ	أَضَاءُ مِنْهَا لَدَى السَّارِينَ قِنْدِيلُ (٤)
فَقُلْتُ: نَارُ الْهَوَى مُعْنَى وَلَيْسَ لَهَا	نُورٌ يَبِينُ ، فَمَا ذَا مِنْكَ مَقْبُولُ
فَقَالَ: نَسَبْتُنَا مِنْ ذَاكَ وَاجِدَةٌ	إِنَّ الْخَبَالَ وَنَارَ الْحُبِّ تَخْيِيلُ

(١) ديوان أبي الربيع ٥٠

(٢) الدنف : المريض .

(٣) السراج : الحلل السندسية : ١ / ٦٩١

(٤) ورد الشطر الأوّل في المصدر على النحو التالي : " فقال آنست نارا اهتدا

جوانحك " وبه لا يستقيم الوزن وقد أصلحت الببت وفق مراحته .

ففي هذه الأبيات بعض العناصر الطِّيمِيَّة القديمة كالتَّعَجُّب من طروق الطِّيف ليلا ، وفيه تعليل طريف لاهتداء الطِّيف إلى مكان المحبوب ، فإذا كان طيف محبوب أبي الرَّبيع دلته عليه دقات قلبه ، فإن طيف محبوبه ابن المناصف قد اهتدى إلى صاحبه عن طريق نار الشَّقْوى المضطربة في جوانحه ، وهي صورة طريفة فيها كثير من الحدة .

ويشير محمد بن العابد الفاسي إشارة سريعة إلى طيف الحبيبة الذي زاره ليلا فيقول : (١)

(من الكامل)

طَرَقَتْ تَتِيهَهُ عَلَى الصَّبَاحِ الْأُنْجُ ، حَسَنَاءُ تَخْتَالُ اخْتِيَالَ تَبْرِجٍ (٢)
فِي لَيْلَةٍ قَدْ أَلْبَسَتْ بِظِلَامِهَا فَضْفَاضُ نُرْدٍ بِالنُّحُومِ مُدْبِحٍ (٣)

فالشاعر في بنبه السابقين يحدّد لنا وقت زيارة الطِّيف ، فهو قد زاره ليلا " طرقت ... " ، في ليلة قد ألبست بظلامها " وينعت محاسن هذا الطِّيف باقتصاد ، فهي حسناء ، تختال في مشيتها بزهو ، وبغفل بقيّة العناصر الطِّيفِيَّة التي اعتاد الشعراء تناولها .

ومّا يحسن الإشارة إليه في الغزل العفيف هو ارتباط بعض قصائده بأجواء البادية ، فقد وحدنا بعض الشعراء نهجوا في غزلهم منهج الشريف الرضي في حجازياته ، فأكثروا من ذكر العناصر البدويّة وتردبدها في قصائدهم مستمدّين معانيهم من عالمها الرّحب ، ويتصدّر هذا الاتجاه أبو الرّبيع الموحّدي الذي يقول في واحدة من قصائده : (٤).

(من البسيط)

(١) ابن القاضي ، جذوة الاقتباس : ٢٣١ -

(٢) الأبلج : المضيء المشرق .

(٣) مدبّح : مزين .

(٤) ديوانه : ٦٨ .

سَلِ الصَّبَا هَلْ أَتَتْ مِنْ نَحْوِ دَارَيْنِ أَمِ الْحَبِيبِ عَلَى شَحْطٍ يُحْيِيْنِي (١)
 أَوَّلَا فَمَا لِشَذَاهَا حَاءٌ بَغْفَمُنِي كَأَنَّمَا هُوَ أَنْفَاسُ الرَّبَّاجِينِ (٢)
 يَاسَاكِنَ الرُّوْضِ يُحْكِيهِ وَيُشْبِهُهُ بَيْنَ الْعَذِيبِ إِلَى أَبْوَابِ حَيْرُونِ (٣)
 ويقول في أخرى : (٤)

(من الرمل)

أَيُّهَا الْحَادِي بِنَا نَحْوَ مِنَى خُذْ عَلَى نَفْسِكَ كَيْ لَا تُفْتَنَا
 اتْرُكِ الْحَزْعَ يَسَارًا لَا تُثِيرُ رَبِّبَا يُفْتِكُ فَبِنَا الْأَعْيُنَا (٥)

فالشاعر يذكر بعض الأسماء المشرقية " كالصَّا ، ودارين ، والعذيب
 وجيرون ، والحادي ، والحزع ... " إلى غير ذلك من الألفاظ البدويّة ذات
 الرموز الخاصّة .

ولأبي الرّبيع في هذا الاتجاه قصائد ومقطّعات شعريّة جميلة تعرّ عن
 مدى الوجد الذي يعتّر عنه في قوله بلهجة بدويّة محاكيا فيها طريفة مهبار
 الدّيلمي (ت ٤٢٨ هـ / ١٠٣٧ م) ومتأثرا بأسلوبه : (٦)

(من الرمل)

بَاخِلِيلِي بِذِي الْأَثَلِ قَفَا وَسَلَا رَبْعَهُمْ كَيْفَ عَفَا (٧)
 وَغَدَا قَفْرًا يَبَابًا مَوْحِشًا بَعْدَ أَنْ كَانَ رِيَاضًا أَنْفَا (٨)
 سَفَتِ الرِّيحُ عَلَيْهِ وَلَكُمْ شَبّهَتْ فِيهِ بَغْضَنٍ مِعْطَفَا (٩)
 نَالِقَوْمِي بِالْهَوَى أَنْشُدُكُمْ هَلْ رَأَيْتُمْ قَطَّ فَبِمَا سَلَفَا
 مَدْنَفًا بِنَكِي شَجَاهُ فَيَاذَا مَا اسْتَفَى بِالذَّمْعِ قَبْلَ انْزَفَا (١٠)

-
- (١) دارين : مرقاً بالبحرين يجلب إليه المسك من الهند، وإليه ينسب المسك الداريّ ،
 شَحْطٌ : بَعْدُ .
 (٢) فَعَمَتِ الرَّائِحَةُ أَنْفَهُ : ملأته .
 (٣) الْعَذِيبُ : من منازل حاج الكوفة ، وجيرون : أراد بها دمشق .
 (٤) ديوان أبي الرّبيع : ٧٧
 (٥) الْحَزْعُ : منعطف الواديّ أو جانبه ، الرَّبِّبُ : القطيع من بقر الوحش أو الطّباء
 (٦) ديوان أبي الرّبيع : ٥١ - ٥٢
 (٧) الْأَثَلُ : ضرب من الشجر يعرف بالطّرفاء ، تصنع من خشبه السفن .
 (٨) الْيَبَابُ : الخراب الذي ليس فيه ساكن - والرّوْضُ الْأَنْفُ : الذي لم يبرعه أو يبطّاه أحد .
 (٩) سَفَتِ الرِّيحُ : أي مرّت عليه ونشرت التراب (١٠) الْمَدْنَفُ : المريخر .

ومعروف أنّ للشاعر العرافي مهيار الدّيلمّي طريقة في الغزل تتّسم بالروح البدويّة ، والعفّة في الغزل ، واللّوعة والانتحاب للبعد والفسراق ، والإكثار من التّفجّع والحزن .

وممّا يرتبط بالغزل العفيف الحديث عن الشّيب ونفور الغواني من الشّيوخ ، فالمعروف عن المرأة أنّها نحت الشّباب لأنّه قوّة وحيويّة ، وقد تَفجّع الشّيب على شبابهم المنصرم ، وتحسّروا على فواته ، وأسفوا لحرمانهم لذّاته ، وأظهروا ما يكون هذا التّفجّع في معرض الحديث عن إغراض الغواني عنهم ، يقول محمّد بن عبّدون المكناسيّ (١) :

(من الكامل)

لَمَّا تَرَأَتْ لِلْمَشِيبِ بِمَفْرِفِي	شُهِبَ أَغْرُنَ عَلَى شَبَابِي الْأُدْهِمِ
أَبْدَى التَّجَهُمَ مِنْهُ أَحَبُّ ، أُمَادَرَى	أَنَّ الدِّيَاجِي حُسْنَهَا بِالْأُنْحُمِ

فالشاعر يعلّل نفسه ويعزيها عن هذا الشّيب الذي ألمّ به ، وكان سببا في تحمّم محبوبته ونفورها منه ، فهو يرى في هذا الشّيب عاملا من عوامل الجمال وليس العكس ، فيشبه هذه الشّعرات البيضاء بالنّجوم المنلائلة في كبد السماء ليلاً ممّا يزيد في روعتها وجمالها .

أما نظرة أبي الرّبيع إلى الشّيب ففيها بعض الغرابة ، لقد اعتاد الإنسان منذ القديم أن يرتاع لطروق الشّيب ، لأنّه نذير بانقضاء أيّام الشّباب ، وقرب الأجل ، ولكنّ أبا الرّبيع يقف موقفا معائرا ، فبطهر مسرورا لحلوله ، مرحّبا بقدومه فيقول : (٢)

(من الطويل)

أَقُولُ وَقَدْ لَاحَ الْمَشِيبُ بِمَفْرِفِي	أَلَا أَكْرَمَ بِهِ ضَيْفًا وَخَلًّا وَمَاجِدًا
لِبُشْرَى أَتَتْ نَحْوِي وَإِنْ كُنْتُ قَدْ مَضَى	شَبَابِي وَمَا قَضَيْتُ مِنْهُ مَآرِبًا

(١) ابن القاضي ، حذوة الاقتباس : ٢٨٥ .

(٢) ديوانه : ١٣٦ .

ويقول من قصيدة أخرى : (١)

(من الخفيف)

حَلَّ وَقَدْ الْمَشِيبَ بِالرَّأْسِ مِثِّي فَتَبَدَّلْتُ مِنْ سَوَادِ بَيَاضَا
أَيُّ نُسْرَى أَتَتْ إِلَيَّ وَلَكِنْ لَمْ أُنَمِّ مِنَ الصَّبَا أَغْرَاضَا

فهو في أبياته السابقة بصرح بأن الشيب قد وخط شعره ، دون أن يفضي وطره من أيام الصبا والشباب ، وببدو أن الشيب عاجله في شبابه فابيض شعره قبل أوانه ، فذهاب شبابه ظاهري وليس حقيقيًا ، ومما يؤكد هذا قوله في قصيدته التالية : (٢)

(من الطويل)

زَوْتُ وَجْهَهَا لَمَّا رَأَتْ شَيْبَ مَفْرِقِي وَصَدَّتْ يَعْطِفُ عَنْ وَصَالِي مُزَوَّرْ (٣)
فَقُلْتُ لَهَا : مَاذَا رِيْبُكَ مِنْ فَتَى ثَوَى الشَّيْبِ فِي فُؤْدِيهِ كَالْأَنْحُمِ الزُّهْرُ؟ (٤)
وَالْأَكْمَا انْشَقَّ الصَّبَاحُ عَنِ الدُّجَى أَوْ انْسَمَتَ لَمِيَاءُ عَنْ وَضْحِ الْفَجْرِ (٥)
فَقَالَتْ : عَلَى غَيْرِي فَلِلشَّيْبِ قَوْلُكُ تَصَحُّ وَلَكِنْ فِي مُخِيلَةِ الشَّعْرِ
فَإِنْ كَانَ عَذْرَاءَ عَنْ شَابِكَ لَمْ تَكُنْ تُحَوِّكُ الْحَسَنَاءُ قَبْلُ إِلَى الْعُذْرِ
وَهَبْنِي هَحْرُ الصَّاتِ بَعْدَ مَشِيْبِهِ فَأَنْتَ أَبْعَدُ الشَّيْبِ تَجَزُّعُ مِنْ هَجْرِ ؟
حَزْوَعًا مِنَ الْهَجْرَانِ طِفْلًا وَبَافِعَاءَ وَكُهْلًا فَمَا تَنْفُكُ دَهْرُكَ مِنْ عَذْرِ
فَأَرْسَلْتُ دُمْعَ الْعَيْنِ عِنْدَ مَقَالِهَا وَأَتْبَعْتُهُ آهًا عَلَى ذَاهِبِ الْعُمْرِ

فالشاعر بفصح في أبياته بأنه مازال فني ، أو شابًا ، ولكن صاحبه ترى فيه كهلا تقدّم به العمر ، فلذلك زوت عنه وجهها ، ونفرت منه ، فما كان منه إلا أن سفح دمع عينيه وتآوه لذهاب العمر ، وكيف لابتأوه والغواني معرضات بوحوهن عنه ، لظهور الشيب عليه . فما أجزعة من هذا الهجران ، إن جزعه وبكائه كانا بسبب انصراف هؤلاء الحميلات عنه ونفورهن منه .

(١) ديوانه : ١٣٦ .

(٢) ديوانه : ٨١ .

(٣) العطف : الجانب .

(٤) الفودان : جانبا الرأس مما يلي الأذن إلى الأمام .

(٥) اللّمس : سمرة في باطن الشفة تستحسن .

ورثما التفت شعراء هذا الاتجاه إلى بعض محاسن المحبوبات النفسبة فحدثونا عن
سحر المرأة . فحبيبة أبي حفص بن عمر تجعل الخلي إذا رآها يقع في حبها : (١) .

(من الكامل)

يُضْحِي الْخَلِي إِذَا رَأَاهَا عَاشِقًا وَالْعَقْلُ تَوَقَّظَ اللَّحَاطُ النَّبْوَ

ووصف بعض الشعراء دلال المرأة وتبها كقول أبي الربيع : (٢)

(من المتقارب)

شَكُوتُ لَهَا جَرَّتِي تِيهَهَا وَقُلْتُ لَهَا : لَكَ أَشْكُو بِكَ
فَإِنْ أَنْتِ أَنْصَفْتِنِي حَسَنًا وَإِلَّا شَكُوتُ إِلَى قَوْمِيكَ
فَقَالَتْ : صَدَقْتُ وَلَكِنْ إِذَا عَشِقتُ الْمِلَاحُ فَلَا تَشْتَكِ
وَعَادْتُ إِلَى تِيهَهَا كَالَّذِي عَمِدْتُ فَمَا حِيلَةُ الْمُشْتَكِي

فالشاعر نهج نهج عمر بن أبي ربيعة في اصطناع الحوار الغزلي ، مستملا
أسلوبه الحوارية القصصية .

وقد نفق على بعض الإشارات السريعة إلى وصف صوت المحبوبة ، وهذا الحديث
مختصر ، ولكنه ينم عن تأثر هؤلاء الشعراء بصوت المحبوبة الأغنى وافتتانهم
بحدثها الذي يشبه نغم الطباء ، بقول أبو الربيع : (٣)

(من الكامل)

بِأَعْرَ كَالْغُصْنِ الرَّطِيبِ قَوَامُهُ وَأَغْنُ كَالطَّبِيِّ الْغَرِيرِ الْأَعْيَدِ (٤)

ورثما شبّه بعضهم نغم اللابل وترنمها ، كقول أبي حفص بن عمر : (٥)

(من الكامل)

وَكَاَنَّ قَامَتَهَا وَنَعْمَةً صَوْتَهَا غُصْنٌ عَلَيْهِ بُلْبُلٌ بَتَرَنَّمُ

ونخلص إلى القول : إنّ العزل العفيف عند الشعراء الموحدين لم يفارق الذوق
العربي القديم في أفكاره ومعانيه ، فقد صور الشعراء مشاعر الحنين والشوق تحياه
محبوباتهم وحدثوا عما خلفه الحب مبهم من ضنى ونحول ، وتطرقوا إلى الحديث عن
زيارة طيف المحبوبة وكانت مواقفهم من هذه الزبارة متباينة ، ففرح بعضهم بها
وسرّ ، بينما شقي بعضهم الآخر بزيارة الطيف لأنّه سلب النوم من عينيه ، كما
تحدثوا عن الشيب وما يخلّفه في النفوس من مشاعر الحزن على الشباب المنصرم ، ونفور
الغواني من الشيب . وقد ارتبط هذا الغزل بأجواء البادية في صورته وتميّز بالعفة
وتوهّج العاطفة وابتعاده عما يخدش الحياء .

- ١- عبد الله كنون ، النبوغ المعربي : ٧٢١ - ديوانه : ١٠١ - ديوانه : ٩٥
- ٢- الأغر : الأبيض ، الأغيد : المثنى في نعمة .
- ٣- عبد الله كنون ، النبوغ المغربي : ٧٢١

٣- الغزل الحسي :

ويقصد به ذلك الغزل الذي يشترح جسم المحبوبة ، ويصف لنسبها مواطن الجمال في كل عضو من أعضائها ، فهو غزل حسي يشعر الإنسان بنهم صاحبه واهتمامه بالجانب الحسي من المرأة ، كما أنه يتحدث عن المعامرات مع النساء بجرأة وصراحة . ويعود هذا الضرب من الغزل إلى العصر الجاهلي حيث وجدنا بعض الشعراء الذين أفحشوا في القول ، وحدّثونا عن مغامراتهم بقدر كبير من الصراحة ومن هؤلاء الشعراء امرؤ القيس والأعشى .

واستمر هذا الغزل في بروزه في العصور التالية في المشرق والمغرب فوجدنا شعراء كثيرين نظموا في هذا الغزل ، فمنهم من اقتصر على وصف مفاتن المرأة من شعر وخذ وعنق ، وخصر ، وردف ، دون أن يتجاوز ذلك ، ومنهم من جاوز ذلك إلى الإعلان عن مغامراته مع النساء ، ومجاهرته فسي الخوض في اللذة المحرمة .

وقد نظم الشعراء المغاربة في عصر الموحّدين قصائد ومقطوعات تطرّقوا فيها إلى نعت محاسن محبوباتهم ، غير أن غزلهم في مجمله كان من النوع غير الفاحش إذ اقتصر هؤلاء الشعراء على وصف محاسن المرأة دون أن يفحشوا في القول، ويلمسوا مواطن العفة فيها ، في حين كثرت مثل هذه الأحاديث عن المغامرات الليلية مع النساء عند الشعراء الأندلسيين في هذا العصر (١) .

ومما ينبغي أن ننبه عليه أننا لانستطيع أن نجد شعراء نخصصوا بنظم نوع من الغزل دون غيره ، لأننا كثيرا مانجد الشاعر الواحد ينظم في عدّة أنواع ، ولا يلتزم ناحية بعينها ، فأبو الرّبيع الموحّدي له في الغزل المعنويّ العفيف - كما رأينا - كماله في الغزل الحسي ، وأبو حفص بن عمر له في التغزل الحسي كما له في التغزل المعنويّ .

(١) محمد مجيد السعيد ، الشعر في عصر المرابطين والموحّديين —

إن مايلفت الاننباه في غرل الشعراء المغاربة هو عزوفهم عن
تشريح جسد المرأة المتغزل بها ، فلم يفحشوا في القول ولم يكشفوا ملامس
العفة في الساء ، بل كانوا يكتفون بالحديث عن جمال المرأة وذكر مفاتها
وتشبيهها بتشبيهات قديمة في أغلبها ، لطالما تعاورها الشعراء على مر
عصورهم . ففي الأبيات التالية يصف أبو الربيع الموحدي جمال صاحبتة عامّة
ويتحدّث عن نظرتها وأثرها في من يحبّها ، وشعرها ، وقدها ، وأردافها
ودقة خصرها فيقول : (١)

(من الرمل)

يُرْسِلُ اللَّحْطَةَ سَهْمًا نَافِذًا	وَإِذَا اسْتَاءَ فَسَيِّفًا مَرْهَفًا
حَبِيبِي الشَّعْرُ مَعْسُولُ اللَّامِ	مَائِسُ الْقَدِّ رَطِيبًا أَهْيَفًا (٢)
حَمَلُ الْأُرْدَافِ خَعْرًا ضَامِرًا	وَاهِي الْكَشْحُ هَضِيمًا مُخْطَفًا (٣)
إِنْ هَفَّتْ رِيحُ النَّعَاسِ سَحْرَةً	وَهَفَا مِنْ فَوْقِهِ الْمِرْطُ هَفًا (٤)

فالأبيات لاجديد فيها من الأوصاف ، فلطالما نعت الشعراء الجاهليون
والإسلاميون محبوباتهم بمثل هذه النعوت ، فقد تعزلوا بعيون حبيباتهم
وشبهوها نظراتها بالسهم والسيوف ، وفضلوا من الأسنان المنضدة المتلائلة ،
وأعجبوا باللمى ، وبالقد اللطيف ، وبالخصر الضامر الضعيف الذي ينوء بحمل
الأرداف .

ويفصل الشاعر نفسه في قصيدة أخرى في نعت جمال صاحبتة ، فيدقق
في محاسنها ، ويفصل ، ويحتفل بجسدها احتفالا كبيرا فيقول : (٥)

(١) ديوانه : ٥٢

(٢) حبيبي الشعر : منضد الأسنان ، اللّمي : سمرة ياطن الشفة ، أهيف : ضامر البطن .

(٣) الكشح : ما بين الخصرة والفلوع ، مخطف : ضامر .

(٤) السحرة : آخر الليل ، قبل الفجر . المِرْطُ : كساء من صوف أو خز أو كتان يُوتَرَبُه .

(٥) ديوانه : ٧٣

(من الطويل)

أَمْشِبَهَةٌ رِيَمِ النَّقَا وَمَهَا الْقَفَرِ
وَرَائِعَةُ الْحُسْنِ الَّذِي قِيدَ طَائِعُهَا
وَمَنْ خَدَّهَا يُرَبِّي عَلَى الشَّمْسِ بَهْجَةً
وَمَنْ لَحَطَهَا يُغْنِي عَنِ الْفَتَكِ فِي الظُّبَا
بِمَالِكٍ مِنْ كُشْحٍ هُضِيمٍ وَمَعْطَافٍ
وَتَغْرِ شَنِيبٍ يَضْحَكُ الْحُسْنُ فَوْقَهُ
وَمُخْجَلَةٌ حُسْنًا سَنَا الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ
فَأُودِعَ مَا بَيْنَ الْجَبِينِ إِلَى النَّحْرِ
وَمَنْ قَدَّهَا يُزْرِي عَلَى الْغُصْرِ النَّصْرِ
بِبَيْضِ رِقَاقٍ أَوْ مُثَقَّفَةٍ سُمْرٍ (١)
وَرْدَفٍ ثَقِيلٍ قَدْ تَمَاطَلُ مَزُورٌ
وُطْرَفٍ عَلِيلٍ قَدْ تَكَحَّلَ بِالسَّحْرِ (٢)

فالشاعر لا يخرج في أوصافه عن دائرة الشعراء الحسنيين في التراث العربي فهو يدور في فلكهم ، ويستعير صورهم وتشبيهاتهم ، فيبدأ أبياته بوصف عام لجمال محبوبته ، فهي كالطبي في جمالها ، وكالشمس والقمر في تلالوها وبياضها ، ثم يشرع في تفصيل مواطن الحسن والفتنة فيها ، فيرى كل شيء فيها جميلا ، فهي رائعة الحسن وكأن الشاعر يعجز عن التعبير عن جمال هذه المحبوبة بالكلمات ، فهي فوق الوصف ، فيقول :

وَرَائِعَةُ الْحُسْنِ الَّذِي قِيدَ طَائِعُهَا فَأُودِعَ مَا بَيْنَ الْجَبِينِ إِلَى النَّحْرِ

ثم يبدأ بتصوير جمال هذه المحبوبة ، فهي جميلة البشرة ، صافية الأديم ، يفضل حدها نور الشمس ، ويفوق فدها الغصن اللدن الرطيب في لينه وتثنيه . ويكرر المعنى الذي أورده في قصيدته السابقة في الحديث عن تأثير نظرة حبيبته ، فتأثير نظرتها أقوى من ناثير السيوف والرماح ، ثم ينعت الكشح والردف الثقيل ، والشعر العذب الجميل الذي رقت أسنانه وابتضت ، والطرف العليل الذي يسحر من براه ، فهو يرسم لها صورة مفصلة ، لا يصف فيها ولا يفحش ، وكانت أوصافه وتشبيهاته مستمدة من شعر الشعراء القدماء ، ناهلة من معينهم مما يدل على استيعابه لأوصافهم . ويقارب أبو حفص بن عمر أبا الربيع ، غير أنه يلج

(١) الطُّبَا ، ج الطُّبَّةُ : وهي حَدَّ السَّيْفِ وَالسَّغْنِ وَالْخَنْجَرِ وَمَا أَشْبَهَهَا .

(٢) السَّنْبُ : جمال الشعر وصفاء الأسنان .

على أوصاف القوام والقد والتردف والخصر ، فيقول : (١)

(من الوافر)

مَشَتْ كَالْعُصْنِ يُثْنِيهِ النَّسِيمُ وَيُعْدُوهُ النَّسِيمُ فَيَسْتَتِيقِمُ (٢)
لَهَا رِدْفٌ تُلَقُّ مِنْ لَطِيفٍ وَذَاكَ الرَّدْفُ لِي وَلَهَا ظُلُومٌ
يُعَذِّبُنِي إِذَا فُكِّرْتُ فِيهِ وَيُنْعِبُهَا إِذَا رَامَتْ تَقُومُ

فالشاعر يثبت عينيه الجائعتين على وسط محبوبته ، لا يكاد يفارقه ولا يعير جمال الوجه أي اهتمام ، وهذه الأبيات توحى برغبة الشاعر الجنسية وتنم عن نفسه الجائعة الشبهة من خلال إفصاحه عن الظلم الذي حاق به من هذا الردف عندما يفكر فيه .

كما نجد نعوتاً أخرى لأعضاء النساء ومفاتنهن مبثوثة في قصائد متفرقة ، وكانت نظرة الشعراء المغاربة في عهد الموحدين للمرأة مشابهة للذوق العربي القديم ، فكانت أوصافهم في مجملها مشابهة لأوصاف سابقهم ، فقد أحبوا الطويلة من النساء لأن " من شأن الطول أن يبرز محاسن الصدر والخصر والردفين ، ومن شأنه أن يتناسب مع طول العنق ، وطول الشعر ، وانسراح الساعدين والساقين " (٣) . يقول أبو الربيع (٤)

(من الكامل)

فَيْنَانَةُ فُرْعَاءُ تَحْسِبُ عِقْدَهَا بِالْمِرْزَمِينَ وَقُرْطَهَا بِالْفَدْدِ (٥)

(١) ابن القاضي ، جذوة الافتباس : ٤٩٦ .

(٢) لعل " يعدوه " تصحيف " يعدله "

(٣) أحمد محمد الحوفي ، الغزل في العصر الجاهلي : ٣٦ .

(٤) ديوانه : ٩٥ ، وانظر ٧٧ .

(٥) فَيْنَانَةُ : طويلة الشعر - فُرْعَاءُ : كثيرة الشعر ، ولعلّه أراد بفرعاء : فارعة

أي طويلة القامة ، بدليل " تحسب عقدها بالمرزمين " المرزُمان : نجمان .

ألا يشبه هذا قول عمر بن أبي ربيعة : (١)

بَعِيدُهُ مَهْوَى الْقِرْطِ ، إِمَّا لِنَوْفَلٍ أَبْوْهَا ، وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٌ

كما أنهم كلّفوا باللون الأبيض ، ويتّضح هذا من نعتهم لوجهه محبوباتهم ، فقد وصفوها بالبياض ، وسبّوها بالشمس تارة (٢) ، وبالبدر تارة أخرى (٣) ، وبالكوكب حيناً ، يقول محمّد بن عياض : (٤)

(من الكامل)

يَا كُوكِبًا هَتَكَ الدُّجْنَةَ وَالْحَشَا بِمَحَاسِنِ الْوُجُنَابِ وَالْأَحْسَادِاقِ

وصفة البياض عند النساء كانت منذ الجاهليّة معظّلة عند الشعراء فحبّية امرئ القيس مشرقة منيرة تضيء الظلام : (٥)

(من الطويل)

تُضِيءُ الظَّلَامَ بِالْعِشَاءِ كَأَنَّهَا مَرَارَةُ مُمَسَّى رَاهِبٍ مُتَبَتِّلٍ

أمّا العين فقد شبهوها بعين المهابة ، وعين الطّبي ، يقول أبو حفص بن عمر : (٦)

(من الكامل)

يُحْكِي الْجَاذِرَ جِيْدَهَا وَلِحَاطُهَا هَيْهَاتَ دُونِ الْعَالِمِ الْمُتَعَلِّمِ

كما كانوا معجبين بالعين الحوراء ، فهي أكبر أشرا على المحبّ ، تستطيع أن تصرع حتّى الأبطال : (٧)

(من الكامل)

لَاغُرُوا أَنْ صَرَعَ الْكَمِيَّ مَقْرُطُقٌ إِنْ سَلَّ أَبْتَرَّ سَلَّ جَفْنًا أَحْشُورًا (٨)

(١) ديوانه : ٢٠٨ .

(٢) انظر ديوان أبي الرّبيع : ٥٣ .

(٣) نفسه : ٧٦ .

(٤) صنوان بن إدريس ، زاد المسافر : ١٣٨ .

(٥) ديوانه : ١٧ ، والمنارة هنا : المسرّجة - و " ممسى راهب " : أي المنارة

التي تضيء في وقت إمساء الرّاهب - والمتبتّل : المجتهد في العبادة .

(٦) عبد الله كنون ، النّبوغ المغربيّ : ٧٢١

(٧) ديوان أبي الرّبيع : ٧٧

(٨) مَقْرُطُقٌ : أي متدنّس بالقرطوق وهو القباء .

أما تأثير النظرة على العاشق فشبهوه بتأثير السيف القاطع ، والسهم
النافذ (١) اللذين يخترقان فلوب المحبين .

وما زال كلهم بالنظرة الناعسة ، أو المريضة ، كأن النوم يهوم عليها
فتغلبه ، قال أبو حفص بن عمر : (٢)

يُضْجِي الْخَلِيَّ إِذَا رَأَاهَا عَاشِرًا
وَالْعَقْلُ تَوَقُّطُهُ اللَّحَاطُ النَّوْمُ

وقال أبو الربيع : (٣)

وَأَسْمَرُ وَسَنَانٍ تَخَالُ بِحُفْنِهِ
سَقَامًا وَلَمْ يُلِمَّ بِأَجْفَانِهِ سَقَمُ

وكنا قد وقفنا على مثل هذا عند جرير ، وعدي بن الرقاع العاملي
الذي يقول (٤)

وَسَنَانٌ أَقْصَدَهُ النَّعَاسُ فَرَنَّقَتْ
فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمٍ

والتفتوا في وصف الفم إلى لون الشفة ، فتغزلوا بالشفة اللمياء ،
والأسنان المقعدة المؤثرة ، والرضاب الذي شبهوه بالعسل الشهي ، وبالخمر ، يقول
أبو الربيع : (٥)

حُبِّي الثَّقَرِ مَعْسُولُ اللَّمَى
مَائِسُ الْقَدِّ رَطِيبًا أَهْيَفَا

~~~~~

( من الطويل )

إِذَا ابْتَسَمْتَ عَنْ لَوْلٍ رَاقٍ نَطْمُهُ  
وَجَدْتَ لَهُ مِسْكَ ذَكِيًّا تَضَوَّعًا (٦)

~~~~~

(١) انظر ديوان أبي الربيع : ٥٢ - ٧٣ - ٧٦

(٢) عبد الله كنون ، النبوغ المغربي : ٧٢١

(٣) ديوانه : ١٠٢

(٤) ديوانه : ١٢٢

(٥) ديوانه : ٥٢

(٦) نفسه : ٦٢

(من الطويل)

وَتَغْرِ شَنِيبٌ يَضْحَكُ الْحُسْنُ فَوْقَهُ وَطَرَفٌ عَلِيلٌ قَدْ تَكَحَّلَ بِالسَّخْرِ (١)

(من الكامل)

وَمَوْشَرٌ يَشْفِي الْغَلِيلَ رُضَابُهُ أَكْرَمُ بِهِ مِنْ مَبْسَمٍ وَرُضَابٍ (٢)

(من المتدارك)

مُعْسُولٌ لُقَاجِهِمْ عَسَـلٌ وَشَهِيٌّ رُضَابِهِمْ ضَرْبٌ (٣)

ويقول محمد بن عياض مشبها ريق محبوبه بالخمير : (٤)

(مخلص البسيط)

طَفَا عَلَى رِيقِهِ جَمُـانٌ فَاحْتَجَبَ الْخُمُرُ بِالْحُبَابِ

وربما التفت بعض الشعراء في هذا العصر إلى تصوير الأصابع ، فومفوها

بالطول والانسراج واللين والحقوا على امتلائها وزينتها ، ونعتوا الخضاب : (٥)

(من الطويل)

فَأَوْمَتْ بِرُخْصٍ مِنْ بَنَانٍ مُخَضَّبٍ وَحَطَّتْ عَنِ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ نِقَابُهَا

وقال محمد بن عياض مشبها أصابع محبوبته المحضوبة بالأفلام : (٦)

(من الكامل)

خَضِبَتْ أَنْامِلُهَا السَّوَادَ وَقَلَمًا أَبْصُرَتْ أَقْلَامًا بَغِيْرَ مِدَادٍ

(١) ديوان أبي الربيع ٧٣ .

(٢) نفسه : ٨١

(٣) نفسه : ٩١ ، والضرب : العسل الأبيض .

(٤) صفوان بن إدريس : ١٣٧ .

(٥) ديوان أبي الربيع : ٤٩

(٦) التجاني مخطوط تحفة العروس ورقة ١٩٧ هـ

مما سبق يستنتج أنّ محاسن المرأة التي فضّلها العربي منذ القدم ، مازالت ^{نفسها} هي ^{لها} عند الشعراء المغاربة في عهد الموحّدين ، مع بعض التّفوّت في الدّرجة والكثرة ، وكان الأعرابي الذي سئل عن صفات المرأة الجميلة قد وضع مقياساً دقيقاً فقال : (١)

" إذا عذب ثناياها ، وسهل خذاها ، ونهد شديها ، وفعم ساعداها ، والتفّ فخداها وعرض وركاها ، وجدل ساقاها ، فتلك همّ النفس ومناها " .

٤- الغزل بالمدّكر :

عرف الغزل بالمدّكر عند الشعراء المغاربة في هذا العهد ، فقد نقلت لنا كتب الأدب والتّراجم والأخبار بعض الأبيات التي قيلت في هذا الموضوع ، ورغم تشدّد السّلطة الموحّدية في موقفها من الذين يقولون مثل هذا الشعر ، فقد أثر عن عبّس المؤمن بن علي أنه صرف الأستاذ عبد الله بن ميمون القرطبيّ عن تعليم أولاده لأنّه قال ثلاثة أبيات تغزل فيها بشابّ من أهل أغمات (٢) .

ويرى بعض الباحثين أنّ ظاهرة الغزل بالمدّكر انتشرت في العصر العبّاسي منذ منتصف القرن الثّاني الهجريّ لوفودها عن طريق الفرس (٣) . بينما يرى فريق آخر أنّ الغزل الشاذّ تعود جذوره إلى العصر الجاهليّ (٤) . والواضح أنّ لهذه الظاهرة جذوراً في العصر الجاهليّ إلّا أنّها كانت حالات فردية لم تنتشر لتتشكّل تيّاراً واضحاً إلّا في العصر العبّاسيّ حيث انتشرت دور القيّان والبغايا ودور اللّهو الشاذّ التي تجمع بين القيّان والعلمان : (٥) ، فظهرت مجموعة من المجّان الذين كانوا يختلفون إلى تلك الدّور يطلبون اللّذة الشاذّة وكان بينهم مجموعة من الشعراء (٦) الذين نقلوا ما كان يدور في تلك المجالس ورووا قصصهم الماجنة ووقائعهم مع العلمان والجواري ، فبي قصائد ومعطوعات كثيرة .

-
- (١) الجاحظ ، المحاسن والأضداد : ١٦٨
- (٢) انظر ابن أبي زرع ، روض القرطاس : ٢٠٥
- (٣) يوسف حسين بكار ، اتّجاهات الغزل في القرن الثّاني الهجريّ : ١٩٦
- (٤) عمر فروخ ، أبو نواس : ٨
- (٥) بكار ، اتّجاهات الغزل : ٢٠٠
- (٦) أمثال : والدة بن الحباب ، والحسين بن الضّحّاك ، وحمّاد عجرد ، وغيرهم .

وقد عرف هذا اللون من الغزل عند الأندلسيين منذ وقت مبكر يعود إلى عصر الخلافة الأموية^(١)، ولم يكن - آنذاك - يقتصر على مجالات اللهو والعبث والمجون فحسب، بل تجاوز إلى بعض المجالات الأكثر وقاراً واحتشاماً كمجال مدح الخلفاء مثلاً، إذ وجدت بعض القصائد المدحجية لشعراء ذلك العصر قدّم لها بالغزل الشاذ، وهذا يدلّنا على أنّ هذا الضرب من الغزل قد شاع شيوعاً كبيراً ولم يكن مستهجناً حتّى في المجالات الرّسميّة. (٢)

وربط بعض الباحثين بين ذبوع الغزل بالمذكّر في الأندلس وبين ابتذال المرأة التي كثرت في المجتمع الأندلسي بسبب كثرة السّبي من النّساء الإسبانيّات بفعل الحرب بين العرب والإسبان (٣) لدرجة زهّدت الناس فيهن . وقد ذكر المراكشي في المعجب نصّاً يدل على مدى زهد الرّجال في النّساء حتّى الحرائر منهن في زمن المنصور بن أبي عامر، فقال: (٤)

" وفي أيّامه - المنصور بن أبي عامر - تغالى النّاس بالأندلس فيما يجهّزون به بناتهم من الثّياب والحلي والدّور، وذلك لرخص أشمان بنات الرّوم، فكان السّاس يرقّبون في بناتهم بما يجهّزونهن به .. ولولا ذلك لم يتزوّج أحد حرّة .. " .
فالدّكتور متولّي يرى أنّ النّاس قد ملّوا اللّذة من النّساء بسبب كثرة الجوّاري فاتّجهوا إلى العلمان ينشدون ضروباً من اللّذة غير التي في المرأة .

وقد امتدّ هذا الغزل إلى عصر المرابطين، وكان سببه ما تسم به العصر الذي سبقه من تهاون في أوامر الدّين وغصّ الطّرف عما في المجتمع من مظاهر الفساد، إذ كان بعض ملوك الطّوائف موصوفين بضعف الإيمان والعقيدة، والاستهتار بأحكام الدّين، وكان جلّهم يجاهر بالمعاصي وكان قصورهم مجالس للشّعراء الذين عبثوا بالنّساء

(١) عبد القادر هني، اتجاهات الشعر الأندلسي حتّى نهاية القرن الرّابع

الهجري : ٣٩٥

(٢) الجيلاني سلطاني، اتجاهات الشعر في عصر المرابطين بالمغرب والأندلس ١٤٢

(٣) بدير متولّي، قضايا أندلسية : ٤٣١

(٤) المراكشي، المعجب : ٣٨

والعلماء ، فلا غرو إذا وجدنا ظاهرة الغزل بالمذكر تمتد إلى عصر المرابطين على تمسكهم بالدين وتعاليمه .

ولما انتقلت السلطة إلى الموحدين وجدنا هذا الفن الشعري قد ازدهر ونما في الشعر الأندلسي ، وأضحى له شعراؤه الذين عرفوا به ، أمثال الرصافي البُلنسي (٥٧٢ هـ / ١١٧٧ م) وابن سهل الأندلسي (ت ٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م) (١)

أمّا في المغرب ، فإننا لم نعدم بعض المقطوعات التي تناولت هذا الفن ، بيد أنّها مقطوعات قليلة لشعراء عذّة ، قالوها في مواقف مختلفة ، لاتنم عن شذوذ سلوكي عند قائلها في الغالب ، بل نميل إلى أنّهم قالوها على سبيل التقليد الفني وإبداع الشاعرية .

ولدى فراءتنا لمقطوعات الغزل بالمذكر التي وصلت إلينا لانجد فرقا كبيرا بينه وبين الغزل بالموث ، فهناك تشابه كبير في نعت الأوصاف الجسدية ، فقد تغنى الشعراء بالعيون والقوام والخذّ والجبين ، فشبهوه بالبدر وبالظبي وأشاروا إلى طيب رائحته ، من ذلك قول الشاعر أبي العباس الجراوي في غلام كان يميل إليه تناول سوسنة صفراء ، وأوما بها إلى خديه مشيرا وقال : أيمن الشعراء ؟ تحريكا للجراوي ، فقال ارتجالا : (٢)

(من الوافر)

وَعُلُوِّي الْجَمَالِ إِذَا تَبَسَّيْتُ أُرَاكَ جَبِينُهُ بَدْرًا أَنْارَا

أَشَارَ بِسُوسٍ يُحْكِيهِ عَرَفَا وَيُحْكِي لَوْنُ عَاشِقِهِ أَصْفَرَارَا (٣)

فجمال هذا الغلام جمال علويّ كجمال البدر ، ورائحته تشبه رائحة

السوسن ، بينما صعب الصفرة وجه عاشقه .

أما محمد بن العابد الفاسي فيصف غلاما وسيما له خال بشاربه ، ويبسط

(١) انظر محمد مجيد السعيد ، الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس :

١٨٤ وما بعد .

(٢) المقري ، نفح الطيب : ٤ / ٨٨

٢٣ العرف : الرائحة .

القول فيه باحشا عن المعاني الطريفة ، وحسن التعليل فيقول : (١)
(من المفسر ح)

وَشَادِنٍ فِي الْقُلُوبِ مُرْتَعُهُ	مُرْهَفِ الْقَدِّ أَهْيَافِ الْخَمْرِ (٢)
نُشْوَانٍ مِنْ خَمَرٍ مَقْلَتِ بِهِ	فَمَا تُفِيْقُ أَعْطَافُهُ مِنْ السُّكْرِ
رُمَاهُ قَوْمٌ بِالنَّقْصِ حِينَ غَدَا	يُزْرِي جَمَالًا عَلَى سَنَا الْبَدْرِ
قَالُوا : سَوَادُ بَدَا بِمُبْسُومِهِ	وَمَاعِهُدُنَا السَّوَادُ فِي الدَّرِّ
فَقُلْتُ : مَا ذَلِكُمْ بِعَائِبِ بِهِ	كُفُّوا فَعِنْدِي حَقِيقَةُ الْعُذْرِ
حَبَّةُ قَلْبِي رَأَتْ مُقْبَلُهُ	فَأُفْلِتَتْ مِنْ جَوَانِحِ الصَّدْرِ
وَارْتَشَفَتْ خَمْرُ رِيقِهِ فَسُورَى	سَوَادُهَا عِنْدَ ذَاكَ فِي الثَّغْرِ
ثُمَّ ثَوَتْ فَوْقَهُ مَخْبِئَةً	مَنْ عَابَهُ كُنْهَ ذَلِكَ الْأَمْرِ

ففي هذه الأبيات وصف لمحاسن الغلام ، فهو مشرق كالبدور ، ممشوق
القَدِّ ، دقيق الخصر يشبه الطَّيِّبَ الغرير ، وقد تمكَّن من قلوب النَّاسِ .

وفيهما وصف لتمايله في مشيته ، وإغراب في إيراد المعنى ، فهذا
الغلام يملك عينين ساحرتين لهما فعل الخمر ، فسكر هو منهما فما تَـسَـراه ، إلا
متمايلا من السكر ، وفيها حديث عن الحساد والعذال الذين رأوا اجماله فبدؤوا
يبحثون عن عيب في خلقته ، فلم يجدوا إلا ذلك الخال الأسود على شفتة العليا
فعابوه ، ولكنَّ الشاعر انبرى لهم مدافعا عن جمال غلامه وباحشا عن تعليل مقنع
فأخبرهم بأن هذا الخال ماهو إلا حبة قلب الشاعر التي هجرت مكانها لما رأت ثغره
العذب فارتشفت ريقه الشَّهْيَّ واستغرقت فوق شفته العليا مخبرة عن نفسها .

وكانني بالشاعر قد نظر في بيته الأول إلى بيت الشريف الرضي : (٣) (من البسيط)

يَا ظُبْيَةَ الْبَانِ تَرَعَى فِي خَمَائِلِهِ لِيَهْنِكَ الْيَوْمَ أَنَّ الْقَلْبَ مَرَعَاكَ

(١) ابن عبد الملك ، الذَّيْلُ وَالتَّكْمِلَةُ : ٣٣٦/ ٨

(٢) الشَّادِنُ ، ولد الطَّيِّبَةُ خصوصا .

(٣) ديوان الشريف الرضي : ٣٨/ ٢

وكان الشاعر كان مولعاً بإيراد المعاني الغريبة ، وحسن التعليق

لنستمع إليه وهو يصف غلاما سال الدم من أنفه : (١)

وَمَهْفَهْفٍ لِلْبِدْرِ حُسْنُ جَبِينِهِ وَلِيَانِعِ الْأَغْصَانِ مَائِسُ عِظْفِهِ (٢)
لَمَّا أَرَأَى دَمِي وَلَاحَ بِخُذِّهِ أَجْرَاهُ - قَصْدُ إِهَانَتِي - مِنْ أَنْفِهِ

فأوصاف الشاعر لمحاسن غلامه تقليدية ، تشبه أوصاف الشعراء لمحبياتهم

فالقوام كالغصن اللين ، وجمال الجبين وبياضه كاليد المنيّر ، وحمرة خدّه كالدم ، غير أنّ الإبداع والجدة كانت في تعليل سيلان الدم من أنف الغلام فهو دم المحبوب الذي أراقه هذا الغلام فظهر في خدّه وصبغه بالحمرة ، ثم أساله من أنفه بغية إذلال العاشق وإهانته ، وهذا تصنع من الشاعر ، وجري وراء التصوير الغريب ، وإيراد المعنى الطريف ، وهو بهذا الغزل الغلmaniّ يقصد إلى إظهار قدرته الفنية على التصوير ، وليس تعبيراً عن شذوذ جنسيّ عنده .

أمّا موسى بن المناصف فقد تعشق غلاماً جزّاراً ، وأولع بطرفه وسحر

نظرته فحدثنا عن فعلها في قلبه ، فهي تشبه عمل السكين التي يحملها : (٣)

(من البسيط)

لِطَرْفِهِ فِي فُؤَادِي مَالِمْدِيَّتِهِ فِيمَا تُقَسِّمُ كَفَّاهُ عَلَى الْوَضْمِ (٤)

ولم يكن الغزل بالمذكّر مقصوراً على شعراء العامة ، وإنّما تعدّاه

إلى سادة بني عبد المؤمن ، فهذا الأمير أبو الربيع الموحدي يحضر استعراضاً

(١) ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة : ٣٣٦ .

(٢) المَهْفَهْفُ : الضامر البطن ، الدقيق الخصر .

(٣) ابن سعيد ، المغرب : ١٠٧/١ .

(٤) الوَضْمُ : خشبة الجزّار يقطع عليها اللحم .

للجند ، فبلغت نظره غلام صبوح الوجه ، أهيف القد يرتدي دروع الحديد
فيقول : (١)

(من المتقارب)

وَعَلَّقْتُهُ مِثْلَ غُصْنِ النَّقَا	تَنَوَّءَ بِهِ لَيِّنَاتُ الْبُرُودِ
تَنَاهَى بِهِ لَيْسَنُ أَعْطَافِهِ	إِلَى غَايَةِ مَا عَلِيَهَا مَزِيدُ
فَقُلْتُ وَقَدْ مَرَّ مُدَّرَعًا	تُطِيفُ بِهِ خَافِقَاتُ الْبُنُودِ
لَقَدْ آدَ قَدَّكَ لِبَسُ الْحَرِيرِ	فَكَيْفَ بِهِ عِنْدَ لِبَسِ الْحَدِيدِ

فالشاعر يلح في وصفه للغلام على القوام والقد ، ويشبّهه بالعصن
اللدن المتمايل ، ويعجب من ارتدائه دروع الحديد ، وقد كان يثقله لبس الحرير .

ولانعدم في العزل الغلmani حديثا عن الهجر والصدّ والحرمان ، فكثيرا
ماكان الشعراء يغالون في تصوير معاناتهم ، التي تصل إلى حد الموت عشقا ،
يقول عبد الواحد المراكشي في شاب ظريف اسمه فتح : (٢)

(من المجتث)

يَا مَنْ لَهُ عَنْ كِنَاسٍ	مَنْ الْمُتَيِّمِ قَلْبُهُ (٣)
مَا أَنْتَ كَأَسْمِيكَ فَتَحُ	وَأَيْتَمَا أَنْتَ قَلْبُهُ

والشاعر يتلاعب في الألفاظ ، وترتيب الحروف ليبين لنا أن هذا العلام
هو حتف لعاشقه .

ويصور أبو الحسن العشبي معاناته في عشقه لغلامه ، فقد أضى هذا
العشق جدّا بعد أن كان الأمر مزاحا ، وكاد هذا العشق أن يؤدي بصاحبه ويشبّه
قلبه ببغات الطير ، بينما يشبه المحبوب بحارح من الطيور يهّم بافتراسه : (٤)

(١) ديوان أبي الرّبيع : ٨٨

(٢) عيد الواحد المراكشي ، المعجب : ٣٠٣

(٣) أراد : يامن له بدلا عن كناسه قلب المتيم .

(٤) ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة : ٨ / ٢٠٢ .

(من السريع)

يَسْعُدُ قَدْ شَبَّ صَغِيرُ الْهَوَى وَجَدَّ عَشْقِي الْهَازِلُ الْمَارِحُ (١)
يَسْعُدُ قَدْ أَسْلَمَنِي لِلرَّدَى صَبْرُ حُرُورٍ وَهَوَى جَامِحُ (٢)
كَأَنَّ قَلْبِي حِينَ يَجْتَازُ بِي بُغَاثَةً هَمَّ بِهَا جَارِحُ

ومهما يكن من أمر ، فإنَّ الغزل بالمذكر كان لوناً من ألوان الشعر في هذا العصر ، شارك فيه بعض الشعراء فأداروا معظم أوصافهم حول جمال الوجه والقُد ، والخال ، والثغر ، وكانوا في غزلهم لا يبعدون عن معاني الغزل بالموث وكان هذا الغزل قليلاً إذا ما قيس بغزل شعراء الأندلس في الوقت نفسه .

(١) أخذ الشاعر بيته من قول أبي نواس :

صَارَ جِدًّا مَا زَحْتُ بِهِ رَبَّ جِدِّ جَرَّهُ اللَّعِبُ

(٢) جاءت في التذييل والتكملة : " صبر حرور " ، وأظنها تصحيف " صبر حرون " وهو أقعد بالمعنى .

الرّثاء

نظر النّقاد القدامى إلى الرّثاء على أنّه مدح للميّت و تمجيد لخصاله و أنّ الفرق بين المدح و الرّثاء أنّ نقول في الرّثاء : " كان كذا و كذا ، و نقول في المدح هو كذا و أنت كذا ، ، ، فينبغي أن نتوحّى في المراثية ما تتوحّى في المديح ، إلّا أنّك إذا أردت أن تذكر الميّت بالجود و الشّجاعة تقول : مات الجود و هلك الشّجاعة. ، و لا تقول : كان فلانا جوادا أو شجاعا فإنّ ذلك بارد غير مستحسن " (١)

و يزيد ابن رشيق على ما ذكره أبو هلال العسكريّ قوله : " و سيّـل الرّثاء أن يكون ظاهر التّفجّع ، بيّن الحسرة مخلوطا بالتّلفّ و الأسف و الاستعظام إن كان الميّت ملكاً أو رئيساً ، ، " (٢)

فالنّقاد القدامى في ربطهم بين المدح و الرّثاء يؤكّدون أنّ الرّثاء كان يتّكئ على القيم التي كان العرب يمدحون بها .

أمّا من حيث الشّكل فإنّ المراثية القديمة عرفت تعدّد الأغراض مثلما عرفته القصائد الأخرى فقد " كان الرّثاء عند الشعراء الجاهليّين قطعة من القصائد المطوّلة التي كانوا يلمّون فيها بكثير من الموضوعات ، فقد كانوا يستهلّون أقلّها بوصف الأطلال و بالفزل ، ثمّ ينتقلون إلى نابيّن الموتى و القتل من أبطالهم و أشرافهم تأيينا يذكرون معهم مناقيهم ، و أفضالهم ، و معائب أقوامهم ، و يضيفون إليه التّعزية لأهلهم و قبائلهم ، متّحدين من وصف المعارك بين الكلاب و القيادين ، و بين البقر و الثّيران الوحشيّة التي اصطلحوا على اختتامها بمقتل البقرة أو الثّور وسيلة إلى تلك التّعزية صاربين الأمثال بالملوك الأعزّة ، و الأمم السّالفة ، و الوعول الممتنعة في فلل الجبال ،

(١) أبو هلال العسكري ، الصناعتين : ١٢٧

(٢) ابن رشيق ، العمدة : ٢ / ١٤٧

و الأسود الخادرة في الغياض ، و يحمر الوحش المتمرمة بين القفار ،
و النّسور و العقبان ، و الحيات لبياسها و طول أعمارها ، ذلك في أشعارهم كثير
موجود لا يكاد يخلو منه شعر ،،، " (١)

و يُعدّ غرض الرّثاء من الموضوعات القليلة التي تناولها الشعراء
المغاربة في هذا العهد ، فقد وصلت إلينا سبع عشرة قصيدة ومقطوعة في
رثاء الأفراد ، أطولها قصيدة رائمة من سبعين بيتا للشاعر ابن خبازة يرثي
فيها ابناً للوزير ابن الجد ، و أقصرها بيتين لأبي الربيع الموحدي في
رثاء زوجته ، إضافة إلى أربع قصائد في رثاء الحسين بن عليّ بن أبي طالب
وتخميس للشاعر أبي العباس الجراوي بناها على أعجاز معلقة امرئ القيس ،
عدد تخميساتها واحد و ثلاثون تخميسا .

و يعلّل الأستاذ محمد بن تاويت قلّة قصائد الرّثاء عند الشعراء
المغاربة في هذا العهد بقوله : " فكانّ المغاربة لم يكن في طبيعهم هذا النّوح
و التّوجّع يبوحون به و يستدّرون الدّموع فيه ، يظهرون بمظهر المهيض الجناح " (٢)

و هذا رأي بجانب الصّواب ، فمتى كان المغاربة يختلفون عن غيرهم
من البشر ؟ و متى كانوا لا يتأثّرون لفقدان ذويهم و فلذات أكبادهم ؟
و يمكن نعليل هذه الظّاهرة بضياع شعر الرّثاء فيما ضاع من شعر ، لأنّ اهتمام
مصنّفي الكتب انصرف في هذا العهد إلى شعر المديح و الحرب اللذين كانا
سوقهما رائجة آنذاك ، ، و إلّا فيماذا نعلّل غياب شعر الرّثاء عند أبي العباس
الجراوي الذي كان شاعر الخلافة الموحديّة الرّسميّة ؟ ألم يُرثِ هؤلاء الخلفاء
الذين كان معجبا بهم أيّما إعجاب ، و لطالما تغنّى بانتصاراتهم ؟

(١) حسين عطوان ، شعراء الدّولتين الأمويّة و العبّاسيّة : ٣٧٧ ، و الكلام فيــــه

اعتماد على كلام الحاحط ، الحيوان ٢٠/٢ و على ابن رشيق في العمدة ١٥٠/٢ .

(٢) محمد بن تاويت ، الوافي بالأدب العربيّ في المغرب الأقصى : ١٨٩/١ .

و ممّا يلعت التطر في المراثي التي وصلت إلينا حلّوها من مراثي الخلفاء و الأمراء ، كما أننا لم نعثر على أي إشارة تفيد بأن الشعراء قد ختموا خلفاء الموحّدين ببعض المراثي .

لقد رثى الشعراء الموحّدون الأهل و الأقرباء و الأصدقاء ، كما رثى بعضهم نفسه ، و كان إحساسهم بهول الفاجعة مختلفاً من شاعر إلى آخر لذلك اختلفت درجة التوقّد العاطفي بين شاعر و آخر ، فجاءت أشعارهم بين النّدب المفجع المؤثر ، و التّأبين الذي لا يتجاوز تعداد مناقب المرثي و خصاله ،

ففي مجال رثاء الأهل ، نجد أبا الرّبيع الموحّدي قد قصر بساب الرّثاء في ديوانه - و عدد قصائده و مقطوعاته ثلاث عشرة - على رثاء ذويه ، فقد رثى أخاه أبا حفص و أبناءه ، و زوجته ، و كانت قصائده و مقطوعاته تعبر عن جودة في النظم و قلّة تكلف و نياهة خاطر .

و قد رثى أبو الرّبيع أخاه أبا حفص بقصيدتين يديعتين نحا فيهما منحيين متباينين هما النّدب و التّأبين .

أمّا قصيدته الأولى فقد نظمها على البحر الطويل و جعل لها فافية بائية و جاءت في سبعة و عشرين بيتاً ، و كأنّ الشاعر امتدّ بأبياتهما ليتسع أمامه القول في التعبير عن مصابه ، فنجدّه ينفجّع لموب أخيه نفجّعاً عميقاً ، و يندبه ندياً حارّاً ، و يصوّر فداحة المصاب الذي أصابه بفقد هذا الأخ العزيز ، و هي تكشف عن عاطفة الأخوة الصادقة ، إذ انصرف الشاعر انصرافاً كليّاً لتصوير مشاعره و حزنه في وضوح و صدق ، و أكثر من شكوى الزّمان الذي تقصّده بمصائبه ، فرزاه بأخيه بعد أبيه و لمّا تندمل جراحه .

و يحاول الشاعر أن يعزي نفسه عن طريق بعض الخواطر الحكمية ، فالموت حتم على العباد ، و ما من سبيل إلّا القير ، و لكنّ أحزانه تغلبه ، و يأسف لخيانة الأيّام ، و يغالب الأسى فلا يقوى على مغالبتها ، و يطول نحيبه و هو يدرك أنّه الفراق الذي لا لقاء بعده ، فقد وراه التراب ، و يدعوا له

بالسُّقيا ، و يضيف عنصرا جديدا إلى مرثيته و هو الدُّعاء للمرثي أن شمله
رحمة الله ، و أن يضيء قبره ، فيقول : (١)

بَعِيدُ مَدَى الْعُمْرِ الطَّوِيلِ قَرِيبُ وَ إِنَّ طَالَ عُمْرُ فَالْحَيَاةُ تَرِيبُ
وَ لَيْسَ عَجِيبًا غَدْرُهَا بِكَ إِنَّمَا رُ كُونُكَ مِنْهَا لِلْوَفَاءِ عَجِيبُ
أَتَانِي نَعْيٌ ضَاقَ صَدْرِي بِحَمَلِهِ وَ صَدْرِي - كَمَا قَدْ نَعْلَمَانِ - رَحِيبُ
فَمَرَّ بِقَلْبٍ لَمْ تَدْمَلْ قُرُوحَهُ كَمَا مَرَّ بِالْجَنْمِ الدَّفِينِ هُبُوبُ

وَ لَكِنْ قَضَاءُ اللَّهِ حَتْمٌ فَلَيْسَ لِي سِوَاهُ عَلَى حَمَلِ الْخُطُوبِ حَسِيبُ
يَقُولُونَ لِي مُبْرَأً وَ نَارُ تَلْهَفِي لَهَا بَيْنَ أَحْنَاءِ السُّلُوعِ وَجِيبُ (٢)
وَ كَيْفَ أَبَا حَفْصٍ أَطِيقُ تَعْيِشَرًا وَ بَيْنَ الْأَسَى وَ الصَّبْرِ فَيْكَ حُرُوبُ
فَإِنْ ذُبْتُ مُبْرَأً أَوْ أَسَى مَا عَلِمْتَنِي عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ أَذُ وَ بُ
فَسَقَى شَرَاكَ اللَّهَ هُوبُ غَمَامَةٍ تَسَحُّ عَلَيْهِ رَحْمَةً وَ تَهْـُـوَبُ
وَ مَلَأَ ذَاكَ الْقَبْرَ نُورًا فَإِنَّهُ سَمِيعٌ لِمَا أَدْعُو بِهِ وَ مُجِيبُ

و أمّا قصيدته الثَّانية فعدد أبياتها ثمانية عشر بيتا نظمها على البحر
المتقارب و جعل لها قافية ميمية مطلقه ، و نجد الشاعر فيها ينهج نهجا
مخالفاً لصنيعه في قصيدته السَّالفة ، فلحاً فيها إلى أسلوب التَّابِيب لأحييه
فما من أخ كان مثله ، كرم أصل و طيب محتد ، و شجاعة مريدة في المعارك ،
و لا ينسى في ختام قصيدته أن يعبّر مدى حزنه عليه ، فلو شقَّ عليه الجيوب
حزنا ما أتى منكرا ، و يحد الشاعر في الرِّسول الكريم أسوة حسنة في
التَّعْزِي ، فقد قال و هو يوارى فلذة كبدِه إِبْرَاهِيمَ النَّرَابَ عَلَى كِبَرِ
و شيخوخة : " إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَ الْقَلْبُ يَحْزَنُ ، وَ لَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى اللَّهَ ،

(١) ديوانه : ٤٠

(٢) وجيب : اضطراب و توقد .

فَإِنْ تَسَالَ عَنْ الْأَيَّامِ سَلْنِي فَإِنَّكَ قَدْ سَقَطْتَ عَلَى حَبِيرِ
 إِذَا كَانَ السُّرُورُ إِلَى انْقِضَاءِ فَإِنَّ الْحُزْنَ فِي نَفْسِ السُّرُورِ
 دَعِينَا يَا عِنَانُ نَزُورُ قَيَْرًا بِأَثْنَاءِ الْبُطِيحَةِ وَالْقُمُورِ
 يَذُوقُ الْمَوْتَ مَنْ يَفْقِدُ بَنِيهِ لِأَنَّ الْبَعْضَ فِي بَعْضِ الْقُبُورِ
 رُزْنَاهُ جَمِيعًا أَيْ رُزْءِ كَبِيرُ الْقَوْمِ يُرْزَأُ بِالْكَبِيرِ

أرأيت كيف اختفت نغمة النَّدْبِ وَ التَّفَجُّعِ وَ البكاء الحارَّ التَّشْيِ
 وجدناها في القصيدة السابقة ؟ إنها المعائب تبدأ كبيرة و تعمر بمرور
 الأيام ، لقد شاع في أبيات القصيدة أسلوب أكثر اتزاناً ، أسلوب
 ينطق بالحكمة حول قصر الحياة ، وقساوة الدهر ، و حتمية الموت ،
 و فد لا حظنا في مراثي أبي التَّريُّع في أبنائه خلوها من أسلوب النَّابِيسِ ،
 و اقتصرها على أسلوب النَّدْبِ ، و الخواطر الحكيمية ، لأنه - كما يبدو - فقد
 هؤلاء الأبناء صغارا ، فلم يخلّفوا مآثر و فضائل يمكن أن يوثّقوا بذكرها ،
 ممّا جعله يستعيز عن ذلك يتهوّر فداحة الخطب و عظم الرُّزء بفقدان هؤلاء
 الأبناء ، و استخدام بعض الخواطر الحكيمية التي يشير فيها إلى زوال الكائنات
 و حتمية الموت .

أمّا التَّصِيبُ الأكبر من عدد قصائد الرِّثاء عند أبي التَّريُّع فقد كان
 من نصيب زوجته ، فخصّها بستّة نصوص ، قصيدة من تسعة أبيات ، و خمس
 مقطوعات تتراوح أبياتها بين بيتين و ستّة أبيات ، و الملاحظ أنّ الشاعِر
 يَصِفُّق من القول في رثاء زوجته ، لضيّق مجال القول في رثاء النساء عامّة ،
 فقلّما نجد شاعرا أطنب في رثاء زوجته ، فجاءت مراثي أبي التَّريُّع في زوجته
 عبارة عن و مضات عاطفية تهوّر مقدار الحبّ الذي كان يكنّه لها ، فيلجأ إلى
 مخاطبة القبر الذي يضمّ جسدها فيراه قبرا غريبا موحشا ، فيدعوا له
 بالسّقيا على عادة الشعراء القدماء ، و يعزي نفسه عن فقدانها بقوله : إنها فارقت
 نعيم الدّنيا الزّائل إلى نعيم الجنّة الدّائم ، و هيهات بين هذا التّعيم وذاك : (١)
 (من البسيط)

قَبْرَ الْغَرِيبِ مُقْبِتَ الْغَيْثِ مَنْ جَدَتْ وَ جَادَ تُرِكَ هَطَالُ مَنْ الدَّيْمِ (١)
إِنْ كُنْتَ خَلَفْتَ نَعْمَى غَيْرَ يَاقِيَةٍ لَقَدْ نُقِلْتُ لِمَا يَبْقَى مِنَ النِّعَمِ

و من مرأثيه الرائعة في زوجته ، قصيدة رائية من البحر الوامر
أبياتها تسعة ، يبدو أنه نظمها بغير وفاتها بقليل ، يصور فيها حاله
بعدها ، فهو في بكاء دائم عليها ، و كيفلا يبكيها وقد غيبها القبر غيبة
لا لقاء بعده ، و يزيد في لوعته و حزنه عليها وجود هؤلاء الصبية الصغار
حوله ، و يستعير ذلك التعبير الشائع " كزغب القطا " ليعبر لنا فحسهم -
و هم يكون أمهم ، و ينادونها كلما رأوا أمًا ، أو ذكرها و الدهم ،
فيقول : (٢)

يَفْنِدُنِي السَّفِيهُ عَلَى بُكَائِي عَلَيْكَ وَ قَدْ نَأَيْبَ فَلَا مَزَارُ
وَ حَوْلِي مِنْ بَيْتِكَ - سُقْمَتِ غَيْثًا - فِرَاحُ كَالْقَطَا زُغْبٍ مِفَارُ
يُقَطِّعْنَ الْقُلُوبَ عَلَيْكَ مَهْمًا ذَكَرْتُكَ وَ الدُّمُوعُ لَهَا انْهَارُ
وَ مَهْمًا أَبْعُرُوا أُمًّا تَنَادُوا بِأَمَّهُمْ فَكَيْفَ لِي امْطَبَارُ

أرايت هذه الصورة الرائعة التي تصور ذلك الأب و قد أحاط
به أبناءه يبكون أمهم ؟ إن الشاعر قد اسنطاع أن يشركنا في أحزانه مع
أنه لم يأت بمعنى جديد ، فمعانيه من المعاني المتداولة ، و صورة الأطفال
الصغار الذين يشبهون فراخ القطا صورة قديمة رأيناها عند الحطيئة -
استعطافه عمر بن الخطاب لإطلاق سراحه .

و ننتقل من رثاء الأهل عند أبي الربيع ، إلى ضرب آخر من الرثاء هو
الرثاء مجاملةً للمتنفذين ، و مثالها قصيدة للشاعر ابن خبازة في رثاء ابن الجد (٣)

-
- (١) الدَّيْم ، ج ديمة : و هو مطر يدوم في سكون لا رعد فيه و لا برق
(٢) ديوانه : ٤٥
(٣) هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الملك بن الحافظ
أبي بكر بن الجد ، و كان والده وزير إشبيلة و عظيمها .

و تعزية والده و كانت المنيّة قد أدركته يوم العيد ، و هي قصيدة طويلة
عدد أبياتها سبعون ، صنعها على البحر البسيط ، و جعل لها قافية ^{رائية} مكمسورة ،،
و هي قصيدة منسوجة في مضمونها على منوال من تقدم من شعراء الرثاء ،
سواء في المغرب أو المشرق ، إذ أنّ الطابع الذي ساد مراثيتهم كان متمثلاً في
التضخيم و التهويل ، كما أنّ في المغالاة الشديدة في تصوير هول المعصيبة ،
و عظم الرزية .

يقول ابن خبازة من مطلع قصيدته : (١)

أَرْجَبُ الْعَقْرِ يَوْمَ النَّفْخِ فِي الصُّورِ أَمْ دَكَّةُ الطُّودِ يَوْمَ الْعَقْرِ فِي الطُّورِ (٢)
أَمْ هَدَّتِ الْأَرْضُ إِطْهَارًا لِمَا زُجِرَتْ بِمِ الْخَلِيقَةِ مِنْ إِيْفَاعِ مُحْذُورِ (٣)
أَمْ الْكَوَاكِبُ فِي آفَافِهَا انْتَشَرَتْ وَ بَاتَتْ الشَّمْسُ فِي طَيِّ وَ تَكْوِيرِ (٤)
مَا لِلنَّهَارِ تَعَرَّى مِنْ بَيَافِ سَنًا وَ أَشْبَهَ اللَّيْلُ فِي أَنْوَابِ دِيْجُورِ (٥)
قَدْ كَانَ لِلصَّبْحِ طَرْفُ زَانُهُ يَلْقَى مَقَسَمَ الْخَلْقِ بَيْنَ الدَّجْرِ وَ النُّورِ (٦)
فَمَا الْمُلِمُّ الَّذِي غَشَى بِدَهْمَتِهِ أَدِيمَةُ عَنِيْرًا مِنْ بَعْدِ كَافُورِ (٧)
أَمِخْ لِتَسْمَعَ مِنْ أَنْبَائِهَا نَبَأًا يَطْوِي مِنَ الْأُنْسِ فِيهَا كُلَّ مَشُورِ

- (١) المقرئ ، أزهار الرّياض : ٢ / ٣٨٠ .
- (٢) يلاحظ القارئ في البيت الأول اقتباس الشاعر من القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ وَ نُفِخْ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ (الزمر: ٦٨) و قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَ خَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾ (الأعراف : ١٤٣) .
- (٣) نظر الشاعر في بيته إلى قوله تعالى : ﴿ إِذْ أَرْجَسَ الْأَرْضُ رَجًّا وَ بُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا وَ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ﴾ (الواقعة ٥)
- (٤) اقتبس الشاعر في بيته من قوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَ إِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَشَرَتْ ﴾ (الانفطار: ١) وقوله تعالى : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴾ (التكوير: ١-٢)
- (٥) الديجور : الظلام .
- (٦) البلق : سواد و بياض - الدجن : الظلمة .
- (٧) الدهممة : السواد .

أرأيت إلى هذا الاستهلال المجلجل ، و إلى هذه الألفاظ العظيمة التي حشدها الشاعر لتعوير هول المصائب و فداحة الخطب ؟ إن القصيدة من مطلعها تعتمد على التّهويل و التّضخيم ، و المغالاة الشّديدة ، و المبالغة التي لا تعرف حدّا ، فموت الفقيّد طامة كبرى ، و حدث لم يتقدّم مثله في الدّنيا ، لدرجة أنّه اشتبه على الشاعر يوم وفاته بيوم القيامة ، و قد استعمل الشاعر علامات يوم القيامة في تعوير وفاة المرثي ، مستعيناً بآيات القرآن الكريم ، و يبدو تكلف الشاعر في إظهار الفجيعة المفتعلة ، و اصطیاد المغالاة و التّهويل أنّى وجده ، فجعل وفاة ابن الجدّ فاحشة انهدّ لها الكون بأسره، و تهدّعت لها الجبال الرّواسي ، و هذا بعيد عن مفهوم الرّثاء الحقيقيّ الذي حدّده الدكتور محمد النّويهّي في قوله: (١) " هو تعوير حزن الشاعر لموت إنسان ، و استثارة نفس الحزن في السّامع أو الفارئ ، فالشاعر يقول لنا: إنّ حزين و يحاول أن يجعلنا نشاركة حزنه ، و نحن لا نناثّر له قلامة طفر إذا عرفنا أنّه كاذب ، بل لا نستطيع أن نتأثّر له كثيراً إذا عرفنا أنّه يببالغ في حزنه و يهول من مصابه ، فالذي يريد أن يستثيرنا حقّاً لزام عليه أن يكون صادقاً و ألاّ يببالغ ، و ألاّ يلجأ إلى الإفراط في النّواح و العويل ، و أن يكتفي بتعوير حزنه تعوييراً دقيقاً صدق ، يوفيه حقّه ، ولكن لا يببالغ فيه فيد أنملة ملا يدعي دمة واحدة أكثر مما أغدق ، أو رمة واحدة أكثر مما زمر ، و ألاّ يضيف إلى مصابه مثعلاً واحداً لم يوجد فيه " .

إنّ ابن خبّازة في مرثيته يجمع بين النّدب و التّأبين فهو يتعنّص البكاء و يتكلّف ذرف الدّموع ، و لا ينسى أن يذكر مناقب الفقيّد و مآثره التي لا تحصى :

لِلَّهِ وَ الْمَجْدِ مَا أَبْقَاهُ مِنْ أَثَرٍ	أُخْرَى اللَّيَالِي بِطَيْبِ الذِّكْرِ مَأْثُورِ
فَالْوَجْدُ وَ الدَّمْعُ مِنْ حُزْنٍ قَدْ اقْتَسَمَا	قَلْبِي وَ جَفْنِي يَمْنُظُومِ وَ مُنْشُورِ
فَالْقَلْبُ بِالْغَيْظِ فِي تَعْعِيدِ مُسْتَعْرِ	وَ الْجَفْنُ بِالْفَيْضِ فِي تَعْوِيْبِ مُمْطُورِ

(١) محمد النّويهّي ، ثقافة النّاقّد الأدبيّ : ٣٣٨

و من الطّريف في هذه المَرثية انتقال الشّاعر من رثاء الولد إلى مدح الوالد و كأنّه لم يستطع مفارقة طبيعته المَدّاحة ، فمدّحه بالعَبر ، و الشّجاعة و الإقدام موطفا هذه المعاني في التّعزية ، يقول في الأب :

ذاق الرّزايا على مِقْدارِ مَنْصِبِهِ و إلا بُنِلاءُ على قَدْرِ المَقادِيرِ (١)
يا دَهْرُ حَمَلْتَهُ وَقَعَ الخُطوبِ و لَمْ نَزَلْ تُنْقِذْ عَنْهُ كُلَّ مَأْمُورٍ
فَلَمْ تُجَرِّبْ عَلَيْهِ جِبْنَ ذِي خُورٍ فِي النَّائِبَاتِ و لا إِحْصَامَ مَدْعُورٍ

و يلجأ الشّاعر إلى تعزية الأب فينطلق لسانه بالحكمة ، فكلّ نفس ذائقة الموت سواء أكانت نفس انسان أم نفس حيوان :

وَ إِنَّمَا المَوْتُ حُكْمٌ لَيْسَ يَدْخُلُ لَهُ نَسْخٌ لِخَلْقٍ، وَ عَدْلٌ دُونَ تَجْوِيرِ
يَقْضِي عَلَى الأُسْدِ فِي الآجَامِ حَاكِمُهُ وَ فِي الكِنَاسِ عَلَى البَيْمِ العَافِيرِ (٢)
وَ يَقْنِصُ الشَّهْبُ فِي شَمِّ الجِبَالِ كَمَا فِي الوُكْرِ يَعْتَامُ أَفْرَاحَ العَافِيرِ (٣)

و يضرب الأمثال بالأمم البائدة ، التي آلت إلى فناء :

سَائِلٌ بِكِسْرَى مَلِيكِ الفُرْسِ هَلْ تَرَكْتُ لَهُ المَنَايَا جَنَاحًا غَيْرَ مَكْسُورِ
وَ انْزِلْ بِمَنْعَاءٍ فِي قَهْرَابِنِ ذِي يَرٍ تَلِمَ يَقْهَرُ عَلَى الأَعْيَارِ مَقْصُورِ
وَ اعْبُرْ عَلَى حِيرَةِ النُّعْمَانِ مُعْنِيَرًا تَعْبُرُ بِأَطْلَالِ نُعْمَى ذَاتِ تَعْيِيرِ

و نقف عند الخليفة عمر المرتضى على مرثيه طريفة في شكلها و مضمونها إذ نظمها على شكل تخميس من البحر البسيط ، رثى فيها نفسه و قد مثل لعينه مصيره المفجع الذي سرعان ما انتهى بمقتله ، و ما أكثر ما رثى الشّعراء أنفسهم حين أشرفوا على الوفاة ، و لا سيما الغرباء منهم ، و في صفحات كتب الأدب ذخيرة وافرة من هذا الضرب من الشعر الذي يأخذ بمجامع النفس و يمس

(١) الرّزايا : ج رزيّة : المعيبة

(٢) العافير: ج يعفور ، ولد البقرة الوحشية ،

(٣) أَراد بالشَّهْب : الوعول الممتعة في فلل الجبال ، يعتام ، يختار .

شغافها ، و لعلّ من أشهر هؤلاء الشعراء مالك بن الرّيب الذي تُعدّ قصيدته
اليائية من أروع هذه القصائد صوغا وإحساسا و انفعالا و إيقاعا و صدقا. (١)

لقد خيّل لهذا الخليفة أنّ المنية اقتنمته ، و انتهى إلى قبره وحيدا
و قد ترك أهله و معارفه - على كره منه - . ييكونه يدموع سخيّة ، و لكنّ
ما يشقّ عليه تركه ابناً صغيراً ما زال يرضع. في حضن أمّه ، و كان يعللّ
النفس يطول العمر و بدوام النّعيم ، غير أنّ الزّمان غدر به و أبدل نعيمه
بوّسا ، يقول عمر المرتضى : (٢)

قَهَرُ الْمَنِيَةِ تَحْتَ التُّرْبِ أَسْكُنِي وَ مَا أَخَذْتُ مِنَ الدُّنْيَا سِوَى كَفْنِي
فِيَا بُنَيَّ وَ يَا إِلْفِي وَ يَا سَكْنِي تَالِلِهِ لَوْ كَانَ لِي حُكْمٌ عَلَى زَمَنِي
يَكُونُ مِنَ الدَّهْرِ مَا فَارَقْتُكُمْ أَبَدًا .

تَرَكْتُهُمْ بَيْنَ تَشْتِيَتٍ وَ مُجْتَمَعٍ وَ بَيْنَ بَاكِ مِنَ اللَّذَاتِ مُمْتَنِعٍ
وَ نِسْوَةٍ بِالْفِنَا يَبْكِينَ مِنْ جَزَعٍ أَلْبَسْتُ مِنْ بَعْدِ عَزِّي أَهْوَنَ الْخُلَعِ (٣)
وَ مَا مَدَدْتُ لَهُمْ يَوْمَ الْوَدَاعِ يَدًا

أَنَا الْغَرِيبُ بِأَرْضٍ فَاقَ مَسْلُكُهُ مَعَ الْبَنِينَ وَ لَكِنْ كُنْتُ أَمْلِكُهُ
مَا كَانَ ظَنِّي صَغِيرَ الْقَوْمِ أَتْرَكُهُ فِي حُجْرٍ مُرْفَعَةٍ يَحْبُو فَمَسِكُهُ
بِالرَّغْمِ مِنِّي تَرَكْتُ الْمَالَ وَ الْوَلَدَا

عَيْنُ الزَّمَانِ أَصَابَتْني بِنَظَرِهَا وَ أَذْهَبَتْ عِزَّتِي فِي طُولِ مَدَّتِهَا
عَجِيتُ مِنْ بَطْئِهَا عَنِّي وَ سُرْعَتِهَا وَ كَيْفَ مَا زَجَنِي تَلْوِينُ مِيعَتِهَا
فِي حِينٍ فَارَقَ مِنِّي رُوحِي الْجَسَدَا

(١) انظر القصيدة في ابن قتيبة ، الشعر و الشعراء : ٣٥٤/١ .

(٢) محمد بن تاووت ، الوافي بالأدب العربي : ٣٥٤/١ - ٣٥٥ .

(٣) جاء في الوافي : "عري" و هويتها حسب ما رأيته .

و من القصائد الفريدة التي يعزّ وجود مثلها في موضوعها ، قصيدة للشاعر ابن شقّرق السبّتيّ جمع فيها بين التهنة و التعزية ، تهنة صديق له يموت ولد ساعة موت أخيه ، فجاءت معاني القصيدة مزيجاً بين معاني التهنة و التشير و التعزية و الرثاء ، و عمد الشاعر في أبياته إلى إيراد المفاتيح بين المعاني المتضادة بغية إبراز التناقض بين المناسيين ، و تعميق إحساسنا بهمما ، و ينهل الشاعر في رثائه للطفل الميت من معاني الرثاء القديم فيشبهه باليدّر الآفل ، و بالغصن الذابل ، كما أنّه يستبكي الغمام عليه ، و يعزّي الأب و يهنئه في آن معاً فيقول : (١)

اللّه أَكْبَرُ بَدْرُ تَمَّ أَطْلَعَا فِي إِثْرِ بَدْرِ بِالأُفُولِ تَفَنَعَا
وَبَكَى الْغَمَامُ لِذَاكَ مُتَجَبِّاً كَمَا ضَحِكَ الزَّمَانُ لِذَا غَدَاةٍ تَطْلَعَا
فَعَجِبْتُ مِنْ قَمَرَيْنِ ذَلِكَ آفِسَلُ بِأَيْدِي السَّرَارِ وَ ذَا تَبْلُجٍ مُظْلَعَا (٢)
وَ عَجِبْتُ مِنْ غَمُوسَيْنِ ذَلِكَ ذَايَسَلُ بِأَيْدِي النُّحُولِ وَ ذَا رُطِيبٍ أَيْنَعَا

إلى أن يقول :

وَلَكَ الْهَيَاءُ أَيَا مُحَمَّدٍ الرِّضَا وَلَكَ الْعَزَاءُ : مُسَرَّةٌ وَ تَفْجَعَا
فِيمَا نُسِرَ بِهِ تُسَرُّ وَ بِالتَّيْذِي يَوْمًا تَسَاءُ يَوْمَ تَسَاءُ تَوَجُّعَا

و يلفت نظر الدّارس اتجاه في الرثاء انصرف فيه أصحابه إلى نظم القصائد في رثاء الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، و ينمّ هذا الاتجاه عن عاطفة خاصة تجاه أهل البيت ، ذلك أنّ لأهل البيت مكانة عظيمة عند جميع المسلمين بمختلف مذاهبهم ، و كان قتل الحسين رضي الله عنه أمراً مستفظعاً عندهم جميعاً ، على أنّ نظم قصائد الرثاء في ذكرى مقلبيه - و هو يوم عاشوراء - أمر يُظنّ أنّه خاصّ بالشّيعّة الذين جعلوا ذلك اليوم مأتماً سنوياً ، و لكن ما نجده عند الموحّدين ينفي هذا الطّن و يثبت خلافه ،

(١) العماد الأصفّهاني ، خريدة القصر : قسم شعراء المغرب ١/٢٤٨

(٢) سرّار الشّهر : آخر يوم فيه .

فقد عرف عن الخلفاء الموحّدين ، - وهم على مذهب الإمام مالك - اعتناؤهم الواضح بهذا الأمر ولا سيما المنصور الموحّدي في بداية الدولة ، والرّشيد الموحّدي في أواخر أيامها ، فقد نقلت لنا كتب الأدب أنّ الرّشيد كان يعقد المجالس الأدبيّة ، و يطلب إلى الشعراء أن ينظموا أبياتا في رثاء الحسين ، و منها ذلك المجلس (١) الذي ضمّ عددا من الشعراء ، و طلب إليهم أن يذيلوا بيتين لأبي الفرج بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) هما : (٢)

(من مخرج البسيط)

وَلَاثِمٍ لَامٍ فِي اكْتِحَالِ بِي
يَوْمَ اسْتَحَلُّوْا دَمَ الْحُسَيْنِ
فَقُلْتُ دُعْنِي أَحَقُّ عُضْوِ
يَحْظَى بِلَيْسِ السَّوَادِ عَيْنِي

و كان في ذلك المجلس أبو الحسن العُشْبِيّ الذي قال : (٣)

وَلَاثِمٍ لَامٍ فِي اكْتِحَالِ بِي
يَوْمَ اسْتَحَلُّوْا دَمَ الْحُسَيْنِ
يَحْسِبُهُ حَلِيَّةً وَ زَيْنَاً
يَا بَعْدُ مَا يَبْنُو وَيُنِي
فَقُلْتُ : دُعْنِي أَحَقُّ عُضْوِ
يَحْظَى بِلَيْسِ السَّوَادِ عَيْنِي
وَ اسْتَمِعِ الْأَمْرَ ثُمَّ حَقَّقْ
يَبِينُ لَكَ الْعَدْدُ دُونَ مِثْنِ
إِنَّ سَوَادِي مَعَ السُّوَيْدَا
فَأَصَا مَعَ الدَّمْعِ سَائِلِيْنَ
وَ اسْنُوفَا بَعْدُ فِي الْمَاقِي
وَقَفَّةَ مُسْتَوِلِيهِ لَبِيْثِيْنَ
كَمَا خَلَعْتُ الشَّبَابَ حَزْنَاً
فَهُوَ جِدَادٌ فِي الْمُفْلِنِيْنَ

و من المنظومات الشهيرة في رثاء الحسين منظومة للشاعر أبي العباس الجراوي نظمها للمنصور الموحّدي و أقامها على معاريج ^{معلق} أمرى القيس بحيث جعلها مخمسة بهذه المعاريج ، متبعا لترتيب الحروف الهجائية في فوافي

(١) انظر ما دار في أحد هذه المجالس ، في ابن عبد الملك ، الدليل والتكملة

٨ / ٤٦٥ و ما يعد .

(٢) ابن عبد الملك ، الدليل والتكملة : ٨ / ٤٦٥ .

(٣) نفسه : ٨ / ٤٦٨ - ٤٦٩ .

(٤) الميئُون : الكسبيذ .

المعاريف الأربعة التي تسبق مصراع التخميس ، و نسيطر على أبيات التخميس عاطفة الحزن العميق ، و الحسرة التي تفيض فيها نفس الشاعر ، و يمكن أن نحدد الخطوط العامة لهذه المراثية بالأفكار التالية :

- ١- تصوير مدى الحزن الذي ألمَّ بالشاعر عندما نذكر مقتل الحسين ، و بكاءؤه عليه بدمع غزير .
- ٢- تصوير انتقال الحسين و ذويه إلى كربلاء ، و مقتله هناك ، و تعرض أهله للتنكيل و السبي ، و نقل رأسه إلى دمشق
- ٣- هجاء أعداء الحسين من الأمويين ، و رميهم بالضلال و الفسوق و توعدهم بيوم القيامة حيث سيلقون جزاء ما اقترفت أيديهم من إثم في حق ابن ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يقول أبو العباس الجراوي في تصوير حزنه على الحسين بن علي : (١)
(من الطويل)

أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَذْرِي تَوَهَّجَا لِمَعْرَعٍ سَبَطَ فِي الدِّمَاءِ تَفَرَّجَا
فَعَطَلْتُ جَيْدَ الْيَأْسِ مِنْ جَيْلَةِ الرَّجَا فَتَغَسَّ لَأَقْوَامٍ يَرِيدُونَ لِي نَجَا
يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَ نَجَمَلْ

أَقُولُ لِحُزْنِي فِي الْحُسَيْنِ تَأَكَّداً : تَمَلَّكَ فَوَادِي مُتَهَمًا فِيهِ مُنْجِداً
وَلَوْ عَيْرُ هَذَا الرُّزْءِ رَاحَ أَوْ اعْتَدَى لِنَادَا يَتُّهُ قَبْلُ الْوُصُولِ مُرَدِّداً : (٢)

عَفَرْتُ بَعِيرِي يَا مُرَا الْقَيْسِ فَاَنْزِلْ
سِهَامُ الْأَسَى هَذَا فَوَادِي فَاَنْفُذِي فَفِي أَلَمِي بَعْدَ الْحُسَيْنِ لَلَّذِي
وَمِنْ عِبْرَتِي وَ الشَّكْلِ أَرَوِي وَأَعْتَذِي وَ يَا مُقْلَتِي مَنْ أَنْ تَشْحِي نَعَوْدِي
وَلَا تُبْعِدِينِي مِنْ جَنَّاكِ الْمُعْلَلِ

(١) محمد الفاسي : شاعر الخلافة الموحديّة / ٣٧ - ٤١ .

(٢) الرُّزْءُ : المصيبة .

ويقول في تحوّل الحسين و ذويه إلى كربلاء و تعرضهم -ثمة- للقتل و السّبي
و نقل رأسه إلى دمشق ، و هجاء أعدائه و رميهم بالضلّال و العميان :

أَيَا حُسْرَتِي يَوْمَ انْتَأَوْا وَ تَحَوَّلُوا إِلَى كَرْبِلَا مَاوَى الْقُلُوبِ بَنَقَلُوا
لِيَسْبُوا عَلَى حُكْمِ الضَّلَالِ وَ يُقْتَلُوا فَيَا رِزَاهُمْ صَمَمٌ - وَ مِثْلُكَ يَفْعَلُ -
بِسَهْمِيكَ فِي أَغْشَارِ قُلُوبٍ مُغْتَلِلِ

عَمُوا فِي احْتِمَالِ الرَّأْسِ يَاوَيْحَ مَنْ عَمَى وَ خَلُّوا حُسَيْنًا فِي الشَّرَى مُتَفَمِّعًا
لِكَيْ يُدْرِكُوا عِنْدَ ابْنِ حَرْبٍ تَخْلَعًا كَأَنَّ سَنَا رَأْسِ الْحُسَيْنِ عَلَى الْعَمَا
مَنَارَةَ مُمَسَّى رَاهِبٍ مُتَبَتِّلِ (١)

فأبيات التّخميس تفيض بمشاعر الحزن ، و الحسرة على نكبة الحسين ،
و بالنّعمة على قاتليه .

و ممّا يجدر الإشارة إليه أنّ الشاعر أضاف إلى أشطار معلقة امرئ
القيس شطرا في نهاية التّخميس هو : " فَأَظْفَرُ بِالرَّحْمَى مِنَ الْمَلِكِ الْعَلِيِّ "

و من أمثلة رثاء الحسين رضي الله عنه أرجوزة لموسى بن المناصف
نظمها في قصّة مقتل الحسين عدد أبياتها مئتا بيت و سنة أبيات مزدوجة . (٢)

و صفوة القول : لقد رثى الشعراء المغاربة في عهد الموحّدين
أهلهم و ذويهم و أصدقاءهم بقصائد خاصّة . كانت في أغلبها مراثي نقيديّة
تمتّع من معين القديم ، و تراوحت هذه المدائح بين أسلوبين ، أسلوب
المدّح و النّواج الذي يكثّر فيه تهوير مشاعر الحزن ، و فداحة
الخطب بالفقيد ، و أسلوب التّأيين الذي نحاه فيه الشعراء منحى

(١) المَنَارَةُ : المسرحيّة ، ممسّى راهب : أي المنارة التي تصيّء في

وقت إمساء الرّاهب ، المُتَبَتِّل : المنقطع للعبادة .

(٢) انظر بعضها في الذّيل و التّكملة ٣٨٣/٨ .

معايرها ، فأكثروا فيه تعداد مناقب الفقهاء ، و كانت هذه المناقب فهي
مجمليها مناقب طالما تمدح بها الشعراء ، كالكرم و الشجاعة و الحلم و العقّة
إلى غير ذلك من الخصال المحمودّة ، غير أنّنا وجدنا بعض الشعراء
يخرجون عن المعاني التقليديّة خروجاً يسيراً فيلمعون إلى تفوّي الميّت ،
و يدعون له بالرحمة و الثواب عند الله ، و بالنّور يصيء عليه ظلمات
فببره .

و قد وجدنا بعض الشعراء يغالون في تهوير وقع المعصية و يبالغون
مبالغة قد تصل إلى درجة يمجّها الذوق .

كما وجدنا بعض الشعراء ينظمون القصائد و الأراجيز في قصة مقتل
الحسين عليه السّلام ، و هم بذلك يسايرون الاتجاه العامّ للدولة الذي أخذ
من مذهب الشيعة بعض المبادئ .

الفصل السادس

موضوعات أخرى

١- شعر الخمرة

٢- الوصف

٣- الهجاء

٤- الشعر التعليمي

٥- الاستعطاف

٦- الإخوانيات

٧- الألفاظ

١- شعر الخمرة

إنّ موضوع الخمر من الموضوعات القديمة في الشعر العربي ، وقد ورثه المحدثون عن الأسلاف . وكان الجاهليّون يرون في شرب الخمر ضرباً من ضروب الفتوة والفروسيّة . وعندما صدع الرسول الكريم برسالة السماء ندرج الشرع الإلهي في تحريم الخمر تدرّجاً لما عرف من شغف العرب بالخمر ، ثم جاء النّصّ القطع الذي بيّن أنّ الخمر رجس من عمل الشيطان يحرم تناولها ، ونهى عن مجرّد الاقتراب منها ، بله شربها وذلك معنّى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاحْتَبِئُوهُ ﴾ (١) ومن ثمّ لعن رسول الله صلى الله عليه وسلّم عاصرها وبائعها وشاربها ومجالس شاربها . ومع ذلك وجد من المسلمين من لم يقلع عن معاقرتها ، ولم يتخلّص من هذه الآفة حتّى في أيّام الإسلام الأولى ، رغم صلاية الحكّام وعدم تهاونهم في إقامة الحدود على من يثبت عليه شرب الخمرة وتعاطيها . (٢)

وقد فشت ظاهرة شرب الخمر في المجتمعات الإسلاميّة فُشوّاً كبيراً بعد أن نالت هذه المجتمعات حظّها من التّرف ، فظهر شعراء أولعوا بالخمرة وحاهروا بشربها ، ووصفوها في أشعارهم أمثال الأقيشر الأسديّ (ت نحو ٨٠ هـ / ٧٠٠ م) وأبي نواس (ت ١٩٨ هـ / ٨١٤ م) وأضاربهما .

ولم تكن هذه الظاهرة مقصورة على المشرق ، بل إنّها انتقلت إلى الأندلس وانتشرت في مدنها انتشار النار في الهشيم ، فوجدنا الإقبال عليها قد بلغ مبلغاً كبيراً في بعض الأحيان ، ممّا شغل بال بعض الحكّام ففكّروا حدّيّاً في تطهير المجتمع من شرّها كما فعل الحكم المستنصر (ت ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م) إذ همّ بقطع شجر الكروم ليحول بين الناس وبين صنعها ، فأخبر أنّ المبتلين

١ - المائدة : ٩٠ .

٢ - من هؤلاء أبو محن الثّقفيّ (ت ٣٠ هـ / ٦٥٠ م) الشاعر الفارس في معركة القادسية . أخباره في الإصابة لابن حجر ١٧٣/٤ .

بها يصنعونها من أنواع أخرى من الغلال والفواكه كالتين وغيره ، وعندئذ
أمر بإراقة الخمر في جميع جهات الأندلس ، فخلّف هذا الإجراء المأ كبيرا
في نفوس مدمنيها - وهم كثر - فنظم يوسف بن هارون الرّمادي (ت ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م)
قصيدة مشهورة يُظهر فيها توجهه لشاربيها يقول في بعض أبياتها : (١)

(من الوافر)

يَخْطُبُ الشَّارِبِينَ بَضِيقُ صَدْرِي	وَتُرْ مُضْنِي لِبَلْبَتُهُمْ لَعْمُـرِي (٢)
وَهَلْ هُمْ غَيْرَ عَشَّاقٍ أُصِيبُوا	بِفَقْدِ حَبَائِبٍ وَمُنُوا بِهِجْرِي (٣)
أَعَشَّاقَ الْمُدَامَةِ إِنْ جَزَعْتُمْ	لِفِرْقَتِهَا فَلَيْسَ مَكَانَ صَبْرِي
سَعَى طَلَابِكُمْ حَتَّى أُرِيقَسْتُ	دِمَاءً فَوْقَ وَجْهِ الْأَرْضِ تَجْرِي
تَضَوُّعَ عَرْفِهَا شَرْقًا وَغَرْبًا	وَطَبَّقَ أَفْسَقَ قُرْطُبَةَ بَعْطَرِي (٤)

وهذا التّهالك على الخمر أدى إلى عناية كبيرة فيها من قبل
الشّعراء في ذلك المّقع ، يقول بالنشيا : (٥) " وكانت الخمرات أكثر فنون
الشعر ذيوعا بين شعراء الأندلس ، وكانت عادة الشرب أن يجتمعوا على الكؤوس
في الببوت أو التّرياض أو على ضفاف الأنهار كالوادي الكبير وإبّره . ولم تكن
محالسهم مجرد اجتماعات للشّراب وإنّما اجتماعات شعريّة كذلك " .

فمحالس الخمر إذا لم تعد تعقد في البيوت والحانات ، وإنّما أصبحت
تقام في رحاب الطبيعة ، مما جعل شعر الخمر يمتاز بوصف الطبيعة الجميلة
سورودها ورياحينها ، وكثيرا ما كان يطفئ وصف الطبيعة على وصف الخمر
عند الشعراء الأندلسيين . وهذا من غير شك أثر من آثار افتتاح القوم
بجمال التّرياض والبساتين التي اتخذوها ملهى ومقصفا ، فكان صفات الخمر لم
تستحوذ على نفوسهم استحواذ الطبيعة ، وهذه خاصّة مهمّة في شعر الخمر
عند الأندلسيين فمن ناحية تكشف لنا عن أثر الطّبيعة الأندلسيّة في شعر الخمر ،

١ - شعر الرّمادي : ٧٣ .

٢ - الخطب : الشان والأمر صغر أو عظم . أرْمَضَه : أوجعه وأحرقه .

٣ - مُنِي بكذا : ابتلي به .

٤ - ضاع المِسْك يَضُوع : تحرك فانتشرت رائحته كَتَضَوُّع . العَرَفُ : الرائحة ، طيبة أو منتنة
وأكثر استعماله في الطيبة . طَبَّقَ السحاب الجو : غشاه ، وطبق الماء وحه الأرض : غطاه .

٥ - بالنشيا : تاريخ الفكر الأندلسي : ٤٤ .

في هذا الموضوع ، ولكن الأرجح أن يكون مصنفو الكتب المغاربة قد طرحوا شعر الخمرة ، وسكتوا عن روايته وتدوينه في مصنفاتهم بسبب تحرجهم من إثبات شعر المجون عامة ، وقد سبب هذا الأمر شحاً في المادة الشعرية الخمرية فلم نعثر إلا على أربع عشرة قصيدة ومقطوعة مجموع عدد أبياتها خمسة وتسعون بيتاً وهي لشاعر واحد هو الأمير أبو الربيع سليمان الموحدي ، وستقتصر دراستنا لهذا الموضوع على هذا الشعر .

إن أبرز ما نلاحظه على هذه الخمرات أن الطبيعة والخمر والغزل تجتمع في معظم الأحيان في إطار فنّي واحد . وكثيراً ما يصور أبو الربيع مجالس الخمرة في أحضان الطبيعة تحت الخماثل الوارفة ، وعلى حافة الأنهار المترققة ، وبين الأزهار والورود ، وبطيل في وصف هذه المجالس ، ويطنب في عرضها ، ويذهب وصف الطبيعة بمعظم أبيات القصيدة ، لنستمع إليه وهو يصف أحد مجالس الأنس : (١)

(من الكامل)

لَلَّهِ يَوْمٌ أَيْنَعَتْ ثَمَرَاتُهُ	سَفَرْتُ لَنَا عَنْ وَجْهِهَا لَذَاتُهُ
وَتَهَلَّلْتُ فَرَحاً أَسِرَّةً وَجْهِهِ	وَتَبَاشَرْتُ بِلِقَائِنَا وَجَنَاتُهُ
يَوْمٌ مِنَ الْأَيَّامِ إِلَّا أَنَّهُ	رَقَّتْ حَوَاشِيمُ وَعَابَ وَشَاتُهُ (٢)
أَلْقَى الرَّبِيعُ عَلَيْهِ حُلَّةً وَشِيهِ	فَتَضَوَّعَتْ بِنَسِيمِهَا نَفَحَاتُهُ (٣)
وَالطَّبَرُ تَصْفُرُ فِي الْغُصُونِ كَأَنَّهَا	وَتَرَّ تَشْوِيقُ قُلُوبِنَا نَغَمَاتُهُ
وَالْأَنْسُ مَبْثُوثٌ يُدِيرُ كُؤُوسَهُ	رَشَاءُ تَغَايُرٍ فِي الْجَمَالِ صِفَاتُهُ
لَمْ يَذَرْ شَارِبُهَا لِسِحْرِ جُفُونِهِ	أَمْدَامُهُ صَرَعَتْهُ أَمْ لَحْظَاتُهُ

فالشاعر هنا يصف مجلساً من مجالس الشراب ، في أحد البساتين في فصل الربيع بين الخمر والخضرة والوجه الحسن ، وكل شيء في هذا المجلس يوحي بالسرور والبهجة ، فالطبيعة متهللة الأسارير مستبشرة وكأنها تهش وتبش لاستقبال ضيوفها ، وقد نشرت في أرجائها أطياب الروائح ، بينما تقوم العصافير بإكمال حمال هذه اللوحة فتغرد على الغصون ناشرة أعذب الألحان ،

١ - ديوان أبي الربيع : ٨٣ .

٢ - يكتن برقة الحواشي عن النعيم واللفظ .

٣ - تَضَوَّعَتْ : انتشرت .

وبعد أن يكمل رسم لوحته في خمسة أبيات يلتفت إلى وصف الخمرة والسّاقبي فيشير إليهما إشارة خاطفة في بيتين ، فيشبه السّاقبي بالطّبي الجميل ذي العيون السّاحرة التي لها فعل الخمر أو أكثر .

والمزح بين سحر نظرة السّاقبي وفعل الخمر ، ماثوث بكثرة في قصائد أبي الرّبيع (١) وقد عهدنا هذا الأمر عند شعراء الخمرة الأوائل أمثال أبي نواس وغيره . (٢)

وكان أبو الرّبيع في نعتة للخمرة يدور في فلك الشعراء القدماء ، وكأنّه وجد نفسه في ضيق شديد في هذا الموضوع . لأنّ القدماء كادوا يستفرون أوصافها ، فقد تحدّثوا عن لطافتها وقدمها ، ولونها ، وشعاعها ، وكؤوسها ، ومجالسها وندمائها ، وتأثيرها في الشّاربين ، لنستمع إلى هذه القصيدة الخمرية التي تبيّن مذهب أبي الرّبيع الخمرّي ، يقول الشّاعر : (٣)

وَإِنْفِيَا هَمَّ بِنْتِ الدَّانِ	يَا خَلِيلِي اشْرَبَا وَاسْقِيَانِي
وَأَرْفَعَاهَا وَرْدَةً كَالدَّهَانِ (٤)	أَنْزِلَاهَا دُرَّةً كَاللَّابِي
وَابْنِ سَاسَانَ وَعَبْدَ الْمُدَانِ (٥)	خَمْرَةً تُذَكِّرُنِي عَهْدَ كِسْرَى
شَأْنُ مَنْ نَعْدِلُنِي غَبْرُ شَانِي	لَسْتُ أَصْغِي لِعَذُولِ عَلَيْهَا
فَهَمَّانِ بِالْمُنَا عَارِفَانِ (٦)	فَأَنَا وَهِيَ شَجٍّ مَا أُرْدُنَا

١ - انظر ديوانه : ٦٥ ، ٨٢ .

٢ - انظر مثلاً ديوان أبي نواس : ٢٧ - ٤٤ - ١٠٣ - ١٠٠ .

٣ - ديوان أبي الرّبيع : ٦٨ - ٦٩ .

٤ - وردة كالدّهان : أي في حمرتها ، وفي قول الشّاعر اقتباس من قوله تعالى :

﴿ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدَّهَانِ ﴾ الرّحمن : ٣٧ .

٥ - كسرى وابن ساسان : من ملوك الفرس القدماء ، وعبد المدان : ملك

جاهلي يمانيّ .

٦ - شَجٍّ : حزين .

إِنْ تَشْكَا فِي ضَنَائِي سَلَاها أَوْ تَشْكَا فِي ضَاهَا سَلَانِي (١)
 مَنْ يَحُسُّ الْحَمْرَ فِي غَيْرِ كِبَرٍ هَائِمًا بِالْغَانِيَاتِ الْحِسَانِ
 وَيَكُونُ الظَّنُّ مِنْهُ جَمِيعًا كُلُّ مَا يَلْحَقُهُ فِي ضَمَانِي
 فَاعْتَبِقْهُمَا يَا خَلِيلِي وَلَا وَاعْتَنِمْ نَوْمَةَ عَيْنِ الزَّمَانِ (٢)

ففي هذه الأبيات تحديدٌ لعدد الندامى ، فهما اثنان قريبان من الشاعر ، وحديثٌ عن الأثر النفسى للخمرة فهو يراها سبيلاً لطرد الهموم ، ثم يصف هذه الخمرة فيتعرض لأنيتها (بنت الدنان) ، ولونها (فهي كالذرة ، وكالوردة) ، وقدمها ، فهي قديمة معتقة تعود إلى عهد كسرى ، والخمرة كلما تعتقت زادت قيمتها ، كما نجد الشاعر يُعرض عن قول اللائمين الذين يعذلونه على شربها ، ثم يبدع الشاعر في تصوير التوحد ببنه وبين خمرته ، فقد جمعتهما الأحزان والهموم ، وكلاهما عارف بضنى صاحبه . ولا يغفل الشاعر تحديد وقت الشراب ، فهو يفضل شربها مساءً (فاعتبقها) ، ونجد في البيت الأخير هذه الدعوة لصاحبيه على حث الخمرة واقتناص اللذة ، وهو في دعوته هذه كان يخشى انقضاء الزمن ولما ينل من الحياة وطره ، فكثر لذلك ترديده لمثل هذا المعنى ، كقولـه : (٣)

فَاعْلَمْ بِأَنَّ الْعُمَرَ خَطْفَةٌ بَارِقٌ وَانْعَمْ بِعَيْشِكَ - لَاعِدِمْتُكَ - وَاطْرَبْ

ومثل هذه الدّعوات إلى اغتنام اللذات قبل تصرّم العمر وانقضائه ترددت كثيرا عند شعراء الخمرة القدماء ، كقول يزيد بن معاوية : (٤)

(من الطويل)

أَقُولُ لِصَحْبِ ضَمَّتِ الْكَأْسُ شَمْلَهُمْ وَدَاعِي صَبَابَاتِ الْهَوَى بَتَرْنَهُمْ

١ - يقول محققو الديوان : إنَّ أبا التّريّيع في قوله ينظر إلى قول الإشبيلي (من الرمل)

وَلَقَدْ تَشْكُو فَمَا أَفْهَمَا وَلَقَدْ أَشْكُو فَمَا تَفْهَمُنِي
 غَيْرَ أَنِّي بِالْجَوَى أَعْرِفُهَا وَهِيَ أَيْضًا بِالْجَوَى تُعْرِفُنِي

٢ - الغُبُوق : شراب العشي .

٣ - ديوانه : ١٠٢ .

٤ - السّري الرّقاء ، المحبّ والمحبوب : ٢٠١/٤ .

خُذُوا بِنَصِيبٍ مِّنْ نَّعِيمٍ وَلَذَّةِ
فَكُلْ وَإِنْ طَالَ الْمَدَى يَتَصَرَّمْ

ومما يدلّ على ولوع أبي الرّبيع بالخمرة استعماله لكثير من أسمائها،
فقد تردّد في قصائده عشرة من أسمائها وهي : الخُمُرُ (١)، والسَّرَّاحُ (٢)،
والمَشْمُولَةُ (٣)، والسَّلْسِيلُ (٤)، والسَّلْسَالُ (٥)، والمُدَامُ (٦)، والْقَرْقَفُ (٧)، والعَاتِقُ (٨)،
والجُرْيَالُ (٩)، والصَّهْبَاءُ (١٠)، ومعروف أنّ هذه الأسماء تدلّ على أنواع وصفات
بعينها للخمرة (١١)، مما يدلّنا على مدى إلمام الشاعر بأنواع الخمرة وصفاتها.

وتغنّى الشاعر بقدم الخمرة ، فهي معصورة من عهد حَام تارة ، وتذكره
بعهد كسرى تارة أخرى : (١٢)

خُمْرَةٌ تَذْكُرُنِي عَهْدَ كِسْرَى
وَابْنِ سَاسَانَ وَعَبْدِ الْمُدَانِ

ولطالما تغنّى الشعراء الخمريون بقدم الخمرة ، فخمرة أبي نواس
أيضا من عهد كسرى : (١٣)

وَلَا تَسْقِنِيهَا بِنْتُ عَشْرِ فَإِنَّهَا
كَمَا عَصَرْتُ لَمْ يَنْسُ فُرْقَتَهَا الْكَرْمُ
وَلَكِنْ عَحْزًا بِنْتُ كِسْرَى قَدِيمَةٌ
مُعْتَقَةٌ قَدْ دَبَّ فِي طِينِهَا الْحِلْمُ

وهي عتيقة مختومة ، لم تمسّها يد ، ولم يَفْضْ ختمها إلا من أجل
هؤلاء النّدامى الكرام ، وهي سوداء في دنّها ، فإذا ما صُبّت نغبرّ لونها إلى
الأصفر المشرق كالصّبح : (١٤)

١ - ديوانه : ١٠٨ .	٢ - ديوانه : ١٠٧ .
٣ - ديوانه : ٧٠ .	٤ - ديوانه : ٧٥ .
٥ - ديوانه : ٧٥ .	٦ - ديوانه : ٨٦ .
٧ - ديوانه : ١٠٧ .	٨ - ديوانه : ١٠٧ .
٩ - ديوانه : ١٠٨ .	١٠ - ديوانه : ١٠٨ .

١١ - انظر في معاني هذه الأسماء وغيرها في كتاب الرّقيق القيروانيّ ، المختار من
قطب السّرور (اختيار علي نور الدّين المسعودي) : ٢٨ - ٣٨ .

- ١٢ - ديوان أبي الرّبيع : ٦٨ .
١٣ - ديوان أبي نواس : ١٠٤ .
١٤ - ديوان أبي الرّبيع : ١٠٧ ، وانظر : ٥٧ .

دُونَكُمْوَهَا قَرْقَفًا عَاتِقًا مَخْتُومَةً مَافَضَ عَنْهَا خِتَامٌ
صُبْحَ مِنَ الرَّاحِ وَلَكِنَّهَا مِنْ دِنِّهَا فِي مَذْرَعٍ مِنْ ظَلَامٍ
قَدْ أَقْسَمْتَ يَوْمَ حَرَى قَارُهَا لَا اقْتَضَّهَا إِلَّا نُدَامَى كِرَامٍ (١)

ولم يغفل أبو الربيع وصف رائحة الخمر فهي طيبة الرائحة : (٢)
(من الطويل)

لِنَعْنَمَ صَفْوِ الْعَيْشِ قَبْلَ أَوَانِهِ بِإِعْمَالِنَا صُهْبَاءَ طَيِّبَةِ النَّشْرِ

ويكثر عند أبي الربيع وصف السّاقى والتّفَرُّل به ، سواء أكان غلاماً أم فتاة ، وقد يطول هذا الوصف وقد يقصر ، ويطفئ الجانب الحسّي على هذا الوصف ، فنجد فيه نداء الحسد بارزاً كقوله : (٣) (من المتقارب)

تَنَبَّهْ إِلَى شَرْبِ مَشْمُولَةٍ يَطُوفُ عَلَيْنَا بِهَا حُودُرُ
يَدُلُّ صَفَاهَا وَإِشْرَاقُهَا عَلَى أَنَّ مِنْ خَدِّهِ تَعَصَّرُ
لِبَابِلَ فِي جَفْنِهِ نَفْثَةٌ وَلِلْحُسْنِ فِي خَدِّهِ أَشْطَرُ
إِذَا شَاءَ أَرْسَلَهَا نَظْرَةً فَتُسَكِّرُ أَضْعَافَ مَا يُسَكِّرُ
فِيَا عَاشِقِينَ عَلَى رُسُلِكُمْ مِنْ الشَّرْبِ سَاقِيكُمْ أَحْوَرُ
مَتَى تَسْتَفِيقُونَ مِنْ سُكْرِ مَنْ إِذَا فَنِيَتْ خُمْرُهُ يَنْظُرُ

فالشاعر يشبّه السّاقى بالطّبيّ الفاتن ، ويمزج بين وصف الخمرة ومحاسنه ويلجّ على جمال العينين اللّتين لهما فعل الخمرة .

ويلتفت في قصيدة أخرى إلى مفاتن السّاقى الحسيّة فيشبّهه بالطّبيّ الساحر النظرة ، ويشبّه قدّه بالغصن ، ووجهه بالبدر ، ويعرض لنحول خمره وثقل أردافه الّتي شبّهها بالكثير . (٤)

١ - اقتضَ كافتَضَ وزناً ومعنى . ٢ - ديوانه : ١٠٨ .

٣ - ديوانه : ٧٠ . ٤ - انظر ديوانه : ٨٢ .

وقد يختصر الشاعر في وصف السّاقى الحسّبي ، ويلمّ بطرف من محاسنه
النفسية كقوليه : (١)

مِنْ كَفِّ ذِي لَعَمٍ شَهِيٍّ رِيْقُهُ صَافِي الْأَدِيمِ مُؤَدِّبٍ وَمُهَذَّبٍ (٢)

ولانعدم في خمريات أبي الربيع بعض التماجن في أثناء حديثه عن
السّقاء إذ نجد له بعض الوقفات المحورية والمغامرات التي تنم عن شذوذه
في بعض أوقات سكره ، حين تنام العاطفة ويغيب العقل ، ليصرخ الجسد
وتستيقظ الغريزة، فنحده يداعب السّاقى ويقبّل فاه ، فيعرض السّاقى عنه ،
ولكنّه يتمادى أكثر ويستمرّ في مراودته مطّلاً الفاحشة ، وداعياً إلى اقتناص
اللذة ، فإنّ في العمر متسعاً للزهد والتكفير عما سلف : (٣) (من السريع)

يَا شَارِبًا أَلْتُمْنِي شَارِبًا قَدْ خُطَّ بِالْعَنْبَرِ وَالْمِسْكِ
جَادَ بِهِ ثُمَّ زَوَى وَجْهَهُ لَمَّا دَعُونَاهُ إِلَى الْفَتْكِ
قُلْتُ لَهُ لَمَّا انْتَنَى مُعْرِضًا : مَهْلًا فَمَا فِي الْفَتْكِ مِنْ إِفْكِ
فَاقْضِ السَّذِي تَهْوَاهُ مِنْ لَذَّةٍ لَأَبْدَ إِنْ عَشْتِ مِنَ النَّسْكِ

كما نجده في بعض أشعاره يحلّل شرب الخمر ومعاقرة الصّهاة : (٤)
(من السريع)

وَاسْحَيْ دُيُولَ اللَّهِوِ فِي لَذَّةٍ وَاعْكِفْ عَلَى حَتِّ كُؤُوسِ الْمُدَامِ
وَلَا تُرَى إِلَّا إِلَى نَشْوَةٍ تَصْحُو فَمَا فِي فِعْلٍ ذَا مِنْ حَرَامِ

وربّما حلّل الشّراب حتّى في يوم الجمعة ، ذلك اليوم الفضيل ،
فها هو يدعو أبا الحسن بن عمر بن عبد المؤمن إلى جلسة شراب : (٥)
(مجزوء الرجز)

الْيَوْمُ يَكُونُ الْجُمُعَةُ يَوْمُ سُرُورٍ وَدَعَاةٍ

٢ - اللّمس : سواد مستحسن في الشّفتين .

٤ - ديوانه : ٥٧ .

١ - ديوانه : ١٠٢ .

٣ - ديوانه : ٥٧ .

٥ - ديوانه : ١٣٧ .

وَشَمَلْنَا مُفْتَرِقَ
فَهَلْ تَرَى أَنْ نَجْمَعَهُ

(مجزوء الرجز)

فأجابه أبو الحسن : (١)

الْبُؤْمُ يَكُونُ الْمُجْمَعُ
وَالشُّرْبُ فِيهِ بِدْعُهُ
وَرَبَّنَا قَدْ رَفَعَهُ
فَهَلْ تَرَى أَنْ نَدْعَهُ

ونستطيع القول. إن خمريات أبي الربيع تمثل حياته في طور الشباب أفضل تمثيل ، فقد كان شاباً يؤثر اللهو والغزل والشراب ، ويجمع إليه عصبة من الظرفاء والأدباء (٢) ، فيعقدون في رحاب الطبيعة محالس اللهو والطرب ، غير عابئين بشيء ، مقتنعين بأن في العمر بقية للزهد والتنسك كما رأينا عند أبي الربيع وهذا بعلة - في رأينا - ضياع ولاية بجاية منه ، إذ استغرق في اللهو والقصف وأهمل أمر الولاية ، فاغتنم الميورقي (علي بن إسحاق) الفرصة واستخلص منه بجاية .

١ - ديوانه : ١٣٧ .

٢ - ابن سعيد ، الفصون الياينة : ١٣١ .

٢- الوصف

إنّ الوصف من أقدم موضوعات الشعر العربي وأكثرها حظاً من عنايـة الشعراء العرب في مختلف العصور لذلك قال ابن رشيق : ((الشعر إلّا أقلّه راجع إلى باب الوصف ، ولا سيل إلى حصره واستقصائه)) (١) .

عرف الجاهليون شعر الطبيعة حسبما أوجت به بيئتهم " وقصد تهيئاً للشاعر الحاهلي من هذا الفن حظاً وافراً فأخذ بتأمل الطبيعة ويبثّها آلامه ويفتن بها ويصورها تارة ببصره وأخرى بقلبه ، ويقف على أطلال الديار فتثير شجونه وتملك عليه النّاقة والبعير والفرس فؤاده ، وتستهويه الصّحراء بحيواناتها ورمالها وآلها وواحاتها ونجومها وبرقها ومطرها ... " (٢) .

وظلّ الشاعر الأمويّ مشدوداً إلى الطّبيعة فوصف الصّحراء وما فيها من نبات وحيوان ، وما كان يتمّ على رمالها من طراد لحمار الوحش أو الثّور الوحشيّ ، وظلّ الوصف كذلك يتغلغل في ثنايا كلّ موضوع من موضوعات الشعر سواء أكان مدحاً أم غزلاً أم فخراً .

وعندما آلت الخلافة إلى العبّاسيّين نالت الأمتة الإسلاميّة حظاً من الحضارة فنطوّرت شعر الطّبيعة ، وعثر عن بعض مظاهر الحياة الجديدة ، غير أنّه لم يستقلّ عن بقيّة الأغراض الأخرى بل ظلّ مرتبطاً بها ، وحائت أوصافهم غاية في الفنّ لأنّهم " طرّقوا الموضوعات في عمق وشمول ورسوموا الحياة في كثير من الإبداع والدقّة " (٣)

أمّا في الأندلس فقد أظهر الشعراء في فنّ الوصف عبقرية نادرة لاسيما عندما تعرّضوا إلى وصف الطّبيعة وحمال العمران ومجالس الأنس والطّرب ، ومع أنّ شعر الطّبيعة بقي ممتزجاً بقيّة الأغراض الشعريّة ، إلّا أنّ الأندلسيّين

(١) - ابن رشيق ، العمدة : ٢٩٤/٢

(٢) - جودت الركابي ، في الأدب الأندلسي : ١٢٥

(٣) - سامي الدهان ، الوصف : ٧

استطاعوا أن يتغنّوا به ويمنحوه بعض الاستقلال ، فتهيّأ لهم بذلك أن يصوّروا الطّبيعة بما فيها من مواطن الجمال والفتنة ، وأن يقفوا عند كلّ جزء من أجزاءها فوصفوا الرّياض والأزهار والمنتزهات والفوّارات والأنهار وغيرها من مناظر الطّبيعة ولم يتركوا منظرا منها إلّا وصفوه وتغنّوا به في أشعارهم (١) .

ولئن كان وصف الطّبيعة من أبرز أغراض الشعر الأندلسي ، فإنّ الشعراء المغاربة في عصر الموحّدين لم يقصّروا في وصف مظاهر طبيعتهم الخلّابة ، فصوروا الرّياض والحدائق والمنتزهات وما فيها من أزهار وورود ومياه وورود ودواليب . . . إلى غير ذلك مما كانت تقف عليهم عيونهم .

وقد حظيت الرّياض والحدائق باهتمام الشعراء المغاربة فأكثروا من وصفها خصوصا في فصل الرّبيع ، ولم يقصّروا رؤيتهم على جزء من أجزائها وإنّما كانوا يلمّون بكلّ أطرافها ، ويجمعون بينها في تأليف بديع بأسلوب خلّاب يصوّر روعة هذه الطّبيعة وجمالها .

ومن الشعراء الذين فتنوا بالطّبيعة وصوروا في أشعارهم أبو الرّبيع الموحّدي الذي كثر عنده قصائد وصف الطّبيعة ورسم مناظرها وتشبيه ملامحها كقوله يصف روضة في فصل الرّبيع وقد ارتبت الأشجار بألوان مبهجة من الزّهور والخضرة ، ولبست الأرض حلّة بدبعة من العشب الأخضر والنّرحس والأقحاح فانتشرت في الرّوض الرّوائح العطرة فملأت الأنوف : (٢)

وَنَظَّمْتُ مِنْ أَكَالِيلِ عَلَى الشَّجَرِ	حَيِّ الرِّبْعِ بِمَا وَشَّتْ أَزَاهِرُهُ
وَنَمَّقْتُهُ بِأَلْوَانِ مِنَ الزَّهْرِ	وَدَبَحْتُ فَوْقَ مَتْنِ الرُّوضِ مِنْ حُلُلٍ
وَمِنْ أَقْحاحِ نَقِيِّ الثَّغْرِ ذِي أَشْرِ (٣)	مِنْ نَرْجِسٍ سَاجِرِ الْأَلْحَاطِ ذِي عَنَجٍ
وَذَا يُلَاحِظُ عِطْفَ الثَّهْرِ عَنْ حَوْرِ (٤)	هَذَا يُضَاجِكُ وَقَعَ الطَّلِّ عَنْ شَنْبٍ

(١) - انظر فوزي سعد عيسى ، الشعر الأندلسي في عصر الموحّدين : ١٧٦ .

(٢) - ديوانه : ٧١

(٣) - أشر الأسنان : التّحزيز فيها .

(٤) - الطَّلُّ : النّدى . والشّنْبُ : جمال الثّغر وصفاء الأسنان .

بِمَا تَفْشَوْعَ رَوْضَ الزَّهْرِ غَبَّ حَيَاً تَأَكَّدَ الشُّكْرُ لِلنُّعْمَى عَلَى الْبَشْرِ
لَا يَحْسَبُ النَّاسُ أَنَّ الرُّوضَ فَاحَ لَهُمْ طَوْعاً وَلَكِنَّهُ يُثْنِي عَلَى الْمُطَرِّ

لقد وصف الشاعر في أبياته روضة في فصل الربيع وألم بكُلِّ جزئياتها ، ورودها ، وأزهارها ، ونداهها ، ونهرها ، وروائحها العطرة ، ولجأ إلى التجسيم فربط بين النرجس والألحاح ، وبين الأقحاح والشَّفر ، وجعل الأقحاح يضاحك الندى ، والنرجس يرمق النهر بعين حوراء ، وقد لجأ الشاعر إلى تصوير الروضة تصويراً خارجياً واكتفى بنقل المحسوس منه دون الإشارة إلى موقف الشاعر منه .

ويعتبر ابن الفُكون عن تعلّقه ببلده بجاية من خلال وصفه لطبيعتها الجميلة ، ويرسم لنا صورة رائعة لها فهي تفضل الشام والعراق ، ويعزّ وجود مثلها ، كيف لا ؟ وقد جمعت جمال البر والبحر ، فحيث توجّهت العين وقعت على ما يبهجها ، وينفي الهم عن النفوس ، فقد توفّر لهذا البلد كل ما يتمناه المرء من رغد العيش وجمال الطبيعة الخلابة ، فهي باختصار - جنة الله على أرضه - يقول ابن الفُكون : (١)

دَعِ الْعِرَاقَ وَبَغْدَادَ وَشَامَهُمَا فَالنَّاصِرِيَّةُ مَا إِنِ مِثْلُهَا بَلَدُ (٢)
نَرْوُ بِحَرْ وَمَوْجُ الْعُيُونِ بِهِ مَسَارِحُ بَانَ عَنْهَا الهمُّ وَالنَّكَدُ (٣)
حَيْثُ الْهَوَى وَالْهَوَاءُ الطَّلُقُ مُجْتَمِعُ حُبُّ الْغِنَى وَالْمُنَى وَالْعِيشَةُ الرَّغْدُ
وَالنَّهْرُ كَالصَّلِّ وَالْجَنَّاتُ مُشْرِفَةٌ وَالنَّهْرُ وَالْبَحْرُ كَالْمِرَاقَةِ وَهُيْدُ (٤)
فَحَيْثُمَا نَظَرْتُ رَاقَتْ وَكُلُّ نَسْوَا حِي الدَّارِ لِلْفِكْرِ لِلْبَصَارِ تَتَّقِدُ
إِنْ تَنْظُرِ الْبَرَّ فَالْأَزْهَارُ يَانِعَةٌ أَوْ تَنْظُرِ الْبَحْرَ فَالْأَمْوَاحُ تَضْطَرِدُ
يَاطَالِبَا وَصَفَهَا إِنْ كُنْتَ ذَا نَصِي قُلْ: جَنَّةُ الْخُلْدِ فِيهَا الْأَهْلُ وَالْوُلْدُ

(١) - الغبريني ، عنوان الدراية : ٢٨٠

(٢) - الناصرية : هي بجاية ، وقد نسبت إلى بانيها الناصر بن علناس

(٣) - بان : بعد .

(٤) - الصل : الحية .

أرأيت كيف يفتن الشاعر ببلده كل هذا الفتون ، ويرى فيها جنة الخلد؟
 إنَّ الشاعر يعبر لنا عن مدى ارتباطه ببلده ، وإعجابه بطبيعتها التي تحوي
 الماء والخضرة ورغد العيش ، وأبيات الشاعر تذكّرنا أبيات ابن خفاجة ت(١٣٨/هـ ٣٣٣م)
 التي يتغنّى فيها بجمال الأندلس: (١)

يَا أَهْلَ أَنْدَلُسٍ لِلّهِ دُرُكُكُمْ مَاءٌ وَطِلٌّ وَأَنْهَارٌ وَأَشْجَارُ
 مَا جَنَّةُ الْخُلْدِ إِلَّا فِي دِيَارِكُمْ وَهَذِهِ كُنْتُ لَوْ خَيْرْتُ أَخْتَارُ

وربما التفت الشعراء الموحّدون إلى وصف شجرة بعينها ، كقول أبي الرّبيع
 يصف شجرة تفاح وقد أشار النّسيم الزّهر والورق من حولها فغدت كملك يلقي
 نقوداً على السّائلين الذين أحاطوا به : (٢)

انْظُرْ إِلَى دَوْحَةِ التَّفَاحِ مَالِ بِهَا رِيحُ الصَّبَا فَأَثَارَ الزَّهَرِ وَالْوَرَقِ (٣)
 وَالنَّتْ مِنْ حَوْلِهَا تَبْدُو أَزَاهِرُهُ كَأَنَّهَا أَنْجُمٌ قَدْ فُرِّقَتْ فِرْقًا
 كَأَنَّهَا مُلِكٌ طَافَ الْعَفَاةُ بِهِ لَيْسَأَلُوهُ فَأَلْقَى بَيْنَهُمْ وَرَقًا (٤)

إنَّ الشاعر في أبياته وصف هذه الشجرة وصفا خارجياً ، وكان همّه طلب
 الصّورة دون أي شيء آخر ، فأكثر من التشبيه في أبياته ، فشبه النّبت المحيط
 بالشجرة بالنجوم ، وشبه الشجرة ببن الأزهار بالملك الذي يلقي الدّراهم على
 سائليه .

وثمّة ظاهرة تحسن الإشارة إليها في وصف الطّبيعة عند أبي الرّبيع هي
 نقل صورة الحرب بأدواتها وحندها إلى وصف الطّبيعة ، وهذا عائد إلى كثرة الحروب
 التي كانت تعيشها الدّولة الموحّدية مع الإسبان وغيرهم ، ممّا أدّى إلى تسرّب
 مصطلحات الحرب إلى شعر الوصف ، لنستمع إلى هذه الأبيات لأبي الرّبيع

(١) - ديوانه : ٣٠١ .

(٢) - ديوانه : ١٣٤ .

(٣) - الدَّوْحَةُ : الشّجرة .

(٤) - العَفَاةُ ، ح عاف : وهو السّائل والمحتاج .

الموحديّ: (١)

(من اليسيط)

بَيْضُ مِنَ السَّقَرِ أَوْ سُمْرٌ مِنَ السَّمْرِ (٢)
 نَبْلًا مِنَ الْمَزْنِ فِي دِرْعٍ مِنَ الْغُدْرِ (٣)
 وَشَيْ الرِّبْعِ ، وَقَتْلَاهَا مِنَ الشَّجَرِ
 نَفْعُ الْمُحَارِبِ فِيهَا عَابَةُ الظُّفْرِ
 تَدْرَعُ النَّهْرُ وَاهْتَزَّتْ قَنَا الشَّجَرِ (٤)
 بَيْنَ الرِّيَاضِ وَبَيْنَ الْجَوِّ مُعْتَرِكٌ
 إِنْ أَوْتَرَتْ قَوْسَهَا كَفَّ السَّمَاءُ رَمَتْ
 فَتَحُ الشَّقَائِقِ جَرَحَاهَا ، وَمَغْنَمُهَا
 مَا عَجَبَ لِحَرْبٍ سِجَالٍ لَمْ تُثِرْ ضُرًّا
 مِنْ أَجْلِ هَذَا إِذَا هَبَّتْ طَلَائِعُهَا

لقد أكثر الشاعر في مقطوعته من استعارات ألفاظ الحرب وصورها في وصف الرّياض ، وغصّت أبياته بها مثل قوله : " معترك ، البيض ، السمر ، أوترت قوسها ، رمت نبلا ، درع ، جراح ، مغنم ، فتلى ، حرب المحارب ، تدرع ، اهتزاز القنا ... " ، وصورة المعركة القائمة بين الرّوض والجوّ المبرق ، وتشبيه قطرات الماء المنهمر بالنّبال صورة فيها الكثير من الطرافة .

ويصف لنا ابن الياسمين قدوم الرّبيع ، ويلتفت إلى جانب واحد منه ، وهو أزهار شجر النّارنج ، ويشبّه الأزهار بابتسامة الرّبيع ، ويضيف إلى صورته المرثية صورة شمّبة فيصور رائحته العطرة التي تحيي العباد: (٥) (مجزوء الخفيف)

حَاءَ الرِّبْعِ وَهَذِي أُولَى الْبَشَائِرِ مِنْهُ
 كَأَنَّمَا هُوَ ثَغْرٌ مَدَّ جَاءَ ضَحْكَ عَنْهُ
 زَهْرٌ لِنَارَنْجٍ دَوْجٍ انْظُرْ إِلَيْهِمْ وَصْنُهُ
 أَلَيْسَ حَيَّاكَ عَرَفَ الْـ -- لَذِي جَنَى مِنْ لَدُنْهُ (٦)

(١) - ديوانه : ٧٠ ، وانظر ١٤٠

(٢) - السَّمْرُ ، ج السُّمَرَةُ : بضم الميم : من شجر الطلح .

(٣) - الْمَزْن : الأمطار .

(٤) - تَدْرَع : لبس درعه .

(٥) - ابن سعيد ، الغصون اليانعة : ٤٨

(٦) - الْعَرَفُ : الرائحة .

المائيات :

لقد افْتَنَّ الشعراء المغاربة في هذه الحقبة بتصوير الماء والتغني به ، فهو أصل الحياة وسرّ وجودها . وقد أنعم الله سبحانه على أقطار المغرب ببيئة متوفرة المياه بحكم موقعها على شاطئ البحر ، وكثرة الأنهار والينابيع التي منحت هذه الطبيعة الخير والنعم .

ووجد الشعراء المغاربة في صفاء هذه المياه وانسيابها وتدققها ملذتهم ومتعتهم فأكثرُوا من ذكرها ، وعدّدوا أوصافها وخصّوها بمقطوعات خاصّة . ومن هذه المقطوعات مقطوعة للشاعر ابن حمّاد يصف فيها " عين السّلام " في بلده فيلتفت في وصفه إلى عذوبة مائها وبرودته لاسيما وقت الهاجرة ، وينعت حصاها فيشبهه بالدّرّ تارة وبابتسامة الثّغور العذبة تارة أخرى ، ولا ينسى تصوير الشّجر الكثيف الملتف حولها : (١)

عَلَى عَيْنِ السَّلَامِ سَلَامٌ صَبَّ	غَذَاهُ مَاوَهَا الْعَذْبُ النَّمِيرُ (٢)
تَأَوَّدَ أَيْكُهَا وَجَرَتْ صِبَاهَا	وَشُمْلَاهَا كَمَا فَتَقَ الْعَبِيرُ (٣)
وَأَبْرَدُ مَا يَكُونُ الْمَاءُ فِيهَا	وَأَنْدَى حِينَ يَخْتَدِمُ الْهَجِيرُ
وَمَا أَذْرِي أَيْجَرِي فَوَقَ دُرٌّ	أَمْ انْتَسَمَتْ بِمَنْبَعِهَا الثُّغُورُ

ووصف الشعراء في هذا العصر الأنهار ، ولم يخرجوا في تصويرهم لها عن الصّور المألوفة من تشبيهها بالسّيوف المجردة المّقبلة تارة ، وبالممرّاة نارة أخرى ، يقول أبو الحسن بن القطّان : (٤)

وَمَهْنَدٍ لَزِمَ التَّجَرُّدُ فَهُوَ لَا	يَنْفَكَ مَسْلُولاَ لِغَيْرِ قِتَالِ
ضَمِنَ التَّسِيمُ صَفَاءَ صَفْحَةٍ وَجْهِهِ	فَتَرَاهُ مَصْقُولاَ بِغَيْرِ صِقَالِ

(١) - التّجاني ، رحلة التّجاني : ١١٧ .

(٢) - النّمير : الزّاكي .

(٣) - تأوّد أَيْكها : انحنت غصون أشجارها . الصّبا والسّمّال : ريحان الأولى تهبّ

من مشرق الشمس ، والثّانية تهبّ من ناحية القطب السّمالي .

(٤) - ابن عبد الملك ، الذّيل والتّكملة : ٨ / ١٧٠ .

وَإِذَا تَنَفَّسَ فِيهِ سَالَ فِرْنَدُهُ وَطَفَا عَلَيْهِ حُبَابُهُ كَلَالِي (١)
أَعْجَبَ بِهِ مِنْ صَارِمِ آثَارِهِ نَقَعَ الصَّدَى وَتَنَفَّسَ الْأَصَالَ

يصوّر الشاعر في أبياته النّهر تصويراً خارجياً ، ويسعى جاهداً في طلب التشابه والاستعارات وحشدها في مقطوعته ، ممّا أضفى عليها قدراً غير يسير من التّصنع .

وربّما شبّهوا النّهر في صفاء مائه واستوائه بالمرآة الصّفيلة التي تعكس النّجوم على صفحته ممّا يجعل المنظر يُشكّل على الرّائي فلا يعرف الأرض من السماء ، يقول ابن الفُكُون : (٢)

فَنَهْرٌ كَالسَّجَنَجَلِ قَدْ تَرَاءَتْ عَلَى شَطِئِهِ جَنَاتُ النَّعِيمِ (٣)
تَشَكَّلَتْ الْكَوَاكِبُ فِيهِ حَتَّى جُرَتْ فِي قَعْرِهِ شُهُبُ الرَّحُومِ (٤)
وَأَشْكَلَ مَنْظَرًا عَلَوًا وَسُفْلًا مِنَ الْفَلَكَ الْأَثِيرِ إِلَى النُّجُومِ

ويظهر أنّ المواطنين المغاربة اعتادوا القيام بنزهات ليلية على ضفاف الأنهار فكانوا يصنعون قواعد خشبيّة ويثبّتون عليها مصابيح ثم يضعونها على سطح الماء ، فتنير المكان وتضفي عليه جمالا آخذاً ، وقد صوّر لنا ابن عبدون المكناسيّ هذا المنظر ، واحتفل بالتشبيه احتفالا كبيراً فقال : (٥) (من البسيط)

انْظُرْ إِلَى النَّهْرِ يَحْكِي الْأُفُقَ إِذْ قُذِفَتْ فِيهِ مَصَابِيحُ ذَادَتْ عَنْهُ أَحْلَاكَهَا
جَالَتْ بِهِ سُرُجٌ شَبَّهَتْهَا شُهُبًا عَلَى قَوَاعِدَ قَدْ حَاكَبْنَ أَفْلَاكَهَا

فالشاعر يجهد نفسه في طلب الصّور ، وبحشد في بيتيه التشابه العديدة، فالنّهر كالأفق ، والسّرج كالشّهب ، وقواعدها كالأفلاك ، فالتّصنع بادٍ والتّكلّف ظاهر فيهما .

(١) - الفرند : مايلمح في صفحة السيّف من أثر تموّج الضّوء . الحباب : الفقاقيع التي تعلو الماء والخمر .

(٢) - الغبريني ، عنوان الدّراية : ٢٨٣ ، وقيّد القافية فيها .

(٣) - وردت في عنوان الدّراية (كالتّسجلجل) وهو تصحيف .

(٤) - يريد بالرجوم ما ترجم به الشّياطين من الشّهب .

(٥) - ابن القاضي ، جذوة الاقتباس : ٢٨٥ .

ومما يتصل بوصف المياه والأنهار وصف الدواليب والنواعير التي انتشرت في الأندلس والمغرب بانتشار البساتين ، وكانت تستعمل في إيصال الماء إليها ، ويرى بعض الباحثين أنّ الاهتمام بوصف الدواليب ظاهرة برزت في عهد الموحّدين وأوّل من فتح باب القول فيها هو الشاعر الرّصافي البُلنّسيّ (ت ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م) ويرى أنّ آياته السّينية كانت محتذى لكثير ممّن أنوا بعده ، نأثروا بها واستغلّوا صورها وتشبيهاتها^(١) ، غير أنّ هذا الرأي تُعوزه الدّقّة ، فقد عرف الأندلسيون وصف النّواعير والدّواليب قبل ذلك بأكثر من قرن ونصف ، إذ حفظ لنا كتاب " التّشبيهات من أشعار أهل الأندلس " لابن الكتّانيّ (ت ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م) عدداً من المقطوعات في هذا الموضوع ، منها قول الشّاعر محمّد بن الحسين الطّاري: (٢)

(من الكامل)

لَحْنِيْنَهَا حَسَنَ الْفُؤَادُ التَّائِقُ	وَبَكَى الْكَئِيبُ الْمُسْتَهَامُ الْوَائِقُ (٣)
أَنْتَ أَنْيْنٌ مَغْرَبٌ عَنْ الْفِيهِ	وَدُمُوعُهَا مِثْلُ الْجُمَانِ سَوَابِقُ
تَبْكِي وَيُضْحِكُ تَحْتَ سَيْلِ دُمُوعِهَا	زَهْرٌ تَبَسَّمَ نُورُهُ وَشَقَائِقُ

فالشّاعر محمّد بن الحسن الطّاري أسبق في تناول هذا الموضوع من الرّصافي ، وقد مال في مقطوعته إلى تشخيص هذا العنصر من الطّبيعة ومنحه صفات الأحياء وإحساساتهم فهذه النّاعورة تحنّ ، وتغنّ ، وتبكي ، بينما الزّهر يبتسم لبكائها ، ونحن نميل إلى أنّ هذا الشّاعر وأضرابه كانوا من أوائل من وصفوا النّاعورة ، وجاء مَن بعدهم وأفاد من تصوّيرهم لها .

ويعرض ابن دأود لوصف النّاعورة فيلجّ على الصّفات التي أثّلتها محمد بن الحسين الطّاري وأضرابه ، فيصف بكاءها وأنينها ، ودموعها ، فيثير أنينها في نفسه مشاعر الحزن لأنّها ذكّرتّه بأنينه يوم فَرَّقَ النّوى بينه وبين الْفِيهِ ،

(١) - محمد مجيد السّعيد ، الشّعر في عهد المرابطيين والموحّدين بالأندلس : ١٤٣ .

(٢) - ابن الكتّاني ، التّشبيهات : ٧٩ - ٨٠ .

(٣) - التّائِقُ : المشتاق - الْوَائِقُ : المحبّ .

ويستعير لها مشاعر إنسانية ، فإذا هي تحسّ فتئنّ وتبكي، ولكن بكاءها يبعث الحياة والبهجة فيما حولها من الرياض ، يقول ابن دادوش : (١)

(من المتقارب)

وَبَاكِبَةٍ لَمْ تُرْعَ لِلنَّوَى وَلَا عَرَفَتْ زَفَرَاتِ الْهَوَى
تُئِنُّ أَنْيُنِي يَوْمَ اسْتَقَلَّ رِكَابُ سُلَيْمَى بِذَاتِ اللَّوَى
إِذَا أَسْبَلَتْ دُمْعَهَا فِي الصَّيْبِ دِرْ أَيْنَعَ كُلِّ قَضِيْبِ ذَوَى

وتتضح عناية الشاعر بالاستعارة في هذا الوصف ، فقد استعار لها الحنين والأنين والدموع والبكاء ، أمّا عناية الشاعر بالبديع فتظهر في الحناس الناقص بين ، النوى ، والهوى ، تئنّ أنيني ، والطباق بين : أينع وذوى .

كما صوّر الشعراء معالم الحضارة والعمران في بلادهم فوصفوا القصور والقبب والحمامات ، والنوافير ، والمصابيح والثريات وغيرها .

وتعدّ قصائد وصف القصور التي وصلت إلينا قليلة ، من ذلك قول ابن الفُكون يصف قصر الربيع ، وهو من القصور التي بناها الموحدون في بحاية : (٢)

(من الطويل)

وَلَمَّا نَزَلْنَا سَاحَةَ الْقَصْرِ رَاعِنَا بِكُلِّ حَمَالٍ مُبْهِجِ الطَّرْفِ مُرْتَقِ
فَمَا شِئْتِ مِنْ طِلٍّ وَرِيفٍ وَحَدُولٍ وَرَوْصٍ مَتَى تُلْمِمُ بِهِ الرِّيحُ نَعْمَقِ (٣)
وَشَادَى مَغَانِي الْحُسْنِ فِي نَعْمَاتِهِ يُطَارِحُهُ هَدْرُ الْحَمَامِ الْمُطَوَّقِ
فِيَا حُسْنَ ذَاكَ الْقَصْرِ لَأَزَالَ أَهْلًا وَيَاطْبِبُ رَبَّنَا نَشْرَهُ الْمُتَنَشِّقِ
رَتَعْنَا بِهِ فِي رَوْضَةِ الْأُنْسِ بَعْدَمَا هَصَرْنَا بِهِ غُصْنِ الْمَسْرَةِ مُوْرِقِ

والشاعر هنا لا يتعرّض إلى وصف بناء القصر وفنون عمرانه ، بل يكتفي بذكر ساحة القصر ، ويبدو أنّ بهاء المنظر وروعته قد سلب لسه فشغله عن القصر ، فانصرف إلى وصف مآرأته عيناه من الحداثق والحنان المحيطة به ، لقد تألفت الظلال المورقة والجداول المترققة ، والرياض المزهرة بشتى أنواع الورد والرياحين لتشكل لوحة بديعة ملأى بالألوان المتناسقة ، والأنغام المتألّفة ، والروائح العطرة .

(١) - الرّعيني ، برنامج شيوخه : ٢٠٥

(٢) - الغبريني ، عنوان الدّراية : ٢٨١ - ٢٨٢ .

(٣) - ظلّ وريف : أي متّسع ممتدّ .

كما وصف الشعراء القباب التي أكثر الخلفاء والأمراء الموحدون من سناها .
لنستمع إلى قول الأمير أبي الربيع الموحدي في قبّة أخيه أبي حفص: (١)

أَيَا قُبَّةَ الْعُلَيَاءِ حَلَّ بِكَ السَّعْدُ وَحَلَّ بِكَ التَّوْفِيقُ وَالْيُمْنُ وَالْمَحْدُ (٢)
وَقَرَّتْ بِمَا تَهْوَاهُ فِيكَ عُيُونُنَا وَأُنْحِرَ فِي لُقْيَا أَبِي حَفْصِ الْوَعْدُ
وَحَالَفَهُ فِيكَ السُّرُورُ مُخَيَّمًا إِذَا مَا أَتَى وَقَدْ فَفَا إِثْرُهُ وَقَدْ (٣)
وَلَا زَالَتِ الْأَقْدَارُ تَحْدُمُ أَمْرَهُ عَلَى وَفْقِهِ وَالذَّهْرُ فِي مُلْكِهِ عِنْدُ

لقد أهمل الشاعر نعت شكل القبّة وشكلها ، واكتفى بعرض مجموعة من
أمنيّاته لأخيه بالسعادة والتّوفيق والسّرور بحلوله فيها .

وكان لوصف الحمامات حظٌّ من أشعار المغاربة في هذا العصر ، ويبدو
أنّ شعراء الأندلس قد أكثروا من الأشعار التي قيلت في الحمامات لدرجة جعلت
بعض الأدباء يؤلّفون كتباً خاصّة في الأشعار التي نظمها أصحابها فيها ، كتأليف
محمد بن إبراهيم بن محمد الحضرمي الذي سماه " تأنيس أرباب الاستحمام بما قيل
من الأشعار في الحمام " .

ومن الشعراء المغاربة الذين وصفوا الحمام محمد بن العابد الفاسي ، الذي
نقل لنا في قصيدته بعض العادات الاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك الوقت ، فقد
اعتاد الناس أن يدخلوا الحمام ويجلسوا في قسم خارجي فيتناولون الأطعمة اللّذيذة ،
ويمضون وقتاً في اللّهو والمرح ، ثم يدخلون إلى قسم داخلي ضيّق مظلم كأنه الفبر
يحوي حرنين للماء أحدهما للماء البارد والآخر للماء الساخن ، وقد انتشرت فتحات
الإنارة الزّاحية في حوانبه فقال : (٤)

لَمْ نَدْخُلِ الْبَيْتَ حَتَّى أَتَى بِأَرْبَعٍ فِي سُورِ الْبَدْرِ (٥)

(١) - ديوان أبي الربيع : ١٣٥ .

(٢) - اليُمْنُ : البركة .

(٣) - قَفَا : تبع .

(٤) - ابن عبد الملك ، الذّيل والتكملة : ٣٣٦/٨ - ٣٣٧ .

(٥) - أراد أقراص الخبز ، شبهها في استدارتها بأقراص الخبز ، والبيت مكسور الوزن .

- وَجَاءَ بِابْنِ النَّحْلِ فِي زُبْدَةٍ
فَقُلْنَا : هَاتِ الْبَاقِلَاءَ التَّيْبِ
زَبْرَحْدُ ضُمَّ عَلَى لَوْلُو
فَاجْتَمَعَتْ أَطْعَمَةٌ حَقٌّ مِّنْ
فَلَمْ نَزَلْ نَجْهَدُ فِي ضَرْهَا
وَحِينَ ضُمَّ اللَّيْلُ أَذْيَالُهُ
فَمُنَا لِبَيْتٍ حُرْجٍ مُّظْلِمٍ
تَخَالُ مِنْ ضَمَّتْهُ أَحْشَاؤُهُ
تَلُوحُ فِي أَقْبَائِهِ أَنْحُومُ
تَبْدُو نَهَارًا فَإِذَا مُابِدًا
- مِثْلَ عَنَبٍ شَيْبٍ بِالْـدُّ (١)
بَدَتْ لَنَا فِي حُلِّ خَضِرٍ (٢)
صَاغَهُمَا مِنْ سَكَبِ الْقَطْرِ (٣)
أَعْطَاهَا الْإِفْرَارُ بِالشُّكْرِ
حَتَّى أَرَا حَتْنَا مِنْ الضُّرِّ
وَانْتَشَرَتْ أَلْوِيَةُ الْفَحْرِ
قُسِّمَ بَيْنَ الْبَرْدِ وَالْحَرِّ (٤)
كَأَنَّمَا أُذِرَجَ فِي قَنْبَرٍ
نَفِيزَةً لِأَلْنَحْمِ الزُّهْرِ
حَنَحُ الدُّجَا غَارَتْ وَلَمْ تَسِرْ

ففي هذه الأبيات تحديد لوقت دخول الحمّام وهو الصّباح الباكر، وتعداد لبعض الأطعمة التي كان الناس يتناولونها في الحمّام ، ووصف لداخله ، وانقسامه إلى قسمين خارجي بارد وداخلي ساخن ، كما نجد وصفاً لأواني الماء البارد والساخن، كما يصف لنا فتحات الإنارة فيه .

أما عبد الرحمن بن عبد الواحد فيعفل عن وصف الحمّام وأوانيّه ، ويربط بين مشاعره وبين نار الحمّام ومائه ربطاً غريباً ، فهو يرى أنّ الحمّام يشبهه في أمرين ، الماء والنّار ، فماء الحمّام يشبه دموع الشاعر ، في حين أنّ ناره تشبه زفرائه المتصاعدة الحرّى : (٥)

(من الوافر)

- (١) - أراد بـابن النحل : العسل ، وعز البيت مختل الوزن، ولو قال: (كعسر قد شيب) لاستقام .
- (٢) - الباقلاء: الفول ، وأراد الأخضر منه ، صدر البيت مكسور الوزن، ولو قال: (فقلت) لاستقام .
- (٣) - الزَّبْرَحْدُ : حجر كريم ذو ألوان كثيرة أشهرها الأصفر والأخضر، وأراد هنا قشور الفول الخضراء ، وأراد باللؤلؤ : الحبوب بداخلها .
- (٤) - حُرْج : ضَيْق .

٣- الهجاء

الهجاء فنٌ قديم من فنون الشعر العربي تعود بداياته إلى العصر الجاهلي ، وكانت القيم التي عيّر الشعراء فيها مهجّوئهم هي نقبض القم التي أثنوا فيها على ممدوحِيهم ، فإذا مدح الشعراء بالشّاعة والكرم ، والمروءة ، وحماسة الجار ، والوفاء ... هجّوا بتجريد مهجّوئهم من هذه الفضائل .

وقد ازدهر شعر الهجاء في العصر الموحدى ، وخصوصاً فى الأندلس إذ وجد فيها عدد كبير من الشعراء أولعوا بالهجاء وعرفوا به . أمثال علي بن حزمون الذي كان ذا باع كبير في الهجاء حتّى قال فيه المراكشي : " ولا أعلم في جميع بلاد المغرب بلداً إلا و أهاجي هذا الرجل تحفظ وتُدّرّس " (١) ، وهذا الخبر على ما بنطوى عليه من مبالغة يدلّنا على مدى انتشار الهجاء في ذلك العصر ، ومن بطالع كتاب زاد المسافر يقف على قصائد ومقطوعات كثيرة في الهجاء يبلغ بعضها حدّ الإسفاف في الإفحاش والإقذاع (٢) .

أمّا في المغرب فإنّ المادّة الشعريّة الهجائيّة التي توفّرت لدينا ليست كثيرة إذا ماقيست بالنصوص الأندلسيّة ، وهى في مجملها عارة عن مقطوعات قصيرة تبلغ البتين والثلاثة (٣) ، وهذا ما كان يقصده شعراء الهجاء فصداً بغية إبلام مهجّوئهم ، فكانوا ركّزون معانِبهم تركيزاً كبيراً في أبيات قليلة حتّى يضمنوا انتشارها بين الجمهور وحفظها بسرعة . على أنّا لانعدم بعض القصائد الهجائيّة التي طالت أبياتها حتّى حاوزت عشرة أبيات (٤) .

ويمكن أن نصنّف المادّة المتوفّرة لدينا من شعر الهجاء في الاتّجاهات التالية :

قسم اتّحه إلى هجاء الأفراد ، وهو القسم الأكبر ، وقسم اتّحه إلى هجاء البلدان

(١) المراكشي ، المعجب : ٢٩٧

(٢) انظر صفوان بن إدريس ، زاد المسافر : ٨١ - ٩٣ - ١٠٨ - ١٠٩

(٣) انظر مقطوعات الجراوي الهجائيّة في الحدود المتعلّق بأغراض الشاعر .

(٤) انظر ابن الأبار ، تحفة القادم : ٢٤٥

وأهاليها ، وقسم اتّجه إلى هجاء الجماعات وكان نصيب جماعة الفلاسفة هو الأكبر ، وقسم اتّجه إلى هجاء خصوم الدّولة وأعدائها ، وهذا ماتناولناه في حديثنا عن فصيحة المدح الموحّديّة ، ولانجد داعباً لإعادة الحديث عنه ، وسنقصر حديثنا عن الاتّجاهات الثلاثة الأولى .

١- هجاء الأشخاص : وهو ذلك الهجاء الذي يتناول الفرد بصفته فرداً

محرّداً من الارتباطات القبليّة ، وبالتالي فإنّ المثالب التي تُنعى عليه متّصلة به شخصياً لا بسواه . سواءً أكانت هذه المثالب خُلفيّة أم خُلقيّة . وقد كانت العيوب الخُلقيّة ممّا لا بابه به الذّوق الفديم ، لأنّ هذه العيوب لم تكن لتزرى بالمنرء في نظر المجتمع يومذاك ، لذلك اتّجه الهجاء إلى تجريد المهجّو من القيم التي كان المجتمع يعظّمها كالشّاعة والكرم وصراحة النّسب وما إليها ممّا له علاقة بمروءة الإنسان ، وقد حدّد لنا النّقاد القدامى وجهة النّظر المحافظة هذه ، فقال قدامة بن جعفر : " إنّه متى سلب المهجّو أموراً لاتجانس الفضائل النّفسيّة كان ذلك عيباً في الهجاء مثل أن ينسب إلى أنّه فيح الوحه أو صغير الحجم أو ضئيل الجسم " (١) .

وإذا كان النّفد لا يخلو من تأثر في الأدب فإنّه مع ذلك لم يستطع أن يقف في وحه تيار الحياة المنحدّدة " فخرج الهجاء المحدث في الشّعري العربي عن مقابيسه المعبّرة عن ذوق المحافظين " (٢) . فإذا نظرنا في الشّعري الهجائي الموحّديّ ألفينا بعض المفطوعات التي تناولت العيوب الخُلقيّة في الإنسان ، فإذا أراد الشّاعر أن يسخر من خصمه أو أن يجعله غرضاً لتندّر الآخرين ، حاءه من هذه النّاحية التي يتأدّى منها في هذا المجتمع الذي تغيّرت فيه مقابيس الجمال عمّا كانت عليه في مجتمع البادية .

(١) قدامة بن جعفر ، نقد الشّعري : ١١٢ - ١١٣

(٢) عبد القادر هني ، اتّجاهات الشّعري الأندلسيّ : ١١١ .

لقد تناول الشعراء المغاربة في هذا العصر المثالب الخلقية في الممرء بدافع السخط حيناً ، وبدافع التندر والتفكه حيناً آخر ، ومن هذه العيوب الخلقية التي تناولوها سواد اللون ، فقال أبو العباس الحرّاي هاجبا الشيخ ابن الياسمين وكان أسود اللون : (١)

(من السيط)

إِسْتُ الْحُبَارَى وَرَأْسُ النَّسْرِ بَيْنَهُمَا لُونُ الْغُرَابِ وَأَنْفَاسُ مَنِ الْجُعَلِ
خُذْهَا إِلَيْكَ بِمُكْمِ الْوُزْنِ أَرْبَعَةً كَالنَّعْتِ وَالْعُطْفِ وَالتَّوَكُّيدِ وَالْبَدَلِ

فهحاء الشاعر من ذلك الهحاء الذي بصور المهجوّ نصويرا كاربكاتوريا يعتمد إظهار المفارقات، ولم يكتف بتشويه صورته الخلقية ، بل أضاف إليه نتاسة الرائحة ليزيد في بشاعة الصورة .

غير أنّ ابن الياسمين لم يقف مكتوف الأيدي من خصومه الذي اتّخذوا من سواد لونه دريّة يرشقون سهامهم عليها ، بل ردّ عليهم هجاءهم بأبيات أكثر إيلاها وإقذاعا مستخدماً الحر والقافية نفسيهما وكأنّه ينظر إلى أسلوب النفااض في صنعه ، يقول في الرد على أبي العباس الحرّاي : (٢)

(من السسط)

يَا أَغْرَقَ النَّاسَ فِي نَشْلِ الْيَهُودِ وَمَنْ تَأَبَى شَمَائِلُهُ التَّفْصِيلَ لِلْجُمَلِ
خُذْهَا بِحُكْمِ اخْتِمَاعِ الدِّمِّ وَاحِدَةً تَغْنِي عَنِ النَّعْتِ وَالتَّوَكُّيدِ وَالْبَدَلِ

فالشاعر يعيّر الحرّاي بأصله اليهودي الذي يفتقر إلى الشمائل الكريمة والصفات الحميدة .

ويلجّ أبو الحجاج بن نموي في هجائه ابن الياسمين على الصفة نفسها ، فيرى في سواد لونه علةً مُزمنة اعتاد على حملها دون أن يشكو منها ، ويعيّر بقبح منظره فيقول : (٣)

(محروء الرمل)

(١) ابن سعيد ، الغصون الياينة : ٤٦ .

(٢) ابن سعيد ، الغصون الياينة : ٤٦ .

(٣) نفسه ، ٤٩ .

أَيُّهَا اللَّابِسُ لَسُونِ الْ
وَالَّذِي يُضْمِرُ دَاءً
أَنْتَ مِنْ أَقْبَحِ خُلُقِ الْ
لَيْلِ ثَوْبًا حِينَ أَظْلَمَ
مِنْهُ يَوْمًا مَا تَأَلَّمَ
لَهُ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ

فردّ عليه ابن الياسمين بأبيات نظمها على نفس البحر والقافية، جرّده فيها من فضائله ورماه بمجموعة من النواقص التي تغضّ من قبمة صاحبها، وتجعله ليس أهلاً لمنصب القضاء، كارتكاب الآثام، والمعاصي من سكرٍ واختلافٍ إلى مجالس القصف واللهو، وترك الصلاة، فإذا حاول أن يملّي ملّى كالأكم لأنّ الشراب ذهب بعقله وبما حفظه من آيات يقيم بها صلاته: (١)

(مجزوء الرمل)

أَيُّهَا الْفَاسِي أَتَى رِي
فِي قَرَبِ حَسَنِ الصُّو
فَقِيلَنَاهُ وَقَدْ جَا
ثُمَّ قُلْنَا بِمُزَاح
إِنَّمَا الشَّانُ فُقِيهٌ
لَا تَرَاهُ الدَّهْرَ إِلَّا
يَرْفُضُ النَّفْلَ مَعَ الْفَرْ
وَإِذَا صَلَّى رِيَاءً
حُكَّ قَبْلُ النَّجْوِ يَفْغَمْ (٢)
رَقَ بِالْهَجْوِ مُجَدِّمٌ
ءَ لَنَا بِالْمَدْحِ مُعْلَمٌ
مِنْكَ قَوْلٌ لَيْسَ يُعْدَمُ: (٣)
عَالِمٌ لَيْسَ يَعْلَمُ
بِغَرِيمِ الْكَاسِ مُغْرَمٌ
ضِ أَوْ إِنْ الزَّيْرِ وَالْبَمِّ (٤)
كَانَ فِيهَا مِثْلُ أَبْكُمْ

أرأيت كيف جرّد ابن الياسمين هذا الفقيه من فضائله التي يتصف بها ؟ وكيف جعله أضحوكة للناس ومجالاً للتندر ؟ لقد عرف من أين يوتى خصمه ، فسلق بدنه بهاء موحع ساعده على ذلك لسان ذرّب حديد ، وهو إن يكن ألصق بمهجّور الفقيه هذه النواقص زوراً وبهتاناً - باعترافه - فإنّه كان في موقف الدفاع عن النفس ، يردّ على خصومه سلاطة السننهم التي رأت في سواد لونه منقصة طالما عيروه بها .

- (١) نفسه : ٤٩ - ٥٠
(٢) فغمت الرائحة أنفه : ملأته .
(٣) هكذا وردت في الغصون ، وأظن أن رواية العجز فيها تحريف ، وأجّح روايته على الشكل التالي : " فَيْكُ قَوْلًا لَيْسَ يُعْدَمُ " .
(٤) الزّير : من الأوتار الدّقاق ، والبمّ : الوتر الغليظ .

ولم يقتصر الهجاء بسواد اللون على العامة بل تناول الخاصّة
أيضا ، فلم يسلم الخليفة الموحّدي " السعيد " - وكان أسود اللون -
من مثل هذا الهجاء ، فهذا عبد الله الغرياني يرى في هذا الخليفة
مناقضا لمن سبقه لوناً وفِعْلاً : (١)

(من الكامل)

كَانَ الْخُلَائِفُ قَبْلُ فِي مَرَاكُشٍ صَوْرًا مِنَ الْكَافُورِ يُعْجِبُ خَالِصُهُ
فَأَتَى عَلَيَّ بَعْدَهُمْ خَتَمًا لَهُمْ كَالْمِسْكِ لُونًا لَيْسَ فِيهِ خَصَائِصُهُ

ويشبهه في نتفة أخرى بالغراب الناعق : (٢)

(من الكامل)

أَسْفًا عَلَى مَرَاكُشٍ وَوَلَاتِهَا لَمْ يَبْقَ لِلْإِيَّامِ فِيهَا رُونُكُ
كَأَنَّا حَمَامًا فَالْلِيَالِي لَمْ تَدْعُ فِي دَارِهِمْ إِلَّا غُرَابًا يَنْعُقُ

ونقف على بعض المقطوعات والنتف في هجاء الوزراء ، وهو هجاء
ستراوح بين التشقيّ والشّماتة عند عزّل أحدهم أو مقتله ، وبين التعريض
المؤذي ، يقول أبو العباس الحرّاوي في الوزير ابن خمار الحيّاني الذي سعى
بالوزير أبي جعفر بن عطية وزير عبد المؤمن وبلغ عنده مكانة مرموقة : (٣)

(من المتقارب)

أَيَا نَنْ خَبَارٍ بَلَغَتْ الْمَدَى وَقَدْ يُكْسِفُ الدُّرُّ عِنْدَ التَّمَامِ
فَأَيْنَ الْوَزِيرُ أَبُو جَعْفَرٍ وَأَيْنَ الْمُقَرَّبُ عَبْدُ السَّلَامِ (٤)

مبيتا الحرّاوي أقرب إلى التعريض منهما إلى الهجاء . لأنّه يتنبأ له
بالمصير الذي آل إليه من سبقه من الوزراء وهو القتل .

(١) الوزير السّراج ، الحلل السّندسّية : ١ / ٣٢٦ .

(٢) نفسه : ١ / ٣٢٦

(٣) ابن سعيد ، الغصون اليانعة : ١٠١ .

(٤) أراد بأبي جعفر أحمد بن عطية ، وزير لعبد المؤمن إلى أن قتله في شهر
سنة : ٥٥٣ هـ / ١١٥٩ م . وعبد السّلام هو ابن محمّد الكومي ، وكان
يُدعى المقرب لشدة تقريب عبد المؤمن إياه ، وزير لعبد المؤمن بعد مقتل
أبي جعفر واستمرت وزارته إلى أن أرسل عبد المؤمن من قتله خنقا سنة ٥٥٧ هـ /
١١٦١ م .

ويقول في مقطوعة أخرى مظهرًا الشماتة والتشفي بعزل أبي زيد
ابن يوحان من وزارة المنصور ، وكان ابن يوحان سبيًا في إقصاء الشاعر
عن مجلس المنصور (١) :

(من الطويل)

لَقَدْ كُنْتُ تَحْكِي فِي تَحْهِمِّ مَالِكًا وَكَانَتْ بِكَ الْأَيَّامُ تَحْكِي حَهْنَمًا (٢)
فَمَا أَعْظَمُ الْبُشْرَى بِعُودِكَ خَامِلًا وَغَبْرُكَ قَدْ أَضْحَى النَّبِيَّ الْمُقَدَّمَا

ومن المقطوعات الهجائية التي تنضح من معين الشعوبية أبيات قالها
الشاعر محمد بن حبّوس الفاسي حكا فيها الوزير أبا جعفر بن عطية لما
نُكِب : (٣)

(من السريع)

أَنْدَلُسِيٌّ لَيْسَ مِنْ بَرَبَرٍ يَخْتَلِسُ الْمُلُوكَ مِنَ الْبَرَبَرِ
لَا تُسْلِمُ الرُّبْرُ مَا شَيْدَتْ بِالْمَلِكِ الْقَيْسِيِّ مِنْ مُفْخَرِ (٤)

فهذه الأبيات قالها ابن حبّوس بعد مقتل ابن عطية ، وكان قد مدحه
بقصائد عصماء ، وهذا بدل على عدم إخلاص هؤلاء الشعراء ، وجريهم وراء
مصالحهم بعيدا عن المبادئ والقيم .

ويقف الباحث في شعر الموحّدين على بعض الأهاجي التي انصرفت إلى
أصحاب المهن ، فحطّت من قيمتهم ، وانتقصت من معارفهم في مهنهم ،
وقد بالغ بعض الشعراء في ذلك وغالوا مغالة شديدة ، فرموا بعض مهجوبيهم
بالحهل المطبق في أصول مهنهم ، لنستمع إلى هذه الأبيات التي حكا فيها
أبو زيد الفازاني الطيب عبد الله بن حبيب ، فحعل منه طامة كبرى على
المسلمين في المشرق والمغرب ، يقتل أعداداً كبيرة منهم بدوائه الذي يصفه لهم ،

(١) ابن سعيد ، الغصون اليانعة : ١٠١ .

(٢) مالك : هو الملك الموكل بالنار .

(٣) صفوان بن إدريس ، زاد المسافر : ٤٥ - ٤٦

(٤) أراد بالملك القيسي : عبد المؤمن بن علي ، نسبة إلى قيس عيلان جدّه .

وهو فى صنيعه هذا يضارع الخطر المحقق بالأندلس من قبل الروم (١):

(من الطويل)

ثَوَى رَمَقًا بِالشَّرْقِ حَتَّى ثَوَى بِهِ	وَقَائِعُ فِي الْإِسْلَامِ جَاءَتْ بِلا حَرْبِ (٢)
جَنَانُ جَرِيءٍ دُونَ رُمُوحٍ وَلَا ظُبَا	بِحِكْمَتِهِ اسْتَعْنَى عَنِ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ (٣)
لَهُ شُرْبَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ أَعَدَّهَا	فَكَمْ نَقَلْتُ مِنْ ذِي حَيَاةٍ إِلَى التُّرْبِ
وَلَمَّا قَضَى فِي الشَّرْقِ بِالطَّبِّ مَا قَضَى	بِقَتْلِ حُمَاةِ الدَّيْسِ عَادَ إِلَى الْغُرْبِ
فَأَنْدَلُسُ فِيهَا عَدَوَانٍ مِنْهُمْ مَأْ	قُلُوبُ بَنِي الْإِيمَانِ فِي أَعْظَمِ الْكُرْبِ:
فَلَابَنٍ حَبِيبٍ مَا عَلِمْتُ ، وَبَعْدَهُ	مِنَ الرُّومِ أَوْ بِأَشْ تَغْيِيرُ عَلَى الْغُرْبِ (٤)

أرأيت هذا الهجاء الموحع لابن حبيب الطَّبَّيب ؟ لقد جعل الشاعر مهجوه
عدوًا للإسلام وللمسلمين فى كلِّ مكان ، لا يقلُّ خطره عن خطر هؤلاء الأعداء
الذين يتربصون بالمسلمين فى الأندلس الدوائر .

ومن هذا الشعر بيتان قالهما شاعر من أهل فاس فى هجاء شخص
اسمه يزيد يعرض فيهما ردائة شعره وسوء خطه : (٥) (من الوافر)

يَعَاثُ السَّمْعُ شِعْرَكَ يَا زَيْدُ	وَحَطَّكَ فِي شَاعَتِهِ يَزِيدُ
إِذَا وَحَّهْتَ شِعْرَكَ فِي مُرَادٍ	بَحَطَّكَ لَيْسَ يُدْرَى مَا تُرِيدُ

فشعر هذا الشاعر من الشعر الذى تملّهُ الأذان ، وتنفر منه ، ويزيد
فى سوءه ردائة خطّه ، فإذا أرسل شعرا بحطه بطلب شيئا ، أبهم على
القارئ فلم يدّر ما المراد من هذه الأبيات .

٢ - هجاء البلدان :

ولم يقصر الشعراء الموحّدون هجاءهم على الأفراد ، بل تعدّوه أحيانا
إلى هجاء المدن والأقوام والجماعات ، ومعروف أنّ هجاء المدن فى الشعر العربى

- (١) ابن الأثير ، تحفة القادِم : ٢٤٥ .
- (٢) أظنّ أن كلمة " رمقا " هي تحريف " زمنا " .
- (٣) الحَنَان : القلب .
- (٤) الأوباش : ج وَبَشٍ وَوَبَشٍ : وهم سِفْلَةُ النَّاسِ وأوغادهم وأراذلهم .
- (٥) صفوان بن إدريس ، زاد المسافر : ١٠٤ - ١٠٥ .

قديم يعود إلى القرن الأول الهجري^(١) ، فقد هَجَا الحَرَاوي فاساً وأهلها ،
ويبدو أنه تعرض لبعض المصاعب فيها ، أو رأى من بعض أهلها ما يسيؤه
فصَبَّ حَامَ غَضَبِهِ عَلَيْهَا وَعَلَى أَهْلِهَا ، فرماهم بِاللُّؤْمِ والوضاعة فقال : (٢)

(من الطويل)

مَشَى اللَّؤْمُ فِي الدُّنَا طَرِيدًا مُشْرَدًا يَجُوبُ بِلَادَ اللَّهِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
فَلَمَّا أَتَى فَاَسًا تَلَقَّاهُ أَهْلُهَا وَقَالُوا لَهُ : أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحِبًا

كما هَجَا الحَرَاوي قومه بني غَفُحُوم ، وعَرَجَ عَلَى بَنِي الْمَلْجُومِ مَنْ
أَهَالِي فَاَسِ فَقَالَ : (٣)

(من الكامل)

يَا بَنِي السَّبِيلِ إِذَا مَرَرْتَ بِتَسَادِلَا لَا تَنْزِلَنَّ عَلَى بَنِي غَفْجُومِ (٤)
أَرْضَ أَغَارِ بِهَا الْعَدُوُّ فَلَنْ تَرَى إِلَّا مُجَاوِبَةَ الصَّدَى لِلْبُومِ
قَوْمٌ طَوَوْا ذِكْرَ السَّمَاحَةِ بَيْنَهُمْ لَكِنَّهُمْ نَشَرُوا لِوَاءَ اللَّؤْمِ
لَا حِظَّ فِي أَمْوَالِهِمْ وَنَوَالِهِمْ لِلسَّائِلِ الْعَافِي وَلَا الْمُحْرُومِ
لَا يَمْلِكُونَ إِذَا اسْتُبِيحَ حَرِيمُهُمْ إِلَّا الصَّرَاخُ بِدَعْوَةِ الْمُظْلُومِ
بِالْيَتَنِى مِنْ غَيْرِهِمْ وَلَوْ أَتَنِى مَنْ أَهْلِ فَاَسِ مِنْ بَنِي الْمَلْجُومِ (٥)

إنَّ الشَّاعِرَ فِي أَبْيَاتِهِ يَنْتَدِدُ بِبَنِي غَفُحُومِ شَرَارَ النَّاسِ ، وَبِذَكَرِ حُبْنِهَا
وَنَزُولِهَا بِدَارِ الدُّلِّ ، وَبُخْلِهَا ، وَعَتْرُهَا ضَعْفَهَا فَهِيَ لَا تَسْتَطِيعُ حِمَايَةَ
أَعْرَاضِهَا ، وَهُوَ يَتِمَتَّى أَلَّا يَكُونَ مِنْ هَذِهِ الْقَبِيلَةِ ، وَلَوْ كَانَ مِنْ قَبِيلَةِ
بَنِي الْمَلْجُومِ مِنْ فَاَسٍ، وَبِهَذَا أَصَابَ الْقَبِيلَتَيْنِ بِسَهَامِ هَجَائِهِ .

(١) محمد حسين ، الهجاء والهجاؤون في عصر صدر الإسلام : ١٨ .

(٢) ابن خَلِّكَان : وفيات الأعيان : ٧ / ١٣٧ .

(٣) الْمُقَرِّى : نفح الطيب : ٢ / ٥٠٢ .

(٤) بنو غَفُحُوم : قوم الشَّاعِر .

(٥) بنو الملحوم : من أشرف مدينة فاس .

٣ - هجاء الجماعات :

ومن الجماعات التي كان لها نصيب من هجاء الشعراء في عصر الموحّدين جماعة الفلاسفة ، مع أنهم حظوا بمكانة مرموقة في أيام الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الذي قرّب ابن طُفَيْل (ت : ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م) ، ثم ابن رشد (ت : ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م) وجالسهم ، غير أنّ هذا لم يمنع الأدباء من مهاجمتهم ، وتسفيه آرائهم ، والانقصاص منهم نشرًا وشعرا ، وهذا يعني أنّ سلطة الفقهاء لم تنتهِ بشكل كامل ، بل كان لهم وجود فاعل ومؤثر .

وقد رمى الشعراء الفلاسفة بالضلال ، والمروق من الدين ، ورأوا في أقوالهم سفها ، وتزويرا جاؤوا بها في ألفاظ خلابة لا حقيقة وراءها . بل ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك فرموهم بالزندقة والإلحاد ، لإغائهم كتاب الله وسنة رسوله ، يقول ابن حبوس : (١)

(من الكامل)

قَالُوا : الْفَلَّاسُ ، قُلْتُ نِلْكَ عِصَابُهُ	جَاءَتْ مِنَ الدَّعْوَى بِمَا لَمْ يُعْهَدِ
خُدْعَتْ بِالْفَاطِ نُرُوقُ لَطَافُةٌ	فَإِذَا طَلَّتْ حَقِيقَةُ لَمْ تُوجَدِ
يُلْغَى كِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ ظُهُورِهِمْ	وَجَمِيعُ مَسْنُونِ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ

ويرى أبو زيد الهازلي في الفلاسفة ومؤلفاتهم سبيلا إلى الضلال ، ويدعو إلى التنكّب عن طريقهم لأنّ الاستعداد عنهم وعن كتبهم طربسق النحاة : (٢)

(من الكامل)

وَدَعِ الْفَلَّاسِيفَةَ الذَّمِيمَ حَمِيعُهُمْ	وَمَقَالَهُمْ تَأْتِ الْأَحَقُّ الْوَاجِبَا
يَاطْلُبُ الْبُرْهَانَ فِي أَوْضَاعِهِمْ	أَعَزُّ عَلَيَّ بِأَنْ تَعَمَّرَ خَائِبَا (٣)

(١) ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة : ٨ / ٢٩٦ .

(٢) الرّعيني ، برنامج شيوخ الرّعيني : ١٠٤ - ١٠٥ .

(٣) أوضاعهم : مؤلفاتهم ، وهي من الألفاظ التي اختصّ بها أهل المغرب والأندلس .

أَعْرَضْتُ عَنْ شَطِّ النَّحَاةِ مُلَجَّجًا فِي بَحْرِ هُلْكِ لَيْسَ يُنْجِي عَاطِبًا (١)

وللقاضي الشاعر أبي حفص بن عمر بيتان ردّ فيها على بيتي الرّمخشري
(ت ١١٤٣/٥٥٣٨ م) اللّذين نال بهما من أهل السّنة وهما : (٢)

(من الكامل)

لَجَمَاعَةٍ سَمَتْ هَوَاهَا سُنَّةً لَحَمَاعَةٍ حُمِرَ لَعْمَرِي مُوَكَّفَةً
قَدْ شَبَّهُوا مَعْبُودَهُمْ وَتَخَوُّوا شُعُ الْوَرَى فَتَسْتَرُوا بِالْبَلْكَفَةِ (٣)

فرّد عليه أبو حفص بأربعة أبيات دحض فيها رأي الرّمخشري ، والصق
بالمعتزلة صفة الجهل والشّرك ، ومخالفة سنة النّبي صلى الله عليه وسلّم ،
وفرّنه بالفلاسفة في الزّيغ ومحاربة الحقّ : (٤)

أَحَلَّيْتُ الْعُلَمَاءَ حُمَرًا مُوَكَّفَةً هَذَا لِأَنْكُمُ أُولُو تِلْكَ الصِّفَةِ
أَحَلَّيْتُ صِفَةَ الْإِلَهِ وَفِعْلَهُ وَنَسَبْتُمُوهُ لِغَيْرِهِ بِالزَّخْرَفَةِ
وَأَرَدْتُمْ تَنْزِيهَهُ فَوَقَعْتُمْ فِي الشَّرْكِ وَالْإِلْحَادِ وَالْأَمْرِ السَّفَةِ
حَالَفْتُمْ سُنَنَ النَّبِيِّ وَصَحْبِهِ وَتَبِعْتُمْ فِي الزَّيْغِ أَهْلَ الْفَلَسَفَةِ

مما سبق لاحظ الباحث قلّة شعر الهجاء نسبياً إذا ما قيس ببقية
الموضوعات الشعريّة ، وهو - على قلّته - لم يخالف اتجاهات الهجاء التي كانت
سائدة في المشرق والأندلس في الشكل والمضمون ، فعلى هذا الشعر طابع
المقطوعة ، باستثناء شعر الهجاء السّياسي الذي تناول خصوم الدولة وسبق
أن درسناه في موضوع المدح . أمّا من حيث المضمون فقد تناول الهجاء
العيوب الخلفيّة في المهجوّ ، وربّما لحاً بعض الشعراء إلى تحريد مهجوبيهم

(١) مُلَجَّجًا ، أي دخلا في اللجّ ، وهو معظم الماء حيث لا يدرك قعره ، والعاطبُ :
الهالك .

(٢) المقرئ : أزهار الرّياض : ٣ / ٣٢٤ .

(٣) يريد أن بعضهم قال إن لله يداً وسمعاً وبصراً ، فإذا سئل كيف ذلك ؟
قال : لا كيف ، وهو ماسمّاه الرّمخشري (البلكفة) .

(٤) المقرئ ، أزهار الرّياض : ٣ / ٣٢٤ .

٤- الشَّعر التَّعليمي

يَعُدُّ الشَّعر التَّعليمي من الموضوعات المستحدثة في الأدب العربي، واقترن ظهوره ((باتَّساع المعارف وازدياد الإقبال على التَّعليم والتَّعلُّم)) (١) .

وقد تضاربت آراء الباحثين حول تاريخ ظهور هذا الشَّعر فـي الأدب العربي ، وحول أسباب نشأته ، فذهب الدكتور شوقي ضيف إلى أنَّ هذا الشَّعر عربيّ النشأة ، ويعود تاريخ نشأته إلى أواخر القرن الأوّل الهجريّ ، وبداية القرن الثاني مُمَثَّلًا في أراجيز الرُّجَّاز أمثال العجاج ، وابنه روبة ، وأبي النّجم العجلانيّ؛ فرأى فيها متوناً لغويّة بلغت صورتها المثاليّة عند روبة (٢) ، فالأرجوزة كانت " تُؤلّف من أجل حاجة المدرسة اللّغوية وماتريده. من الشّواهد والأمثال ، والأرجوزة الأمويّة من هذه النّاحية تعدّ أوّل شعر تعليميّ ظهر في اللّغة العربيّة " (٣) .

أما الدكتور هدارة فيرى أنَّ ظهوره كان في القرن الثاني الهجري ، وعزا ذلك إلى التّطور الثقافيّ الكبير الذي شهده المجتمع العربيّ الإسلاميّ وإلى الثّقافة الهنديّة التي كانت قريبة إلى الطّبيعة^{الريّة} بما فيها من أساطير وأسمار وحكايات (٤) .

والحقيقة أنّنا لانستطيع أن نجرد الرّجز من النّاحية الوجدانيّة ، فهو لم يقصّر في التّعبير عن خلجات النّفس ، ومشاعرها ، فعندما نعود إلى أراجيز العجاج مثلاً نلاحظ صلة وثيقة بين شعره وأحاسيسه ، بل هو في موضوع الوصف يتعاطف مع موصوفه ويندمج معه في شخصيّة واحدة (٥) . ولكنّا مع ذلك لايمكننا أن ننفي الدور التّعليميّ الذي كانت تؤدّيه أراجيز العجاج وابنه روبة

(١) - محمّد مصطفى هدارة ، اتّجاهات الشَّعر العربيّ : ٣٥٤ .

(٢) - شوقي ضيف ، التّطور والتّجديد : ٣١٧ .

(٣) - نفسه : ٣١٩ .

(٤) - محمّد مصطفى هدارة ، اتّجاهات الشَّعر العربيّ : ٣٥٥ .

(٥) - عبد الحفيظ السّطلي ، العجاج ، حياته ورجزه : ٣١٨ .

ففي مجال اللغة بدعوى أنها كانت موجهة إلى اللغويين فحسب ، لأن ذلك يقتضي إخراج كثير من الأراجيز التي نظمت في أغراض مختلفة كالفلك والطب - وكانت موجهة إلى الخاصة أكثر مما هي موجهة إلى العامة - من دائرة الشعر التعليمي ، إضافة إلى أن الإفادة من الرجز لم تكن مقصورة على المتخصصين في اللغة ، فقد نقلت إلينا المصادر أن كثيراً كان يحفظ سبع مئة أرجوزة (١) .

إذاً فرأى الدكتور شوقي ضيف في أن الشعر التعليمي في الأدب العربي نشأ مع فن الرجز هو الأرجح ، أما التأثير الأجنبي فيتنوع موضوعات هذا الشعر ، إذ لم يبق محصوراً في مجال اللغة ، بل جاوزه إلى بقية العلوم كالفلك والنجوم والطب .

وقد عرفت الأندلس الشعر التعليمي قبل المغرب ، ويرى بعض الباحثين أن " العناية بهذا الشعر بدأت في القرن الثالث الهجري ، وكان يحيى بن حكم الغزال أول من فتح الباب لشعراء الأندلس للخوض فيه " (٢) ، وتعد أرجوزتا ابن عبد ربّه ت (٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م) التاريخية (٣) ، والعروضية (٤) من أقدم ما سلم لنا من الشعر التعليمي في الأندلس .

أما في المغرب فيرى الأستاذ عبد الله كنون أن الشعر التعليمي ظهر في عهد الموحدين ، فقد " نشأ في هذا العصر فكرة نظم المسائل اللغوية تسهيلاً على الطلاب ، إذ كان النظم أكثر ضبطاً وأيسر حفظاً " (٥) .

ولم يقتصر النظم على المسائل اللغوية بل تعداه إلى مختلف العلوم التي كانت منتشرة عصره ، ونستطيع أن نصنف هذه العلوم في الشعب التالية :

-
- (١) - ابن المعتز ، طبقات الشعراء ٦ : ٢٠١
 - (٢) - عبد القادر هني ، اتجاهات الشعر الأندلسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري: ٥٦٧
 - (٣) - ديوان ابن عبد ربّه : ١٨١ - ٢١٠
 - (٤) - نفسه : ٢١٣ - ٢٢٦
 - (٥) - عبد الله كنون ، النبوغ المغربي : ١٢٨ .

١- العلوم الدينية :

لقد انتشرت هذه العلوم انتشاراً كبيراً في هذا العصر ، فازدهر علم الفقه على مذهب الإمام مالك ، واشتغل الناس بعلوم القرآن وتفسيره ، وتصدوا لعلم الحديث فأتقنوه روايةً ودرايةً ، وظهر علماء جلة في هذه العلوم انبروا لتدريسها في مجالسهم ، ولجأ كثير منهم إلى نظم بعض المسائل التي كانوا يرغبون في تحفيظها للناشئة بعية التسهيل ، فنظم محمد بن المناصف أحداث السيرة النبوية الشريفة في أرجوزة اشتملت على ألف وست مئة بيت من الرجز المزدوج الذي اعتمد عليه كثير من الشعراء في المشرق والأندلس، وسمى هذه الأرجوزة " السيرة النبوية والأعلام المحمدية " (١)، وقسمها إلى مقدمة وأبواب وفصول وخاتمة ناهجا نهج تأليف الكتب الثرية ، وقد تفاوتت الأبواب والفصول في الطول والقصر باختلاف الأحداث . واعتمد النظم في الغالب على أسلوب السرد التاريخي ، لذلك افتقدت الأرجوزة رونق الشعر وطلاوته ، فهو يعرض الأحداث متتالية بعضها وراء بعض بأسلوب قصصي ، غير أنه كان يفتقر إلى الحوار ورسم الشخصيات . وكان تقديمه لموضوعه في اثنين وعشرين بيتاً ، بدأها بمقدمة في الحمدلة والصلاة على النبي عليه السلام ، ثم بين سبب نظم أرجوزته فتحدث عن حب النبي ، وتعظيمه ، وأهمية حفظ سيرته فمن مقدمة الأرجوزة نورد قوله : (٢)

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُنَبِّئِي الرُّسُلِ	وَمُوضِحِ الْحَقِّ بِهِمْ وَالشُّبُلِ
جَلَّ تَعَالَى يَصْطَفِي مِنْ خَلْقِهِ	رُسُلًا لِتَبْلِيغِ الْهُدَى بِرَفْقِهِ
فَضَّلَهُ مِنْهُمْ كَمَا يَشَاءُ	بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ لَهُ الْقَضَاءُ

إلى أن يقول : (٣)

حَبُّ رَسُولِ اللَّهِ فَرَضٌ أَوَّلُ	بِمِ نَدِينِ أَوْبِهِ التَّوَسُّلُ
نُجِّلُهُ نُكَبِّرُهُ نَعَزُّزُهُ	نَقْدِيهِ بِالْأَبَاءِ حِينَ نَذْكُرُهُ
وَبِالْبَنِينَ وَحَيَاةِ الْأَنْفُسِ	مَحَلُّهُ عَلَى الْمَحَلِّ الْأَنْفُسِ

(١) - توجد نسخة مخطوطة منها في المكتبة الوطنية بتونس رقمها : ٢٣٤ .

(٢) - ابن المناصف ، السيرة النبوية ، الورقة : ١ / آ

(٣) - نفسه : الورقة : ١ / ب .

ثم يبدأ بسرد السيرة النبوية العطرة ، فيذكر نسب النبي وأعمامه ،
وعماته ، ومولده ، ورضاعه ، وموت أمه ٠٠٠٠ إلى آخر السيرة ، ونكتفي بإيراد
نموذج من هذه السيرة لنبيين منهم في سرد الأحداث ؛ فهو يقول في فضل
الإسراء وفرض الصلوات الخمس : (١)

وَفِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مِنْ سَنَيْنِهِ	أَيُّ مِنْ لَدُنْ مَبْعُوثِهِ نَعْنِيهِ
أَسْرَى بِهِ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ	مُكْرَمًا فَنِعْمَ مَا أَوْلَاهُ
مِنْ بَيْنِ مَا زُمَزِمَ وَالْمَقَامِ	وَحَرَّمَاتِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
حَتَّى إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الْأَكْرَمِ	مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ الْمُعَظَّمِ (٢)
يَحْمِلُهُ فِي سَيْرِهِ الْبُرَاقُ	تَبَارَكَ الْمُهَيِّمُ الْخَلَّاقُ

ويستمر في ذلك حتى نهاية التأليف ، ومن خاتمة هذه الأبيات : (٣)

هَذَا كَمَالُ الْقَوْلِ وَالتَّأْلِيفِ	فِي هَذِهِ الْأَقْوَالِ وَالتَّصْنِيفِ
مُلَخَّصًا مِنْ سِيرَةِ الرَّسُولِ -	مُرْتَّبًا الْأَبْوَابِ وَالْفُصُولِ
مَنْظُمٌ شَكَرَ لَهُ الْإِلَهُ	بِذِكْرِهِ صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ
وَقَدْ تَنَاهَى جِدُّ الاسْتِيعَابِ	بِالْقَصْدِ مِنْ مَعَالِمِ الْكِتَابِ

والى جانب هذه المنظومة في السيرة النبوية نجد قصيدة في علوم
القرآن لأبي الحسن بن الحصار تقع في اثنين وعشرين بيتا صنعها على البحر
البسيط ، نظم فيها المكي والمدني من سور القرآن يقول في أبيات منها : (٤) (من البسيط)

تَعَارَضَ النَّقْلُ فِي أُمَّ الْكِتَابِ وَقَدْ	تَوَلَّتِ الْحَجَرُ تَنْبِيْهَا لِمُعْتَبِرٍ (٥)
أُمَّ الْقُرْآنِ وَفِي أُمَّ الْقُرَى نَزَلَتْ	مَا كَانَ لِلْخُمْسِ قَبْلَ الْحَمْدِ مِنْ أَثَرِ

(١) - ابن المناصف ، السيرة النبوية ، الورقة : ١٥ / آ

(٢) - كذا في الأصل ، وهو مختل الوزن ، ولو قال : "للمسجد الأقصى المكان الأكرم"
لاستقام وزنه .

(٣) - ابن المناصف ، السيرة النبوية : ٥٨ / ب

(٤) - ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة : ٢١١/٨ ، والسيوطي ، الإتيقان : ٤٤/١

(٥) - في الإتيقان : " توولت الحجر ٠٠٠ " وهو ضبط يختل به الوزن .

وَلَوْلَا ذَاكَ لَكَانَ النَّسْخُ أَوْلَهَا
وَبَعْدَ هِجْرَةِ خَيْرِ النَّاسِ قَدْ نَزَلَتْ
فَأَرْبَعٌ مِنْ طَوَالِ السَّبْعِ أَوْلَهَا
وَوَيْلٌ (تَوْبَةً) اللَّهُ إِنْ عَدَدْتَ سَادِسَةً
وَسُورَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ مُحْكَمَةً
ثُمَّ (الحديد) وَيَتْلُوها (مَجَادِلَةً)

وَلَمْ يَقُلْ بِصَرِيحِ النَّسْخِ مِنْ بَشَرٍ (١)
عَشْرُونَ مِنْ سُورِ الْقُرْآنِ فِي عَشْرِ
وَخَامِسُ الْخُمُسِ فِي (الْأَنْفَالِ) ذِي الْعَبْرِ
وَسُورَةُ (النُّورِ) وَ (الْأَحْزَابِ) ذِي الْكِبَرِ (٢)
وَ (الْفَتْحِ) وَ (الْحَجَرَاتِ) الْغُرَّ فِي غُرَرٍ
وَ (الْحَشْرِ) ثُمَّ (امْتِحَانُ) اللَّهُ لِلْبَشَرِ

وفي باب الفرائض نجد أرجوزة لإبراهيم بن أبي بكر التلمساني عـدد .
أبياتها ثمانية وعشرون وثمان مئة بيت من الرجز المزكوج ، فصل فيها الحديث عن
الميراث وأحكامه ، ولم يدع فيها شاردة ولا واردة. تتعلق بأحكام هذا العلم
إلا ذكرها ، وقد بدأ الشاعر أرجوزته بالبسملة والحمدلة ، ثم بدأ في تحديد
الغاية من أرجوزته فقال : (٣)

وَبَعْدُ أَيُّهَا الْأَخُ الصَّفِيُّ
فَإِنَّهُ لَمْ نَأَلُ فِي تَذْكِيرِي
مُؤَمَّلًا حَصْرَ أَصُولِ الْإِرْثِ
فِي رَجَزٍ يَخْصُرُهَا وَيَجْمَعُ

الْأَخْلَصُ الْمَكْتَرَمُ الْوَفِيُّ
لِصَالِحَاتِ الْعَمَلِ الْمَذْكُورِ
حَشِثُهُ فِي ذَاكَ أَيُّ حَسِثٍ
إِذْ هُوَ فِي سَمْعِ الْعُقُولِ أَوْقَعُ

ويقول في باب موانع الإرث : (٤)

وَيَمْنَعُ الْمِيرَاثَ فاعْلَمْ سِتَّةً
الْكُفْرُ وَالرَّقْ وَقَتْلُ الْعَمَدِ
فَلَيْسَ بَيْنَ كَافِرٍ وَمُسْلِمٍ

فَخُمُسَةٌ تَمْنَعُ مِنْهَا الْبَتَّةُ
وَالشَّكُّ وَاللَّعَانُ ، فَافْهَمْ قَصْدِي
إِرْثُ سِوَى بِالرَّقِّ فَافْهَمْ وَاعْلَمْ

(١) - كذا في الذيل والتكملة ، وهو مختل الوزن ، وصوابه ما جاء في الإتيان : (لو كان ذاك ٠٠)

(٢) - في الإتيان : "إِنْ عَدَدْتَ فَسَادَةً" وهو الصواب ، يعني إذا عدت التوبة سورة منفردة عن السورة السابقة لها وهي سورة الأنفال ، لأن بعض القوم يعدونها سورة واحدة .

(٣) - إبراهيم التلمساني ، أرجوزة التلمسانية ، الورقة : ٧١ / ب

(٤) - نفسه : الورقة ٧٣ / ب

ويقول في باب جملة السّهام : (١)

إِنَّ الْفُرُوزَ فِي الْكِتَابِ عَشْرَةَ يَعْرِفُهَا أُولُو الْعُلُومِ الْمَهَرَّةُ
ثَلَاثَةً مِقْدَارُهَا مَعْمُورِي وَكُلُّهَا فِيهِ أَتَى مُسَمًّى
وَهُوَ قَوْلُ رَبَّنَا فِي الْآيَتَيْنِ : لَذِكْرٍ مِنَّا كَحِطِّ الْأَنْثِيَيْنِ
وَقَوْلُهُ وَهُوَ الْمَهْمِيمُنُ الصَّمَدُ : يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ
فَالنِّصْفُ سَهْمُ الزَّوْجِ فِي فَقْدِ الْوَلَدِ وَلِابْنَةٍ وَابْنَةٍ بِنِ مَابَعْدِ (٢)
وَالشَّقِيقَةُ وَالْأَخِيَّةُ لِأَبٍ لِأَغْيَرِ هَوْلَاءِ بِالنِّصْفِ حُبِّي

كما نظمت الأراجيز في قصّة مقتل الحسين رضي الله عنه (٣) ، وقد أسلفنا القول في عطف الخلفاء الموحّدين على آل البيت وحبّهم لهم ، فلا بدع إذاً إذا رأينا الشعراء ينظمون مثل هذه الأراجيز .

وظهر في هذا العصر نظم بعض المسائل الفقهيّة ، فقد وجدنا بعض المشتغلين بالفقه وتدريسه يوضحون بعض المسائل عن طريق نظمها في أراجيز وقصائد تسهل حفظها ، ومن هؤلاء أبو عبد الله بن الغازي الذي حفظ لنا كتاب الذيّـل والتكملة لابن عبد الملك عدداً من المقطوعات التي نظمها في أمور فقهيّة ، منها قوله في ذكر الاختلاف فيما فسد لصدّاقه : (٤)

وَكُلُّ نِكَاحٍ فَاسِدٍ لِمَدَاقِهِ فِيهِ رَوَايَاتٌ ثَلَاثٌ تَحْصَلُ
فَقَوْلُ بَأَنَّ الْعَقْدَ فِيهِ مُصَحَّحٌ وَلَيْسَ صَدَاقٌ فِيهِ لِلزَّوْجِ يَحْصَلُ
كَأَنْكِحَةِ التَّفْوِيزِ لَفَرَّقَ بَيْنَهَا وَقَوْلُ بَأَنَّ الْعَقْدَ بِالْفَسْخِ يَبْطُلُ
وَيُفْسَخُ مِنْ قَبْلِ الدَّخُولِ وَبَعْدَهُ وَقَوْلُ بَأَنَّ الْفَسْخَ قَبْلُ فَحَصَلُوا

فهذه هي أصناف العلوم الدّينية التي وجدت نظماً فيها بهدف تعليمي ، السيرة النبويّة ، علوم القرآن ، والفقه والفرائض .

(١) - إبراهيم التّلمساني ، أرجوزة التّلمسانيّة ، الورقة : ٧٥/آ

(٢) - مابعد : يعني مابقي .

(٣) - منها أرجوزة نظمها موسى بن عيسى بن المصنف في مقتل الحسين ، انظر أبيات

منها في ابن عبد الملك ، الذيّـل والتكملة : ٨ / ٢٨٢ .

(٤) - ابن عبد الملك ، الذيّـل والتكملة : ٨ / ٢٨٨ .

٢ - العلوم اللغوية :

عني الموحّدون - إلى جانب العلوم الدّينية - بالعلوم اللّغويّة ، وظهر في المغرب علماء أفذاذ كان لهم شأن في هذه العلوم ، وتصدّر هؤلاء العلماء لإقراء علومهم ونشرها بين طالبيها ، وكثيرا ما كانوا ينظمون " المسائل اللّغويّة " تسهيلاً على الطّلاب ، إذ كان النّظم أكثر ضبطا وأيسر حفظا ، ومن ذلك أرجوزة العلامة ابن المناصف المسماة بالمُذهبة في الحلى والشّيات ، وقد نظمها سمّراش عام (٦٢٠ هـ / ٢٢٢) ، فحملت عنه وسمعت كثيرا ، ومنه نظم العلامة ابن مُعط لجمهرة ابن دريد ، ونظمه لصّاح الجوهريّ ، وهي محاولة جريئة كما لا يخفى " (١) .

كما عني الشّعراء بنظم مقطوعات في ترتيب حروف المعاجم ، ولعلّ كتاب العَيْن للخليل بن أحمد من أشهر الكتب التي لقيت عناية من النّاطمين ، وذلك لصعوبة ترتيب مواده التي اعتمدت على مخارج الحروف ، ومن الشّعراء الذين اهتموا بترتيب حروف كتاب العين ، الشّاعر موسى بن المَنَاصف ، الذي كان ترتيبه من أحسن ما قيل فيه على كثرته (٢) ، يقول :

عَذْبَنِي حُلُو هَوَى خُضْتُ	غَوَايَةَ قَائِدَةَ كَرْبِي
جَالِبَةَ شَوْقٍ ضُلُوعٍ صَكَتْ	سَاحِرَةَ زَاجِرَةَ طَبِّي
دُوسِيَّةً تَيَمَّنِي ظَبِيْهَهَا	ذُوبُ شَنَايَاهُ رِضَا لُبِّي
نَاوَلَنِي فَأَهْ بِلَا مَانِعٍ	وَاضْحَاةً إِحْسَانَهَا بَرَبِي

فترتب حروف العين يأتى على ترتيب أوائل كلمات هذه الأبيات : ع ، ح ،

ه ، ح ، ... الخ .

ورتب يوسف بن موسى الهوّاري حروف تاج اللغة وصّاح العربيّة للوهري في مقطوعة من ثلاثة أبيات أوردها ابن عبد الملك في كتابه الذّيل والتكملة (٣) .

(١) - عبد الله كنّون ، النبوغ المغربي : ١٢٨ .

(٢) - ابن الأثير ، تحفة القادِم : ١٨٩ . وانظر أبيات يوسف بن موسى الهوّاري في الذّيل والتكملة لابن عبد الملك : ٨ / ٤٣٨ .

(٣) - ابن عبد الملك ، الذّيل والتكملة : ٨ / ٤٣٨ .

وفي محاولة استقصاء معاني الكلمة الواحدة نجد أبياتا للشاعر محمّد .
ابن أحمد بن هشام اللّخمي - وكان عالما بالعربيّة وآدابها - حاول أن يورد فيها
معاني كلمة " خال " نظما ، فقال : (١)

(من الطويل)

أَقُولُ لِخَالِي وَهُوَ يَوْمًا بِذِي خَالٍ	يُرُوحُ وَيَقْدُو فِي بُرُودٍ مِّنَ الْخَالِ (٢)
أَمَّا ظَفِرْتُ كَقَاكَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي	رَبِّقَ خَالٍ لَا يُزَنُّ بِهَا الْخَالِي (٣)
تَعُرَّ كَمَرُ الْخَالِ يَرْتَجُّ رِدْفَهَا	إِلَى مَنْزِلٍ بِالْخَالِ خِلْوُ مِّنَ الْخَالِ (٤)
أَقَامَتْ لِأَهْلِ الْخَالِ حَالًا فَكُلُّهُمْ	يَوْمُ إِلَيْهَا مِنْ صَحِيحٍ وَمِنْ خَالِ (٥)
فَلَا الْخَالُ يُخْفِي الْخَالُ مِنْ سَيْفٍ لَحِظَهَا	بَلَى هُوَ أَمْضَى فِي الْفَوَادِ مِّنَ الْخَالِ (٦)
وَالْخَالُ تَخَالُ الْخَالُ بَعْضُ سِنَانِهِ	يَحِنُّ إِلَى خَالٍ وَيَنْفُرُ عَنْ خَالِ (٧)
بِمَوْجِرِهِ خَالٌ مِّنَ الضَّرْبِ بِالْعَمَا	وَلَوْ كَانَ خَالٌ لَمْ يَهَبْ سَطْوَةَ الْخَالِ (٨)

وهي أبيات تنمّ عن تصرف حسن في النظم ، استقصى فيها معاني الخال

في كلام العرب على اختلافها .

كما نظم الشعراء مقطوعات في أمور لغويّة أخرى منها ما سمى من الفرس
أسماء الطّبر ، وفي بعض ألوان الخبل ، إلى غير ذلك (٩) .

٣ - العلوم الجغرافيّة :

ونظراً إلى انتشار الرّحلات بضروبها المختلفة في المغرب الإسلاميّ في هذا
العهد ، ألفينا ضرباً جديداً من ضروب الشعر التعليميّ ، وهو نظم الرّحلات شعراً ،

(١) - انظر القصيدة في ابن دحية ، المطرب من أشعار أهل المغرب ١٨٣ - وابن عبد

الملك ، الذّيل والتّكملة : ٦ / ٧١ - ٧٢

(٢) - الخال الأولى : أخو الأمّ ، والثّانية : اسم موضع ، والثّالثة : ضرب من البرود .

(٣) - الأولى : الزّمان الماضي ، والثّانية : الشّامة ، والثّالثة : العزب المتفرّد

(٤) - الأولى : السّحاب ، والثّانية : اسم موضع ، والثّالثة : الجبان

(٥) - الأولى : اسم موضع ، والثّانية : الخالي من الحبّ

(٦) - الأولى : الشّامة ، والثّانية : القاطع ، والثّالثة : السّيف

(٧) - الأولى : البرق ، والثّانية : السّيف ، والثّالثة والرّابعة : اسم موضع

(٨) - لم أقف على المراد من هذا البيت .

(٩) - ابن عبد الملك ، الذّيل والتّكملة : ٣٨٣/٨ - ٣٨٤ .

إذ لجأ بعض الشعراء إلى نظم رحلاتهم شعراً ، ومن هؤلاء الشعراء أبو الحسن بسن
الفُكُونِ القُسْنُطِينِيّ الَّذِي نظم قصيدة ضَمَّنَهَا المدن التي قطعها في رحلته من قُسْنُطِينَة
إلى مَرَاكش ، ومزج فيها بين تعداده للمدن التي مرّ بها وبين معاني الغزل
فجاءت قصيدته طريفة في معانيها ، يقول في أبيات منها : (١) (من الوافر)

وَجِئْتُ بِجَابَةِ فَجَلْتُ بُدُورًا	بَضِيقُ بَوَصْفِهَا حَرْفُ الرَّوِّي
وَفِي أَرْضِ الْجَزَائِرِ هَامَ قَلْبِي	بِمَعْسُولِ الْمَرَاشِفِ كَوْثَرِي (٢)
وَفِي مِلْيَانَةِ قَدْ ذُبْتُ شَوْقًا	بِلَيْنِ الْعُطْفِ وَالْقَلْبِ الْقَسِي
وَفِي تَنْسِ نَسِيْتُ جَمِيلَ صَبْرِي	وَهَمْتُ بِكُلِّ ذِي وَجْهِ وَضِي
وَفِي مَارُونَةِ مَارَلْتُ صَبًّا	بَوْسْنَانِ الْمَحَاجِرِ لَوْدَعِي (٣)

ويستمر في أبياته على هذا الشكل حتى ينهي تعداد المدن جميعها ،

مما تقدّم يتبيّن لنا أنّ الشعر التعليمي قد ازدهر في عصر الموحّدين ،

ولقي سوقاً رائجة ، وتشعبت اتجاهاته لتشمل مختلف أنواع العلوم الدّينية
واللّغوية والجغرافية ، وقد نظم الشعراء منظوماتهم على بحر الرّجز المزدوج ،
بينما وجدنا بعضاً آخر منهم يستعمل حوراً أخرى من حور الشعر العربي .

ويمكننا القول بقدر كبير من الاطمئنان : إنّ السّبغة التعليميّة في

هذا الشعر قد جنت على النّاحية الأدبيّة فيه ، فقد بيّنت النّماذج السّابقة
حلو كثير من النصوص من الخيال والعاطفة اللّتين تُعدّان من أبرز عناصر
الشعر .

(١) - ابن القاضي ، جذوة الاقتباس : ١٨٥

(٢) - المرّاشِفُ : الشّفاة ، واحدها مرّشف . كَوْثَرِيّ ، نسبة إلى الكوثر ، نهر في الجنّة .

(٣) - وَسْنَانِ المحاجر : ناعس الطّرف . اللودعيّ : الذّكيّ .

٥ - الاستعطاف

أسهمت سياسة الخلفاء الموحّدين في ظهور أشخاص تمتّعوا بنفسود قويّ في الدّولة ، ونالوا دنيا عريضة لديهم ، غير أنّ هؤلاء الأشخاص مالبتوا أن تعرّضوا للكيد من الآخرين ، فقلبت لهم الحياة طهر المجنّ ، وأبدلتهم من نعيم حياتهم جحيما لا يطاق ، فذاقوا النّكال ونعرّضوا لمحنة السّجن والإهمال .

وكان بين هؤلاء القوم الذين ذلّوا بعد عزّ أدباء شعراء صوّروا ما آلت إليه أحوالهم ، وتحدّثوا عن كبوة الدهر بهم ، وتألّموا تألّما شديدا من واقعهم في السّجون ، فتراكمت الأحران في طواياهم ، فانبعث من نفوسهم المكلومة زفرات حُرّى ، وأنين شجّيّ موجه ، وتأوهات تنفطر لها الأكباد في شعر غلبت عليه العاطفة القاتمة المعبرة عن كآبة هذه النفوس المكوبة .

ولعلّ من أبرز هؤلاء الشعراء الأدباء الوزير أبو جعفر بن عطية الذي كان أثيراً عند الخليفة عبد المؤمن ومقرّبا إليه ، وحطي عنده بمكانة مرموقة أو غرّت عليه صدور حسّاده - وكل ذي نعمة محسود - فكادوا له عند عبد المؤمن ، ورموه بالخيانة ، فأمر بحبسه ، وثمة ذاق مرارة السّجن وذلك الأسر ، فتفتّقت قريحته بأرقّ كلمات الاستعطاف شعرا ونثرا ، وقد حفظت لنا معظم المصادر التي ترجمت له رسالته الاستعطافية البليغة التي نُعدّ من النّماذج الفريدة في أدب الاستعطاف ، ويلجأ فيها إلى تعظيم ذنبه وتصميمه وكأنّه أتى جريرةً لاتغتفر ، ويعدّد مجموعة كبيرة من الذّنوب العظيمة ويقول : لو أنّني قمت بكل هذه الكبائر لاستحققت منك أيّها الخليفة العفو والعفوان بعد كلّ هذا الاستعطاف . (١)

(١) انظر الرّسالة الاستعطافية في البيان المغرب لابن عذاري ٦٠ ، والمقّري نفح الطّيب : ٥ / ١٨٤ - ١٨٥ .

وقد سبق أبو جعفر بن عطيّة رسالته بقصيدة نونية من البحر البسيط عدد أبياتها عشرة أبيات ، تمرر بعاطفة الحزن يقول فيها : (١)

(من البسيط)

(٢) بَانَ الْعَزَاءُ لِفَرْطِ الْبَيْتِ وَالْحَزَنِ وَرَحْمَةً مِنْكُمْ أَنْجَى مِنَ السُّفَنِ (٣) وَعَظْفَةً مِنْكُمْ أَوْقَى مِنَ الْجُنَنِ (٤) يَمَنْ أَجَارَتْهُ رَحْمَاكُمْ مِنَ الْبَحَنِ (٥) وَالطَّرْفُ يَنْهَهُنَّ بَعْدَ الرُّكُضِ فِي سَنَنِ مِنْ دُونِ مَنْ عَلَيْهِمْ لَا وَلَا تَمْنَنِ كَلَّمَا الْحَيَاتَيْنِ مِنْ نَفْسٍ وَمِنْ بَدَنِ (٦) لَمْ يَأْلَفُوا النَّوْحَ فِي فَرْعٍ وَلَا فَنَنِ وَالْكُلُّ لَوْلَاكَ لَمْ يَوْجَدْ وَلَمْ يَكُنْ	عَظْفًا عَلَيَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ قَدْ أَغْرَقْتَنَا ذُنُوبٌ كُلُّهَا لُجْجٌ وَصَادَفْتَنَا سِهَامُ الدَّهْرِ فِي غَرَضٍ هَيْهَاتَ لِلخُطْبِ أَنْ تَسْطُو حَوَادِثُهُ فَالثُّوبُ يَطْهَرُ بَعْدَ الْغَسْلِ مِنْ دَرَنِ أَنْتُمْ بَذَلْتُمْ حَيَاةَ الْخَلْقِ كُلَّهُمْ وَنَحْنُ مِنْ بَعْضِ مَنْ أَحْيَتْ مَكَارِمُكُمْ وَصَبِيحَةَ كَفَرَاخِ الْوُرُقِ مِنْ صَغَرٍ قَدْ أَوْجَدْتَهُمْ أَيَادٍ مِنْكَ سَابِقَةً

يبدأ الشاعر أبياته باسنعطاف الخليفة " عطفًا عليّ أمير المؤمنين " ويناديه بأمر المؤمنين وهو لقب بحبه عبد المؤمن ، ويظهر من البيـب الأول أنّه فقد صبره وعزاه ، فيقرّ بذنوبه جميعا ، وتكبرُ الذنوب في نفسه ولكنّه يرى رحمة الخليفة فوق هذه الذنوب ، ويخلط الشاعر استعطافه بمدح عبد المؤمن والثناء عليه فهو الوحيد الذي يمكنه أن يخلصه ممّا هو فيه من يأس وقنوط ، كيف لا ؟ وهو الذي يحافظ على حياة رعيتّه جميعاً ، فما أحـدره أن

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٦٠

(٢) بان العزاء : بعد الصبر . البتّ : أشدّ الحزن الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثّسه الحزن : الهمّ والعَمّ .

(٣) الغرض : الهدف الذي ينصب فيرمى إليه ، والجُنن ، ج جنّة : الدرع ، وكلّ ماوقى من سلاح وغيره .

(٤) الخطب : الشّان والأمر صغر أو عظم . حوادثه : مصائبه

(٥) الدّرَن - : الوسخ .

(٦) الورق ، ج ورقاء ، وهي الحمامة التي لونها كالترماد فيه سواد . الفنن : الغصن الغضّ السورق .

يمنحه الحياة ويطلق سراحه • ويستعين الشاعر - بغية - استدرار عطف الخليفة -
 بصورة بيده المغار الضعفاء ويشبّهم بفراخ الحمام التي لاتقوى على القيام
 بأمر نفسها بغية إلانة قلب الممدوح واستمناع العفو مقتديا بقول الحطيئة
 لعمر بن الخطاب عندما حبسه لهجائه الزبرقان بن بدر : (١)
 (من البسيط)

مَآذَا تَقُولُ لِأَمْرَاحٍ بِذِي مَرَحٍ حُمِرُ الْحَوَاصِلِ لَأَمَاءٍ وَلَا شَجَرُ (٢)
 غَيَّبَتْ كَاسِبُهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ فَأَغْفِرْ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا عُمَرُ

ولئن كان عمر بن الخطاب قد غفر للحطيئة ، وعما عنه ، فإن الخليفة عبد
 المؤمن لم يلفت إلى استعطاف ابن عطية ، ولم يُلْقِ إليه أذنا ، ووقع على
 القصيدة بقوله تعالى : ﴿ أَلَا الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٣)
 ومما كتب به ابن عطية من سجنه إلى عبد المؤمن البيتان التاليان : (٤)

(من الطويل)
 أَنُوحَ عَلَى نَفْسِي أَمْ أَتَنْتَظِرُ الْمَفْحَا فَفَدَّ أَنْ أَنْ تَنْسَى الذُّنُوبَ وَأَنْ تُنْحَى
 وَهَذَا أَنَا فِي لَيْلٍ مِنَ السُّخْطِ حَائِرُ وَلَا أَهْتَدِي حَتَّى أَرَى لِلرَّضَا صُبْحَا

إنّ هذين البيتين يميّزان الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر في سجنه
 فهو يتأرجح بين اليأس والرجاء ، ولا يعرف مآله • هل هو الموت أو العفو ؟
 إنّه في حالة ضياع لاهتداء منه إلا بالعفو الذي يأمله من الخليفة •

(١) ديوان الحطيئة : ١٩١ - ١٩٢ .

(٢) ذو مرخ : واد بين فدك والوابشية ،

(٣) يونس : ٩١ •

(٤) المقري ، نفح الطيب : ٥ / ١٩٥ - ١٨٦ .

ونلاحظ على شعر ابن عطية الاستعطاف أنه يحرص فيه دائما على إظهار نفسه بمظهر الضعيف الذليل الذي يستحق العطف والشفقة ، وهو بذلك يخالف نهج ابن زيدون في استعطافه إذ كان يتملكه الغرور والتعالي حتى عندما كان في سجنه ، فيهدد ويتوعد كما يظهر في قوله يستعطف ابن جهور : (١) (مروء الرمل)

فَتَأْمَلْ كَيْفَ يَغْشَى مُقْلَةَ الْمُجْدِ النَّعْوَاسُ
يَلْبُدُ الْوَرْدَ السَّيْنَتَى وَلَهُ بَعْدُ افْتِرَاسُ (٢)

كما تكشف أبيات ابن عطية عن عمق أثر النكبة في نفسه من خلال هذه الموسيقى الشجيرة ، والغنائية الشفافة الغالبة عليها .

ومن قصائد الاستعطاف قصيدة رائية للشاعر أبي الطاهر عمارة بعث بها من سجنه إلى والي بجاية أبي زيد بن أبي حفص بن عبد المؤمن ، وكان سجنه لأنه كان من موالى بني غانية اللمتونيين ، قال فيها : (٣)

(من الطويل)

سَلَامٌ كَعَرَفِ الْمُنْدَلِ الرَّطْبِ فِي الْجُمْرِ وَإِلَّا كَمَا هَبَّ النَّسِيمُ عَلَى الزَّهْرِ (٤)
فَلِلَّهِ دَرْ مُقْلَتَيْهِنِ بَعْبُورَةٌ تُعَبَّرُ فَوْقَ الْخَدِّ عَنْ كَامِنِ السَّرِّ
وَقَدْ رَاعَنِي إِيْمَاضُ بَرْقٍ بِذِي الْغَضَا كَمَا ابْتَسَمَ الزَّنَجِيُّ عَنْ بَهْجِ الثَّغْرِ
بَدَائِي أَنْ اللَّيْلُ أَوْرى زِينَادَهُ وَلَانَارَ إِلَّا نُورُ بَرْقٍ لَهُ يَسْرِي
وَنَارُ بِأَكْبَادِي أَكْبَدُ حَرَّهَا وَقَلْبُ سَلِيمٍ قُلُوبُ فِي لُطَى جُمْرٍ

(١) ديوان ابن زيدون : ٣ .

(٢) الورْد : الأسد ، السَّيْنَتَى : الجري .

(٣) الغبريني ، عنوان الدراية : ٧٨ .

(٤) العُرْف : الرَّائِحَة ، الْمُنْدَل : عود طيب الرائحة .

وَمَاطَائِرُ فَوْقَ الْغُصُونِ مُسَرَّحٌ كَمَنْ بَاتَ مَقْصُوصَ الْجَنَاحَيْنِ فِي وَكْرٍ
فَلَمْ أَنْسَ تَوَدِّيْعَ الْبَنِينَ مُصَفِّدًا وَأَضْرَهُمْ يَجْرِي وَأَدْمَعُهُ تَجْجُرِي
أَبَا زَيْدٍ أَنِّي بِالْحُسَيْنِ وَسِيلَتِي وَجَدِّي شَعِيعُ النَّاسِ فِي مَوْقِفِ الْحَشْرِ (١)

يرسل الشاعر من سجنه تحياته العطرة للوالي ، ثم يبدأ بتصوير حاله في سجنه ، فهو غريب في زنزانته يشعر بالوحدة ، فلا يكف عن البكاء ، ومما زاد في بكائه ونحيبه إيماض البرق الذي أشعل النار في أحشائه . لقد أضحى حبساً في السجن بعد أن كان حراً طليقاً ينعم بالأمان ، وشئنا بين حاله قبل النكبة وبعدها . ويصور الشاعر مشهد وداعه لأبنائه وقد وضعت أغلال الحديد في يديه ، ويثبت المشهد عند صورة ابنه الصغير الذي شيع أباه المصفد بالحديد وهو يبكي بكاء حاراً ، وبعد أن يفرغ الشاعر من استدرار عطف الوالي بهذا المشهد المؤثر يتوسل بالحسين رضي الله عنه ويتشفع بالرسول الكريم طلى الله عليه وسلم . فما كان من الوالي إلا أن تلقى القصيدة بالقبول ومعه .

لأنه مع الوالي لم يعرف بالشعب

ونلاحظ أن منهج أبي الطاهر عمارة في استعطافه بختلف عن منهج ابن عطية وغيره من الشعراء الذين استعطفوا بشعرهم . فقد خلصت قصيدته من أي إشارة إلى الإقرار بالذنب ، أو التواغر أمام الوالي ، بل لجأ إلى الاستعطاف عن طريق تصوير معاناته في سجنه ، وتصوير حال أولاده ولاسيما الصغير منهم لاستدرار العطف والشفقة وشفع ذلك كله بالتوسل بالنبي طلى الله عليه وسلم .

(١) أبو زيد : هو أبو زيد بن أبي حفص بن عبد المؤمن وفد أرسله المنصور لمحاربة ابن غانية سنة (٥٨١هـ/١١٨٥م) الحسين : هو ابن علي بن أبي طالب وأراد بجده : النبي طلى الله عليه وسلم .

ونقف في ديوان أبي الربيع على مجموعة من القصائد والمقطوعات التي استعطف فيها الخليفة يعقوب المنصور الذي جعاه واستيعده بسبب تفريطه بولاية بجاية ، مما حلف في نفس الأمير الشاعر آلاما مريحة عبّر عنها بفصائد رائعة تمور بمعاني الشكوى والتبرّم من الحال التي آل اليها ، ومايي بقدم الأعداء عما فرط منه ، ويؤكد إخلاصه للخليفة ، ويبرّئ نفسه من نغصيره ، ويصور الخليفة بأنّه الوحيد القادر على إسعاده ، فهو مأمّنه من كلّ شرّ ، يقول أبو الربيع : (١)

(من الطويل)

رَضَاكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَتَنَسَبِ	أَعَالِحُ بَيِّنِ الْعُذْرِ وَالذَّنْبِ مُشْكِلًا
أُبْرِيءُ نَفْسِي أَنْ عَلِمْتُ خُلُوصَهَا	وَأَعِيبُهَا أَنْ لَمْ تَفُرْ بِكَ أَوْ لَا
أَلَا مِي ضَمَانِ اللَّهِ نَفْسِي مِنَ الرَّدَى	إِذَا كُنْتُ لِي فِي زِلَّتِي مُتَسَاوًا لَا
وَفِي جِعْطِهِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ أَخَافُهُ	إِذَا كُنْتُ لِي حِرْزًا حَرِيرًا وَمَوْئِلًا (٢)
وَمَنْ جَاءَ فِي إِخْلَاصِهِ مُتَرَضِّيًا	فَقَدْ جَاءَ مِنْ تَفْصِيرِهِ مُنْصَلًّا

ويصور في مقطوعة أخرى مبلغ قلقه وضيغه من سخط الخليفة عليه فقد أورنه غضب الحليعه العلة ومأمّس دواء لها إلا رضاه ، ويجعل من نفسه فداء له ، فيقول : (٣)

(من الوافر)

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نِدَاءً عَبَسَ بِهِ	رَجَا عُنْبَاكَ فِي الزَّمَنِ الْقَرِيبِ (٤)
فَسَخَطَكَ قَدْ أَذَاتِ النَّفْسِ سَقَمًا	وَمَالِي غَيْرُ عَفْوِكَ مِنْ طَبِيبِ
فَلَا تَقْطَعْ رَجَائِي وَاعْفُ عَنِّي	فَدَتَكَ النَّفْسُ مِنْ كُلِّ الْخَطُوبِ

(١) ديوانه : ١٤٥ .

(٢) الحرز : الموضع الحصين . والحرز : المحصن .

(٣) ديوانه : ١٤٥ .

(٤) العنبي : الرضا .

وَهَبْ عَظْمَتَ ذُنُوبِي مَا أَرَادَتْ أَلَيْسَ رِضَاكَ أَعْظَمَ مِنْ ذُنُوبِي

أرايت ٨١ نذلك الشاعر وتصاغره أمام ممدوحه ؟ إن الشاعر لا ينسى
يعترف بذنوبه ويفرّ بها ، ويفخّمها ، ولكن عفوَ الخليفة أكبر من ذنوبه
فهو بلا شك سوف يعفو عنه .

ويبدو أنّ الشاعر أبا الرّبيع قد اسمرّ في استعطاف يعقوب المصور مدة
طويلة ، ولكن المصور لم يُلقِ إليه أذنا واستمر في جفوته حتّى أرسل
الشاعر إليه بقصيدته المميّزة البليغة التي مدحه فيها . وأسار إلى حطّوه
وقد الشام بلقائه بيما حرم هو من ذلك ، وقد مزج الشاعر في قصيدته
استعطافه بمدح الخليفة مزجا بارعا فقال : (١)
(من الكامل)

يَا لَعَبَّةَ الْفَضْلِ الَّتِي حَبَّتْ لَهَا	عُزُّ الشَّامِ وَنُرْكُهَا وَالذَّيْلُ مُمْ
طُوبَى لِمَنْ أَضْحَى يَطُوفُ بِهَا غَدَا	وَيُحِلُّ بِالْبَبِّ الْعَتِيقِ وَيُحَرِّمُ
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ يَفُورَ بِحَقَّةٍ	مَنْ بِالشَّامِ وَمَنْ بِمَكَّةَ يُحَرِّمُ
حَاشَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَبِأَنَّهُ	أَحْسَى عَلَى رَحِمٍ دَعْنَهُ وَأَرْحُمُ
الْيَوْمُ تَغْفِرُ لِلْجُنَاةِ ذُنُوبَهُمْ	فَعَسَى أَكُونُ بِعَظْلٍ عَفْوِكَ مِنْهُمْ
هَبْنِي جَنِيْتُ أَلَيْسَ يُعْلَمُ أَنََّّهُ	حَنُّ الْأَلَى نَجْنِي وَأَنْتَ الْمُنْعِمُ
وَالْفَضْلُ يَظْهَرُ بِالنَّقِيزِ لِحَاكِمِ	بَيْنِي وَبَيْنَكَ إِذْ نُسِيءُ فَتَحُلُمُ

(١) ديوانه : ١٤٤

(٢) العُزُّ : فريق من الجيش كان يلتفّ حول شرف الدّين قراقوش وفيه عناصر تركيّة

في الأغلب ، وردوا المغرب حوالي ٥٨٢ هـ أو التي بعدها ، فأكرمهم الخليفة
الموحّدي وجعل لهم جامكيّة شهريّة لاتحتل . اطر المعجب للمراكشي : ٢٨٦ -
٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - الدّيلم : جنس من العجم كانوا يسكنون نواحي

أذربيجان .

لقد جعل الشاعر من ممدوحه كعبة يحجّ إليها الناس من شتى أقطار
الأرض ، واستعمل مصطلحات الحجّ من طواف ، وإحلال وإحرام ، ويعجب كيف يحرم
هو من حجّه وهو ابن مكّة ويسمح لأهل الشام بالحجّ ، وهو في ذلك إنمّا
يهترّ أريحيّة المنصور ويدفعه دفعا إلى العفو عنه ، فحاشاه من القسوة وفتح
صلة الرّحم ، ثم يقرّ الشاعر بذنوبه ولكن المنصور معتاد على العفو
والحلم .

ويبدو أن القصيدة قد نالت من المنصور كلّ اسحسان فامر أن يكون أبو
الرّبيع هو الخارج للقاء وفد الشام والدّاخل بهم عليه . (١)

لقد أفلح أبو الرّبيع في كسب رضا الخليفة وإزالة الجفوة من نفسه
برقة لهجته وإلحاحه في التّلطف والتّذلل ، وتصوير نفسه بمظهر الضّعيف الّذي
لا حول له ولا قوة ، ورسم صورة مبهرة للخليفة تنسم بالعظمة والقدرة .

(١) المقرّي ، نفح الطّيب : ٣ / ١٠٧ .

٦- الإخوانيات

و هو موضوع يتّعل بالمدح ، و الإخوانيات قصائد و رسائل كان يبادلها الأدباء و الشعراء فيما بينهم ، و تدلّ هذه المراسلات الإخوانية على جانب مهم من العلاقات الاجتماعية المتميزة بين الأدباء الذين جمعتهم الاهتمامات المشتركة و قراية الأدب ، لم تفسدهم أنانية و لا حسد .

و قد تنوعت أغراض القصائد الإخوانية بتنوع المناسبات التي كانت ننظم فيها ، فقد نكون إرسال دعوة إلى مجلس أنس لقضاء بعض الوقت في دعة وسرور في عفلة من الزمان ، منها دعوة أبي الربيع الموحدي لايمن عمّه أبي الحسن يحثّه على المجيء إليه ليشربا معا : (١)

الْيَوْمُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ يَوْمُ سُرُورٍ وَ دَعَاةُ
و شَمَلْنَا مُفْتَسِرِقُ فَهَلْ تَرَى أَنْ نَجْمَعَهُ

غير أنّ أبا الحسن يعتذر عن نلبية الدعوة لأن اليوم يوم جمعة ، فلا يجوز الشرب فيه :

الْيَوْمُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَ رَبُّنَا فَدُ رَفَعَهُ
وَ الشَّرْبُ فِيهِ بُدْعَةٌ فَهَلْ نَرَى أَنْ نَدْعَهُ

و قد تكون الإخوانية تعبيراً عن تشوق للقاء صديق ، و منها مخاطبة قاضي مراكش حجاج بن يوسف للسيد أبي عمران عندما تعيّب عنه ثلاثة أيام فكتب إليه القاضي بالبينين التآليين يتشوق فيهما إليه : (٢) (من الوافر)

يَغِيبُ الْبَدْرُ يَوْمًا ثُمَّ يَبْسُدُ وَ أَنْتَ تَغِيبُ عَنْ عَيْنِي ثَلَاثًا
لَنْ يَلْفُثَ ثَلَاثًا لَا أَرَاكُمْ فَلَسْتُ بِمُدْرِكٍ يَوْمَ الثَّلَاثَا

(١) ديوان أبي الربيع ١٣٧

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب (قسم الموحدين) : ١٢٦ .

فلما وصل بيتا القاضي إلى السيد أبي عمران أعجب بما جاء فيهما ،
ورّد عليه بأبيات ثلاثة يعتذر فيها عن غيابه و يعدّه بزيارته يوم الثلاثاء (١)
(من الوافر)

أَتَتْنَا مِنْكُمْ دُرٌّ فَحَلَسْتُ مَحَلًّا أَوْجَيْتُ مِنْهُ انْبِعَاشًا
وَلَوْلَا الْعُذْرُ مِنْ سَبَبٍ قَسْوِيٍّ لَسَرْنَا نَحْوَكُمْ حَتْمًا جَنَاشًا
وَلِكِنِّي أَسِيرٌ بِحَسَالٍ وَدَّةٍ إِلَيْكُمْ مُعْبَحًا يَوْمَ الثَّلَاثَا

و لم تقتصر الإخوانيات على القصائد و المقطوعات الشعرية ، و إنما
كان الأدباء يشفعونها في بعض الأحيان بما ينشئون من نشر منّي مسجّع
تجيء القصيدة في مستهلها ، كما جاء في الرسالة التي بعثها أبو الفاسم بن
عمران لابن العنابد الفاسي يسنحزها فيها وعده ، و كان اسنفره بعض شعره
فوعده به و مطل ، قال ابن عمران : (٢)

إِذَا الشَّعْرُ وَافَى فِي شِعَارِ ابْنِ عَائِدٍ تَفَاصَرَ فِيهِ الْوُفُوفُ عَنْ حُسِّي مَوْصُوفٍ
سَبَى مَهَجَ الرَّاغِبِينَ لِلْأَلَاءِ لُسُولِيٍّ لَهُ فَوْقَ أَجْيَادِ الْإِجَادَةِ مَرْصُوفٍ
وَرَقٌّ نَسِيمًا فَانْتَشَقَّ لَهُيُوبِيٍّ شَذَا وَرَقٍّ مِنْ حَنَقِ الْخُلْدِ مَخْصُوفٍ (٣)
يُولَدُ فِي أَهْلِ الْوَقَارِ سَمَاءُ عُسَّةٍ خُفُوفٌ اهْتِزَّازٍ مِثْلَمَا سَطَحَ الصُّوفِي
لَكِنَّ زَانَ نَائِلِيٍّ بِيَعُضٍ فَرِيضِيٍّ لَعْدُ نَجْتَلَى الْحَسَنَاءُ فِي خَشَنِ الصُّوفِ

أيّها الشاعرُ المفلقُ : (٤) ، قَوْلُهُ مُنْصِفٍ لَا مُنَمَلِّقُ ، بُفَيْتَ و للعصر بك
احتيالُ ، و لرَهْرُ الآدابِ من خمائلِ شِمَالِكِ انْشِيَالُ ، و مهما ذكرَ القريصُ ،
بتعريض أو بتعريض ، فالناس فيه على براعتك عِيَالُ ، اقتضى الودّ الذي لـم
نزل نتعاطاه تعاطي الجريال (٥) ، ، ، " .

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب : ١٢٦ .

(٢) ابن عبد الملك ، الذيل و التكملة : ٣٣٣/٨ .

(٣) في البيت اقتباس قرآني من قوله تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وَطَفِيفًا يُخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجُتَّةِ ﴾ .

(٤) أفلق الشاعر : أتى بما يعجب في شعره ، فهو مفلق .

(٥) الجريال : من أسماء الخمر .

فأجابه أبو عبد الله بن العابد بهذه الرسالة: (١)
(من الطويل)

إِذَا قِيلَ مَنْ رَبُّ الْقَرِيضِ الَّذِي لَهُ يَدِينُ ؟ فَقُلْ : عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ عُمَرَ
حَبَانِي بِرَوْضٍ مِنْ نَتِيجَةِ فَكْسِهِ يَرُوقُ بِهِ لِلنَّطَمِ وَالشَّرِّ زَهْرَانِ (٢)
وَنَزَهْنِي فِي خُطِّهِ وَبَيَانِهِ فَمِنْ سَامِعٍ مُعْغٍ إِلَيْهِ وَمِنْ رَاٍ
كَسَانِي بِهِ فُخْرًا تَهْنَأُ لِيُسُسُهُ وَمِنْ لَبِئْسِ أَثْوَابِ الْإِجَادَةِ أَعْرَانِي

آيتها البحر الوهوب لفرادى الجواهر و التَّوَامُ (٣)، و الحَبْرُ (٤) اللعوب
بأطراف الكلام ، وفيت عين الكمال ، و يقيت محروس الجمال ، تتأنق لمن ياراك
في ارتياد البراعة ، و تسبق من جارك بجياد اليراعة (٥) "

و منها إخوانية يعث بها ابن دأود إلى أبي الحسن الرُّعَيْبِي (ت ٦٦٦ هـ / ١٢٦٧ م)
يستنجزه وعدا (٦):
(من البسيط)

يَا مَاجِدًا لِرُعَيْنٍ يَنْتَمِي حَسْبًا شِكَايَتِي دُونَ شَكِّ أَنْتَ تُبْرِيهَا
سَفِينَةُ الْوَعْدِ فِي بَحْرِ الرُّجَا وَقَفْتُ فَاْمُنُّنْ بِرِيحٍ مِنَ الْإِنْجَارِ نُجْرِيهَا

و قد تكون الإخوانية شكرًا على إحارة ، كقول ابن حماد لمديفه أبي عبيد
الله ابن عبد الحق التلمساني (ت ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م) : (٧)
(من الكامل)

يَا أَيُّهَا النَّدْبُ السَّرِيُّ الْأَمَجْدُ وَالْعَالَمُ الْحَبْرُ الْعَقِيهُ الْأَوْحَدُ (٨)
يَا أَيُّهَا الْبَحْرُ الْمُحِيطُ مَعَارِفًا لَا تَنْتَهِي ، وَفَوَائِدًا لَا نَنْفَدُ

(١) ابن عبد الملك ، الدَّيْلُ وَ النِّكْمَةُ : ٣٣٤/٨

(٢) حبانِي : أكرمَنِي .

(٣) التَّوَامُ : اللَّالِيءُ

(٤) الْحَبْرُ : الْعَالَمُ الْعَالِح .

(٥) اليراعة : القلم الذي يتخذ من القصب

(٦) الرُّعَيْنِي : برنامج شيوخسة : ٢٠٥ .

(٧) ابن عبد الملك ، الدَّيْلُ وَ النِّكْمَةُ : ٣٢٥/٨ .

(٨) الندب : الطريف النجيب - السري : الشريف -

وَمَلَسْتُ إِجَارَتَكَ الْمُجِيرَةَ سَيِّدِي
 إِنَّ الدَّرَايَةَ وَالرَّوَايَةَ مُنْتَهَى
 لَا زِلْتُ لِي مُتَفَضِّلًا فَأَجَزْتَنِي
 فَجَزَاكَ عَنَّا اللَّهُ خَيْرَ جَزَائِهِ
 نَحْوُ الَّذِي أُنْحُو إِلَيْهِ وَ أَقْصَدُ
 أَمَلِي الَّذِي أَسْعَى إِلَيْهِ وَ أَحْفَدُ
 يَفَوَائِدِ يَفْنَى الزَّمَانُ وَ تَخْلُدُ
 فَجَزَاءُ مِثْلِكَ عِنْدُنَا لَا يُوجَدُ

القعيدة كما يتصح قعيدة مدح لهذا العالم ، لقد نعته الشاعر بمجموعة من الصفات العليّة ، فقد حذق هذا العالم ضروبا كثيرة من العلوم كالغفاه و علوم الحديث راوية و دراية ، وهو إلى جانب ذلك يتصف بمجموعة من الصفات الخلقية كالظرف و النجابة ، و الشرف ، وهو عندما يخلع على صديقه هذه الصفات إنما يعطي الإحازة التي حصل عليها قيمة كبيرة لكونها صادرة عن عالم جليل صالح ، ثم يشكره على إجازته و يدعوه له بخير الجزاء عند الله .

و من موضوعات الإخوانيات التشوق للأصدقاء و الأصحاب الذين بعدت أماكنهم فتعذر اللقاء ، و من هذا قول أبي زيد الفارازي : (١) (من الطويل)

لَيْسَ غِبْتُ عَنْ عَيْنِي بِحُكْمِ الْمَقَادِرِ
 وَأَنْ يَعْذَتْ مِنَّا الدِّيَارُ فَبَيْنُنَا
 فَأَنْتَ إِلَى التَّذْكَارِ أَقْرَبُ حَاضِرِ
 تَجَاوَزُ أَفْكَارِ وَ قُرْبُ صُمَائِرِ
 وَلَنْ يَنْفَعَ الْأَبْعَارُ إِذَا رَاكَ مُدْرِكِ
 إِذَا لَمْ تُؤَيِّدْهُ بِمَعْنَى الصَّمَائِرِ

و يلاحظ القارئ على الرسائل الإخوانيّة المغربيّة في عصر الموحدين التهذيب و الحشمة ، فهي تعبر عن أخلاق منشئها الرفيعة ، و لم نقف على إخوانيّة خرج صاحبها عن حدود اللياقة و الأدب ، كما صنع بعض الأدباء الأندلسيين في العصر نفسه ، و نورد فيما يلي نموذجا من هذه الرسائل ، فقد أرسل أبو سعيد عثمان بن عابدة (ت أوائل السايح الهجري / الثالث عشر الميلادي) إلى الحضرميّ مستدعيا إلى مجلس شراب فقال : (٢) (من البسيط)

(١) ابن عبد الملك ، الذيل و التكملة : ٥٥/١

(٢) ابن سعيد ، المغرب : ٧٣/٢ - ٧٤ .

يَا أَسْخَفَ النَّاسِ مِنْ عَرَبٍ وَمِنْ عَجَمٍ سَبَقًا لِأَلَامٍ مَنْ يَمْشِي عَلَى فُتَمٍ
 سَبَقًا إِلَى كَأْسِ رَاحٍ لَاهُتِ بِهَسَا وَ نَغِيَّةٍ هِيَ لَذَاتُ لِكُلِّ فُتَمٍ (١)
 وَ عِذْنَا أَمْرَدٌ قَدْ جَاءَ مُحْتَسِمًا لِدُؤِي الْأَدَابِ وَالْفَهَمِ
 مُهَنْتَفًا بِعِذَارٍ كَالْعِذَارِ لَكُهُ وَ رُبَّمَا فِيهِ حَاجَاتُ لِدِي فُتَمٍ (٢)

فحاول به يقول : " ياسيدي وصلت ورقتك الذميمة ، من عد النفس
 اللئيمة و لو كنت شاعرا لأجيتك يمثل قولك ، و أنا في أثر خطي ،
 فلا سلم الله على جميعكم ، و لا نظم إلا على المخزيات شملكم " .

و نستطيع القول إن الإخوانية نقلت فسيدة المدح إلى آفاق جديدة
 من التعبير عن الذات الإنسانية ، و هوّر لنا جانباً من الحياة
 الاجتماعية التي كانت تحياها طبقة الأدباء و الكتّاب ، و قد تعددت
 موضوعاتها بتعدد المناسبات التي قيلت فيها ، و ظهر جلياً فيها نعت الشعراء
 و إكثارهم من المحسنات اللفظية .

(١) النغمة : الجرعة ..

(٢) القطم : الشهوة .

٧- الألفاز

ظهرت الألفاز في الشعر العربي منذ القديم ، وكثر جريانها على السنة الشعراء في مختلف عصورهم . وحظي بحث اللفز باهتمام المؤلفين والأدباء مما جعلهم يخصصونه بفصول من مؤلفاتهم ، أو يكتب كاملة ، قال السيوطي في الألفاز : (١) " . . وهي أنواع : الألفاز قصدها العرب والألفاز قصدها أئمة اللغة ، وأبيات لم تقصد العرب الإلفاز بها ، وإنما قالتها فصادف أن تكون ألفازاً . وهي نوعان : فإنها تارة يقع الإلفاز بها من حيث معانيها ، وأكثر أبيات المعاني من هذا النوع ، وقد ألف ابن قتيبة في هذا النوع مجلداً حسناً ، وكذلك ألف غيره ، وإنما سموا هذا النوع أبيت المعاني لأنها تحتاج إلى أن يسأل عن معانيها ولا تفهم من أول وهلة ، وتارة يقع الإلفاز بها من حيث اللفظ والتركيب والإعراب "

وقد اطلق الباحثون على تقسيم الألفاز إلى : (٢)

- آ - اللفز المعنوي : وهو ما يشار إلى الموصوف بذكر صفاته .
- ب - اللفز اللفظي : وهو ما يشار فيه إلى الموصوف بذكر كلمات تتضمن اسمه أو بعض أحرفه تضمناً خفياً ويكون ذلك بالتصنيف أو القلب أو الحذف أو التبديل وما أشبه ذلك .

وذكرت بعض المراجع (٣) أن بواكير شعر الألفاز تعود إلى العصر الجاهلي ، ونقلتنا لنا حواراً شعرياً جرى بين الشاعرين الجاهليين امرئ القيس وعبيد ابن الأبرص . وفيه طرح عبيد على امرئ القيس مجموعة من الألفاز في أسات من الشعر ، وقام امرؤ القيس بحلها بأبيات مشابهة أيضاً . وقد يكون هذا الخبر منحولاً برمته ، ولكننا أوردناه لنبين ما كان يدور في مجالس الترواة منذ القديم .

(١) - السيوطي ، المزهري في اللغة ، باب الألفاز : ٥٧٨/١ وما بعد .

(٢) - عبد الكريم اليافي ، دراسات فنيّة في الأدب العربي : ٢٥٦ .

(٣) - نفسه : ٢٥٧ .

ومن الألغاز المعنوية قول الشاعر ملغزاً في نار: (١) (من الطويل)

وَشَعْتَاءُ غَبْرَاءِ الْفُرُوعِ مُنِيفَةٌ بِهَا تُوصَفُ الْحَسَنَاءُ أَوْ هِيَ أَحْمَلُ
دَعَوْتُ بِهَا أَبْنَاءَ لَيْلٍ كَأَنَّهُمْ - وَقَدْ أَبْصَرُوهَا - مُعْطَشُونَ قَدْ آنَهَلُوا

ومن اللفظية قول ابن الفارض ملغزاً في صقر: (٢) (من الخفيف)

مَا اسْمُ طَبْرِ إِذَا انْطَقَتْ بِحَسْرِفٍ مِنْهُ مَبْدَاهُ كَانَ مَاضِي فِعْلٍ
وَإِذَا مَا قَلْبَتْهُ فَهُوَ فِعْلٍ سِي طَرِبًا إِنْ أَخَذَتْ لُغْزِي بِحَلِّ

تأثر الأندلسيون بالمشاركة ، فشاعت الألغاز بينهم شيوخاً كبيراً ، وتطارحوها في مجالسهم . وقد نقل لنا ابن الكتاني (ت حوالي ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م) في كتابه " التشبيهات من أشعار أهل الأندلس " عدداً كبيراً منها ، لنستمع إلى قول يحيى بن هذيل (ت ٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م) في مذبّة: (٣) (من المتقارب)

وَقَائِمَةٌ فِي يَدَيَّ قَائِمٌ تُحَرِّكُ مِنْ شَعْرِهَا الْفَاحِشِ
يُمِيلُهَا نَفْسُ الْمُسْتَقِلِّ لَهَا عَنْ قُضَيْبٍ لَهَا نَاعِمٌ
وَتَحْسَبُهَا كُحْنَجٍ غُرَابٍ ، عَلَى رَأْسِهِ ، طَائِرٍ حَائِمٌ

وقوله في مروحة: (٤) (من الطويل)

وَمُصْرُوفَةٌ عَنْ خُلُقِهَا إِنْ صُرِفَتْهَا إِلَى طَيِّ بُرْدٍ أَوْ إِلَى طَيِّ مُهْرَقٍ (٥)
عَلَى أَنَّهَا شَيْبَةُ الْمِحْنِ وَدُونُهُ فَإِنْ كُنْتُ ذَا فَهَمٍ أَبْنِ لِي وَاصِدُقْ (٦)
لَهَا لُطْفُ أَنْفَاسِ الصَّبَاحِ وَرِقَّةُ تَلَذُّ بِهَا نَفْسُ الْفَتَى الْمُتَشَوِّقِ

(١) - السبوطي المزهري : ٥٨٣/١ .

(٢) - ديوان ابن الفارض : ٢٠٢ .

(٣) - ابن الكتاني التشبيهات من أشعار أهل الأندلس : ٢٤٤ .

(٤) - نفس المصدر والصفحة .

(٥) - المَهْرَق : السورق .

(٦) - المِحْن : التَّسْرُس .

ومن اللافت للانتباه في شعر المغاربة في عصر الموحّدين قلّة اهتمام الشعراء بهذا الموضوع ، باستثناء الشاعر أبي الربيع الموحّدي الذي خصّ باباً من ديوانه للألغاز^(١) ، ويبلغ عدد نصوصه ستّاً وخمسين قصيدة ومقطوعة يتراوح عدد أبيات الواحدة منها بين بيتين^(٢) وعشرة أبيات^(٣) ، وقد استعمل الشاعر اللفظ بنوعيه المعنوي واللفظي ، وربما جمع بينهما في لفظ واحد .

فمن اللفظ المعنوي قوله في القلم والدواة: (٤) (من الطويل)

وَمِيتَ بِرُمْسٍ طُعْمُهُ عِنْدَ رَأْسِهِ يَمُوتُ فَبَحِيًّا ثُمَّ يَفْرِغُ زَادُهُ - فَلَا هُوَ حَيٌّ يَسْتَحِقُّ كَرَامَةً	فَإِنْ ذَاقَ مِنْ ذَاكَ الطَّعَامِ تَكَلَّمَ (٥) فَيَرْجِعُ لِلْقُبْرِ الَّذِي مِنْهُ قَبَّمَ وَلَا هُوَ مَيِّتٌ يَسْتَحِقُّ تَرْحُمًا

(من المتقارب)

وقوله في الصّلاة: (٦)

وَقَائِمَةٌ أَبَدًا دَهْرُهَا يَصْبَحُ بِهَا النَّاسُ مَهْمًا أَتَتْ وَمَا هِيَ إِنْسٌ وَلَا هِيَ جِنٌّ وَلَا هِيَ شَخْصٌ وَلَا هِيَ رُوحٌ وَلَيْسَتْ تَكِلُ لِطُولِ الْقِيَامِ	وَمَا هِيَ وَاللَّهِ بِالقَائِمَةِ (٧) وَمَا إِنْ يَخَافُونَ مِنْ لَائِمَةٍ وَلَا هِيَ غُرْثَى وَلَا طَاعِمَةٌ (٨) وَلَا هِيَ يَقْطُى وَلَا نَائِمَةٌ فَخَبِرُ - فَدَيْتُكَ - مَا الْقَائِمَةُ؟

ويلاحظ على لغزي أبي الربيع السالفين اعتماد الشاعر فيهما على علاقة التشبيه التي حذف منها المَشَبَّه وأداة الشَّبه ، وإيراده مجموعة من صفات الشيء الملغز به .

(١) - يقع باب الألغاز بين صفحتي ١٠٩ - ١٣٣ .

(٢) - انظر الديوان ص : ١١٣ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٧ .

(٣) - انظر الديوان : ١١٤ - ١١٥ - ١٢٣ .

(٤) - ديوان أبي الربيع / ١٣٣ .

(٥) - الرمس : القبر .

(٦) - ديوانه : ١٠٩ .

(٧) - ومعنى قيامها : دوامها .

(٨) - غُرْثَى : جائعة .

وفد يستهلّ اللغز بالسؤال ثم يشرع في تعداد أوصافه ، كقوله : (١)
(من الكامل)

مَا الشَّيْءُ إِنْ تَبَحُّثَ عَلَى تَبَابِيهِ هُوَ مَيِّتٌ لَا تَطْمَعَنَّ زِيَادَهُ

وقد يورد الأوصاف ويخفى الموصوف دون أن بطرح سؤالاً كقوله ملغزاً
في الفلم :- (٢)

(من السيط)

وَمَذْنَفٍ مَا أَقَامَتْ فِيهِ عِلَّتُّهُ إِلَّا فُؤَاكًا فَلَمْ يَبْرَأْ وَلَا انْتَعَشَا (٣)
لَمْ يَشْتَمِلْ غَيْرُ ثَوْبِ السَّقَمِ بَعْدَ حُلِي مِمَّا بُشَاكِلُهُ فِيهَا نَمًا وَنَشَا
يُظَلُّ مَيِّتًا طَرِيحًا لِأَحْرَاكِ بِهِ حَتَّى إِذَا ارْتَشَفَ الثُّغْرَ الْكَرْبَهُ مَشَى

وربما استعمل فعل الإلغاز والمحاجة صريحا كقوله : (٤)

(من الطويل)

أَحَاحِيكَ مَا اسْمٌ لَيْسَ فِي الطَّيْرِ غَيْرُهُ يَطْبُرُ مَدَى الْأَيَّامِ دُونَ حَنَاحِ

ومهما يكن ، فإنَّ الإلغاز كان ضرباً من اللهو الفكري والنشاط العقلي
وكانت على الأغلب تطرح في المحالس ، وهي مقطوعات وصفية تعب أصحابها في
جمع صورها ، وكدوا أذهانهم في التأليف بين متباعداتها ، فجاءت لاتخلو من
الصُّعْة والتَّكَلُّف ، وهي تعتمد على الذكاء في حلّها .

(١) ديوان أبي الربيع ٣١٤

(٢) - ديوانه : ١١٩ .

(٣) - المدنف : المريض .

(٤) - ديوانه : ١١٦ .

الفصل السّابع

الدراسة العتّسه

تمهيد :

سنّ لنا من خلال دراسنا لموضوعات السّعر ومعانيه أنّ السّعر العربيّ في المغرب كان صدى للحياه المحيطه به، ومعتبرا عنها، ودالّا على أصاليه وواقعته حتّى من خلال التّفاعل بينه وبين أحداث العصر، ولا سيما في شعر المدح، وشعر الحرب، والسّعر الدّنيّ.

على أنّ هذا السّعر لم يكن في سويّه واحده من حب الحوده. فقد وقفنا على مبادئ حثّه دلّت على ساعرتّه أصحابها ومكّتهم من ناصبه القول، ووجدنا بعض التّماذج السّعريّه احدثت إلى ذلك أسفل من الصّعب والإسفاف والهزال، فاحقق مساوها القوي، واهترّ مساها وبركبتها، وحوّلت إلى نظم اتسم بالصّحاليه، واهتمّ بموضوعات عاديّته سادحه كالسكر على هديّه والاعذار عن إخلاف وعد، والدّعوه إلى مجلس سراب، فصلا عن الألعار والأراحر الدّنيّه والعلميه. وأضحى اهتمام بعض السّعراء مصّتا على مصّد الحساس ولروم ما لا لرم، والتّصّنع في ابتداء أبيات القصيده بحرف الرّويّ نفسه... إلى غير ذلك من الأفعال بعيدا عن العاطفه والأفعال الوحدايس، فأدّى ذلك إلى حرّك تلك التّصوص من روح السّعر فلم يبق لها من حظّه سوى إقامه الورن وأسس القوافي. وسعى أن سر إلى أنّ هذه الحاله ليست السّمه العامه للسّعر الموحّدي، فهي لا يمثّل سوى مدّه وحره من أواخر هذا العصر.

وبعد هذه الإلمامه بحظّ السّعر العام وحركه، وبعد الدّراسه المفصّله لموضوعاته ومعانيه نفق عند خصائصه القتيّه فساؤل بالدرس اللّغه السّعريّه، والأوران والحدور والقوافي، والحاب البلاعي، والأداه السّعريّه (القصيده والمقطوعه)، والمحاكاه والتّقليد، نعبه نفوم هذا السّعر من جهة خصائصه القتيّه ومحاوله وضعه في مكانه ضمن تاريخ الأدب العربي.

١- البنية الخارجيّة

القطع والطّوال

نظم السّعراء العرب أسعارهم مدّ القديم في فصائد مطوّله
ومقطوعات نعاً لحاحهم، وقد سئل أبو عمرو بن العلاء هل كاب العرب
يطل ؟ فقال : نعم لسمع منها، قل . فهل كاب بوحراً ؟ قال . نعم لحفظ
عنها. (١)

ولعلّه من العب أن يقرّر أنّ أعراسا نعيها صلح لها المقطوعات
دون الفصائد، أو العكس، لأنّنا قد حدّد ساعرا يطل في عرض سعريّ نعيه، في
حين حدّد آخر يقرّر في العرض نفسه. فالإطالة أو التّقصير حاصعان إلى الهام
السّاعر و المواقف أو الماسبات التي نظم فيها السّعر.

ويرى ابن رسيق أنّ " السّاعر إذا قطع و قصّد و رخر فهو الكامل " (٢)،
فإلى أيّ حدّ يطبق مفعوليه على السّعراء الموحّدين ؟

إنّ الطّائر فيما وصل إلينا من السّعر الموحّديّ يلاحظ أنّ كثيراً من
السّعراء قد نظموا في الموضوع الواحد المطوّلات و المقطوعات (٣)، و أحادوا
في ذلك، بل قد حدّد بعضهم قد نظم إلى جانب المطوّلات و المقطوعات الأراجيز
الطّويلة (٤).

وإذا أعمدنا التّطرّف فيما وصل إلينا من المطوّلات ألقيناها بدور في فلك
المدح التّسويّ، و المدح، و الرّثاء، فأطول الفصائد التي وصلت إلينا هي القصيدة
التّسويّة لاس حتّارة فقد بلغ عدد أبياتها مئة و خمسين سبّا، (٥) وله قصيدة
مدحّته بنظمها في المأمون الموحّديّ عدد أبياتها أربعه و سبعون سبّا. (٦)،

(١) ابن رسيق، العمدة : ١٨٦/١

(٢) نفسه : ١٨٩/١

(٣) انظر ديوان أبي الرّبيع، باب الرّثاء ص ١٢٤، فقد تراوح عدد أبيات مرثيته بين تسس
و سبعة و عشرين سبّا.

(٤) انظر أسعار محمّد بن المصاف، و أرجوزته المدهمة، و السّره التّسويّة.

(٥) انظر ابن عبد الملك الدّيل و التّكملة . ٣٩٥/٨ و ما بعد.

(٦) انظر ابن عبد الملك، الدّيل و التّكملة : ٣٨٩/٨ .

و أخرى فى الرّاء رفع فى سبعين سبّا (١)، و مّقه قصده لأنى ريد العارارى فى المدح عدد أسابها اسان و مابون سبّا، (٢)، و هياك فصائد مدحتّه لأنى العتّاس الحرّاوى و أبى الرّبع الموحّدى و أبى حفص بن عمر حاور عدد أساب الواحده منها لاسن سبّا. (٣)

و لاحظ على هذه الفصائد أنّها طمب على حور الطّويل و السسط و الكامل و لعلّ موسقى الإطار فى هذه الحور ساعدتهم على الامداد و الإطاله و اتّسعت لمجموعه الأفكار و المعانى الّتى راموا إيرادها فى فصائدهم.

و فى المعال فابّا حد عد السّعراء الموحّدس مقطوعات تراوح عدد أسابها بن سبن و ستّه أساب، و إذا طربا فى دنوان أبى الرّبع ألقبا أبواب التّسبّه والرّهد و الألعار يصل إلى المقطوعات، و كذلك أسعار الهجاء عد الحرّاوى و كأتهم عمّدوا ذلك "لأنّ الفصار أولح فى المسامع و أحول فى المحافل" (٤).

لعد كان مجموع الفصائد و المقطوعات الّتى أحصا للسّعراء الموحّدس سب عسره و سب مئه قصده و مقطوعه، فيها مئتان و سبعون قصده، و سب و أربعون و سب مئه مقطوعه، و هذا يفرض أنّ السّعراء الموحّدس كانوا يحبون إلى المقطوعات أكثر من الفصائد، عبر أنّا حب أن نحبر فى الحكم لأنّ كبرا من المقطوعات الّتى جمعناها من كتب التّراحم و التّارسخ و الجرافيه و الطّنفات هى فى الأصل محسارات من فصائد طويله، و مع ذلك لا نمكنا أن نقول إنّ كلّ مقطوعه هى فى الأصل قصده مطوّله سدّت أو سرب، فلعلّ الكبر من السّعر الّدى اسهى إلينا فد حاء فعلا أسابا قليله، لأنّ أصحابه مقلّون فعلا، أو لأنّ محالات القول كانت تدعو إلى التّفسير لا إلى التّطويل.

و نمكنا القول بأنّ السّعراء الموحّدس نظموا المقطوعات كما نظموا الفصائد المطوّله، و رعم طعبان المقطوعات على المطوّلات طاهرتا فى أسعارهم، فقد وقعنا فى موضوعات أسعارهم عامه على المقطوعات و المطوّلات و قد أحادوا فيها أنّما إحاده، و بنقى أحكاما مرهونه بما نوقر لدينا من سعر.

(١) اطر اسن عد الملك، الدّل و التّكملة : ٢٩٢/٨ و ما بعد

(٢) المصدر نفسه : ٣٦٨/٨ و ما بعد

(٣) اطر حداول أسعار هؤلاء السّعراء فى القسم الأوّل من الأطروحه.

(٤) اسن رسق، العمده : ١٨٧/١.

المحاكاة و التقليد

كان للتراث الأدبي المسرفى - سحره و سره - تأثير كبير فى أدب المغرب و الأندلس، و ظهر هذا التأثير مد و ف متكرر سترًا و ذلك بسبب دخول المؤلفات المسرفية و دواوين فحول السعراء أمال المستى و ألى مقام، و صدرها مباح التدرس فى حلقاب العلم، فضلا عن الرّحلات العلمة التى كان يقوم بها المعارف، إلى المراكز الثقافية فى المسرفى لكرعوا من علوم الأئمة فى اللغة و الأدب و العلوم الدينية. و قد أدّى ذلك إلى دوران الأسعار المسرفية و شيوخها فى حواضر الأندلس و المغرب و فامب حركة كبره لسرحها و التعليق عليها، و نسرّت كبر منها إلى المؤلفات المغربية و أسعار السعراء.

ولسا يرد أن يرى رأى بعض الباحثين فى أنّ أهل المغرب و الأندلس لم يكن لهم سخصته مسفته و كانوا عالاه على المسارفه (١)، فإنّ هذا السرى لا يعله حاج مصف لأنّ أهل المغرب - سأنهم سأن إخوانهم المسارفه فى العصور المأخره - قد سلمدوا على المؤلفات و الدواوين نفسها فأفادوا منها و أعسوا سخصهم الأدبية.

و لا نعى التأثير بعض الأفكار و الأساليب المسرفية أنهم كانوا يدورون فى فلك المسارفه دون إراداه أو أضالاه، فقد مكّنا دراسه السعرو و السعراء فى عصر الموحّدين من الاطلاع على مجموعته من السعراء الكبار الذين كان لهم سخصّات ممتّره لهم من أمال ألى العباس الحراوى، و ألى الرّبيع الموحّدى و ألى حفص بن عمر السّلمى و محمّد بن حوس الفاسى.. و غيرهم.

و كما خطب مسأله المحاكاه باهمام السّقاد المسارفه مد القديس فأفردوا لها فصولا فى مؤلفاتهم (٢)، و ذهب بعضهم إلى حدّ اتّهام السعراء الذين حاكوا غيرهم بالسّرفه، فإنّ هذه المسأله أحدت حظّها عند الأدباء و السّقاد فى الأندلس فوحدنا اس سّام فى كتابه " الذّخره " بسّع المعانى السّعريّة عند السّعراء الأندلسيّين فبرّدّها إلى مدعيا الأوائل.

(١) سوفى صف، الفنّ و مذهباه فى السّعر العربى: ٤١١ و ما بعد

(٢) انظر: اس رسق، العمده، باب السّرفات و ما ساكلها ٢٨٠/٢ وما بعده

ولا يسعى استقصاء أمله المحاكاه عند السّعراء المعاريه فى عهد
الموحدس، لأن ذلك يطلّب دراسه مسفلّته، بل يكفى بالإساره السّرعنه و الاسسهاد
بعض السّواهد الّتى يؤدّد الفكره الّتى بوردها.

إنّ التّأطّر فى السّعر المعربى فى عهد الموحدس لطف بطره أنّ السّعراء
كانوا سمدّون من رافدس أحدهما مسرفىّ و الآخر أدلسىّ.

وقد يتّوَعَب طرق المحاكاه عند السّعراء فلحاً بعضهم إلى أحد المعبى
و التّصرّف فيه بدكاء و إكسائه حليه حدیده، فى حن عمد بعضهم الآخر إلى
المحاكاه عن طريق معارصه عرر العصائد و التّطم على موالها.

ساعت محاكاه السّعراء عن طريق المعابى سوعا كبراء، ولعلّ السّاعر
أب الرّسع الموحدى كان من أرب السّعراء الدّس طهرت الرّواقد المسرفّه فى
سعره، فمن ذلك قوله فى المدح : (١)

فَلْتَهْبِئَا وَ خَمِيعَ الْحُلُوفِ رَاحَهُ مَنْ وَ خُذَانِ كُلَّ حَيَاةٍ نَعْدَهُ عَدَمٌ

فهو مأخوذ من قول المبتى . (٢)

لَا مَنْ يُعْرِئُ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ وَ خُذَانَا كُلَّ سَيِّئٍ نَعْدُكُمْ عَدَمٌ

و قوله فى الرّاء : (٣)

فَمَنْ دَا نُبَّتُهُ إِنْ أَقْطَطَتْ حُرُوتُ الْعِدَا الْأَعْنَسُ النَّوْمَا

اسرفده من قول سارس برد . (٤)

إِذَا أَقْطَطَكَ حُرُوتُ الْعِدَا فَبِتَّةَ لَهَا عَمَرًا نَمَّ سَمَّ

و قوله فى العرل : (٥)

فَمَا رَالَ نَسْعَى فِي التَّفَرُّقِ نُنَا فَلَمَّا نَأَى إِلَيْنِ أُنَى بِالْعَجَائِبِ

احده من قول أبى صحر الهدلى : (٦)

عَجِبْتُ لِسَعَى الدَّهْرِ نُنَى وَ نُنَهَا فَلَمَّا انْعَصَى مَا نُنَا سَكُنَ الدَّهْرُ

(١) أبو الرّسع الموحدى ، دوايه : ٣٧

(٢) المبتى ، دوايه : ٣٢٤

(٣) أبو الرّسع الموحدى، دوايه . ٤٢

(٤) سارس برد، دوايه : ١٦ / ٤

(٥) أبو الرّسع الموحدى، دوايه : ٦١

(٦) أبو سعيد السّكرى، سرح أسعار الهدلّس : ٩٥٨ / ٢

ومن اسرفاد السّعاء الموحّدين لمعالي السّعاء المسارفه قول عبد المؤمن

اس على : (١) (من الطويل)

فَمَا الْعَرُّ إِلَّا طَهْرٌ أَحْرَدُ سَابِحٍ نَفُوتُ الصَّاءِ فِي سَدِّهِ الْمُتَوَاصِلِ

فهو سطر إلى باب المستی : (٢) (من الطويل)

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنْيَا سَرَّحٌ سَابِحٍ وَحَمْرُ حَلِيسٍ فِي الرِّمَانِ كِبَانٌ

ومن اسمداد السّعاء المعارفه للرافد الأندلسي قول الحرّاي في الصّاوي

الذي صلب : (٣) (من الكامل)

وَعَدَا عَلَى مَسْرُوعِهِ رَهْنُ الرَّدَى فَالْحَوْ قُتِرَ وَ الْهُوى أَكْفَانُ

فهو مأخوذ من قول ابن درّاج الفسطلي : (٤) (من الطويل)

أَلْأَهْلُ إِلَى الدُّنْيَا مُعَادٌ وَ هَلْ لَنَا سِوَى الْبَحْرِ قُتِرَ أَوْ سِوَى الْمَاءِ أَكْفَانُ

و قول أبي الرّبع في إحدى حمّياته : (٥) (من الممدد)

فَأَنَا وَ هِيَ سَحٌّ مَا أُرْدَنَا فَهَمَّانِ بِالصَّائِ عَارِفَانِ
إِنْ نُسَكَّا فِي صَائٍ سَلَاهَا أَوْ نُسَكَّا فِي صَاهَا سَلَابِي

اسمده من قول الإِسْلَبيّ : (٦) (من الرّمل)

وَلَعْدَ نَسْكُو فَمَا أَفْهَمْنَا وَ لَعْدَ أَسْكُو فَمَا نَقْهَمُنِي
عَرَّ أَتَى بِالْحَوَى أَعْرِفُهَا وَ هِيَ أَنْصَا بِالْحَوَى نَعْرِفُنِي

ولم ينف محاكاه السّعاء الموحّدين للسّعاء المسارفه و الأندلسي عند

اسرفاد المعالي فحسب بل بعدّها إلى معارضهم عرر الفصائد في التّراب العرسي،

من ذلك قول أبي العباس الحرّاي في المدح : (٧) (من الكامل)

أَعْلَنْتُ بَيْنَ الْوَاجِدِ الْفَهَّارِ بِالْمُسْرِفَةِ وَ الْفَا الْحَطَّارِ

(١) عبد الواحد المرّاكسي، المعجب : ٢٢٥

(٢) ديوانه : ٤٨٠

(٣) صفوان بن إدريس، راد المسافر : ٤٩

(٤) ديوانه : ٧٤

(٥) ديوانه : ٦٩

(٦) نفسه : ٦٩ . حاشية ٠٢

(٧) ابن عذارى، البيان المعرب : ٧٢

فقد نظمها على سبط قصده أى تمام آلى مطلعها : (١) (من الكامل)

الْحَقُّ أَلْحُ وَ الشُّوفُ عَوَارٍ فَحَذَارٍ مِنْ أَسَدِ الْعَرَبِ حَذَارٍ
و قوله فى مطلع قصده مدحّه : (٢) (من الكامل)

لِمَنِ الْحُنُولُ كَأَتَهَتْ سُـوْلُ عَصَبٍ بِهِنَّ سَاسِيَتْ وَ هُـوْلُ
فهو سطر فيها الى قصده اس هاءى الأندلسى : (٣) (من الكامل)

نَوْمٌ عَرِضٌ فِى الْعَحَارِ طَوِيلُ مَا نَقْصِي عُرْرُ لَهُ وَ حُـوْلُ
و من ذلك قول أى زيد عند الرحمن بن أى محمد فى قصده له : (٤)
(من الطويل)

هَلْ الْمَحْدُّ إِلَّا مَا نَحَرَّ الْعَرَائِمُ وَ إِنْ رِيعَ نَوْمًا فَالشُّوفُ مُنَائِمُ
سَافِرِي أَدِيمِ الْأَرْضِ فِى طَلَبِ الْعَلَا وَ أَزْكَتْ عَرْمًا لَمْ نَقْدَهُ الْعَرَائِمُ
وَ أَحْبَبْتُ أَمَالِي بِمَا هُوَ مَطْلَبِي وَ لَوْ مَغْنَبِي الْغَايِكَاثُ الصَّوَارِمُ

ألا ندركنا نفس هذه القصيدة نفس المسمى فى قصده المسهورة فى مدح سيف
الدولة : (٥) (من الطويل)

على قدر أهل العزم بألى العرائم وَ بألى على قدر الكرام المكارم

و مهما يكن ... فإن إيراد محاكاة الشعراء المعاربة لسابقيهم من المسارفة
و الأندلسيين لا بعدد انحصار من ساعريهم، و لا عصا من مكاسهم، بل هى دليل على
بواصل رباب الأمة العربيه حلا بعد حل، و ربما حاول بعض الشعراء المعارفـه
إسبات مقدرهم القيتـه على مصارعه كبار الشعراء الأسلاف أمال المسمى و أى تمام
و سار بن برد و غيرههم .

(١) ديوانه : ١٩٨ / ٢ .

(٢) اس عذارى : البيان المغرب : ٧٠ .

(٣) ديوانه : ٦٥٦ .

(٤) اس الآثار ، الحلة السراء، ٢٨١ / ٢

(٥) ديوانه : ٣٧٤

٢ - اللغة الشعرية

سمّى كلّ ساعر من الشعراء بلغة شعرية خاصّة به يكوّن
فعل مجموعته من المؤثرات الدّاخلية و الخارجيّة، فكسر من
استخدام بعض الألفاظ والتّعبيرات التي سرّمدتها من نفاذه ومداركه .

وسمّوا هذه اللغة الشعرية من ساعر وآحر من
حب الفؤّه والصّعف، و الحصوه و الحفاف، و الحساوه و الطّراوه .
وذلك بحسب ممّكّهم من ناصه القول، وعلى محروهم من اللّغة،
ومتلهم لأساليب العرب ونعائهم .

ومّا لاحظته الدّارس على أسعار الموحّدس أنّها بالأوضاع
السّاسيّة التي عايشها الدّولة الموحّده و انعكاس حاله الحرب على
لغة كسر من الشعراء بحسب سرّرت مصطلحات الفال و المعيارك
إلى مختلف الأعراض الشعرية، حتّى إلى أرقها و أطفها أعى العرل
و وصف الطّبعه كقول أى الرّبع صف حمال محبوه (١)

(من الطّول)

وَمَنْ لَحَطَهَا نَعْبَى عَنِ الْعُكِّ فِي الطُّنَا
بِصِي رِفَاقٍ أَوْ مَقَعَةٍ سُمِّرِ

و قوله صف يوم عم و رعد و برق : (٢)

(من السّط)

نُسَّ الرِّاصِ وَ نَسَّ الْحَوْ مُعَرِّكُ
إِنْ أَوْرَتْ قَوْسُهَا كَفَّ السَّمَاءُ رَمَتْ
فَنَحَّ السَّعَائِي خَرْحَاهَا وَ مَعْنَمَهَا
بِصَّ مِنَ الْبُرْقِ أَوْ سُمِّرُ مِنَ السُّمْرِ
نُلاً مِنَ الْمُرِّ فِي دِرْعٍ مِنَ الْعُدْرِ
وَسَى الرِّبْعِ وَ قُلَاهَا حَتَّى السَّمْرِ

(١) أبو الرّبع الموحّدس ، دوايه ٧٣

(٢) نفسه : ١٤

كما سَرَّبَ كبر من الألفاظ الدسّيه و العفديه إلى أسعارهم،
وكان هذا صدى لبرعه الحكّام و السّاسه، و لطبعه الدّوليه
الموحديه الّتي قامب على أساس دسّى، فكبر عدهم ألفاظ
مثل : إحسان، إساءه، اسعفار، الغامه، نفوى اللّٰه، الجهاد،
المهدى، الإمام، مريضى... الخ

فمن ألفاظ العفده حذب السعراء عن سحود السّهو
كقول ابن حتّاره عندما قطع حود المأمون أطاب فّته المعصم : (١)
(من السّيط)
وَ إِنَّمَا سَحَدَتْ لَمَّا سَهَتْ وَ عَدَتْ فَوْقَ التُّرَابِ فَكَأَنَّ أَغْنَتْ الْعَبْ

و هذا أبو الرّبع سفل مصطلحات ماسك، الحّجّ إلى ميدان العزل فقول : (٢)
(من الكامل)

فَبِئْسَ بِالْحَجِّجِ فَإِنَّ ذَاكَ الْمَوْفِعَ وَ اسْأَلَهُمْ بِمَا مَتَّهِمْ أَنْ نَعْطِفُوا
وَ اسْدِّ فَوَادَكَ إِنْ عَرَفْتَ مَكَانَهُ سَسَّ الْعِبَابِ وَ مَا أَحَالَكَ نَعْرِفُ
عَبْدَ الْبَيِّ رُمَبَ الْحَمَارُ عَدَّتْهُ وَ نَبَاهُ يَدَمِ الْقُلُوبِ مَطَّرَفُ

كما اسعمل المصطلحات نفسها فى معرض الاسعطاف (٣)

و من مصطلحات الصّوفيه الّتي وردت فى أسعارهم مصطلح " السّطح "
فقول عبد الكريم بن عمرا . (٤) (من الطويل)

نَوَلَّدُ فِي أَهْلِ الْوَفَارِ سَمَاعَهُ خُفُوفَ اهْتِرَارٍ مِثْلَمَا سَطَحَ الصُّوفِى

(١) ابن سعيد ، رباب المرّرس ٧٣ .

(٢) ديوانه ٩٢٠ .

(٣) ديوانه ١٦٤ .

(٤) ابن عبد الملك ، الدل و التكملة ٣٣٣/٨

كما كنر عند الشّعراء فى هذا العصر ذكر الأعلام و البقاع المسرقّة (١) و هذا يعر عن مدى الارباط الزّوحى للمعرسّى بالتّارح الإسلامى و بالبقاع الّتى اطلّفت مهاب رساله الإسلام إلى سّى بقاع الأرض.

كما أثار السُّعراء بأسلوب القرآن وبلغه المعجزة فصمّوا
عص ألفاظه في أسعارهم، كما أهدوا من الحديث كلماته البليغة،
وصمّوا من الشعر القديم أسبا أو عص أسبا، وسوف نصّـل
الكلام فيها عند الحديث عن الحجاب البلاغيّ.

الأوزان و البحور و القوافي

إنَّ التَّاطر في المجموع من أسعار المعاربة في عهد الموحَّدين
 لفت انتباهه أنَّ أصحابها البرموا بحور السَّعر العرنيَّ مع فصيل
 ما يعرف بالحور الرّصيه الطّويله . فقد لاحظنا أنَّ هؤلاء السَّعراء
 فضّلوا البحر الطويل فالكمال فالوسط فالمعارب فالوافر، وقلّوا
 من ركوب بحور المخب و المسرح في حين احتفب من أسعارهم
 - أو كادت - بحور الهرج و المصارع و المفضض.

و حذرنا الإِساره إلى طاهره عروصه بربر - ولو سكل قليل -
 عند الشّاعرين أئى العتاس الحرّاوى و أئى الرّسع الموحّدى و هى اسنعمالهما
 لبحر الحب (١) إذ اسعمله الحرّاوى مرّس في محال المدح^(٢)، سبما ورد
 عند أئى الرّسع في محال العزل (٣) . و كان عند الواحد المراكسى فد أسار
 في المعحب (٤) إلى أن اس حرمون (كان حتّا سه ٦١٤ هـ / ٢١١٧ م)
 اسعمل لأوّل مرّه في الأنديلس عروص الحب فبى عليه قصده مدح
 فيها أمير المؤمنين أبا يوسف يعقوب المصور عند عوديه طافرا من
 موقعه الأرك سه ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م ، ثم نالى السَّعراء على بداوله و التّطم
 عليه . و هذا العروص لا حلّو من سرعه و حقّه و فد سمّاه بعص
 العروصين بركص الحبل، لأنّه بحكى وقع حافر الفرس على الأرض و هذا
 ما جعل أمير المؤمنين يعقوب المصور بسحس قصده اس حرمون،
 ممّا حدا سَعراء المدح بعد ذلك على بداوله و التّطم على عروصه .

عبر أنَّ السَّعراء المعاربه أكثروا في سعر المدح من بحور
 الطّويل و الوسط و الكامل لأنّ موسقى الإطار في هذه البحور فادره
 على اسسعات سّتى المصامس و المعالى.

(١) فعيلانه : " فعلن فعلن فعلن " مرّس.

(٢) الحماسه البّاسيّة ١٣٨ و النّاس المغرب . ١٥٢-١٥٣

(٣) انظر ديوانه ٩٠-٩١

(٤) عند الواحد المراكسى، المعحب ١٩٣

و من الطواهر العروصته التى حب الإساره إليها اسعمال السّعاء
فى هذا العصر بحر الرّحر المردوح فى نظم المطومات التّعليمته، فكانوا
جعلون لكلّ سب من أرجورهم فافيه حاصه (١)، و قد ساعدهم التّحرّر
من فود الفافيه الموحّده على الإطاله و الامداد فى هذه المطومات حتّى
حاور بعضها ألف بيت. (٢)

كما وحدا عند سعاء هذا العصر طاهره المحمّسات (٤)، وهى
حروج عن فود الفافيه الموحّده، فكان السّاعر جعل محمّسه فى أحراء
تكوّن الحراء الواحد من حمسه أسطار جعل للأسطار الأربعه الأولى فافيه
حاصه و للسطر المفصل فافيه سابه مائل الفوافى المسعمله فى الأسطار
المفصله.

و قد عمد الحرّاوى إلى اسعاره أعمار معلفه امرىء القيس و جعلها
أسطارا مفصله فى قصيده التى روى فيها الحسن بن على بن أبى طالب،
و ورد جزءاً من حمسه ليوضح ما ذكرناه : (من الطّويل)

سَهَامُ الْأَسَى هَذَا فَوَائِي فَأَقْدِي فَعِي أَلْمَى نَعْدَ الْحُسْنِ لَدَيْ
وَمِنْ عَتْرِي وَالْعُكْلِ أَرُؤَى وَأَعْنِي وَ نَا مُقْلِي مِنْ أَنْ نُسْحَى نَعُوبِي
وَلَا نَعْدِي مِنْ خَاكِ الْمُغْلِلِ

فقد جعل السّاعر الدّال المكسوره روتاً لأسطاره الأربعه، سبما كانت
اللام المكسوره فافيه سابه الرمها فى الأسطار المسفلّه.

أمّا فوافى السّعاء فى هذا العصر فكانت فى الإجمال من

(١) انظر صفحه ٤٠١ - ٤٠٢ من هذه الأطروحه .

(٢) انظر أرجوره ابن الماصف " السّره التّوتّه " مخطوط المكنه الوطنيه سوس رقم ٢٣٤

(٣) وصلت إلينا محمّسان الأولى لأبى العتّاس الحرّاوى و سأل من واحد و تلاث
حراء، والثّانية للحليفه عمر المرمى الموحّدى، مؤلفه من حمسه أحراء، و من الثّلاث
للاسباه أتهما كانا فى موضوع الرّثاء. انظر الصفحات ٣٥٦ و ٣٥٩ من هذه الأطروحه .

العوافی الذلل الّتی فصلوها علی التّفور و الحوس، و هذا لا یعی اسفّاء
وجودها إذ استعملها بعض السّعراء و لكن سکل فلیل، و کان من العتّ
عبر المسحاد.

كما أنّ العوافی عندهم فی الإجمال مطلقه، فظهرت حركات
الإعراب التّلاب، الفج و الصّمّ و الکسر، فی حیث فلتب العوافی المقّده.
و حلت أسعارهم أو کاد من عوب الفافیه کالإفواء فی حیث وحدنا
الإطّاء برد عند بعضهم و لكن سکل نادر.

و قد کبر عندهم لروم ما لا لرم، و هو اصطلاح یطلق علی
القبود الّتی لبرمها بعض السّعراء من دون أن یكون الصّاعه لبرمه
لهم بذلك (١)، فقد الرم بعضهم فافیس افداء بالمعری فی لرومّاته،
من هذا قول ابن حوس الفاسی: (٢) (من المصارب)

وَمَوْلَاهُمْ عَادَ بِالرَّوْرِ	نَعُودُونَ مِثْلًا مَوْلَاهُمْ
فَلَوْ حَاصَ فِي الْخَرِّ لَمْ نَعْرِ	فَأَكْسَهُ حَوْفُهُ جَقَّه

و منهم من أرم نفسه بقود أخرى كأن بدأ السّاعر
كلّ رب من أساب قصده حرف الرّوی، كما فعل أبو رب العاراری
فی دیوانه الوسائل المصنّعه، و لا حقی ما فی هذا العمل من کد الدّهس،
و التّصنع اللّذی أترا علی حوده السّعیر، و أفداه کبراً من طلاویه.

(١) عبد الله الطیب المحدوب، المرشد الی فهم أسعار العرب ١ / ٣٩.

(٢) انظر الصفحة ١٦٠ من هذه الأطروحه، و الصفحات ٣٠-٣٦-٣٧-٦٤-١١٤ من
دیوان أبی التّرع.

٤ - الجانب البلاغي

اهتمّ الشعراء الموحّدون بالصّنع البلاغيّ في أشعارهم ، فسعوا إلى صاعه فصائدهم بأعماد قوس البان و البدع . و كان منهم من اعتدل في استعمالها ، و منهم من عمّد الإكثار منها و حصرها في فصائدهم فأملوها بصروب من الرّيبه حتّى أدّى ذلك في بعض الأحيان إلى الإسفاف و الضّعف .

و سحاول أن يعرض بعض الحوالب البلاغيّة التي بررت في السّعر المعرّبي في هذا العهد مكفّس بما قلّ و دلّ من الأمثله .

1- فنون البيان

أ - التشبيه

و هو احصار بان أنّ شيئاً أو أساء ساركت غيرها في صفة أو أكبر بأداه هي الكاف أو نحوها ملحوظه أو ملحوظه^(١) . فرت من المسّيه و المسّيه به في وجه السّيه .

و لعلّ التّسبيه من أرب الأساليب البانيّة ظهوراً في كلام العرب ، فقد ساق إليه الشعراء العرب باحلاف عصورهم ، و أكبروا منه ، فافتوا في إرادته و ساروا في اصطاد العرب التّاديه لأنّ في ذلك دلالة على براعه السّاعر و قدرته على إبداع الصّور و المعاني ، و مّتره في التّعبر عنها في صور رائعه حلّاه .

و بطراً إلى كبره وروده و أهمّيه في إبداع الصّور رأى بعض الباحثين أنّه أرب أنواع التّصور اطرادا في كلام السر عامّه ، المسموع و المقروء على حدّ سواء " (٢)

و يقوم التّسبيه عاده على أربعة عناصر هي : المسّيه ، و المسّيه به ، و أداه السّيه ، و وجه السّيه . و قد سعى السّاعر عن العنصرين الآخرين أو عن أحدهما ، دون أن يؤر ذلك على حوده السّيه ، بل على العكس فهو قوي و برداد عمفاً . (٣)

و قد أكبر الشعراء المعاربه في عهد الموحّدين من إيراد التّسبيه بصرويه المحلّفه ، و أوا منه بصادح بدخل بعضها في باب المسحاح التّاديه ، و سحاول أن يورد بعض الأمثله على كلّ حاله من حالاه .

(١) على الحارم و رفيعه : البلاغه الواصحه : ٢٠ ، و عند العرير عبق ، علم البان . ٦٢ .

(٢) محمد الهادي الطّرابلسي ، خصائص الأسلوب في السّوفات : ١٤٢ .

(٣) المصدر نفسه : ١٤٣

١- التّسبه المرسل : وهو ما اكملب عناصره الأربعة، أى المسّته و المسّبه به و أداه التّسبه و وجه التّسه . و لعلّ الإنسان بهذا الصّرب من التّسبه من أسهل أنواعه ، لذلك ساع فى أسعار السّعراء العرب أكبر من غيره .

و قد ورد هذا التّسبه عند السّعراء الموحّدين فى موضوعاتهم السّعريّه المحلّفه فوجدناه فى المدح كما وجدناه فى الوصف و العزل ، فمن ذلك قول أبى العتّاس الحرّاوى
صف حيوس الممدوح (١):

لِمَنْ الْحُؤْلُ كَأَنَّهُمْ سُؤْلُ عَصَتْ بِهِمْ سَاسِيَتْ وَ هُؤْلُ

فقد سّته السّاعر الخول بالسّؤل مسعماً أداه التّسبه " الكاف "، و رتب عناصر التّسبه وفق ترتيبه الأصلي، فأبى بالمسّته أولاً ثمّ أداه التّسبه فالمسّته به فوجه التّسه . و قد جاء السّاعر بطرفى التّسبه حسّتى بدركان بالنصر، لإمكان مساهده جماعه الحول و هى بدافع كدافع ماء السّؤل، و جاء الكاف ليعرب بين صورتين حسّتين، صوره بدافع الحيل، و صوره السّؤل المدقّقه الماء . أمّا وجه التّسه بينهما فهو فى الحركه أولاً لاندفاع الحول بسرعته، و وجه التّسه نابا هو الكره و الاتّساع، فجماعات الحيل فى اسسارها و اندفاعها بسرعته يحكى اندفاع مياه السّيل الّتى عطّت وجه الأرض.

و من التّسبهات الحاد التّوارد الى اسدعها السّاعر أبو الرّبع الموحّدى قوله صف فى الأعداء : (٢)

وَمُضَرِّعِينَ مُضَرِّحِينَ كَأَتَمَّا سَكَّرُوا فُصَّتْ فُوقَهُمْ صَهَاءُ

سّته السّاعر الفلى السّكارى الدّس صتب عليهم الحمرة الحمراء، واسعمل أداه التّسبه " الكاف "، و رتب عناصر تسبهه وفق إحدى صور التّرتيب الفرعيّه ، فأبى بالمسّته أولاً، ثمّ وجه التّسه، فأداه التّسه فالمسّته به . و جاء طرفا التّسبه (الفلى و السّكارى) حسّتى يمكن إدراكهما بالنصر، و قامت أداه التّسبه " كَأَن " بالتّقريب بين المسّته و المسّته به من صفات التّصرّج بالحمرة و الاسلفاء على الأرض . و نعتّ هذا التّسبه من التّسابه الحاد التّوارد، لأنّنا عهدنا السّعراء العرب سّتهون السّكارى الفلى، ولم يسبق لأحد - على حدّ علمنا - الإنسان قبل هذا

(١) ابن عذارى، البيان المعرب : ٧٠

(٢) ديوانه . ٢٤٠

التشبيه، ولا نعدم في دوان ألى الرّبيع الوقوف على بعض التّسائنه المبكره
النّادرة الحّده . (١)

وسوّع ربيب عناصر التّسنيه عند الشعراء الموحّدين، فقد ألى السّاعر
أدائه التّسنيه أوّلاً ثمّ المسّته فالمسّته به فوجه السّته كقول السّاعر ابن حّارّه وصف
الطّبعه حامعاً سسهس في سب واحد : (٢)
(من الكامل)

فُكأنّ ذاك السّرقُ واسٍ قد مُسى بِمِمْهِ وَ الرّعدُ لاحٍ يُعِيلُ

فقد صدّرت أدائه التّسنيه " كأن " السب . ثمّ حاء المسّته " السرق " ،
فالمشّته به " الواسى " فوجه السّته " المسى بالتّممه " ، و كذلك فى التّسنيه الإنائى حب
سبه الرّعد باللاحى، أمّا وجه السّته فهو العذل . و حاء طرفا التّسنيه حسّتين .

و قد ألى ربيب عناصر التّسنيه على السّكل التّالى : المسّته فوجه السّته
فالأداه ، فالمسّته به ، كقول السّاعر موسى بن الماصف صف المحتّاب : (٣)

(من الوافر)

نُعودُ حُدودُهُنَّ البِصُّ حُمراً كَوَحْهِ مَنْ نُعِلُّ الحُدُرساً

سّته السّاعر المحتّاب و قد قلب فاحمّرت بوحنه الذى بباول الحمرة، و حاء
أدائه التّسنيه الكاف لبان حال المسّته و التّفريت سبه و بن المسّته به ، أمّا وجه السّته
فهو احمرار الوجه ، و حاء طرفا التّسنيه حسّتين يدركان بالنصر .

٢ - التّسنيه المحمل : و هو الذى حلا من وجه السّته، و توقّرت فيه العناصر التّلاسه
المكوّنه له، و يكون هذا التّسنيه ألع من المرسل، و يحاح الملقى إلى جهد اصاصى
للقوف على الهدف المقصود منه .

و قد ساع هذا التّسنيه عند السّعراء فى هذا العصر سوعاً كبيراً . و وردت أغلب
التّسائنه المحمله عندهم بإحلال المسّته المرسه الأولى و ألى الأداه فى المرسه التّاسه

(١) من هذه التّسائنه قوله فى دوانه، ٢٨ :
و كلّ أشوسٍ إنّ نبتَ عِناهُ لَأَكُ السّكِيمُ كَمَا تُلَاكُ المَصْطَكى
(من الكامل)

(٢) المقرئ ، أرهار الرّصاص : ٣٨٣/٢

(٣) ابن عبد الملك ، الدّيل و النّكله : ٣٨٥/٨ .

فالمستّه به، أى وفق الرّسب الأُصلى لعناصر التّسبه . و لعلّ الاساءه اعتماد السّعراء
فى الأعلب على أداه التّسبه (الكاف) فى سكل سبهاهم المحمله. من هذا التّسبه
قول الساعر ابن الفكّون مستّها النّهر بالمرآه : (١) (من الوافر).

فَهَرُ كَالسَّحَحِلِ فَدْ رَأَتْ عَلَى سَطِّهِ حَتَاُ التَّعِيمِ

حاء طرف التّسبه حسّس، فقد سّّه النّهر بالمرآه مستحدا أداه التّسبه " الكاف "
الى أفاد العرب بن مطر النّهر و المرآه الصّغله .

و قد سعمل الساعر حرف التّسبه " كَأَنَّ " كقول الساعر أى حفص بن عمر
مستحدا سبهاهم فى سب واحد، فسّّه فامه حسبه بالعص، و عمه صوبها
نرّتم الليل : (٢) (من الكامل)

و كَأَنَّ فَامُهَا وَ نَعْمَهُ صُوبُهَا عَصَى عَلَيْهِ ثُلُثُ نَرْتَمٍ

فطرفا التّسبه الأوّل حسّان بدركان بالصر، و طرفا التّسبه التّالى أصا حسّان
عر أهما بدركان بحاسه السّمع، و حاء أداه التّسبه لفرّ بن طرفى التّسبه
و جعلهما فى مسوى واحد. أمّا ريب عناصر التّسبهين فلهذا حاء فه أداه التّسبه
أولا تمّ حاء المستّه فالمستّه به .

٣ - التّسبه المؤكّد : وهو الذى حلا من أداه التّسبه و احتفظ باقى العناصر،
و هو ألع من التّسبه المرسل و أوجر " أمّا كونه ألع فلهلّ المستّه مستّها به
من عبر واسطه أداه فكون هو إياه، و أمّا كونه أوجر فلهلّ أداه التّسبه مه " (٣)

أمّا ريب عناصر التّسبه المؤكّد فهى على الأعلب بأى على السّكل التّالى :
المستّه فالمستّه به فوجه السّّه . فمن ذلك قول الساعر عمر بن محمد بن أحمد
العسّى مستّها الإنسان العاقل بالحدع و بالصر (٤) (من الكامل)

دَهَبَ الطَّلَامُ وَ أَنْتَ حَدَّعُ رَايِدُ وَ أَيْ الصَّاحُ وَ أَنْتَ صَحْرُ حَامِدُ

فقد جمع الساعر سبهاهم فى سب واحد، فسّّه الإنسان العاقل بالحدع فى رفوده
و بالصر فى حموده، و حاء طرفا التّسبه حسّس بدركان بالصر، و قد كاد أن
يكون المستّه و المستّه به سئا واحداً .

(١) العبرى، عنوان الدّرايه : ٢٨٣

(٢) عبد الله كّون، التّبوغ المعرى : ٧٢١

(٣) عبد العزيز عىو، علم البيان : ٢٩٠

(٤) ابن عبد الملك، الدّبل و التّكملة : ٣٣٦/٨ .

و من الأمله على التسيه المؤكد قول الشاعر ألى الرّبع الموحدى مستها حسبه الطّى
و بالسّف، و بالدر، و بالعص: (١)
(من المفارب)

هِيَ الطّى حِدَاً، هِيَ السّف لُحْطَاً هِيَ الدّر حُسَاً، هِيَ العَص لِبَاً

لقد برع السّاعر فى سبهاه الأربعة الّتى جمعها فى سب واحد، و هذا يدلّ على
ساعره فده، و هو سته حسبه الطّى فى حدها، و بالسّف فى طربها، و بالدر
فى حس وجهها و باصه و اسداره، و بالعص فى لس قوامها، و هو حذف أداه
التسيه جعل من محبوبه مستهاً و مستهاً به ماله فى وصف جمالها. و قد وقع
المستّه و المسته به فى التسيه الّتى متلبها موقع المسدأ و حره المفرد.
٤- التسيه البليغ: و هو الّدى حلا من الأداه و وحه السّه، و قام على المُستّه
و المسته به فحسب. و يعدّ هذا التسيه من ألع أنواع التسيه لأنّه سوى س
المستّه و المسته به.

و من أمله التسيه البليغ قول السّاعر موسى س الماصف صف صاعى
المحتاب: (٢)
(من الوافر)

نُرَى أُنْدِيَهُمْ أَعْنَاقُ طَيْرٍ وَ أَمْلَهَا إِذَا اخْتَمَعَتْ رُؤُوسَا

فقد جمع السّاعر فى سبه سبهين بلعين، فسته فى الأوّل أندى صاعى المحتاب
أعناق الطير، و سته أاملهم فى اجماعها رؤوس الطير. و حاء طرفا التسيه حسّس
بدركان البصر

و منه أصا قول عبد الله الفرّاتى بهجو السّعيد الموحدى و كان أسود اللّون. (٣)
أَسَفًا عَلَى مَرَاكِبٍ وَ وَلَإِيْهَا لَمْ نَقْ لِلْأُتَامِ فِيْهَا رُؤُوسُ (من الكامل)
كَانُوا حَمَامًا فَالْتَّابِى لَمْ نَدْعُ فِي دَارِهِمْ إِلَّا عَرَائِنُ نَعُوقُ

فقد صمّن السب التابى سبهين بلعين، سته السّاعر فى الأوّل الحلائف
الحمام و سته فى التابى الحليفه السّعيد بالعرب.

(١) ديوانه . ٥٤

(٢) اس عبد الملك، الدّبل و التكملة . ٣٨٥/٨ .

(٣) السّراج ، الحلل السّدسّته : ٢٦٦/١ .

ب - المجاز

الكلام عند العرب إمّا أن يكون حقيقه أو محاراً، و المحار هو " استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقه مع قريبه مانعه من إرادته المعنى الحقيقي (١)

و قد ولع العرب باستعمال المحار لأنّه في " كسر من الكلام أُلغى من الحقيقه، و أحسن موقفاً في القلوب و الأسماع " (٢)

و ما من شك أنّ شعر المعارفه في عهد الموحّدين لم يحل من المحار بأنواعه لإدراك السّعاء أنّ للمحار قومه كبرى في التعبير عن المعاني بكل أُلغى و الطيف من الحقيقه.

و فيما يلي بعض الأمثلة على الاستعمالات المجارّته من شعر السّعاء الموحّدين لبعض على بعض المعاني التي أفادها المحار.

فول أبو الرّبع في قصده مصوّته : (٣) (من الكامل)

وَأُحْدَتِ لِلْأَعْدَاءِ كُلِّ بَيْتِهِ فَأُرْتُ كَفَّ قُتْلُ الْأَعْدَاءِ

ففي البيت محار عقليّ، و هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له على رأى البلاغين، و يمثّل في قول السّاعر " و أهدب للأعداء كلّ سيّته " و هو سرّ بذلك إلى بلاء المصور في الأعداء فأسند الفعل " أهدب " إلى غير فاعله، فمن الواضح أنّ المصور لم أهدب للأعداء كلّ سيّته، و الدّس أهدبوا للأعداء كلّ سيّته هم حدود حسّه، و لمّا كان هذا الخلفه فائداً للحس و ساء في سدّ الطرق أمام حدود الأعداء لمعهم من الفرار، أسند السّاعر الفعل إليه.

و منه قول الحرّاوي : (٤) (من مجلّع البسط)

رَدَّتْ جَمَى الْفُئْسِ مُسْأَحاً بِصٍّ مِنَ الْيَهْدِ مُرْهُقَاتُ

صمّ البيت محاراً عقليّاً، فقد أسند السّاعر الفعل " ردّت " إلى غير فاعله، فالصّ لم ردّت حمى الفئس مسأحاً، و إمّا الفاعل الحقيقيّ هو حدود الحس الدّس يحملون

(١) عند العرعر عسوق، علم البان : ١٣٦

(٢) اس رسيق، العمده : ٢٦٦/١

(٣) ديوانه : ٢٤٠

(٤) اس عداري، البان المعرب : ٢٢٤٠

السَّوْف، فإِسَاد " الرَّدَّ " إلى البص فيه محار عفلَى علافه السَّيَّة .

أَمَّا المحار المرسل فهو أسلوب من الكلام قوامه الاسنعاء عن اللَّفْط
الأصْلَى و التَّعْسِر عن المعنى لفظ بدل على معنى آخر فى أصل اللَّعْه، و لكنَّهما
سداعان ملحمان " (١) .

و قد أحرَّج السَّعْرَاء الموحَّدون كسرا من صورهم فى قالب المحار المرسل،
و منه قول ألى حفص بن عمر مادحا : (٢)

سَحَبْتُ الْعُلُومَ عَنْهُمْ مِنْ سَمَاحِيهِ نَهَمِي فِي نَجْرِهَا هُمْ سُرْعُ هِمِّ

ففى استعمال السَّاعِر لفظ " سحب " للتَّعْسِر عن عراره علوم الممدوح محار مژسسل
بدخل فى باب العلافه السَّيَّة .

و منه قول ألى الرَّسْع مسخدما لفظ " الكأس " لمفهوم اللَّه : (٣)

(من الوافر)

لَأَقْنَأُ عَلَى كَأْسِي فُكَايْتُ نَجَيْتُ مُسَاحِلَهُ الدُّمُوعِ

فالمحار هنا داخل فى باب العلافه اللَّه .

ح - الاستعارة :

و كان للاستعاره أنواعها حظَّ عند شعراء هذا العصر، و هى عند
العرب " أسلوب من الكلام يكون فى اللَّفْط المسعمل فى عرما وضع له فى
الأصل لعلافه مسابهة بين المعنى الحقيقى و المعنى المحارى " (٤) .

و عدَّ الاسعاره التَّصْرِيحَ من أسط مظاهر التَّصَوُّر فى الكلام، و منها
قول ألى حفص بن عمر : (٥)

(من المصنوع)

وَفِيهَا الطِّبَاءُ نَبَاتُ الْأُسُودِ غَارَى مَنِ نَعَمْتُ نَرَارُ

حب اسعار الساعر صوره " الطَّاء " للنباء، و " الأسود " للرجال، و قوله " غارى "
من مغلَّقات الرِّجَال الأحرار .

(١) محمد الهادى الطَّرابلسى، حنائص الأسلوب فى السَّوْفَات : ٢٠٨

(٢) المقرئ، أرهار الرِّصَاص : ٣٦٢/٢ .

(٣) دسواه : ٨٩ .

(٤) محمد الهادى الطَّرابلسى، حنائص الأسلوب فى السَّوْفَات : ١٦١

(٥) المقرئ، أرهار الرِّصَاص : ٢٦٦/٢

و منها قول اس حوس القاسى مادحا : (١) (من الطويل)

أَلَا نَأْبَهُذَا الْحَرَّ حَاوَرَكُ الْحَرِّ وَ حَتَمَ فِي أَرْحَائِكَ التَّقَعُّ وَ الصَّرُّ

حب اسعار الساعر لفظ " الحر " للتعبير عن كرم ممدوحه و قوّه و صرّح فيها بلفظ المسّنه به .

و بعد الاسعاره المكّنه أعمق من الاسعاره التّصريحه نظرا إلى حذف لفظ المسّنه أو المسعار منه و حلول بعض ملائماته محلّه بما سطلّت من الملقى مجهودا للإلمام بالصّوره ، و حظّ هذا الصّرب من الاسعاره أقلّ فى السّعر الموحّد .

و نورد بعض الأمله عليه ، فمن ذلك قول اس حنّاره فى معرض المدح : (٢)

(من السسط)

نُفِصُ بِالْعِلْمِ أَوْ بِالْخُودِ رَاجِرُهُ نَزَوِي وَ نَزَوِي فُعْنِي قَالَ أَوْ فَعْلًا

فقد اسعار الساعر بعض لوازم الحر للممدوح و هو " الفصان " .

و منها قول أبى العّاس الحراوى : (٣) (من الكامل)

حَمَحَ اسْ عَائِيهِ قُرْدَ حِمَاحُهُ نَوْمٌ أَدَارَ عَلَيْهِ كَأْسَ حِمَامِ

حب اسعار الساعر لفظ " الحموح " و هو من مغلّقات الفرس .

د- الكناية :

و لا نعدم عند السّعراء اسخدامهم للكناه و هى فى اصطلاح أهل البلاغه " لفظ أطلق و أريد به لارم معناه مع حوار إرادته ذلك المعنى " (٤)

و منها قول أبى الرّسع معرّلا : (٥) (من الطويل)

أَلَتَّهْ عِظْفًا وَ فَايَسَهُ فَلَنَا وَ نَاطِعَهُ قُرْطًا وَ صَامِيَهُ فَلْنَا (٦)

(١) صفوان بن إدرس، راد المسافر : ٤٤ .

(٢) اس عبد الملك، الدّبل و التّكملة : ٣٨٩/٨ .

(٣) اس عدارى، السان المعرب : ٢٤١ .

(٤) عبد العرير عبق، علم السان : ٢٠١ .

(٥) ديوانه : ٨٧ .

(٦) القلّب : سوار المرأه .

ففي قوله " و صامنه فلنا " كناه عن املاء الساعد.

ومنها قول عبد المؤمن مكتبا عن المراتب - " بى النحسم " فى قوله : ")

(من الطول)

هُوَ الْفَتْحُ لَا تَحْلُو عَرَائِكُهُ السَّرْحُ أَصَاتُ بَيْبِ النَّحْسِمِ مِنْ نَأْسِهِ نَرْحُ

و كسرا ما كان يكتى السعراء عن المسحس - " الصليب " (٢) و عن حوسهم

- : " حس الصلال " (٣) .

ومهما يكن فإنّ الكتابه كالاسعاره من حب فدرها على حسم المعاي

و إخراجها صورا محسوسه برحر بالحاه و الحركه .

() اس عدارى، السان المعرب : ٢٦

(٢) انظر ديوان اس أبى الرّبع : ٢٢ .

(٣) نفسه : ٣٢

2- فنون البديع

١- الجناس

حتى الحاس باهتمام البلاغين العرب مد القدم و حصوه بفصول من مؤلفاتهم، و المراد بالحاس سابه اللّطس في التّطو و احلافهما في المعنى. ولا سسرط في الحاس سابه جمع الحروف، بل بكفى في التّساه ما يعرف به المحاسه. و هو نوعان. تامّ و ناقص.

التّام : هو ما اتفق فيه اللّطسان في أمور أربعه و هى: نوع الحروف و شكلها و عددها و ترتيبها.

أمّا النّاقص : فهو ما اختلف فيه اللّطسان في واحد من الأمور المذكوره. و يعتمد السّاعر الى الحاس رعيه في احداث موسيقى خاصه في سعره من خلال احبار الكلمات النّى توفر حرسا معيّنا. ٥

و قد عنى السّعراء الموحّدون بالحاس نوعه و حرصوا على توفيره فى أسعارهم، فهذا أبو العباس الحرّاوى سعن بالحاس التّام فى توفير نوع من الموسيقى فى قوله : (١)

(من ملح السسط)

فَدُ أَضْلِلْتُ رَأْيَا الْعُدَاةُ وَ أُجِرْتُ فِيهِمُ الْعِدَاتُ

اسخدم الساعر الحاس باعدال فى سبه، ممّا وقّر فيه موسيقى سعادتها الآدان، فحاس س " العداه " و هم الأعداء، و " العِدات " من التّوعد حاسا سامّا، معمدا على صرع سبه فأى اللّفظ المحاس الأوّل فى سباه الصّدر، سبما أورد اللّفظ المحاس التّالى آخر لفظ بالس.

و من الحاس النّاقص الموقو قوله فى الممدح. (٢) (من الكامل)

مِنْ فَنَسِ عِلَانَ الدِّسِ سُوْفُهُمْ أَدَا نَصُولُ طَبَائِهَا وَ نَصُونُ

فقد حاس السّاعر س لفظى " نصول " و " نسون " حاسا ناقصا، لاختلاف اللّطس فى أنواع الحروف، و يدعى هذا الحاس بالمصارع لأنّ الحرفن الدّس وقع فيهما الاختلاف مفران فى المخرج.

(١) اس عدارى، البيان المعرب : ٢٢٤.

(٢) المصدر نفسه : ١٠٧

و من الحاس التام الذى يعمد الشعراء اراده قول اس ختاره فى الحس

لأحاسه (١) (من الكامل)

أَسْرَى عَلِيًّا فَأَسْحَتْ إِلَى الصَّا صَّا بِأَنْفَاسِ الصَّا يَنْعَلُ (٢)

فقد حاس الشاعر حاسا تاما من ألفاظ " الصَّا " معنى جهله القسوة
و اللهو من العزل و " صَّا " معنى المسوق، " و الصَّا معنى التسم "، و طهر
حلتا بصنع الشاعر فى طلبه للحاس و حسره فى سبه مما أفعد السب كبرا من
روى الشعر و سحره .

و من مالعاب الشعراء فى صدد الحاس نوعه قول الشاعر : (٣) (من السط)

إِنْ فَارَقَ الرَّيَّ رَتَّاهَا لِقُوفِيهِ وَأُحْرِسْتُ نَعْدَهُ حُرًّا حَرَّاسًا
أَوْ وَاصَلْتُ مُوَصِّلًا فِيهِ الْأُسَى وَبِهِ قَدْ عَادَرْتُ فَلَيْهَا حُرَّانُ حُرَّانُ
و نَحْنُ حِرَانُهُ مِنْ نَعْدِ حِرْبِهِ بِأَبِ حَبْرُونَ لَا نَعْفِيهِ حِرَّانُ

أرأيت هذا التكلف و الافعال اللدس طهران موصوح فى أساب القصده ؟
ان الشاعر سلاعه بالألفاظ حاول أن طلععا على نغافيه العالیه، عر اته أنفل
أسابه كبرا بالمحسبات اللفظیه و خصوصا الحاس نوعه، فحاس فى السب الأول
حاسا ناقصا من ألفاظ : " الرّی " و " رتّاها "، و " أحرص " و " حراسا " .
و كذلك فعل فى السب الثانی فحاس من كلمی " واصلت " و " موصل " حاسا
ناقصا ، و من لفظی " حرّان " و " حرّان " حاسا تاما، و " حرّان " الأولى من
الحرّ، و " حرّان " التابه اسم مدسه . كما صنع الصنع نفسه فى السب التالى
من ألفاظ " حراسه " و " حربه " و " حرون " و " حيران " فحاس بها حاسا
ناقصا .

و لا نعدم من شعراء هذا العصر من أعرق شعره بالحاس نوعه، فطهر

الوسى و الصّعف فى أسعارهم سكل حلى. (٤)

(١) المقرئ ، أرهار الرباص : ٢ / ٢٨٣

(٢) الصمر فى " أسرى " يعود على التسم .

(٣) اس عبد الملك، الدبل و التكملة : ٨ / ٢٧٨

(٤) انظر مثلا قصده ألى عبد الله من المحلى فى الصفحة ٢٩٧ من هذه الأطروحه .

و قصده ألى ريد الفارارى فى الصفحة : ٣٩ و ما بعد من الأطروحه .

٢- الطَّباق و المقابلة

الطَّباق هو الجمع من الشيء و صدّه في اللَّفْظ وبأى على نوعين :

آ - طباق الإيجاب : وهو ما لم يحلف فيه الصّدان إيجاباً وسلباً.

ب - طباق السلب : وهو ما احلف فيه الصّدان إيجاباً وسلباً.

أمّا المقابلة فهي أن يأى الشاعر معيّن أو أكر، ثمّ يأى بما يقابل ذلك على التّرتيب، أو هي - سغير آخر - ضمن السب أكر من طباق.

فمن حمل طباقاتهم قول ألى العتّاس الحرّاوى فى المذح : (١) (من الحفص)

أَوَّلُ أَنتَ فِي التَّعْدُمِ وَالسَّيْءِ وَ إِنْ كُنْتَ فِي الرِّمَانِ أَجْبَرًا ۚ

فعد طابق الشاعر بين لفظي "أول" و "أحسر" طباق إيجاب.

و قول اس حوس بمدح عبد المؤمن : (٢) (من الطويل)

أَلَا أَتُهِدَا النُّخْرُ حَاوِرَكَ النُّخْرُ وَحَمَّ فِي أَرْحَاكَ النَّعْ وَ الصَّرُّ

فالشاعر طابق بين النّع و الصّرّ، و أفاد الطّاق هنا معنى مفدّره الممدوح على نفع الناس وصرّهم.

و من طباق السلب قول الحرّاوى بصوّر كرم ممدوحه : (٣) (من الوافر)

وَ وَالَّتِ السَّمَاحُ فَقَدْ نَاهَتْ أَمَانٍ لِلْعُقَاهِ وَ مَا نَاهَى

فالمطافه ممّ من "ناهت" و ما ناهى". وأفادت بصوّر كرم الممدوح الذى لا يحدّ.

كما ساءت المقالات فى أسعارهم ، و من حملها قول ألى

الرّسع مقالا اسن نانسن : (٤) (من الطويل)

أَرَيْتَ نَاصَ الصُّحِّ فِي فَاجِمِ الدُّخَى وَ أَطْلَعَتْ نُدْرَ السَّمِّ فِي الْفُصْبِ الْمُؤْدِ (٥)

(١) اس عدارى ، البيان المعرب : ٢٥٠.

(٢) صفوان بن إدريس، راد المسافر : ٤٤

(٣) اس عدارى، البيان المعرب : ١١٩

(٤) دوايه : ٩٨

(٥) المؤد: ح أمد ، التّاعم اللّسن.

وقد قال الشاعر بن " ناص الصّح " و " فاحم الدّحى " و أفاد المعايه بصور
حمل وجه المحبوه وبيان مقدار ناصها، لأنّ الناص إذا اكشفه السّواد بدا أسطع
و أحمل.

ومن المعالاب الحمله أيضا قول ألى الحسن العسى : (١) (من الطول)
وَمَا نَسَّ نَعْدِبِ الصُّدُودِ إِذَا رَمَوْا وَتَنَّ نَعِمِ الوَصْلِ عِنْدِي مِنْ فَرَقِ
فالمعاليه نَمَّ بن " نعدب الصدود " و " نعيم الوصل " .

و قول عمر المربصى الموحّدى معرّلا : (٢) (من الوافر)
فَحَسْبِي أَنِّي عِنْدَ فُطُوعٍ وَ حَسْبُكَ أَنَّكَ الْمُؤَلَّى الوُصُولِ
قال الشاعر بن " عند فطوع " و مولى وصول " و أفاد المعاليه بصور
مقدار يدلّ الشاعر أمام محبوه .

و لاحظ الباحث أنّ السعراء الموحّدس كانوا بأنون بالطّاق و المعايه على
صعده واحده، فحرصوا على مطافه المصدر بالمصدر و الفعل بالفعل. و قد كان
للمطافه و المعاليه أثر فى بلاعه الكلام، لكونها حاء باعدال، كما أصعب على
القول روعا و بهجه، و فوّت الصّله بن الألفاظ و المعاي، كما حلب الأفكسار
و وصّحها لأتّها كاب حرى على الطّبع.

(١) ابن عبدالمك ، الدّبل و التكملة : ٢٠٢/٨ .

(٢) ابن العاصى ، حدوة الافساس : ٤٩٣ .

ومن الحواش البلاغة التي ظهرت في أسعار المعارف على
هذا العهد التّصدير، أو ما سمّي عند بعض البلاغين ردّ العجز على الصّدر،
وهو كما قال ابن رسي " أن ردّ أبحار الكلام على صدره، فدلّ بعينه على
عص، وبسهل اسحراج فوافي السّعر إذا كان كذلك " (١)

ومن مباح التّصدير قول أبي العباس الحراوى فى المدح : (٢)
(من السّسط)

فَالُوا الْعِطِيَّاتُ أَحَاها فَعَلْتُ لَهُمْ : لَمْ يَكُنْ قُلُّ أَنْ كَانَ الْعِطِيَّاتُ

فقد أورد السّاعر أحد اللّقطات المكرّرس آخر السب سما حاء
اللفظ التّانى فى حسو المصراع الأوّل.

ومنه قول أبى حفص بن عمر : (٣) (من السّسط)

صَمَّ لِفُحْ نَرَى فِى الدَّهْرِ نَادِرُهُ فَكَمْ أَتَاكَ بِهِ عَرْمٌ وَتَمِيمٌ

حاء أحد اللّقطات المكرّرس بصعه المصدر آخر السب، سما حاء اللفظ التّانى
صدرا للمصراع الأوّل من السب بصعه الفعل.

ومنها التّقسيم وهو بحرته الورن إلى موافق أو مواضع سكك فيها
اللسان، أو يسرح أثناء الأداء الالفائى، (٤) ومن أمثله قول الحراوى فى
المدح : (٥) (من الكامل)

رَوَعْتُ كُلَّ مَرُوعٍ، وَحَفِظْتُ كُلَّ لُفْصِيْعٍ، وَحَمَمْتُ كُلَّ دِمَارٍ

حصل التّقسيم بن حملى " روع كل مرّوع " و " حفظ كل مصّع "،
وساوت الحملان فى عدد الكلمات و أوراها، كما راعى السّاعر التقفه الدّاخلية
فى الحرث.

ومنه قول أبى حفص بن عمر فى المدح : (٦) (من السّسط)

الْعِلْمُ قِيَمَتُهُ، وَالْجِلْمُ شِيَمَتُهُ طَابَتْ أَرْوَمَتُهُ وَالتَّقْسُ وَالْجِمْ

(١) ابن رسي، العمده : ٣/٢.

(٢) ابن عدارى، اللسان المعرب : ٧٧

(٣) المقرئ، أرهار الرّئاص : ٣٦٤/٢

(٤) عبد الله الطّيب المحدود المرشد الى فهم أسعار العرب ٧٧٢/٢

(٥) ابن عدارى، اللسان المعرب :

(٦) المقرئ، أرهار الرّئاص : ٣٦٤ / ٢

فعد ساوى الجزآن في صدر البيت في عدد الكلمات و أوزانها، و حرص السّاعر على توفير الغافية الداخليّة في الأجزاء الثلاثة الأولى من البيت.

و منها حسن التعليل، و مناله قول محمد بن حوس الغاسي معلّلا

سبب طفوّ قائد جونس الأعداء على وجه الماء : (١) (من المفارب)

وَ أَكْسَهُ حَوْفُهُ جِقَّهٗ فَلَوْ حَاصَ فِي النَّخْرِ لَمْ نَعْرِ

و منه قول محمد بن العابد الغاسي معلّل ظهور الحال فوق سفّه

علام، فكّد دهبه و سدّل مجهودا لإيراد معنى عرب لا حلول من طرافه و حدّه : (٢)

(من المسرح)

فَالُوا : سَوَادُ نَدَا مَسْمِيهِ	وَمَا عَهْدُنَا السَّوَادُ فِي الدَّرِّ
فَقُلْتُ : مَا ذَلِكَ بِعَائِيهِ	كُفُّوا فِعْيِي حَيْفَهُ الْعُدْرِ
حَتَّ فُلْبِي رَأْتُ مَعْلَلَهُ	فَأَقْلَبْتُ مِنْ حَوَاجِ الصَّنَدْرِ
وَ ارْتَسَفْتُ حَمْرَ رِجْلِي فَسَرَى	سَوَادُهَا عِنْدَ ذَلِكَ فِي التَّغْرِ
سَمَّ نَوْتُ قَوْفَهُ مُحَنَّنَرَهُ	مَنْ عَاثَهُ كُنْهُ ذَلِكَ الْأَمْرِ

و لم يحل أسعار السّعراء في هذا العصر من بعض الحوالب البلاغة

الأخرى التي وردت بقلته، و من ذلك التوليد، كقول أبي الريح في قصّده

(من الكامل)

مصوره : (٣)

إِنْ فِئْلٌ مِنْ حَزْرٍ الْخَلَائِفِ كُلَّهَا	فَالنَّكَ لَا مَضُورٌ يُومِي الْأَمْعُ

(من الطويل)

فعد ولّده من قول الفرزدق في الهجاء . (٤)

إِذَا فِئْلٌ : أَيْ النَّاسِ سَرَّ قَبْلَهُ ٩	أَسَارَتْ كُلُّنْتُ بِالْأَكْفِ الْأَصَابِعُ

(١) صفوان بن ادرس، راد المسافرين : ٤٨

(٢) اس عبد الملك، الدّيل و التّكملة : ٣٣٦/٨

(٣) ديوانه : ٢١

(٤) الفرزدق، ديوانه : ١ / ٤٢ طبعة دار صادر، سرب ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م

و الملاحظ أنّ أبا الرَّبَّع نعل قول العرردو من معنى فى الهجاء إلى معنى فى المدح.

و منه التلميح و ماله قول أبى حفص بن عمر : (١) (من البسط)

فَسَلِّمُوا وَ احْلَعُوا الْأَرْأَاءَ وَ اسْعُوا حُكْمُ الْإِمَامِ فَمَا فِي الدِّينِ حُكْمٌ

فعول السّاعر " ما فى الدّين بحكم " من أفعال المعرلة المسهورة .

و صغوه القول : لقد عى السّعراء الموحّدون بالصّعة البلاغة فى

أسعارهم و اجهدوا فى إيرادها، فسهم من عمّدوا الإكثار منها، و أعملوا جهدهم

فى بصّتها و حسرّها فى أسعارهم، فأدّى ذلك فى بعض الأحيان إلى ضعف

السّعر و إسفافه، فى حين رأينا بعضهم الآخر أوردوها فى أسعارهم بكلّ معدل

فجاء مفعوله أكسب السّعر حمالا و أنّه، و وفرت لأناسهم موسقى حملــــه،

و إيفاء طرفا حتّده الأدن و بسّسه.

الاقتباس

الاقتباس هو صمم الترو الشعر سئنا من القرآن الكريم أو الحديث الشريف من غير إشاره إلى آتة مهما (١)

و قد عُرف الاقتباس عند الشعراء العرب منذ القدم، فكأنوا يعرضون من آتات القرآن و كلام التى كنرا من الحمل و صمّوتوها أسعارهم و لا سما الرّهده منها.

و لم يعصر الشعراء الموحّدون اقتباسهم على شعر الرّهده، بل عدّوه التى بعه الأعراس و الموضوعات، فافنسوا فى المدح، كما اقتبسوا فى شعر الحرب و العزل والخمره أنصا.

و بدّل سوع الاقتباس عند شعراء هذا العصر على عمق فافنسهم الدّستّه و نمّلهم لآتات القرآن و أحاديب التى.

و لاحظ الباحث سوع طرق الاقتباس القرآنى عند الشعراء المعارفة فى هذا العهد، فمهم من لحا إلى الاقتباس الحرفى فعمد إلى صمم شعره آتة قرآتّه أو بعض آتة رعبه منه فى إباح صورته و دعمها كقول ألى الرّبع الموحّدى سكو صدّ حسبه و حفاءها : (٢)

فَلِمَنْ أَسْكُو فَقَدْ صَاقَ دُرْعِي * حَسْبِيَ اللَّهُ وَ يَغْمُ الْوَكِيلُ
إِنْ كُنْ وَضِلْتُ فَنَعْمَى لِعَيْنَيْنِ * أَوْ كُنْ هَخْرُ * فَصَنُرْ حَمِيلُ

فقد اقتبس الشاعر فى سبه الأوّل قوله تعالى ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ وَ يَغْمُ الْوَكِيلُ﴾ (٣) و فى السب الباقى قوله تعالى ﴿فَصَنُرْ حَمِيلُ وَ اللَّهُ الْمُسْعَانُ﴾ (٤). و لحا الشاعر إلى الاقتباس لصور مقدار صبغه من صدّ حسبه و هجرها فلم يحد وسله للعرى و التّصّر ألع من قوله تعالى ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ وَ يَغْمُ الْوَكِيلُ﴾، و قوله (فَصَنُرْ حَمِيلُ).

و من الاقتباس الحرفى قوله فى وصف لون الحمرة : (٥)

(١) انظر مثلا اسام مرهون الصّقار، أثر القرآن فى الأدب العربى، عداد ١٩٧٤م

(٢) ديوانه : ٦٤

(٣) آل عمران . ١٧٣

(٤) يوسف ١٨ .

(٥) ديوانه ٦٨

أُثِرْلَاهَا دُرَّةً كَالسَّلَالِي وَ ارْفَعَاهَا * وَزُدَّهُ كَالدَّهَانِ *

لحاً الشاعر الى افساس فوله تعالى * فَكَانَتْ وَزُدَّهُ كَالدَّهَانِ * (١) لصوير
لون الحمرة

و بلحاً بعض الشعراء إلى الافساس بالمعنى، فأحدون معنى الآله
و صمّوه في أسعارهم دون أن يلزموا حرفته الآله، كقول ميمون بن حنّاه في
معرض الرّثاء : (٢)

أَرْحَهُ الصَّغُورُ نَوْمَ النَّحْرِ فِي الصُّورِ أَمْ دَكَّهُ الطُّودُ نَوْمَ الصَّغُورِ فِي الطُّورِ

أراد الشاعر أن يصوّر فداحه الحطب الذى أصاب الكون من حرّاء موب
المرسى، ففرسه بأحداث نوم العمامه و اسعان فوله تعالى : * وَ يُجَحِّ فِي الصُّورِ
فُصُوعُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ * (٣) و فوله تعالى : * فَلَمَّا حَلَّى رُتْنَهُ
لِلْحَلِّلِ حَعْلَهُ دَكًّا وَ حَرَّ مُوسَى صَعِفًا * (٤).

و منه قول أبى حفص بن عمر في معرض المدح : (٥) (من السسط)

حُدَّ كَأْسٌ لَفْطِي بِهَافًا مِنْ مَدَائِجِهِ فِيهَا الْحَفَائِقُ لَا لَعُوَ وَ سَائِسُمُ

فعى السب افساسا، الأوّل من فوله تعالى : * وَ كَأْسًا بِهَافًا * (٦)، والثاني
من فوله : * ... كَأْسًا لَا لَعُوَ فِيهَا وَ لَا سَائِسُمُ * (٧)

و يلاحظ أنّ الشعراء كانوا في أكثر الأحيان يفسسون أواخر الآيات
و جعلوها قوافي لأسانهم ليكون "أسرها أقوى في الصوص، اد بها حجم الآيات
في القرآن، و هى آخر ما سقى عالفا بالدهن، و كذلك هى فى الشعر عندما يعمد
كعواف فيكون آخر ما يسمع من الآيات " (٨)

(١) الرّحمن: ٣٧

(٢) المقرئ ، أرهار الرّثاء ٣٨ / ٢٠

(٣) الرّمز : ٦٨

(٤) الأعراف ١٤٣

(٥) المقرئ ، أرهار الرّثاء : ٣٦٤ / ٢

(٦) التّأ : ٣٤.

(٧) الطّور : ٦٢

(٨) محمد محار العبدى ، الحركة الأدبيّة بإفريقيه فى عهد سى الأعلب : ٢٤٨

أما الاقتباس من الحديث أو ما سَمِيَ بعقد الحديث، فظهر جلياً في شعر هذا العصر، و بعلب على اقتباساتهم الاقتباس بالمعنى، و بقلّ عندهم الاقتباس الحرفى. فمن ذلك قول الحرّاوى في معرض المدح مقننسا معنى الحديث الشريف "نُصِرْتُ بالرُّعْبِ" (١)

(من البسيط)

غَزَاهُمْ الرُّعْبُ فِي جَيْشٍ يَلَا لَحِبٍ فَأُحْجَمُوا مِنْ وَرَاءِ الدَّرْبِ وَ انْقَمَعُوا (٢)

و قول أبى حفص بن عمر . (٣)

(من الكامل)

أُخَوَانِ إِمَّا حِكْمُهُ أَوْ مُزْهَفٌ هَدَى تَمَانِيَهُ وَ دَاكَ نَمَانِ

ف فكرة البيت مأخوذة من الحديث الشريف " الإيمانُ يمانٌ وَ الحِكْمَةُ تمانيةٌ " (٤)

و منه أيضا قول أبى الربيع الموحّدى فى إحدى زهدياته : (٥) (من السريع)

بَا مَنْ غَدَا مُؤَمَّأً فِي سِرْبِهِ تَعَجَّبُهُ الْأَمَالُ مُقْتَرَأً بِهِ

نظر الشاعر إلى الحديث الشريف " من أصبح منكم آمنا في سربه معافى فى

حسده عنده قوت يومه ، فكانت ما حيزت له الدنيا بحذافيرها " (٦)

و نستطيع القول : إنّ الاقتباس القرآنى و الحديثى أدبا وظيفية فى إيضاح

المعانى، و جلاء الأفكار التى كان يوردها الشعراء فى أشعارهم .

(١) البخارى الصحيح، ١/ ٨٦ : كتاب التَّحْمِيمِ، الباب الأوّل والدارمى، السّنن: ١/ ٢٢٢ و

٣٢٣ كتاب الصّلاه، باب الأرض كلها ظهور ما حلا المقصورة

و الحمام و غيرهم .

(٢) ابن عذارى، السان المعرب : ٢٩ .

(٣) صفوان بن إدريس، زاد المسافر . ١٤٣

(٤) البخارى، الصحيح؛ ٤/ ١٥٤، كتاب المواقف - مسلم، الصحيح : ١/ ٧١

كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه، و رجاء أهل اليمين فيه . رقم

(٢) . و غيرهم .

(٥) ديوانه : ١٥٥

(٦) أورد هذا الحديث البخارى فى الأدب المفرد رقم ٣٠٠ .

التّضمين

و هو أن يفوم السّاعر بضمّين سعره سنّاً من عـره أو حرّاً مه لساعر
سفه، أو ملاً من الأمال، بعه يفويه معاه أو وضح الصّوره البى أرادها.
وساع التّضمين عند سعراء هذا العصر، فصّموا أسعارهم ألباناً لسعراء
جاهلس وإسلامس وكاب فى محلها من الألباب السّوائر.

فم بضمين السّعر الحاهلى قول أبى الرّبيع ربى أحاه (١) (من الطويل)
يَحْتَبُ سَدَا الْكِثْدَى فَبَلَّكَ الْفَهْ " أَحَارَتْنَا إِنْ الْخُطُوبُ نُوتُ " (٢)
فعد أسار السّاعر فى سه إلى امرىء العس، وضمّ صدر مطلع فضده
حاطب بها فمر امراه عربه فى حل عسب الدى مات عده .

ومنه قول أبى حفص بن عمر فى فضده مدحّه : (٣) (من السط)
مَا عُلِفُوا لَوْ رَأَوْا هَذَا " فَعَا " وَ " أَلَا هَتَّى " وَلَوْ حَاءَهُمْ حُخْرُ وَ كَلُومُ " (٤)
إِدَا لَفَالُ لِرَاوِيهِ عُلْبَفَمَهْ : " هَلْ مَا عَلِمْتَ وَمَا سُوِدِعْتَ مَكُومُ " (٥)

ضمّ السّاعر فى سه الأوّل كلمه " فعَا " وهى من مطلع معلقه امرىء العس
وكلمى " أَلَا هَتَّى " وهما من مطلع معلقه عمرو بن كلثوم، سيما ضمّ فى الب
التّابى صدر مطلع قصده مسهوره لعلفه الفحل.

وكان للمستى من السّعراء العتاسّين حظّ كبير من بضميات السّعراء، وقد
أسرا سابقاً إلى أنّ السّعراء المعاره والأدلسّين أتروا كبرا بأبى مقام والمستى
فطموا على موال فصائدهم، وضمّوا عصا من أسعارهم، من ذلك قول أبى ربد
عد الرّحمس بن عد الواحد : (٦) (من الطويل)

(١) دوايه : ٤١

(٢) صدر رب عره : " وَ إِبَى مُعَمِّ مَا أَقَامَ عَسَتْ " .

(٣) المقرئ : أرهار الرّباب : ٣٦٤/٢

(٤) حر هو أبى السّاعر امرىء العس ، وكلثوم أبى السّاعر عمرو بن كلثوم .

(٥) صدر رب عره " أَمْ حَلَّهَا إِذْ نَأَكَ النَّوْمُ مَقْرُومُ " .

(٦) ابن الأثير، الحله السّراء : ٢٨١/٢

وْ إِنْ لَاحَ مِنْ وَجْهِ الزَّمَانِ نَحْمُ " فَوْحُكَ وَصَاحُ وَغُرْكَ نَاسِمُ " (١)

و قد أفلح الشاعر فى صممه أى إفلاح لأته أسعربا بالاتصال بين صدر السب وعمره • و صمى أبو الرّسع عمر سب مسهور للمستى فعال مادحا : (٢) (من السط)

فَلَمَّا سُرِّجِمُ عَنْ إِحْلَاصِ حُكْمِ " إِذَا سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ فُذٌ سَلِمُوا " (٣)

و ربّما لحأ بعض السّعراء إلى صمى سب بتمامه فى قصده كقول ميمون اس حنّاره فى قصده السوّيه : (٤) (من الطويل)

وَقَدْ نُهَجِرُ الْمُخَوِّتِ فِي حَالِهِ الرِّمََا وَ أُنَى الْهَوَى أَلَا تُصَدِّقُ وَأَسْأَا
« وَ عَنُّ الرِّمََا عَنْ كُلِّ عَنَبٍ كَلِيلَةُ وَ لَكِنَّ عَنُّ السُّحُطِ تُدْبِى الْمَسَاوِيَا " (٥)

فالشاعر صمى قصده سباً للشاعر عبد الله بن معاوية و هو من الأنياب السّوائر، و عدّ اس رسوق هذا النوع من الصمى حدّاً لأته لم يكن بين السب الأول و الآخر واسطه . (٦)

و من صمى الأنياب الكامله قول أبى الرّسع فى معرض الرّاء : (٧) (من الطويل)

فَقُلْتُ وَ أَخْفَايَ نَحْوُ بِمَائِهِمَا أُمَالِي فِي قَوْلِ الْعُقَلِيِّ مِنْ مُدْرِ
" فَمَا سَقَى عُنَايَ مِنْ دَائِمِ الْكَا عَلَّهَا وَ لَوْ أَنَّى كَبْتُ إِلَى الْحَسْرِ " (٨)
و قد أعان السب المصمى الشاعر على تصوير مقدار الحرى الذى عصف به .

و لم يكن السّعراء يصمى السّعر، بل لحووا إلى الأموال، و اسعاروا بعضها فى أسعارهم، بوصفها نبي حاهره فادره على خلق إحياء اب داب مدلولات حاصه فى نفس الملقى، و دعم الفكره التى برىد الشاعر إصالها له .

فمن صمى الأموال قول الشاعر أبى العتّاس الحرّاوى صف هروب حسود

(١) عمر السب ، صدره : " مَرُّكَ الْأَنْطَالُ كَلِمَى هَرِمَةٍ " .

(٢) ديوانه : ٣٧

(٣) عمر سب صدره : " وَ مَا أَحْضَكَ فِي نُرٍّ بِهَيْئِهِ " .

(٤) المقرئ ، أرهار الرّصاص . ٣٨٤/٢ - ٣٨٥

(٥) السب لعبد الله بن معاوية فى مقطوعه له فى الكامل للمرّد : ١/١٢٢

(٦) اس رسوق ، العمده ٨٥/٢

(٧) ديوانه : ٤٨

(٨) أراد الفحيف العفلى الموقى فى العقد التّال من القرن التّالى، و السب من مقطوعه فالحا فى رباء صديق له صلب .

الأعداء من أرض المعركة : (١)

وَتَفَرَّقَتْ أُنْدَى سَنَا أَشْأَعُهُ لَا تَعْرِفُونَ مِنَ السَّيْطَةِ مُؤْتِيلاً (٢)

و يقول عيسى بن عمران مصمّنا الممل نفسه بوصى أحد أسائه و عطفه لأحد

العبره من مصر الأمم السّالفة : (٣)

وَلَكُمْ رَأْيَا الْفَاطِمِينَ بِحَاهِهِمْ وَبِمَالِهِمْ فَذُمَّرَقُوا أُنْدَى سَنَا

و يقول اس ختاره في المهدي بن سومر . (٤)

فَأَسْرَحَسُوا فِي إِرْبَعَاءٍ "نُغِي بِمَحَالِهِ سَحَا عَلَى مَوَالِهَا (٥)

صمّ الشاعر الممل "أَسْرَحَسُوا فِي إِرْبَعَاءٍ" بعبرا عن سكهما حاء به المهدي

و بعرضا بدعوه .

و سسطع القول إنّ التّصمّن دليل على عفاة السّاعر، و محاوله مسه

لحويد سعره و مضارعه أعلام السّعاء في المسروق، وهو شكل من أشكال سروح

التّعافه الوافده من المسروق عن طريق العباره السّعره الحديده .

وليس عبا أن صمّن السّاعر أسعار من سعفه، و أمال العرب التي تمّتل

خلاصه بحارهم التي لخصوها في حمل مفنصه، بعد صمّنها بعوفه المعنى و حلق

إحباء بخدم السّاعر في توصح ما يريد .

(١) محمد القاسي، ساعر الخلافه الموحديه، الملحق ٨

(٢) في الممل : تفرّقوا أُنْدَى سنا، أي تفرّقاً لا اجماع بعده .

(٣) اس عند الملك، الدّئل و التّكملة : ٢٥٥/٨ .

(٤) المقرئ، أرهارالزّصاص ٣٧٩/٢٠ .

(٥) في الممل : سّرّ حسوا في إربعاء " و بضرب لمن يطهر أمرا و يرد عره .

٤٠

الملاحقة

الخاتمة

إنّ هذا الحب كغيره من الحوب يدور فى نطاق معتن من الرّمان
و المكان، حدوده فى الرّمن عهد الموحّدين، و إيطاره المكانيّ المغرب الأدينى
و الأوسط و الأقصى.

و قسمنا الحب إلى قسمين، حصصا الأوّل للسّعاء و أسعارهم، و التّانى
لموضوعات السّعر و معانيه .

و حاولنا فى القسم الأوّل حصر السّعاء المعاربه الدّس عاسوا فى طلل
دوله الموحّدين، أو أنفقوا سوطا مهمّا من حياهم فيها، فكان عددهم واحدا و مائى
ساعرا ما سن مكر و مقلّ. و لاحظنا أنّ قسما كبيرا منهم كانوا من المسعّلين
بالعلوم المحلّفه كالآدب و اللّغه و التّاريخ و الفقه و الحديث، و كان السّعر
بعض اهتمامهم بقولونه فى ماسات مفرّقه .

و قسما فى هذا القسم من الأطروحه محاوله حلاء سخصّه هؤلاء
السّعاء الدّس كان أكثرهم مطوّتا، فسرا ما سار فى بطون الكتب المحلّفه
من أحبارهم و أسعارهم، و صمما بعضها إلى بعض محاولى برسم ما أمكن برسمه
من ملامح هؤلاء السّعاء، ثمّ برحما لكلّ شاعر برحمه محصره دون إحلال " بكفك
من الفلاده ما أحاط بالعنق " ، و حصرنا أسعارهم و دللنا عليها فى مواضعها
من المطانّ المحلّفه، و فى حال كون الشّاعر مكررا صعبا حداول لبحرخ السّعر
و للإعاهه على تحليله و فهمه، ثمّ دللنا كلّ برحمه بقائمه بلبوعرافّه بحلّ على
مواضع برحمه كلّ شاعر و أحباره و أسعاره بعبى الباحثى على التّعمق فى دراسه
هذه المادّه .

أمّا القسم التّانى من الأطروحه فخصّصناه لموضوعات السّعر و معانيه،
و قد لاحظنا على المدوّسه السّعرّه التى جمعناها كبره الاضطراب و الحلل و التّحريف،
حتىّ تلك التى وردت فى الكتب المحقّقه، فكانت مهمّنا فى الاسسهاد بها عسره
ما ظلّت متّاحهدا مصاعفا، بل مصا فى بعض الأحيان فى تحقيق التّصوص
وسطها للبتّنى من اسخدامها فى دراسه الموضوعات.

و بعد أن جمعنا السّعر مصصا إلى سوبيه وفق موضوعاته، فلف نظرا
كسره الشّعر في موضوعات دون غيرها، و احتصاص بعض السّعراء بالتّظم في
موضوعات محدّده بما جعل الاسسهاد بأسعارهم أكبر من غيرهم .

و فسمّا هذا الجزء من الأطروحه إلى فصول رتباها حسب أهمّته
المادّه و كبرها، فعقدنا الفصل الأوّل لسعر المدح، و اسهبنا إلى أنّ قصيده المدح
اتّجهت أساسا إلى طيفه أهل الحكم، و ممتّرت مناسبات قولها بافرائها باصنار
الحوس الموحّدته على مختلف الجهات، فقد فتح ذلك أمام السّعراء محال القول
على مصراعته .

و بدا لنا أن المدحه الموحّدته قد حلّت - في الأغلب - عن المنهج
القديم، و إن حافظت على الطّول لتّسع المحال في نفس المعاي.

أمّا من جهة المعاي فإنّ هذا السّعر قد مّتر باصراف أصحابه
إلى خدمه الدّعوه الموحّدته، و بتّ عالمتها باعماد مطومه المعاي الدّستّه
كالتّقوى و التّهاد و العادل.

و يكامل في هذا المحال سعر المدح و ما حاء في تحليلنا لسعر الحرب
صمن الفصل التّاي.

و خلصا في هذا المصنار إلى أنّ حاسا من سعر الحرب متل إسهام
السّعراء الموحّدس في الصّراع الإسلامى - الفرحى، و محه لوبا ممتّرا نظرا
إلى الموقع الجغرافى الذى شهد مواجهه مسلمى المغرب لفرجه إسانا،
و كان في حوايت مه " صالتا " و في حوايت أخرى بصورتا يوسفّا.

و لف اساهبا اسعلال سعراء هذا العهد لجمع أسكال القصده في
المدح التّوى، و إلماهم مختلف معاي هذا المدح، و لعلّ جمع هذا السّعر
بدعم مدوّته هذا المدح المرامته أطرافها في التّراب العربى الإسلامى.

أمّا التّهد فكانت معانيه و أفكاره مسمّده من القرآن و الحديث
فكر عند السّعراء الموحّدس التّهد في الدّبا، و الإكثار من ذكر الموب و يوم
القامه، و الدّعوه إلى التّهد و فام التّلل، و اتّسحت أسعارهم بوساح حرس
قوامه التّدم و الاسعفار، و حلّت فيه العاطفه الدّستّه في أقوى صورها.

أما التّصوّف فكانت نصوصه قلبه نسيباً جلّها في الحثّ الإلهي،
ولاحظنا أنّ السّعراء اسمدّوا أفكارهم ومعانيهم من سعر العرل، ونقلوها
إلى عرص التّصوّف مسعملين الرّمز في عبرهم عمّا أحسّوا، و اسعوا بألفاظ
و معان صوفيّة داب دلالات خاصّة .

أما العرل فقد ربح في سعر الموحّدين مطه العف، إلّا أنّهم
لم سحاوروا الفدامي إن في المعاني وإن في الأساليب.

و قد لعب اساهبا سدره سعر الرّناء فيما وصل إلينا من أسعار على
منزلة هذا العرص من السّعر العربيّ، و على حدّته السّعر الموحّديّ، و على قولهم
في أعراض ممكّن أن يكملها الرّناء كالمدح سلا، و ربّما عبرو ذلك إلى أنّ
السّعر الذي اسهى إلينا لا ممثّل حقّه المدوّه !

و إنّ هذا الاحتلال في التّوارس من الأعراض من حب ممثّلها للسّعر
ينطبق كذلك على سعر الحمرة، إذ عدم مدوّه هذا السّعر فصائد في الحمرة
ما حلا حمسا و سعى سببا للأمر أى الرّبع الموحّديّ كان فيها عاله على ساعفه .
أما الهعاء فقد طرفه سعراء الموحّدين فألمّوا بموضوعاته الفرعيّة
كهعاء الأفراد و الجماعات و المدن، إلّا أنّ هعاء الأفراد ظلّ المحي الممّتر لهذا
العرص من حب القسم و الحصائص الفتيّة .

و قد لاحظنا أنّ سعر الوصف سقّه الطّبعيّ و الصّاعى لم حالّف
سائر سعر الوصف عند المسارقه و الأندلسيّين على خصوصيّة البثّه المعريّة من
حب المعمار خاصّة .

و لم يهمل السّعر التّعليميّ على صحالنه الفتيّة إذ أنّه عصر ساعدا
على اسكمال صورته الحياه التّقافيّة في ذلك العهد، كما اهممّا في نفس المسوى
سعر الألعار و هو كذلك مطهر من مظاهر التّسّاط اللّغويّ، و العلاقات الاحمائيّة
داب الصّبيّة التّقافيّة، سألّه في ذلك سأن الرّسائل الإحوائيّة السّعريّة التي
كانت جمع من صور الحياه التّوميّة و مساعل الخاصّة المتّقه، و هي بذلك بعدّ
حرءا من الحياه الأدبيّة .

و حصصنا الفصل الآخر لدراسه هذا السّعر من التّواحي الفنّه، فخلصنا إلى أنّ السّعر الموحّد الذي وصل إلينا عالمة عليه القطع و السّف، ولكنّ هذه الملاحظه لا معنى أنّ سعراء هذا العهد كانوا فصريّ التّفّس لأنّ عددا وافرا من القطع محاربات احتت من فصائد طوال متلب أدواق محاربها، و خدمت أعراسهم في الاسسهاد على ما أرادوا، و هذا بدعم رأيا في مهمّه تاريخ الأدب و ذلك أنّه بطلّ - مهما ادّعى الإلمام بالتّصوّص - فاصرا دون سبل العصر المعنى.

أمّا فيما يتعلق بأوران السّعر فإنّنا لاحظنا سلا واصحا إلى ركوب الحور داب التّفّس الطّويل، و لكنّ بعض السّعراء سمّروا بالنظم على الرّحر المردوح فحرّروا من فد العافه و ممكّوا من إطاله الأراحير إذ حاور بعضها ألفا و سب مئه سب.

و حلب العوافي - أو كاد - من العوافي التّقر و حاء مطلقه، و إن كان بعض السّعراء أحدوا أنفسهم بلروم ما لا يلزم.

و قد نفاسم لعه السّعر سحلاّن كسرا طبعاً فصائد العهد الموحّد، أوّلهما السّحلّ الدّنى و هو سائر الصّعه الحدّه التي لاحظناها من سبل و خاصّه في السّعر الدّنى، و لكنّ صورته الممدوح الدّنىه فرصت على هؤلاء السّعراء اسخدام مصطلحات العفده و المذهب، فدّكّرنا بمدح من هذا السّعر سعر المداهب في المسروق، و أمّا السّحلّ التّاني فهو حماسيّ كسرت فيه ألفاظ الحرب و أسماء أدوابها فساعدت هذه اللّغه سعر الحرب على أداء الوظيفه التّوصيفيه التي كّنا ذكرناها.

و انتهينا في دراسه الحواش البلاغيّه إلى أنّ الصّوره الفنّه عند هؤلاء السّعراء لا تحلف - من جهة استعمال الأساليب - عمّا عليه الصّوره الفنّه لسعر العصور السّابقه، و ذلك أنّ التّسبيه له موقع الصّداره و كذلك المحار، في حين لم يحفل السّعراء باستعمال الكنايه و سائر الأساليب إلّا في مواضع محدوده. على أنّ أساليب البدع قد بدا فيها اسخدام الافساس واصحا، و سيّما القرآن الكريم المحلّ الأوّل، و هو حدم الموضوعات الحدّه كالمدح و السّعر المذهب و السّعر الدّنى و بدلّ على سبل السّعراء للتّصّ الفرائي، و على إحدي وطائف السّعر و هي العلّم، و لم يحل أسعارهم كذلك من سبل للحدث السّريف و للأعمال العربيه القدمه.

و بعد،

فإنّ هذا الحب في تاريخ الأدب حاول أن يستعره في تاريخ الأدب العربي القديم، ولعلّه أدرك بعض ما كان يروم. وقد طلبت هذه الحلقة في تاريخ الأدب العربي بالمعرب مفعوده ليست جهود الباحث، ولصعوبة جمع المدوّنة المسبوقة في بطون الكتب المطبوعة والمخطوطة، وعسى أن يكون هذا العمل قد أخرج للناس أهمّ التّماذج السّعرية التي تمثّل هذه الحقبة من التاريخ العربي الإسلامي.

ولا تدعى أنّ التّصوص السّعرية التي أدرجها سعت من نفوسها للسّعر العربي عامه، ولكنّ هذا الحب سحب لقاعده علمه نابه ممثّل في أنّ تاريخ الأدب لا يسعّم علما ومهجا ما لم يلمّ بجمع العناصر التي يكون حلقاه ولا عى له عن واحده منها.

وفي الحام يقول: أنّ هذا العمل ليس سوى إطار صمّم للباحث حلّ أدوات الحب الأولى من حب المراجع، ومساكن التّصوص، وبدونه لا يمكن للتّقد الأدبي أن يخلص إلى نتائج جامعة في خصوص هذا السّعر، ويطرّ أتنا وصعبا لأنفسنا وللباحث المطلقات الوائقة التي تسمح بمواصله التّعمّق في هذا الميدان.

وإنّ الآمال التي أنطأها هذا العمل لم يحمّد كلّها، فإن لم سلم بعضها من العصور فما كلّ ما يمّى المرء...

٢- المخطوطات

- * اللوى، أبو العاسم : أحمد بن محمد (ب ٦٥٧ هـ / ١٢٥٩ م)
- العطاء الحريل فى كشف غطاء الترسى، صوره عن مخطوط الخزانة الحسينية بالرباط رقم
٦١٤٨ .
- * بو حيدار، محمد بن مصطفى (ب ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٦ م)
- الاعباط سراحم أعلام الرباط، صوره عن مخطوط الحراة العامة بالرباط رقم ١٣٨٧ د .
- * الباسى، أبو الحجاج يوسف بن محمد (ب ٦٥٣ هـ / ١٢٥٥ م).
- الحماسة الباسية، صوره عن مخطوط الحراة العامة بالرباط ملك الأسان حسن
دياب العلى.
- * البادلى، يوسف بن بحبى (ب ٦٢٧ هـ / ١٢٣٣ م).
- رساله فى فضائل السّح أحمد بن جعفر الحرر حى السّى، مخطوط المكبة الوطنية سوس رقم
١٨٥٥٣ .
- * التّحاشى، عبد الله بن محمد (ب ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م).
- حقه العروس و معه النفوس، مخطوط المكبة الوطنية سوس رقم ١٨٣٨٢
- * التّلمسانى، إبراهيم بن أبى بكر (ب ٦٩٩ هـ / ١٣٠٠ م).
- الأرحوره التّلمسانية، مخطوط مكبة الأسد الوطنية بدمشق رقم ٦٧٨ ع
- * التّسكى، أحمد سالى (ب ١٠٣٦ هـ / ١٦٢٧ م).
- كفاة المحاج لمعرفة من لى فى التّساح، مخطوط المكبة الوطنية سوس رقم ١٤٨٩٧
- * ابن الخطيب، لسان الدّين (ب ٧٧٦ هـ / ١٣٧٥ م)
- الإحاطة فى أحوار عرناطة (الحرء الثّالث) مخطوط المكبة الوطنية سوس رقم ٨١٣٦
- السّحر و السّعر، مخطوط المكبة الوطنية سوس رقم ٢٢٩٨
- * ابن حمس و ابن عسكر
- أعلام مالعه، صوره عن مخطوط الحراة الحسنية بالرباط رقم ١١٠٥٥ ملك الأساد
حسن دياب العلى.
- * ابن رُسيد الفهرى، محمد بن عمر (ب ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م)
- ملء العبه بما جمع بطول الغنيه (رحلة ابن رشيد) صوره عن مخطوط الإسكوريال لدى.
- * ابن الطّوّاج، عبد الواحد بن محمد (كان حيا سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م)
- سك المعال و فكّ العفال، صوره عن مخطوط الحراة العامة بالرباط، ملك الأسان
جمال بن حمادة.

* العمرى، اس فصل اللّٰه، سهاب الدّٰس أحمد (ب ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م).
- مسالك الأنصار فى ممالك الأمصار (الحرء السّاع) مخطوط المكسه الوطنيه سوس
رقم ٦٧٧٨ .

* اس لىون التّحسى، سعد س أحمد (ب ٧٥٠ هـ / ١٣٥٠ م).
- لمح السّحر من روح السّعر، صوره عن مخطوط الحرايه العامه الرّباط رقم ١٠٣٣
ملك الأسد حسن دىاب العلى.

* مجهول
- كتّاس أدبى مخطوط بالمكسه الوطنيه سوس رقم ١٨٤٥٨ .
* المقرى، سهاب الدّٰس أحمد س محمّد، (ب ١٤١ هـ / ١٦٣١ م)
- كتّاس المقرى، مخطوط المكسه الوطنيه سوس رقم ١٨٣٢٧
* اس الماصف، محمّد (ب ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م).
- أرجوره السّره السّوّه، مخطوط المكسه الوطنيه سوس رقم : ٢٣٤

* الماعى، محمد (ب ١٢٤٧ هـ / ١٨٣١ م).
- كتّاس المّاعى، مخطوط المكسه الوطنيه سوس رقم ١٦٥٨٩ .

ب - الرسائل الجامعية المرقونة

- * الباشا، مهحه
- رناء المدن و الممالك الأندلسية، رساله دكتوراه بكلية الآداب جامعة دمشق ١٩٨٩م.
- * سلطاني، الحبلاني
- اتجاهات الشعر في عهد المرابطين، رسالة ماجستير بكلية الآداب، جامعة دمشق ١٩٨٧م.
- * سبيحة، حمعه
- الفســــــــــــن و الحروب و أثرها في الشعر الأندلسي، رساله دكتوراه بكلية الآداب، جامعة تونس: ١٩٨٧م.
- * العبيدي، محمد مختار
- الحركة الأدبية الأفرغية في عهد بني الأغلب، رساله دكتوراه بكلية الآداب، جامعة تونس ١٩٩٢م
- * كردي، علي
- رحلة العبدري، تحقيق و دراسة، رساله ماجستير بكلية الآداب، جامعة دمشق ١٩٨٩م.
- * محمد، محمود سالم
- المدائح النبوية في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه بكلية الآداب، جامعة دمشق ١٩٩٠م.
- * هني، عبد الفادر
- اتجاهات الشعر الأندلسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رسالة ماجستير بكلية الآداب، جامعة دمشق: ١٩٨٤م.

٢ - المطبوعات

- القرآن الكريم

الهمـهـره

* اس الآثار، محمّد بن عبد الله (ب ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م)

- إعاب الكتاب، بح صالح الأشنر، ط مجمع اللغة العربيه، دمشق ١٩٦١ م .

- نحفه القادم، أعاد بناءه إحسان عتّاس، ط دار العرب الإسلامى، بيروت ١٩٨٦ م .

- التكملة لكتاب الصّلة، ط مدرّد ١٨٨٦ م - ١٨٨٧ م . (١)

التكملة لكتاب الصّلة نشر عرب الطّاهر الحسى الفاهره ١٩٥٥ م

التكملة لكتاب الصّلة، تح ألفرد بل و محمد بن أبى شب، المطبعة الشّرقية، الجرائر ١٩١٩ م .

- الحلة السّراء، نج حسيب مؤنس، دار المعارف، الفاهره ١٩٨٥ م .

- ديوان اس الآثار، تح عبد السلام الهّراس، الدّار التّوسّته للتّسر، نوس ١٩٨٥ م

- المفصّل من نحفه القادم، انجبه أبو إسحاق البلقى، نج إبراهيم الأبارى، دار الكتاب اللّسانى، سروب ١٩٨٣ م

* اس إبراهيم المراكسى، العتّاس، كان حتّا سنة ١٩٤٠ م .

- الإعلام من حلّ مراكش و أعمام من الإعلام، بح عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكيّة، الرّباط ١٩٧٠ م وما بعد .

* إبراهيم، محمود

- صدى العزو الصّلى فى شعر اس الفسرايى، المكتب الإسلامى و مكتبة الأقصى، عمّان د.ت .

* الأبوردى، محمد بن أحمد (ت ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م)

- ديوان الأبوردى، تح عمر الأسعد، مؤسّسة الرّسالة، بيروت ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م

* اس الأنبر عزّالدّس، علي بن محمّد (ب ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م)

- الكامل فى السّارج، دار صادر و دار سروب، بيروت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م

* اس الأسر الموصلى، نصر الله بن محمّد (ب ٦٣٧ هـ / ١٢٤٠ م) .

- المنل السّائر فى أدب الكات و السّاعر، بح محمّد محى الدّين عبد الحميد، طالبابى الحلّى،

الفاهره ١٣٥٨ هـ - ١٣٣٩ م

* اس إدريس التّحبى، صفوان (ب ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢ م)

- راد المسافر و عرّه محبّا الأدب السّافر، بح عبد العادر محداد، دار الرّائد العربى، سروب ١٩٨٠ م .

* أشباخ، يوسف

- ناربخ الأندلس فى عهد المرابطين و الموحّدين، ترجمة عبد الله عنان، مكتبة الخانصى، الفاهرة ١٩٥٨ م

* الأصفهائى، أبو الفرج على بن الحسى (ب ٣٥٦ هـ / ٩٦٧ م)

- الأغاسى، ط مصوّره عن طبعة دار الكتب، الفاهرة ١٩٤٥ م .

(١) عند اسخدام طبعة مدرّد و ضعاً رفق التّرحمه، و أحلّا فى طبعة الفاهره على الحرء و الصفحة، و نصصا عند اسخدام طبعة الحرائر على ذلك.

- * الأصفهاني، العماد (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م)
- حريده القصر و حريده العصر، قسم شعراء المغرب، بح محمد المرروفي و محمد العروسي المطوي و الحلايبي س الحاج يحيى، الدار التوسّية للتسّر، بوس ١٩٨٦ م
* اس أبى أصبعه، أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨ هـ / ١٢٧٠ م)
- عبون الأنساء فى طبقات الأطباء، بح ررار رضا، دار مكبه الحياه، بيروت ١٩٦٥ م.
* أمارى، محائبيل (ت ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩ م)
- المكنه العربيه الصّفليه، لسرع ١٨٥٧ م
* أيس، إبراهيم
- موسفا السّعر، مكبه الأنخلو المصرّيه، القاهره د.ب
* الأوسى، حكمه على
- الأدب الأندلسى فى عصر الموحّدين، مكبه الحاحى، القاهره ١٩٧٦ م

الباء

- * بالشبا، آخل حشالت (ت ١٣٦٩ هـ / ١٩٤٩ م)
- ناربح الفكر الأندلسى، ترجمه حسن مؤنس، مكتة النهضة المصرية، القاهره ١٩٥٥ م.
* البخارى، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م)
- صحبح البخارى، نح مصطفى السّفا، مطبعه الهندى، دمشق، د.ب.
* ابن برد، سار (ت ١٦٧ هـ / ٧٨٤ م)
- دبوان سّار بن برد، تح محمد الطّاهر بن عاشور، القاهره ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م
* بروكلمان، كارل (ت ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م)
- ناربح الأدب العربى، رجمة السّيد يعقوب بكر و رمضان عبد التّوّاب، دار المعارف، القاهره ١٩٧٧ م.
* اس شكوال، حلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨ هـ / ١١٨٣ م)
- الصّله فى ناربح أئمة اللّعه و علمائهم و محدّثهم، الدار المصرّيه للنّاليف و التسّر، القاهره ١٩٦٦ م.
* البعدادى، إسماعيل ناسا (ت ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م)
- إصباح المكون فى الدّبل على كشف الطّنون، وكالة المعارف، إساسول ١٩٦٤ هـ - ١٩٤٥ م.
- هدنه العارفن، وكالة المعارف، إساسول ١٩٥١ م.
* بّگار، يوسف حسبى
- أنجاهات العرل فى القرن التّالى الهجرى ، دار المعارف، القاهره ١٩٧١ م
- بناء القصد فى التّقد العربى القديم فى ضوء التّقد الحديث، دار الأندلس، بيروت ١٩٨٢ م
* البكرى، أبو عسبد (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م)
- سمط اللّالى فى سرح أمالى الفالى، بح عبد العزيز الميمى، لجه النّاليف و التّرحمة و النّشر، القاهره ١٩٣٦ م.
* البوصرى، محمد بن سعبد (ت ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م)
- دبوان البوصرى، بح محمد سّبد الكلايى، مطبعه مصطفى البالى الحلبي بالقاهره ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م

* بول، سالىلى لس

- العرب فى إساسا، رحمه على الحارم، دار المعارف، القاهرة ١٩٤٤ م.

* السيدق، أبو بكر الصّهاحى (ب حوالى ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م).

- أخبار المهدي بن نومر و استدعاء دوله الموحّدين، نج عند الحميد حاحبات، الشركه الوطنيه للنشر و التوزيع الحرائر ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م

الثّاء

* النّادلى، يوسف بن يحيى (ب ٦٢٧ هـ / ١٢٣٠ م)

- التّشوّف إلى رحال التّصوّف، سج أدولف فور، الرّباط ١٩٥٨ م

* ابن ناوب، محمّد

- الوافى بالأدب العربى فى المعرب الأقصى، دار التّعافى، الدّار البصاء ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.

* النّجائى، عبد الله بن محمد (٧٢١ هـ / ١٣٢١ م).

- رحلة النّجائى، نج حسن حسنى عبد الوهاب، الدّار العربيه للكتاب، لسا نوس ١٩٨٠ م.

* النّطاوى، عبد الله

- فضابا الفنّ فى فصد المدح العبّاسيه، مكتبه الأملو المصريه، القاهرة ١٩٨٣ م.

* ابن تعري بردى، يوسف (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م)

- النّجوم الرّاهره فى ملوك مصر و القاهرة، ط دار الكعب، القاهرة د.ب.

* التّليدى، عبد الله

- المطرب فى مشاهير أولياء المغرب، طنجة ١٩٨٧ م

* أبو تمّام، حبيب بن أوس الطّائى (ت ٢٣١ هـ / ٨٤٦ م).

- ديوان أبى تمّام سرح التّبرى، نج محمد عدو عّام، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٢ م.

* التّسمى، فحطان رسد

- اتّجاهات الهجاء فى القرن الثّالث الهجرى، دار المسره، سروت د.ت.

* التّنىكى، أحمد بابا (ت ١٠٣٦ هـ / ١٦٢٧ م).

- سل الانتهاج بنطريز الدّساج، نج مجموعه من الطلبه، كلية الدّعوه الإسلاميه طرابلس ١٣٨٠ هـ /

١٩٨٩ م .

* التّهاوى، محمد بن على (ب ١١٥٨ هـ / ١٧٤٥ م).

- كسّاف اصطلاحات الفصون، دار فهران للتّسر و التّوزيع، اساسول ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

* ابن نومر، محمد (ب ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م).

- أعز ما يطلب، الحزائر ١٩٠٣ م .

الثّاء

* ابن ثابت، حسّان (ب ٥٤ هـ / ٦٧٤ م).

- ديوان حسّان بن ثابت، سج وليد عرفات، دار صادر، سروت ١٩٧٤ م.

* الثّعاللى، عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٨ م).

- سمار العلوف فى المصاف و المنسوب، سج محمد أبو الفضل ابراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة د.ب .

- * نعلب، أبو العباس أحمد بن حبيب (ب ٢٩١ هـ / ٩٠٤ م).
- سرح شعر رهبر بن أسى سلمى، نج فخر الدّس قباوه، دار الآفاق الحدّده، سرب ٢ ١٤ هـ / ١٩٨٢ م.

الجيم

- * الحافظ، عمرو بن بحر (ب ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م).
- المحاسنى والأضداد، مكتته العرفان، سرب د.ب.
- الحبوان، نج عبدالسلام هارون، القاهرة ١٩٦٦ م.
* حاد المولى، محمد أحمد، ورفاهه
- قصص الفرآن، مطبعة الاسفامة، القاهرة ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م.
* الحارم، على، ورفعه
- البلاءه الواضح، دار المعارف، القاهرة (١٩٥٠ م).
* الجراى، عباس
- الأدب المغربى من حلال طواهره وفضايه، مكتته المعارف، الرّباط ١٩٧٩ م.
- الأمير الشّاعر أبو الرّبيع سليمان الموحّدى، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م.
* الجراوى، أبو العباس أحمد بن عبد السلام، (ب ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م)
- الحماسه المغربّيه، نج محمد رضوان الدّابة، دار الفكر دمشق ١٩٩١ م.
* جرير بن عطيه (ت ١١٠ هـ / ٧٢٨ م).
- ديوان جرير نج. نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٩ م.
* ابن جعفر، قدامة (ب ٣٣٧ هـ / ٩٤٤ م).
- نقد السّعر، نج محمد عيسى مسون القاهرة ١٩٣٤ م.
* جلاّت، حسن،
- الدّوله الموحّديّه، أتر العقيده فى الأدب، منشورات الجامعه، الرّباط ١٩٨٥ م.
* اس الجوزى، عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م).
- نلّيس إيلّس، دار الكب العلميه، سرب ١٣٦٨ هـ.
- صفة الصّفوه، نج محمود فاحورى، دار المعرفه، سرب ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

الحاء

- * أبو حاقه، أحمد
- فنّ المديح و تطوّره فى السّعر العربى، دار الشّرق الحديّد، سرب ١٩٦٢ م.
* حاوى، إيليا
- فنّ الشّعر الخمرى و تطوّره فى الأدب العربى، دار الشّرق الجديّد، بيروت ١٩٦٠ م.
* حامله، محمد عبده
- محنه مسلمى الأندلس عشّبه سقوط غرناطه و ما بعدها، مطاع دار الشّعب، عمّان ١٩٧٧ م.
* اس حرم، علي بن أحمد (ب ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م).
- طوق الحمامه فى الألفه و الآلاف نج عبد الكريم الهالى، الدّار النّونسيّه للتّشر، تونس
١٩٨٢ م.

- * حسنى، حسن السّنهى
- أبو العتّاس الحرّاوى ساعر الموحّدس، الرّباط د.ب.
- * حسّس، طه (ب ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م)
- حدب الأربعة، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٥ م .
- * الحسن، عبد الهادى أحمد
- مظاهر التّهصه الحدبنة فى عهد عفوف المنصور، الرّباط ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م
- * حسس، محمد
- الهعاء و الهّاؤوس فى الحاهلته، مكبه الآداب، القاهرة ١٩٤٧ م .
- الهعاء و الهّاؤوس فى عصر صدر الإسلام مكبه الآداب، القاهرة د.ب.
- * الحطبته، حرول س أوس (ب نحو ٤ هـ / نحو ٦٦٥ م)
- دوان الحطبته، تح نعمان محمد أمسن طه، مكتبه الحاحى، القاهرة ١٩٨٧ م .
- * الحقاوى، محمد س أبى الفاسم (كاحيًا ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م)
- معرف الحلقى رجال السّلف، مؤسسه الرّساله سروت و المكبه العنبفه سوس ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م
- * الحكم، سعاد
- المعهم الصوفى، سروت ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م
- * ابن حمّاد، محمد س على (ب ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م)
- أهار ملوك بى عسده و سسرتهم مطعه حول كرسول الحرائر ١٣٦٤ هـ / ١٩٢٧ م .
- * الحموى، انس حّة، أبوبكر بن على (ت ٨٣٧ هـ / ١٤٣٣ م) .
- حراة الأدب و غابة الأدب، القاهرة (١٣٠٤ هـ / ١٨٨٧ م) .
- * الحموى، نافوب (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٣٠ م) .
- إرساد الأرب إلى معرفة الأدب، المعروف بمعهم الأدباء، سح. مرطبوب، مطعه هدسه، القاهرة د.ب
- معهم البلدان، دار إحاباء التّراث العربى، سروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
- * الحموى، محمد س عبد المنعم (ت ٨٦٦ هـ / ١٤٦٢ م)
- الرّوص المعطار فى حر الأطار، نح إحسان عتّاس، مكبه لسان، سروت ١٩٨٤ م .
- * الحسلّى، عبد الحى، ابن العماد (٨٩ هـ / ١٦٧٨ م)
- سدراة الدّهه فى أهار من دهه، دار الآفاق الحدده، سروت د.ب.
- * الحوفى، أحمد محمد
- البطولة و الأبطال، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلامّية، القاهرة ١٩٦٧ م
- العرل فى العصر الجاهلى، مطعه نهفه مصر، القاهرة د.ب .

الخاء

- * اس أبى حارم، بشر (ب نحو ٢٢ ق هـ = نحو ٥٩٨ م)
- دوان سس س أبى حارم، سح عزه حسس، دمسق ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م .
- * اس الحطب، لسان الدس (٧٧٦ هـ / ١٣٧٥ م)
- الإحاطه فى أهار عرابطه، سح محمد عبد الله عنان، مكبه الحانحى، القاهرة ١٩٧٣ م

- أعمال الأعلام (أريج إسماعيل الإسلاميه) بح لفي روفيسال، دار المكسوف بيروت ١٩٥٦ م
 - أعمال الأعلام (تاريخ المغرب في العصر الوسط) بح أحمد محار العبادي و رفعة، دار الكتاب الدار البيضاء ١٩٦٤ م.
 - روضه التعرف بالحس الشريف، بح محمد الكاسي، دار الثقافة، الدار البيضاء ١٩٧٠ م
 - رباعه الكتاب و نجعه المنتاب، بح محمد عبد الله عان، مكبه الخاصي، الفاهرة ١٩٨٠ م.
 - اللّمحه البدرية في الدولة الصّريه، دار الآفاق الحديده، بيروت ١٤٦٠ هـ / ١٩٨٠ م.
 - نفاصه الجراب و علاله الاعترا، بح أحمد محار العبادي، دار الكاب العربي، الفاهرة د.ب
 - * حفاحي، محمد
 - الصوّف الإسلامي، مكبه الفاهرة د.ب.
 - * اس خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ب ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م)
 - العبر و ديوان المسدأ و الحبر، بح خليل سحادة، دار الفكر، بيروت ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م
 - مقدمه ابن خلدون، مؤسسه الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د.ب.
 - * ابن خلدون، يحيى بن محمد (ت ٧٨٠ هـ / ١٣٧٨ م)
 - سعيه الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الحزائر ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م
 - * اس خلّكان، شمس الدّين أحمد (ب ٦٨١ هـ / ١٢٨١ م)
 - وفات الأعبان و أباء أباء الزّمان، بح إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت ١٩٦٨ م - ١٩٧٢ م
 - * خليف، يوسف
 - حباة الشّعري في الكوفة إلى نهايه العرس الثّاني للحرّة، دار الكتاب العربي، الفاهرة ١٩٦٨ م.
 - * حليفة، حاحي (ب ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٧ م)
 - كسف الطّنون عن أسامي الكنب و الفنون، وكالة المعارف، إساسول ١٣٦٠ هـ / ١٩٤١ م
 - * الحوارح
 - ديوان الحوارح، بح إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٣ م
- ## المدال
- * الدّاودي، محمد بن علي بن أحمد (ت ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م)
 - طبقات المفسّرس، بح علي محمد عمر، مكبه وهبه، الفاهرة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م
 - * الدّانه، محمد رصوان
 - الأدب العري في الأندلس و المغرب مطبعه جامعّة دمشق ١٩٧١ م
 - * ابن دحيه الكلبي، عمر بن حسن (ب ٦٣٣ هـ / ١٢٣٦ م)
 - المطرب من أشعار أهل المغرب، بح ابراهيم الأبياري و حامد عبد المحيد و أحمد بدوي، القاهرة ١٩٥٥ م
 - * ابن درّاج الفسطلي، أحمد بن محمد (ب ٤٢١ هـ / ١٠٣١ م)
 - ديوان ابن درّاج، بح محمود مكّي، المكب الإسلامي، دمشق ١٩٦١ م
 - * الدّهان، سامي (ب ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م)
 - الغزل (فنون الأدب العري) دار المعارف، الفاهرة ١٩٥٤ م
 - الهجاء (فنون الأدب العري) دار المعارف، الفاهرة ١٩٧٣ م
 - الوصف (فنون الأدب العري) دار المعارف، بالفاهرة د.ب

- * ابن أبي ديار ، محمد بن أبي القاسم (ب ١١٠ هـ / ١٦٩٨ م) .
- المؤنس في أحوار إفرغيه و نوس ، بح محمد سَمَام ، المكنى العنبره ، نوس ١٩٦٧ م

الذال

- * الذباني، التابعه (ت نحو ١٨٠هـ / نحو ٦٠٤ م)
- ديوان التابعه الذباني، تح شكرى قبصل، دار الفكر، دمشق ١٣٦٨ هـ / ١٩٦٨ م .
- الذهبي، سمس الدين، محمّد بن أحمد (ب ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م) .
- سر أعلام التلاء، بح شعيب الأرنؤوط و آخري، مؤسسة الرساله، بيروت ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- العرفى حر من عمر، تح صلاح الدين المنجد، الكويت ١٩٦٣ م
- مران الاعدال فى نقد الرجال، بح على محمد الحاوى، القاهره ١٩٦٣ م .

الراء

- * ابن أبى ربيع، عمر (ب ٩٣ هـ / ٧١٢ م)
- شرح ديوان عمر بن أبى ربيع، تح محمد محى الدين عبد الحميد، مطبعة المدنى، القاهرة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م .
* الرصافي اللنسى، محمد بن غالب (ب ٥٧٢ هـ / ١١٧٧ م)
- ديوان الرصافي اللنسى، تح احسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٠ م .
* الرضى، الشريف (ب ٤٠٦ هـ / ١١٥ م)
- ديوان الشريف الرضى، مؤسسة الأعلمى، بيروت، د.ت
* الرعبى، أبو الحسن على بن محمّد (ب ٦٦٦ هـ / ١٣٦٨ م)
- رجام سوح الرعبى، بح إبراهيم ستوح، المطبعة الهاسميه، دمشق ١٩٦٢ م
* الرقواء، السرى، (ب ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م)
- المحت و المحبوب و المسموم و المشروب، بح مصاح علاوى، مجمع اللغه العربيه، دمشق ١٩٨٤ م .
* الرقب، شفيق محمّد
- شعر الجهاد فى عصر الموحدين، مكنى الأفضى، عمان ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
- فى الأدب الأندلسى، دار المعارف، القاهره ١٩٦٦ م .
* الرمادى، يوسف بن هارون (ب ٤٣٠ هـ / ١٠١٢ م)
- شعر الرمادى، تح ماهر زهير جرّار، المؤسسة العربيه للدراسات، بيروت ١٩٨٠ م .
* روميه، وهب
- الرحله فى العصيده الجاهلية، اتحاد الكاب و الصحفيين الفلسطينيين، دمشق ١٩٧٥ م .

الزاي

- * ابن الزبير، أبو جعفر، أحمد بن محمّد (ب ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م)
- صله الصله، بح لبعى بروفسال، المطبعة الامصاديه، الرباط ١٩٣٧ م .

- صله الصّله، قسم العرباء، بدل السّفر الثّامن من الدّل و التّكملة، بح محمّد بن شريفه
الرّباط ١٩٨٤ م
- * ابن أوى ررع العاسى على (ب ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م)
- الأنبس المطرب بروص القرطاس، دار المنصور، الرّباط ١٩٧٢ م.
- الدّخبره السّنيّه فى تاريخ الدّولة الميريّنه، دار المنصور، الرّباط ١٩٧٢ م.
- * الزّركسى، محمد بن إبراهيم (ب بعد ٩٣٢ هـ / بعد ١٥٢٦ م)
- تاريخ الدّولنبن الموحّدبة و الحفصه، تح محمد ماصور، المكنبه العتبه، نونس ١٩٦٦ م .
- * الزّركلى، حير الدّين (ت ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م)
- الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠ م.
- * اس رهبر، كعب (ب ٢٦ هـ / ٦٤٥ م)
- ديوان كعب بن رهبر = شرح ديوان كعب.
- * اس رند، الكمب (ب ١٢٦ هـ / ٧٤٤ م)
- ديوان الكمب بن زرد بح داود سلوم، بيروت ١٩٨٦ م
- * ابن زردان، عبد الرّحمن (ب ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م)
- إحاف أعلام النّاس بجمال أخار حاضره مكناس، الرّباط ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٩ م.
- * ابن زيدون، أبو الوليد أحمد (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م)
- ديوان اس زيدون، تح كامل الكيلانى و رفيقه، البابى الحلبي، الفاهرة ١٩٣٢ م.
- ### السّين
- * السّبكى، عبد الوهاب بن على (ب ٧٧١ هـ / ١٣٧٠ م)
- طبقات الشّافعه الكرى، تح محمود محمد الطّناحى و رفيقه،
الفاهره ١٩٦٧ م
- * السّجلماسى، القاسم الأنصارى
- المرع البدع فى حبس أسالب البدع، بح علّال الفارى، مكبه المعارف، الرّباط
(١٤٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- * السّراج، الوزير محمّد بن محمّد (ت ١١٤٩ هـ / ١٧٣٦ م)
- الحلل السّندسه فى الأخبار النّوسه، تح محمّد الحب الهله، دار الغرب الإسلامى،
بيروت ١٩٨٥ م .
- * السّطلى، عبد الحفظ
- العجاج، حياه و رجه، مكتبة أطلس، دمشق د.ب.
- * ابن سعيد، على بن موسى (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م)
- رايات المبرزين و غابات المميزين، تح محمّد رضوان الدّابة، دار طلاس، دمشق ١٤٠٧ هـ /
١٩٨٧ م .
- الغصون السّاعه فى محاسن شعراء المئه السّاعه، نح إبراهيم الإييارى، دار المعارف
القاهره ١٩٦٧ م .
- المغرب فى حلى المغرب، تح شوفى ضيف، دار المعارف، الفاهره ١٩٨٠ م .

* السَّعِيد، محمد محمد

- السَّعِيد في عهد المرابطين و الموحدين بالأندلس، دار الترسيّد، بغداد ١٩٨٠ م.

* السَّكْرِي، أبو سعيد، الحسن بن الحسن (ب ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م)

- شرح أسعار الهدايا، بح عبد الستار، أحمد فراج، مكتبة دار العروة، القاهرة د.ب

- شرح ديوان كعب بن زهير، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٥٠ م.

* ابن سهل، إبراهيم بن سهل (ب ٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م).

- ديوان ابن سهل، بح إبراهيم فويعه، مطبوعات الجامعة التونسية تونس ١٩٨٥ م.

* ابن سوده، عبد السلام

- دليل مؤرخ المغرب، معهد مولاي الحسن، تطوان ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م

* السَّوْطِي، حلال الدّين، عبد الرّحمن بن أبي بكر (ب ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)

- الإيفان في علوم القرآن، دار الفكر سروب، د.ب

- نعيه الوفاء في طبقات اللّغوس و النّحاة، بح أبو الفضل إبراهيم، مطبعة الباني الحلبي،

القاهرة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م.

- حسن المحاضرة في تاريخ مصر و القاهرة، بح أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية

القاهرة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م.

- المرهر في علوم اللّغة، بح محمّد أحمد حاد المولى وعلى محمّد الحاوي ومحمّد أبو الفصل

إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة د.ب.

الشَّيْن

* الشَّيْبِي، أبو العتّاس أحمد بن عبد المؤمن (ب ٦١٩ هـ / ١٢٢٣ م)

- شرح المقامات الحريريه، المطبعة الأميريه، القاهرة، ١٣٠٠ هـ

* شريف، محمد بدع

- الصّراع بين الموالى و العرب، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٥٤ م.

* ابن شريف، محمّد

- أبو تمام و أبو الطّيب في أدب المعاري و الأندلسيّين، دار العرب الإسلامي، سروب

الكتاب، بيروت ١٩٧٩ م.

- الأندلس، موضوعاته و فنونه، دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٩ م.

* السَّمَاع، محمّد بن أحمد (كاسحيّا ٥٨٦١ / ١٤٥٧ م).

- الأدب السّنة التّوراتيه، في معاصر الدّولة الحفصيه، بح الطّاهر المعموري، الدّار العربيّة

للكتاب، ليبيا تونس ١٩٨٤ م.

* السَّنْزَرِي، أبو الحسن علي بن سام (ب ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م)

- الدّخيرة في محاسن أهل الحريره، بح إحسان عتّاس، الدّار العربيّة للكتاب، ليبيا تونس

١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.

المساجد

- * اس صاحب الصلاه، عند الملك (ب ٥٩٤ هـ / ١١٩٨ م)
- تاريخ المن بالإمامه على المستضعفين... بح عند الهادي التاري، تعداد ١٩٧٩ م .
- * الصعدي، خليل بن أبيك (ب ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م).
- الوافي بالوفيات ، فساد ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م و ما بعد
- الحرء الأول نشر باعناء هلموب رسر فساد ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م .
- الحرء الثاني سر باعناء س. ديدرع فساد ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .
- الجرء الثالث سر باعناء س. ديدرع فساد ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .
- الحرء الرابع نشر باعناء س. ديدرع فساد ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .
- الحرء الخامس سر باعناء س. ديدرع فساد ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠ م .
- الحرء السادس سر باعناء س. ديدرع فساد ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .
- الحرء السابع سر باعناء إحسان عتاس، فساد ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .
- الحرء الثامن سر باعناء محمد يوسف نجم، فساد ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .

المصنفات

- * الصبي، أحمد بن حبي بن عميره (ب ٥٩٩ هـ / ١٢٠٣ م) .
- نعبه المنمنس في تاريخ رجال الأندلس، دار الكاب العربي، القاهرة ١٩٦٧ م .
- * صيف، شوقي
- البطولة في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٠ م .
- تاريخ الأدب العربي : العصر العتاسي الأول دار المعارف، القاهرة ١٩٦٩ م .
- العصر العتاسي الثاني دار المعارف، القاهرة ١٩٧٥ م .
- التطور و التحديد في الشعر الأموي، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧ م .
- الرثاء، (فنون الشعر العربي) دار المعارف، القاهرة ١٩٥٥ م .
- الفن و مدهه في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٦ م .

الطباء

- * الطرابلسي، محمد الهادي
- خصائص الأسلوب في الشوقيات. مطبوعات الجامعة التونسية، تونس ١٩٨١ م .
- * الطمار، محمد
- تاريخ الأدب الحرائري، الشركه الوطنية للتسر و التوزيع، الحرائر د.ت.
- * الطيب المجدوب، عبد الله
- المرشد إلى فهم أشعار العرب و صناعنها، مكبه مصطفى الباسي الحلبي، القاهرة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م .
- * الطيب، سرف الدين حسن بن محمد (ب ٧٤٣ هـ / ١٣٤٢ م)
- التبان في علم المعالي و البدع و البان، بح هادي عطيه مطر الهلالي، عالم الكتب
- سروب ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

العِين

* عاسور، سعيد

- أوربا فى العصور الوسطى، مكنه الأملو المصره، الفاهره ١٩٦٢ م.

* العاملى، عدى بن الرّفاع (ب نحو ٩٥هـ / نحو ٧١٤ م)

- ديوان عدى بن الرّفاع، بح نورى حمّودى القسى و حاتم الصّامى، المجمع العلمى العرافى. بعداد

١١٤٠٧
١٩٨٧ م

* العباسى، عبد الرّحم بن عبد الرّحم (ب ٩٦٣هـ / ١٥٥٦ م).

- معاهد التّمسّص على سواهد التّحبّص، بح محمّد محبى الدّس عبد الحمّد، عالم الكنب

سروب. د.ب

* اس عبد رتّه، أحمد (ب ٣٢٨ هـ / ٩٤ م)

- ديوان اس عبد رتّه، صعه محمد رضوان الدّاه، دار الفكر، دمشق ١٩٨٥ م.

* عبد الرّحم، نصر

- سعر الصّراع مع الرّوم فى صوء التّاريخ، مكنه الأفضى، عمّان ١٩٧٦ م.

* اس عبد الله، عبد العرير

- الموسوعه المعربّة للأعلام البسرّة و الحصارّة، الرّباط ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م.

* ابن عبد الملك المراكسى، أبو عبد الله محمّد (ب ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م).

- الذّيل و التّكملة لكبابى الموصول و الصّله

الحرّان الأوّل و الثّامن تح محمّد بن شرفه، دار الثّقافه سروب د.ب و الأكاديه الملكه

الرّباط ١٩٨٤ م.

الأجراء الرّاع و الخامس و السّادس تح إحسان عّاس، دار الثّقافه، سروب من ١٩٦٥ م /

١٩٧٥ م

* عبد الوهاب، حسن حسنى (ب ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م)

- سهراب التّوسّسات، مكتبة الممار، تونس د.ب

* عسق، عبد العرير

- علم البدع، دار التّهصه العربّيه، سروب ١٩٧٤ م.

- علم البيان، دار التّهصه العربّيه، سروب ١٩٧٤ م.

* ابن عدارى، أبو عبد الله محمد (ب ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م)

- البيان المعرب فى احصار أحوار ملوك الأندلس و المغرب (قسم الموحّدى) بح محمّد إبراهيم

الكاسى، و محمد بن ناوت و محمد رنير و عبد القادر رمامه، دار الثّقافه، الدّار البصاء

١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م.

* اس عربى، محبى الدّبن (ب ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م)

- محاصرّات الأسرار و مسامرة الأخبار، دار البعظه العربّيه، سروب ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م.

* العسفلانى، اس ححر (ب ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م)

- الإصاه فى مبير الصّحاة، دار الكتاب العربى، سروب. د.ب.

- سن الححر فى أساب اس ححر، بح سهاه الدّس أبو عمر، دار الرّبان للترّاب، سروب ١٤٠٩ هـ /

١٩٨٨ م.

- لسان المران، دائره المعارف النظاميه، الهد ١٣٣٠ هـ.
- * العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت ٤٠٠ هـ / ١٠١٠ م).
- الصاعس (الكناه و الشعر) مطبعه محمد على صبح، القاهرة د.ب.
- * عطوان، حسين
- شعراء الدولس الأمويه و العباسيه. دار الحل، سرب ٢١٩٨١ م.
- * عفي، محمد صادق و محمد بن سابت
- الأدب المعري، دار الكتاب اللباني، سرب ١٩٦٣ م.
- * علام، عبد الله على
- الدعوه الموحده بالمغرب، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٤ م.
- الدوله الموحده بالمغرب فى عهد عبد المؤمن بن على، دار المعارف، القاهرة ١٩٧١ م.
- * العمرى، اس فصل الله (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م)
- مسالك الأنصار فى ممالك الأمصار، (طع فؤاد سركن) فرانكفورت ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م.
- * عباس، محمد عبد الله
- نراحم اسلامه سرفيه و أدلسه، مكنه الحاحى، القاهرة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م.
- دوله الإسلام فى الأندلس (عصر المرابطس و الموحدين) مكنه الخانجى، القاهرة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م.
- * عنتره العيسى (ب نحو ٢٢ ق هـ / نحو ٦٠٠ م)
- ديوان عنتره بن سداد، دار صادر، سرب ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م.
- * عيسى، فوزي سعد
- الشعر الأندلسى فى عصر الموحدين، الهئه العامة للكتاب، الإسكندريه ١٩٧٩ م.

الغين

- * اس غارى المكناسى، محمد (ت ٩١٩ هـ / ١٥١٣ م)
- التروص الهيون فى أचार مكاسه الرينون، المطبعة الملكيه، الترابط ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م.
- * العبرنى، أبو العباس أحمد بن عبد الله (ت ٧٠٤ هـ / ١٣٠٤ م)
- عنوان الدراره فبى عرف من العلماء فى المئه الساعه بحابه، بح راح سوار، السركه الوطنيه للتسر و التورع، الحرائر ١٩٧٠ م.
- * العرابطى، أبو القاسم محمد بن أحمد (ب ٧٦٠ هـ / ١٣٥٩ م)
- رفع الحب المسنوره فى محاسن المعصوره، مطبعه السعاده القاهرة ١٣٤٤ هـ.
- * غومس، إمبليو غرسه
- الشعر الأندلسى، ترجمه حسن مؤنس، القاهرة ١٩٥٢ م.

الفاء

- * اس الفارض، عمر بن على (ب ٦٣٢ هـ / ١٢٣٥ م)
- ديوان اس الفارض، ط دار صادر سرب د.ب.

- * العارارى، أبو ريد عبد الرحمن (ب ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م)
 - دوان الوسائل المصنّعة، مكينه المصار، تونس ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م.
 - العوائد العسريّة، دار إحياء الكتاب العربى، القاهرة. د.ب.
- * العاسى، محمّد
 - ساعر الحلافه الموحّده أبو العباس الحرّاوى، جمعه فدماء بلامد حسوس ١٩٥٢ م.
 * ابن فرحون، إبراهيم بن على (ب ٧٩٩ هـ / ١٣٩٧ م)
 - الدّساح المذهب فى معرفه أعيان المذهب. القاهرة. د.ب.
- * فرّوج، عمر
 - تاريخ الأدب العربى (الأدب فى المغرب و الأندلس) عصر المرابطى و الموحّدين.
 دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٢ م.
 - أبو سواس، دار السّوق الحديد، بيروت ١٩٦٠ م.
- * الفرورأبادى، محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ / ١٤١٥ م)
 - البلعه فى تاريخ أئمّه اللّعه، بح محمد المصرى، وزارة الثّقافه، دمشق ١٩٧٢ م.
- * فيصل، سكّرى
 - تطوّر العرل بين الحاهليّة و الاسلام، دار العلم، بيروت. د.ب.

الف

- * الفاسانى، عبد الرّاق (ت ٧٣٠ هـ / ١٣٣٠ م)
 - اصطلاحات الصّوفيه، بح محمد كمال إبراهيم جعفر، القاهرة ١٩٨١ م.
- * ابن الفاضى، أحمد بن محمّد (ت ١٠٢٥ هـ / ١٦١٦ م)
 - حذوه الافباس فى ذكر من حلّ من الأعلام مدبّه فاس، دار المصور، الرّباط ١٩٧٣ م
 - درّه الحجال فى أسماء الرّجال، بح محمّد الأحمدي أبو التّور، دار التّراب الفاهره،
 و المكينه العبقه بوس ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م.
- * ابن فاضى شهيه، أبو بكر بن أحمد (ب ٨٥١ هـ / ١٤٤٨ م)
 - طبقات النّحاه و اللّعبين، بح محسن عاص، التّجف ١٩٧٤ م
- * ابن فببه، عبد الله بن مسلم (ب ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م)
 - السّعر و السّعراء، بح أحمد محمد ساكر، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٦ م.
- * الفرطاجتى، أبو الحسن حازم بن محمّد (ب ٦٨٤ هـ / ١٩٨٥ م)
 - دوان حارم الفرطاجتى، بح عنمان الكعّاك، دار الثّقافه، بيروت ١٩٦٤ م.
 - منهاج البلعاء و سراج الأدباء، بح محمد الحبيب بن الخوخه، دار العرب الإسلامى، بيروت
 ١٩٨٦ م.
- * الفسرى، عبد الكرم بن هوارن (ت ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م)
 - الرّساله الفسريه، مطبعه التّقدّم العلميه، القاهرة. د.ب.
- * ابن الفظّان، أبو محمد حسن بن على (ب مئصف القرن السّاع الهجرى/ الثّالث عشر الهجرى)
 - نظم الحمان لترتيب ما سلف من أخبار الرّمان، بح محمود على مكى، دار العرب الإسلامى،
 بيروت ١٩٩٠ م.

- * العقطى، جمال الدين على بن يوسف (ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م)
- إخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الآثار، بيروت. د.ب.
- إسهاء الرواه على أساء النخاة، بح محمد أبو الفصل إبراهيم، دار الكتب، القاهرة ١٩٥٢ م وما بعد.
- المحمدون من الشعراء، بح رياض عبد الحميد مراد، مجمع اللغة العربيه، دمشق ١٩٧٥ م.
- * الفلفسدى، أبو العباس أحمد (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)
- صح الأعشى فى صاعه الإيسا، المطبعة الأمره، القاهرة ١٩١٥ م وما بعد
- فلائد الحما فى التعريف بفائل الرما، بح إبراهيم الأبارى القاهرة ١٩٨٢ م.
- * ابن سعد العسطنى، أبو العباس أحمد بن الحسين : (ت ٨١٩ هـ / ١٤٠٧ م)
- أس الفبر و عرّ الحفبر. تح محمد الفاسى و أدولف فور، المركز الحامى للحب العلمى، الرباط ١٩٦٥ م.
- الوفبات، بح عادل بويهص، دار الآفاق الحديده، بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- * الفرواى، ابن رسق، أبو على الحسن (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م)
- العمده فى صاعه الشعر و نفده، تح محمد محى الدين عبد الحميد، دار الحبل، بيروت ١٩٨١ م.
- * الفبرواى، الرقى (ت نحو ٤٢٥ هـ / نحو ١٠٣٤ م)
- المحتصر من قطب السّرور، اخاره (على نور الدين المسعودى)، بح عبد الحفظ مصور، بوس ١٩٧٦ م

الكاف

- * كتاب الدولة الموحّديه
- رسائل موحّديه، جمعها لبقى بروفيسال، المطبعة الاقتصاديه، الرباط ١٩٤١ م
- * ابن الكتانى، أبو عبد الله محمد بن الحسن (القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى)
- التسيها من أسعار أهل الأندلس، تح إحسان عباس، دار الثقافة بيروت. د.ب.
- * الكتانى، محمد بن جعفر (ت ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٧ م)
- سلوه الأنفاس و محاده الأكباس ممّن أفر من العلماء و الصلحاء بفاس، فاس ١٣١٦ هـ .
- * ابن كسر، إسماعيل (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م)
- البداه و التّهاه، القاهرة ١٩٣٢ م.
- * كحاله، عمر رضا
- معجم المؤلفين، مطبعه النّرقى، دمشق ١٣٨ هـ / ١٩٦١ م .
- * كراتشكوفسكى، أغناطيوس (ت ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م) .
- دراسا فى تاريخ الأدب العربى، موسكو ١٩٦٥ م .
- * الكللى، محمد بن أحمد بن حرى (ت ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م)
- التسهيل لعلوم السربل، المكبّه التجاربه الكرى، القاهرة ١٣٥٥ هـ .
- * ابن الكلبي، محمد بن السائب (ت ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م)
- حمهرة النسب، بح محمد فردوس العظم، دار البوطه العربيه، دمشق ١٩٨٣ م .
- * كّون، عبد الله
- أدب الفقهاء، دار الثقافة، الدّار البصاء ١٩٨٨ م .

- دكرسات مساهر رجال المغرب، بطوان د.ب.
- التسوع المعري في الأدب العربي، دار الكتاب اللبناني، سروب ١٩٦٦ م.

الميم

- * المترد، محمد بن سريد (ب ٢٨٦ هـ / ٨٩٩ م)
- الكامل، نج محمد أبو الفصل ابراهيم و السّند سحاه، دار بهمه مصر، القاهرة، د.ب
- * المستى، أبو الطيب أحمد بن الحسن (ت ٣٥٤ هـ / ٢٩٦٥).
- ديوان أبي الطيب المننّى، نج عبد الوهاب عزام، لحنه المؤلف و الترجمة و النشر، القاهرة ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٤ م.
- * مولى، بدر
- فصا أندلسه، القاهرة ١٩٦٤ م.
- * مولى، عبد الستار السّند
- أدب الرّهد في العصر العباسى، الهيئة المصرّيه العامّه للكتاب، القاهرة ١٩٨٤ م.
- * مجموعه من الباحثين
- دائره المعارف الإسلاميه، رحمه عبد الحميد يوسف و إبراهيم رضى حورسد و أحمد السنتاوى و محمد تائب العدى. القاهرة ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م.
- * مجهول
- الحلل الموسبه فى ذكر الأحبار المراكسه، نج سهل ركار و عبد القادر رمامه، دار الرّساد الحديه. الدّار البيضاء ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.
- * مجهول
- منارات من الشعر المغربى و الأندلسى، نج ابراهيم بن مراد، دار العرب الإسلامى، سروب؛ ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
- * مجهول
- مفاحر البربر، نج لطفى بروفيسال، المطبعه الحديه الرّباط ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م.
- * محفوظ، محمّد
- معجم المؤلفين التّوسس، دار العرب الإسلامى، سروب
- * مخلوف، محمد (ب ١٣٦٠ هـ / ١٩٤١ م)
- شجره التّور الرّكّه فى طبقات المالكتّه.
- * المراكسى، عبد الواحد (ب ٦٤٧ هـ / ١٢٥٠ م)
- المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، نج محمد سعيد العريان و محمد العربى العلمى، مطبعه الاسقامه، القاهرة ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م
- * المرمى، السّريف (ب ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ م)
- طيف الحال، نج حسن كامل الصّرفى، دار إحياء الكتب العربيه القاهرة ١٩٦٢ م.
- * ابن مريم، محمّد بن محمّد (ب بعد ١٠١٤ هـ / بعد ١٦٠٥ م)
- السنن فى ذكر الأولياء و العلماء بلمسان، نج محمد بن أبى سب، المطبعه النّعاليّه الحرائر ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م.
- * المرمى، نجاه
- شعر عبد العزير العسالى، مكبه المعارف، الرّباط ١٩٨٦ م.
- * ابن المعبر، عبد الله بن محمّد (ب ٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م)
- طبقات السّعراء، نج عبد السّنتار أحمد فزّاج، دار المعارف، القاهرة ١٩٨١ م.

- * ابن المعرّ الفاطمي، صمم (ب ٣٧٤ هـ / ٩٨٥ م)
- ديوان صمم ابن المعرّ الفاطمي، دار الكتب المصريّة ، القاهرة ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م
- * ابن معصوم، على بن أحمد (ب ١١١٩ هـ / ١٧٠٧ م)
- أنوار الرّبع في أنواع البدع، بح ساكر سكر، بغداد ١٣٨٨ هـ / ١٩٨٠ م.
- * المقرئ، سهاب الدين أحمد بن محمّد (ب ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م).
- أزهار الرّياض في أحبار العاصي عباس
الأحرار الثلاثة الأولى بن مصطفى السّقا وإبراهيم الإباري و عبد الحفيظ سلسي، مطبعه
لحمه التّأليف و التّرحمه و التّشر، القاهرة ١٩٣٩ م.
- الحرّ الرابع، بح سعيد أعراب، و محمد بن ناوي، مطبعه فصالة المحمّده د.ب
الحرّ الخامس، بح عبد السّلام الهزّاس و سعيد أعراب مطبعه فصالة المحمّده د.ب .
- نفح الطّيب من عصف الأندلس الرّطب بن إحسان عبّاس، دار صادر بيروت ١٩٦٨ م.
- * ملس، محمّد الرّسد
- عصر المصنوع الموحّدي، مطبعه السّمال الإفريقي، الرّباط د.ب .
- * ابن مصنوع، عبد الوهاب
- أعلام المغرب العربي، الرّباط ١٩٧٢ م.
- * ابن مطّور، جمال الدّين محمد (ب ٧١١ هـ / ١٣١١ م)
- لسان العرب، دار صادر ، بيروت ١٩٨٢ م.
- * المنوني، محمّد
- العلوم و الآداب و الفنون على عهد الموحّدين، الرّباط ١٩٧٩ م.
- * أبو المواهب، جمال الدّين محمّد بن محمّد (ب ١٣٧ هـ / ١٦٢٨ م)
- فواص حكم الاسرا، بح عبد الوكيل الدروبي، دمشق ١٩١٦ م .
- * الموحّدي، أبو الرّبع سليمان بن عبد الله (ب ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م)
- ديوان الأمير السّاعر سليمان الموحّدي، بن محمد بن ناوي الطّنجي و محمد بن العبّاس الفّاج
و سعيد أعراب و محمد بن ناوي النّطواي، كلّته الآداب - جامعه محمد الخامس.د.ب
- ابن الموفّ، محمّد بن محمّد (ب ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م)
- نعطير الأنفاس في التعريف بالشّح أبي العبّاس، ط حرّبه فاس ١٩١٨ م .

النّـون

- * النّاصري، أبو العبّاس أحمد بن خالد السّلوي (ب ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م)
- الاستقصا لأحبار دول المغرب الأقصى، بن جعفر النّاصري و محمّد النّاصري، دار الكتاب،
الدار البيضاء ١٩٥٤ م.
- * ناصف، مصطفى
- الصورة الأدبّيّة، القاهرة، دار مصر للطّباعه، ١٩٥٨ م .

- * التّهاى، أبو الحسن على بن عبد الله (ب ٧٩٣ هـ / ١٣٩١ م)
- المرفه العلما فمى سحقّ القضا و القضا (بارح قضا الأندلس) بح لفى سروفسال
المكب البحارى للطباعه و التّسر، سروب د.ب.
- * التّهاى، يوسف بن إسماعيل (ب ١٣٥ هـ / ١٩٢٢ م)
- المجموعه التّهابّيه فى المدائح التّوّته، المطبعه الأدبّيه، سروب ١٣٢٢ م
- * التّخار، عبد المجيد
- المهدي بن سوبر، دار العرب الإسلامى، سروب ٣ ١٤ هـ / ١٩٨٣ م.
- * لىسو، كارل (ب ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م)
- بارح الآداب العربيه ، الفاهره، دار المعارف ١٩٥٤ م
- * أبو سواس، الحسن بن هانىء (ب ١٩٨ هـ / ٨١٤ م)
- ديوان أبى نواس، بح أحمد عبد المحمد العزالى، الفاهره ١٩٥٣ م.
- * التّوبرى، أحمد بن عبد الوهاب (ب ٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م)
- نهايه الأرب فى فنون الأدب ، سحه مصوّره عن طبعه دار الكنب، الفاهره د.ب.
- * نوبهص، عادل
- معجم أعلام الحزائر، مؤسسه نوبهص للطباعه و التّسر، سروب ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- * النّوّتهى، محمد
- ثغافه الناقد الأدبى، مكنه الحانحى، الفاهره ١٩٦٩ م.
- * التّفر، محمّد (ب ١٣٣٠ هـ / ١٩١٢ م)
- ديوان الأرب عمّا نسا بالملكه التّوّسته من عالم أدب، المطبعه التّوّسته، سوس ١٣٥١ هـ.

الهـاء

- * اس هانىء الأندلسى، محمد (ب ٣٦٢ هـ / ٩٧٣ م)
- ديوان اس هانىء الأندلسى، دار صادر، سروب ١٩٨ م.
- * هتّاره ، محمّد مصطفى
- اتّحاهات السّعر العربى فى القرن التّانى الهجرى، دار المعارف، الفاهره ١٩٦٢ م.

الـواو

- * الوادى آشى، محمّد بن حابر (ب ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م)
- ريامح الوادى آشى، بح محمّد محفوظ، دار العرب الإسلامى، سروب ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- * اس الوليد، مسلم (ب ٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م)
- ديوان مسلم بن الوليد، بح سامى الدّقان، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٠ م.

الياء

* الباقى، عند الكرم

- دراسات قتيبه في الأدب العربي، مطبعة دار الحياه، دمشق ١٣٩١هـ / ١٩٧٢م

* البجصى، عباس بن موسى (ب ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م)

- السفا يعرف حقوق المصطفى، نج علي محمد الحاوي، بيروت ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

* البعلاوي، محمد

- اس هانيء الأندلسي المغربي، دار العرب الإسلامى، بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

* البوسى، الحسن بن مسعود (ب ١١٠٢ هـ / ١٦٩١ م)

- المحاضرات في اللغة و الأدب، نج محمد حنّى، و أحمد السرفاوى اصال.

دار العرب الاسلامى، بيروت : ١٩٨٢م

د - الدوريات

- محلّته الحب العلمى المعرّبه، الأعداد : ١-٢-٧-٢٦
- محلّته التعافه المعرّبه، الأعداد : ٤-٥
- محلّته دعوه الحقّ المعرّبه، الأعداد : ١-١٢ سه ١٩٥٨ م - ٦ سه ١٩٥٩
- ٦ سه ١٩٦١ م - ٢-٣ سه ١٩٧٥
- محلّته رساله المعرب المعرّبه ، الأعداد : ٥-٧-٨ سه ١٩٤٣ م - ١-٢-٤ سه ١٩٤٧
- ٣٦ سه ١٩٥٢ م
- مجلّته المسروق اللّبانّته، الأعداد ١١ و ١٥
- محلّته مهد الدّراسات الإسلامّيه بمدرّيد العدد ٩ .
- محلّته الماهل المعربّيه العدد ٣٨ سنه ١٩٨٩ م .

هـ - المراجع الأُخْبَر -

1- ENCYCLOPEDIE DE L'ISLAM - NOUVELLE EDITION,
LEYDE-PARIS, 1960 - T. I.

2- C. BROCKELMANN :
GESCHICHTE DER ARABI SCHENLTTERATUR - E. J BRILL.
LEIDEN, 1937.

٦- فهرست المحتويات

المقدمه : ١

القسم الأول : تراجم الشعراء وأشعارهم : ٨

القسم الثانى : الشعر، موضوعاته ومعانيه : ١٣٣

الفصل الأول : المدح : ١٣٣

أسباب اردهار المدح - ١٣٤ - منهج قصده المدح الموحّدته - ١٣٦ - معانى

المدح - ١٤٩ -

أ - معانى مدح الحلفاء و الورراء - ١٤٩ - المعانى التقليديه : الكرم - ١٤٩ -

العه و الأس - ١٥٤ - مكارم الأخلاق : - ١٦٢ - النسب العربى و الأولوبه

- ١٦٦ - التسوّف إلى صمّ المسرق - ١٦٩ - المعانى الدسّه و المذهبته

- ١٧١ - العلم و رعايه العلماء - ١٨١ - عجر الساعر عن الوفاء حقّ الممدوح

- ١٨٤ -

ب - معانى مدح الرجال : ١٨٥

الفصل الثانى : شعر الحرب : ١٩٢

رؤبه الشعراء للصراع فى الأندلس : - ١٩٣ - شعر اسنفار الفائل العربيه

- ١٩٨ - اسنلهام البراب - ٢٠٣ - وصف السّلاح - ٢٠٥ - وصف المعارك

- ٢١٠ - العمه الوثائقيه لسعر الحرب - ٢١٣ -

أ - الحروب مع المرابطن - ٢١٣ - ب : حروب إفريقيا - ٢١٤ - ج : حروب

الأندلس : ٢٢٢ - أثر الشعر فى حروب الأندلس - ٢٣٧ - د - حروب

الموحّدين فيما سبهم - ٢٤٣ -

الفصل الثالث : الشعر الدينى : ٢٥٠

أسباب اردهار الشعر الدينى - ٢٥١ - المديح النبوى - ٢٥٢ - منهج قصيدة

المديح النبوى - ٢٥٥ - المفدّمات - ٢٥٥ - الحوانم - ٢٥٩ - معانى

المدح النبوى - ٢٦٠ - المدح بالفم التقليديه - ٢٦١ - المعانى الدسبه - ٢٦٤ -

التسوّق الى المفدّسات - ٢٧٢ - الرّهد - ٢٧٨ - معانى الزهد - ٢٨٠ - الدّعوه

إلى التّهجد و قيام الليل - ٢٨٠ - السّدم و الاسعفار و الرّحاء - ٢٨٤ - الموب

و الحوف من الحساب - ٢٨٧ - أمور أخرى - ٢٨٩ - التسوّف - ٢٩٢ -

الحدث عن مصحف عمان - ٣٠١ - .

الفصل الرابع : العرل : ٣٠٦

- العرل التفلدي - ٣٠٩ - العرل العفيف - ٣١٦ - الغرل الحسى - ٣٣٠ -
- العرل بالمدكر - ٣٣٧ -

الفصل الخامس : الرّاء : ٣٤٤

- راء الأهل و الأرياء - ٣٤٧ - الرّاء محامله للمنقدس - ٣٥٢ - رشاء النفس
- ٣٥٥ - الجمع بين المعره و النهئه - ٣٥٧ - رباء الحسين - ٣٥٧ -

الفصل السادس : موضوعات أخرى: ٣٦٢

شعر الحمرة : ٣٦٣

- الوصف : ٣٧٥ - وصف الطبيعة - ٣٧٦ - المائبات - ٣٨٠ - وصف العصور
- ٣٨٣ - الفبا و الحمامات - ٣٨٤ - وصف المجنات - ٣٨٦ -
- الهجاء : ٣٨٨ - هجاء الأشخاص - ٣٨٩ - هجاء البلدان - ٣٩٤ - هجاء
- الجماعات - ٣٩٦ -
- الشعر العلمى - ٣٩٩ - نظم العلوم الدينيّة - ٤٠١ - نظم العلوم اللغويّة
- ٤٠٥ - نظم العلوم الجغرافية - ٤٠٦ -
- الاسعطاف - ٤٠٨ -
- الإحوابات - ٤١٦ -
- الألغاز - ٤٢١ -

الفصل السابع : الدراسة الفتنّة - ٤٢٦ -

مههد - ٤٢٧ -

- السبه الحارحّه - ٤٢٨ - القطع و الطّوال - ٤٢٨ - المحاكاه و التّقليد - ٤٣٠ -
- اللّعه الشّعريّه - ٤٣٤ -
- موسفا الإطار - ٤٣٧ - الأوزان و البحور و العوافى - ٤٣٧ -
- الجانب البلاغى - ٤٤٠ - فنون الببان - ٤٤٠ - التّشبيه - ٤٤٠ - المحار - ٤٤٥ -
- الاسعاره - ٤٤٦ - الكنايه - ٤٤٧ - فنون البديع - ٤٤٩ - الحاس - ٤٤٩ -
- الطّاق و المعالفة - ٤٥١ - التّصدر - ٤٥٣ - التّقسم - ٤٥٣ - حسن التّعليل
- ٤٥٤ - الوليد - ٤٥٤ - التّلمح - ٤٥٥ - الافناس - ٤٥٦ - التّصميم - ٤٥٩ -

الحامه : ٤٦٢

فهرس الآباف الفرفآفبه . ٤٦٨

فهرس الأعلام : ٤٧٠

فهرس البلباف و الأمافس : ٥٠١ .

فهرس القوافف ٥١١ .

فهرس المصاففر و المرافع : ٥٣١ .

فهرس المأفوفاف ٥٥٤ .